أولاد سيدي الشيخ

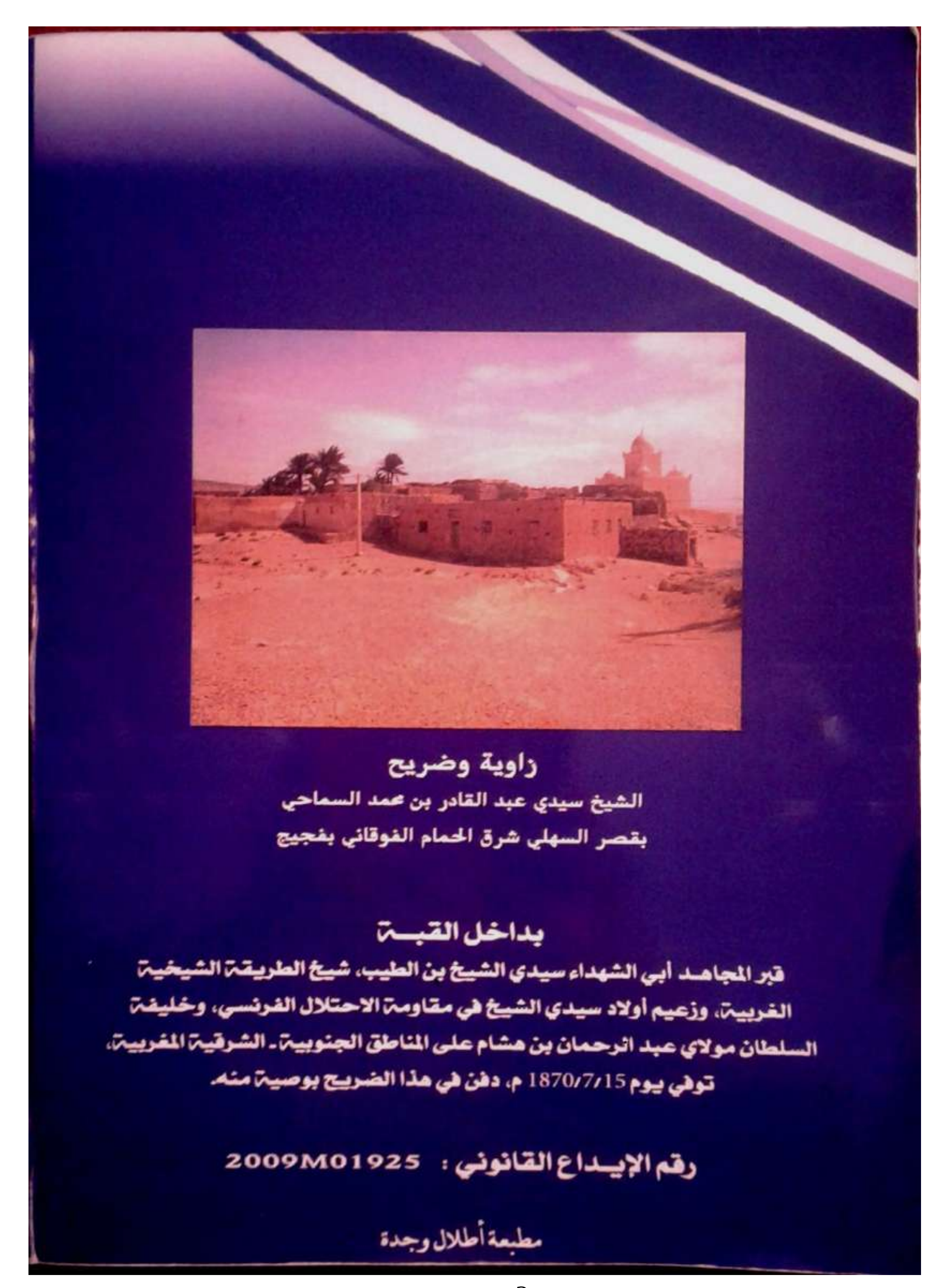
الشراقة والغرابة

التصوف والجهاد والسياسة



محمد ابن الطيب البوشيخي

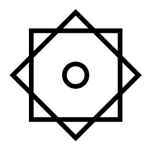
الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة
2013
(الطبعة الأولى 2009 \ الطبعة الثانية 2011)


زاوية وضريح
الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي
بقصر السهلي شرق الحمام الفوقاني بفجيج
بداخل القبة
قبر المجاهد أبي الشهداء سيدي الشيخ بن الطيب، شيخ الطريقة الشيخية الغربية، وزعيم أولاد سيدي الشيخ في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وخليفة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام على المناطق الجنوبية - الشرقية المغربية، توفي يوم 1870/7/15 م، دفن في هذا الضريح بوصية منه
رقم الإيداع القانوني : 2009M01925
مطبعة أطلال وجدة

أولاد سيدي الشيخ

الغرابة والشراڤة

التصوف والجهاد والسياسة



محمد ابن الطيب البوشيخي

الطبعة الثالثة
مطبعة أطلال ـ وجدة ـ
2013

مراجعة الطبعة الإلكترونية
201

*

تقديم

بقلم: العربي الهلالي *

تعتبرالدراسات المونوغرافية الأداة المنهجية الناجعة من أجل تحديد العلاقات التي تربط بين المكونات المجتمعية في جميع مستوياتها، مجالاتها ومراحلها، قبيلة كانت أم قبائل أو أمة في مجال محدود أو مفتوح في وسط حضري أو بدوي خاضع للحل والترحال وفي النهاية يخلص هذا النوع من الدراسات إلى تصور شمولي لتاريخ موضوع ما في إطار زمانه ومكانه، مثل الموضوع الذي تناوله هذا الكتاب القيم، ويتعلق بآل سيدي الشيخ البكريين وارتباطهم بالمغرب العربي تاريخا وأرضا من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي إلى بداية القرن الخامس عشر الهجري/نهاية القرن العشرين الميلادي والذي تناوله الأخ الأستاذ الفاضل محمد بن الطيب البوشيخي البكري مشكورا، تناولا عميقا حيث استفاد مما هو منشور ونقب عن المخطوط المخزون وروى الكثير مما هو محفوظ في ذاكرة أهل الرواية من حكماء آل سيدي الشيخ وغيرهم.

وبعد الجهد المضنى الذي تطلبته مرحلة الجمع والتنقيب، انتقل الأخ الكريم إلى طور الترتيب والتصنيف والتحليل والإستنتاج ثم في النهاية إلى إخراج هذا العمل الشمولي سهل الدراسة والقراءة.

ولم يكن من السهل أبدا الإحاطة بتاريخ آل سيدي الشيخ بمنطقة المغـرب العربي، نظرا لطول الفترة الزمنية المعنيـة(حوالي خمسة قرون) ولشساعة المجال الجغرافي الذي كانوا ينتشرون فيه وكذا القبائل التي كانت تدين لهم بالولاء، إضافة إلى كثافة المتغيرات المتتالية التي كانت تطفو تارة وتخبو أخرى، سواء في ذالك ما كان يحدث بين زعاماتهم أو بينهم مجتمعين أو متفرقين وبين السلطة الاستعمارية منذ بداية إحتلال فرنسا للجزائر وما تلى ذالك من أخذ ورد بين المملكة المغربية والسلطة الاستعمارية، لاسيما حول إشكالية الحدود التي خططت لها اتفاقية مغنية وملحقاتها(1845م وما بعد) إضافة إلى وضعية القبائل التي كانت

تنتقل غربها وشرقها، تلك الإشكالية التي تتخذها سلطة الاحتلال ذريعة ووسيلة غير مباشرة من أجل خلق الظروف المناسبة لتحقيق أطماعها التوسعية نحو الجنوب الشرقي من المملكة المغربية (توات وقورارة) وشرقها (النجود العليا) والجنوب الغربي منها (فجيج وتافلالت).

وعجالة، وكما تطرق إلى ذلك بتفصيل الأخ المؤلف، فإن حركة آل سيدي الشيخ بالمغرب العربي ابتدأت بظهور مؤسسها بفجيج (1567م) الشيخ العالم المربي العارف والسياسي المقتدر عبد القادر بن محمد بن سليمان البكري المعروف بالشيخ السماحي، فتفرغ طوال حياته للدعوة والجهاد، فذاع صيته وتركز نفوذه معنويا وماديا، شمالا عبر النجود العليا إلى وهران وبني يسناسن، وغربا إلى تافلالت ومراكش عبر فجيج، وشرقا إلى الأغواط وجنوبا إلى توات وقورارة، وزاد هذا النفود بسطة وقوة علاقتُه الوثيقة مع الملوك السعديين، فتكاثر أتباعه ومريدوه أفرادا وقبائل حتى أصبحت زاويته الأولى بالعباد في فجيج مقصدا لأهل العلم والسياسة ورجال التصوف إلى أن توفي رحمه الله سنة 1025 هـ/ 1616م ودفن بالأبيض سيدي الشيخ مقر زاويته الثالثة من حيث تاريخ التأسيس.

واستمر الأمر بعده في أبناءه حيث حاولوا جهد المستطاع تطوير الموروث ماديا ومعنويا، فتأسست زوايا متعددة في أصقاع بعيدة قصد تثبيت دعائم الطريقة الشيخية، وزادت بذلك الطريقة انتشارا وتغلغلا وتماسكا.

بعد مرحلة التاسيس والإزدهار والتطوير والوحدة، جاءت المرحلة الثانية (1766م/ 1845) مرحلة الأحفاد التي يمكن وصفها بمرحلة الاصطفافات وتعدد الزعامات، واحتدام النزاع والتنافس بين مكوناتها إلى حد التصادم والانقسامات، كان من سلبياتها انقسام آل سيدي الشيخ إلى غربيين وشرقيين، وطال هذا الانقسام الزاوية وأثر ذلك في جانبها المعنوي والمادي أيضا .

تبتدأ الثالثة بحلول سنة 1845م حيث ابتدأ الزحف الاستعماري يقترب من المجال الجغرافي لنفوذ آل سيدي الشيخ في الجنوب الشرقي للمملكة المغربية والجنوب الغربي للجزائر فثاروا وقاوموا حتى تم بسط النفوذ الفرنسي على المملكة المغربية بمقتضى عقد الحماية سنة 1912م .

وتتميز حركة هذه المرحلة بظهور ثلاث زعامات رئيسة :

- آل سيدي الشيخ بن الطيب على رأس آل سيدي الشيخ الغربيين (الغرابة).
- آل سيدي حمزة بن أبي بكر على رأس آل سيدي الشيخ الشرقيين (الشراقة).
- حركة سيدي بوعمامة بن العربي (1881م / 1904م)

ولقد استمر نشاط هذه المجموعات الثلاث منفصلة بعد سنة 1912م كزوايا صوفية تقليدية حيث انحصرنشاطها في المحافظة على الطريقة وتنظيم المواسم التقليدية.

لا يمكن أن نتحدث عن تاريخ طريقة آل سيدي الشيخ وعن مؤسسها الشيخ عبد القادر السماحي دون أن نلمس ولو بكيفية خفيفة بعض الأحداث التي تثار عادة عند التحدث عن الشيخ عبد القادر السماحي وآل سيدي الشيخ، وسنقتصرعلى ثلاثة منها، ويتعلق الأمر أولا بعلاقة العالم الطموح أحمد بن أبي محلي مع مؤسس الطريقة الشيخ السماحي، وثانيها يرجع إلى الدوافع الجيوسياسية التي أدت إلى نقل الزاوية من فجيج إلى الأبيض سيدي الشيخ، وثالثها يتعلق بإشكالية كتابة تاريخ آل سيدي الشيخ والغربيين (الغرابة) بصفة خاصة.
أما الإشكالية الأولى فتتلخص في الإنقلاب المفاجيء الذي حدث بعد لقاء الشيخ السماحي بابن أبي محلي، بعد التودد والإكبار الذي نلحظه في المراسلات المتعددة التي تمت بين الشيخ وابن أبي محلي قبل سنة 1603م ينقلب بعد لقاءهما بزاوية العباد بفجيج ابتداء من سنة 1603م إلى نفور وبغض انتهى بإبعاد ابن أبي محلي من محيط الزاوية شر إبعاد، ولم يبق أمامه من مخرج إلا الإقتداء بالمقولة "إذا أردتَ أن تـُعْرَفَ فهاجم المعروف" إلى أقصى مدلولها، حيث أطلق العنان لمداد قلمه ليسيل غزيرا هاجيا ومهاجما الشيخ عبد القادر السماحي ــ حقا وباطلا ــ في مؤلفاته المتعددة المتكررة المحتوى، مثل الهودج، المنجنيق، سم ساعة وغيرها .
ويرجع السبب الرئيس في نظري والذي أدى إلى هذا التغيير المثير إلى أن الشيخ السماحي الذي كان ينظر من بعد إلى انضمام العالم الثائر إلى بلاط زاويته ككسب علمي، كانت زاويته في حاجة إلى مثل معياره إلا أن القرب والاحتكاك كشفا له بوضوح عن النوايا الخفية للعالم الطموح، والتي كانت تهدف إلى استغلال نفوذ الزاوية وقوتها من أجل تحقيق أطماعه السياسية والمتمثلة بصفة خاصة في الاستيلاء على عرش السعديين مع العلم أن الشيخ عبد القادر السماحي كان ملتزما أخلاقيا وسياسيا مع النظام القائم، وكان يعلم وهو السياسي الداهية بأن لا مصلحة له ولا لزاويته في أن يتغير هذا النظام السياسي، فلم يبق أمام الشيخ إلا إبعاد ابن أبي محلي والتشهير به تحت غطاء الدفاع عن الشرعية القائمة ولنفس السبب أيضا آثر الشيخ السماحي نقل مركز زاويته من فجيج إلى الأبيض سيدي الشيخ، وذلك أن الشيخ السماحي الذي كان يتمتع بحس سياسي دقيق ورؤية مستقبلية واضحة كان يشعر وكأن ريح تغيير سياسية آتية لا محالة، فقد أخذت مؤشرات ظهور الدولة العلوية تترآى من بعيد بتافلالت وغيرها، ولن يدوم الزمان طويلا حتى تتجلى إسقاطاتها بمنطقة فجيج الاستراتيجية، ففضل الابتعاد عن نقطة الاحتكاك، حتى لا يعيش هو وأبناؤه من بعده اللحظات الحرجة التي تتبع عادة كل تغيير سياسي جديد.
نهاية نؤكد مع الأخ الفاضل محمد بن الطيب بأن تاريخ آل سيدي الشيخ بصفة عامة وآل سيدي الشيخ الغربيين (الغرابة) منهم بصفة خاصة تعرض إلى حيف، مرده في أغلب الأحيان إلى كون الباحثين كانوا يعتمدون عادة وفي الدرجة الأولى على الوثائق الرسمية المتوفرة سواء منها الاستعمارية أو المخزنية، إذ كان لكل

الطرفين نظرته الخاصة إلى تحركات آل سيدي الشيخ، إضافة إلى تأثر أغلب الباحثين بالتوجهات السياسية الرسمية الحديثة ومن باب رد الاعتبار والانصاف، فإنه يتوجب إعادة كتابة تاريخ آل سيدي الشيخ بالاعتماد على الأعمال الميدانية، وعلى تحليل الوثائق تحليلا منصفا مجردا، وأن يكون في مقدمة الدارسين أبناء العائلة البوشيخية كما فعل الأستاذ الباحث محمد ابن الطيب البوشيخي وغيره، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

*العربي الهلالي :
مهندس متخرج من ألمانيا الفدرالية في علم الجيولوجيا سنة 1964.
مدير الجيولوجيا بوزارة المعادن سابقا.
باحث في التاريخ عامة وفي تاريخ فجيج خاصة.
له عدة مؤلفات في ميدان الجيولوجيا والتاريخ.
عضو فاعل في العديد من الجمعيات المتخصصة والمدنية على المستوى الوطني والعربي والعالمي.

مقدمة

كانت الكتابة عن الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي (ت 1616م) مؤسس الطريقة الشيخية، والمعروف بـ"سيدي الشيخ" نادرةً إذا استثنينا كتابات عدوه اللدود القاضي أحمد بن أبي محلي المقتول سنة (1613 م).

بعد احتلال الجزائر سنة 1830م، وبسط النفوذ على شمالها، زحفت القوات الفرنسية الغازية جنوبا فاصطدمت– على أبواب الصحراء المغربية/الجزائرية – بأولاد سيدي الشيخ والقبائل الموالية لهم، في حرب ضروس دامت ثمان وخمسين سنة، فكانت هذه الحرب منذ بدايتها حافزا للمفكرين والمهتمين من المُحتلين مدنيين وعسكريين على الكتابة عن سيدي "الشيخ" وأولاده وأتباعه وطريقته. ولم ينقطع منذ ذلك الحين إلى اليوم اهتمام الباحثين في تاريخ المنطقة بهذا الموضوع.

بدأت ثورة أولاد سيدي الشيخ ضد الإحتلال الفرنسي في 5/2/ 1845 بزعامة الشيخ بن الطيب واستمرت مع سليمان بن حمزة في 1864/4/8 وانتهت بنهاية مقاومة آخر زعمائها بوعمامة بن العربي في1903.

لم تكن ثورة واحدة في حقيقة الأمر، بل كانت ثلاث ثورات، لكل ثورة زعماؤها وشهداؤها وأحداثها وبدايتها ونهايتها،وامتزج فيها الجهاد بالسلوك الصوفي والممارسة السياسية.

وإذا كانت ثورة أولاد سيدي الشيخ"الشراقة" قد عرفت المواجهة مع قوات الاحتلال الفرنسي فحسب فقد عرفت ثورة أولاد سيدي الشيخ "الغرابة" – زيادة على مواجهة الاحتلال – تدخل طرف ثالث، تمثل في المخزن المغربي، الذي بدأ بدعمها أول أمرها، وانتهى بملاحقتها والقضاء عليها في آخر أمرها.

وخوفا من ضياع ما اجتمع لدي من وثائق ومراسلات وظهائر وتسجيلات مكتوبة ومسموعة عن تاريخ أولاد سيدي الشيخ عامة والغرابة خاصة، ارتأيت أن أجمعها لأضعها أولا: بين أيدي الباحثين في تاريخ المنطقة الجنوبية الشرقية المغربية، وثانيا: ليطلع عليها المهتمون بتاريخ قبائل الجنوب الشرقي المغربي، هاته القبائل التي سجلت – بدمها – حضورَها في التصدي للمد الاستعماري الفرنسي، في القرن التاسع عشر، بزعامة أولاد سيدي الشيخ.

أتمنى أن أضيف شيئا يوضح الصورة، ويبدد الغيوم، ويرد بعض الاعتبار للأحياء والأموات.

عين بني مطهر في 2005/6/8

الشيخ
عبد القادر بن محمد
السماحي
(المدعو سيدي الشيخ)

المزداد سنة **940 هـ/1533 م**
المتوفى في 2 ربيع الأول سنة 1025هـ
الموافق 20 مارس 1616م

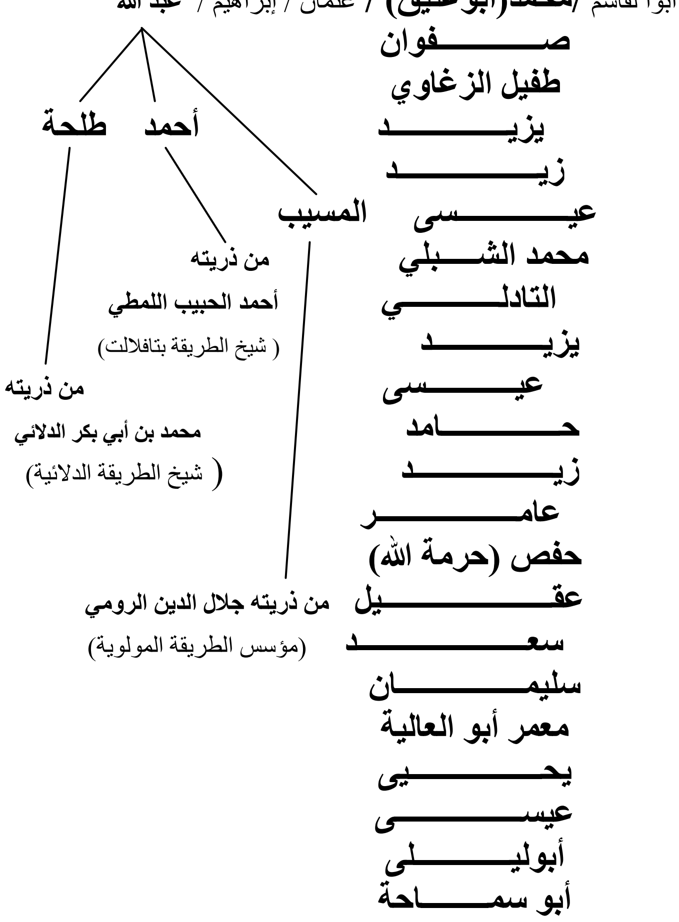
دفين الأبيض سيدي الشيخ
الجزائر

شجرة النسب

سيدنا أبوبكر الصديق

محمد/عبد الله/**عــبد الرحـــمن**/عائشة/أسماء/أم كلثوم

أحمد/ علي / أبوا لقاسم /**محمد(ابوعتيق) /** عثمان / إبراهيم / **عبد الله**



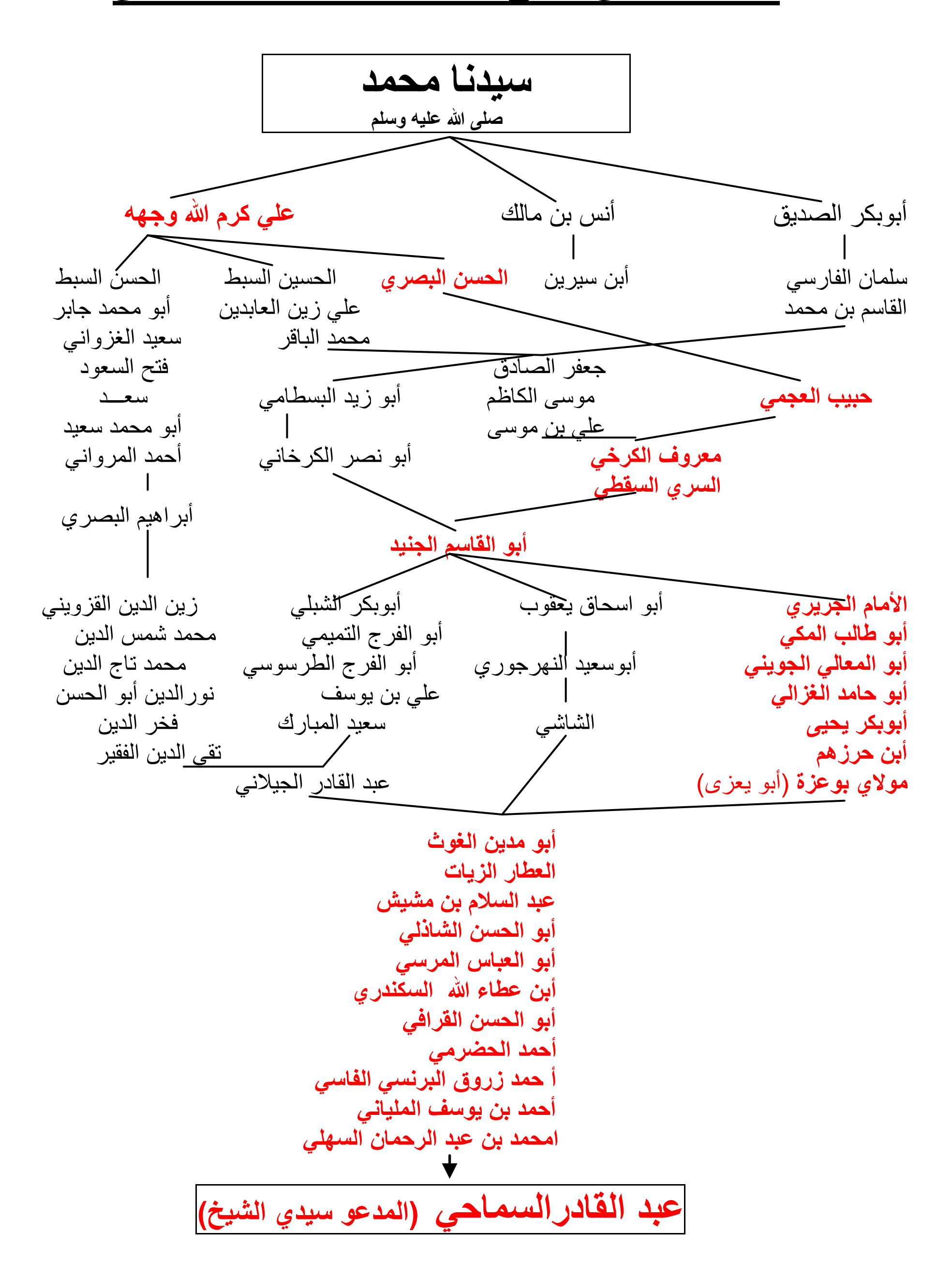
صــــــفوان
طفيل الزغاوي
يزيـــــــــد
زيـــــــــد
عيـــــــسى
محمد الشـــبلي
التادلــــــي
يزيـــــــد
عيـــــــسى
حـــــــامد
زيـــــــــد
عامـــــــر
حفص (حرمة الله)
عقــــــــيل
سعـــــــــد
سليمـــــــان
معمر أبو العالية
يحـــــــيى
عيســـــــى
أبوليـــــــلى
أبو سمـــــاحة
سليـــــمان
محـــــــمد

عبد القـادر (المدعو والمعروف بسيدي الشيخ)

ج أبوحفص/عبدالرحمن/ج بن الشيخ/ج أحمد/ج عبد الحكم / ج.ابراهيم/أمحمد/بن عيسى/بولنوار/مصطفى/التاج

(هؤلاء أولاده الأحد عشر، الذين خلفوا ذرية، ولم نذكر أبناءه السبعة، الذين ماتوا صغارا أو لم يخلفوا)

السند الصوفي للشيخ عبد القادر بن محمد السماحي



آل سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

يرتفع مؤسس الطريقة الشيخية - الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي- بنسبه إلى سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وهذا الصحابي الجليل أشهر وأظهر من أن يُعَرّف به، ولكن الحديث عنه من أسباب تنزل الرحمات، والتعرض لأقدس النفحات.

فهو- إذن - عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو، فهو قرشي، ثم تيمي، إذ أن قريشا تنقسم إلى اثنتي عشرة بطن ، وتيم إحدى بطونها .

كان يُعدّ من وجهاء قريش قبل الإسلام، فهو أحدُ العشرة الذين اتصل لهم شرف الجاهلية بشرف الإسلام، صحب الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان أول الرجال إسلاما على الإطلاق، وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمره - في حياته - بإمامة المسلمين في الصلاة، بويع بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة، أجمعت الأمة على بيعته وسمي بالصديق لأنه بادر إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه المشركون - صبيحة ليلة الإسراء - يقولون هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال لهم: أوَ قال ذلك ؟ قالوا: نعم فقال: لقد صدق، إني لأصدقه بأبعد من ذلك، بخبر السماء غدوة وروحة.

كان رجلا أبيض نحيفا، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتيء الجبهة، يخضب بالحناء والكتم .

عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال أخبروني عن أشجع الناس؟ قالوا: أنت قال أما إني ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا: لا نعلم، قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبوبكر شاهرا بالسيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

كان أجود الصحابة، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، فبكي أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. وعن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي قلت اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف

مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك ؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت لا أسبقه إلى شيء أبدا.

كان رضي الله عنه إلى ذلك أعلم الصحابة وأفقههم ونسّابتهم، ويُعَدّ ابن جبير ابن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، وكان يقول أنا أخذت النسب من أبي بكر الصديق، كما كانت له دراية كبيرة بتعبير الرؤى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خطيبا بارزا تدل على ذالك خطبته يوم السقيفة حيث أخمد بها الفتنة - بين المهاجرين والأنصار- وقد أطلت برأسها. وكان معظّما عند الصحابة، أجمعوا على أفضليته وتقدمه عليهم، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول عنه: هو سيدُنا وأعتق سيدَنا (يعني بلالا).

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واثنين وأربعين حديثا، ويَرُدّ علماء الحديث قلة روايته لكثرة صمته، ولقصر المدة التي عاشها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جمع الله له إسلام أبيه أبي قحافة، وأمه أم الخير، وإسلام ابنه عبد الرحمن وحفيده - منه - أبي عتيق واسمه محمد (وقد ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم) وهو أول صحابي أسلم أبواه وأبناؤه وحفيده ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم كلهم . وكان يتمنى أن يكون أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم السابقون إلى الإسلام، قبل أقاربه.

عندما جاء سيدنا أبوبكر- رضي الله عنه – بأبيه أبي قحافة وهو شيخ قد عمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تركت الشيخ حتى آتيه، قال:" أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحق، لأنا كنت أشد فرحا بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمسُ بذلك قرة عينك".

كان يُفضّل صلتهم على صلة أهله، فقال: لأن أصل من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أن أصل من قرابتي[1].

تزوج قتيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي، وأسماء بنت عميس الخثعمية وغيرهن، وخلف من الأبناء عبد الرحمن ومحمد وعبد الله رضي الله عنهم ومن البنات أم المؤمنين عائشة وأسماء وأم كلثوم رضي الله عنهن(وأم كلثوم وُلدت بعد وفاته) .

درج أبناؤه وحفدته وذريته- بعده - على تعظيم آل البيت، والولاء لهم ومؤازرتهم ومحبتهم محبة سُنيَّة لا تشيعا، والوفاء لهم وفاء صادقا لم تشبه شائبة، ولم تنل منه الأحداث ولا غيرته المحن، وكتُب التاريخ والتراجم والتصوف تطفح بصور محبتهم ووفائهم وخدمتهم لآل البيت الأطهار ذرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما خروج البكريين إلى شمال إفريقيا إلا هروبا من بطش الأمويين

[1] إدريس الفضيلي، الدرر البهية، ص 19 .

والعباسيين الذين كانوا ينقمون عليهم ولاءَهم ووفاءَهم لأهل البيت الأشراف. ولأنهم كانوا يتهمونهم بالمشاركة فيما سموه بإثارة الفتن والإخلال بالنظام، وما هو في الواقع إلا موالاة آل البيت[2].

انتشرت ذرية سيدنا أبي بكر الصديق في الآفاق، وتوزعتهم مناطق العالم الإسلامي، منهم من ذابوا في المجتمعات التي استقبلتهم، ومنهم من لا يزالون يحافظون على أصولهم وخصوصياتهم، وحَمَلوا في الشرق لقبَ الصديقيين، ولقب البكريين في الغرب، ونحاول أن نتتبع آثار انتقال بعض ذريته - وهم أسلاف سيدي عبد القادر السماحي - الذين قدموا من الجزيرة العربية إلى المغرب العربي في القرن الثامن الهجري، فقد كانوا يُعرَفون ببني طلحة بصعيد مصر، وهم يُنسبون إلى طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم ثلاث فرق : بنو إسحاق وبنو قصة وإخوانهم بنو محمد بن عبد الرحمن ومنازلهم بالبرجين وطحا.

لا شك أن طفيل الزغاوي وهو الحفيد الرابع لسيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - من حفيده محمد - أخذ هذا الإسم بعد نزول البكريين بقبيلة "الزغاوة" الموجودة بـ" دارفور السودان" (شرق تشاد) وهي قبيلة ذات قوة ومنعة وكثرة ولا تزال على ذلك إلى الآن .

نقتطف من أحد المواقع السودانية بالأنترنيت هذه الفقرة:"ويحدثنا المقريزي أن أولاد أبي بكر رضي الله عنه كانوا من جملة العرب الذين اشتركوا في غزو بلد النوبة أيام السلطان قلاوون، وفي السودان نجد **'المسلمية'** هي القبيلة الوحيدة التي تنتسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكثير منهم يسمون أنفسهم البكرية مبتعدين بنسبهم عن كل من الجعليين والجهنيين، وهم يعيشون في الجزيرة حيث يسمى أحد المراكز باسمهم، وعلى ضفتي النيل الأبيض، وأكثرهم مستقرون يمارسون الزراعة، ولهم في **'البطانة'** شعبة صغيرة تعيش عيشة البداوة."[3]

أثناء نزوحهم مع القبائل الهلالية نحو المغرب العربي بقيت منهم بقايا ــ كغيرهم من القبائل ــ بليبيا و تونس، وبعد استقرارهم بالمغرب الأوسط الذي لا نعلم مداه انتقلت منهم بعض العشائر فاستقرت بالأطلس فكان منهم على سبيل المثال شيوخ الزاوية الدلائية في القرن الحادي عشر الهجري، واستقرت عشائر أخرى بسجلماسة وبنواحي الصويرة، كما عرفت عشائر رُحّل بموريطانيا تنتمي إلى النسب الصديقي، كقبيلة الأغلال[4] المنحدرة من محمد بن أبي بكر الصديق، وكلها تحتاج إلى أبحاث تحدد تاريخ وظروف وصولها إلى هذه المناطق، ومن الباحثين

---

[2] Jacques Guibert, Les Ouleds Sidi Cheikh, p 10.

[3] www.sudanesonline.com.

[4] قبيلة **الأغلال** البكرية معروفة ببلد شنقيط وقد ظهر فيهم أهل العلم والصلاح والأدباء والشعراء، وقد ذكر بعضا منهم الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" ويتعلق الأمر بالشاعريْن عبد الله بن أحمد الغلاوي البكري، والنابغة الغلاوي البكري ص 91.

من يرد وصول أسلاف هؤلاء البكريين المنتثرين بمناطق المغرب الأقصى إلى السنوات الأولى للفتح الإسلامي أي قبل القدوم الهلالي بقرون.

ومن منطقة وادي درعة ـ بالجنوب المغربي ـ وبعد إنهاء دراسته بدرعة وفاس، انطلق حسام الدين حسين بن قاسم العتيقي الصديقي سنة **1005** هـ إلى الديار المقدسة حاجا، وعند مروره بمدينة العلا شمال المدينة المنورة استقبله أهلها ورغّبوه في البقاء عندهم فأقام بينهم إلى حين وفاته، وانتقلت ذريته بعد قرنين أو أكثر فأقامت بالكويت وهي تمثل اليوم عشيرة لها مكانتها العلمية والاجتماعية ويلقب أفرادها بالعتيقي نسبة إلى جدهم القريب حسام الدين العتيقي أو إلى جدهم الأعلى عتيق حفيد سيدنا أبي بكر الصديق أو إلى الصديق نفسه فقد كان يلقب رضي الله عنه بعتيق[5].

وقد ظهر في آل الصديق الكثير من الأمراء والعلماء والأولياء والأدباء وأهل الفضل الذين اشتهروا بمحامد الأخلاق ومكارم الصفات، نذكر منهم على سبيل المثال: جلال الدين الرومي مؤسس الطريقة المولوية (صاحب المثنوي)، والفخر الرازي، والفيلسوف الصوفي الشهير أبوحفص عمر السهروردي (صاحب عوارف المعارف) ومجد الدين الفيروزآباذي صاحب التفسير والقاموس المحيط، ومحمد زين العابدين البكري، ومصطفى كمال الدين البكري مجدد الطريقة الخلوتية، وشمس الدين الحنفي، وأحمد الوراثي البكري، وقاضي القضاة عز الدين بن عبد المحمود البغدادي، وابن الوردي صاحب البهجة، والشيخ محمد الغمري، والمُلا حنكار، وأحمد بن محمد الشريشي[6] والقطب محرز بن خلف التونسي، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان شارح حكم أبي مدين الغوث، والشيخ عبد القادر السماحي - مؤسس الطريقة الشيخية - وجده سليمان بن أبي سماحة، والشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي البكري- مؤسس الزاوية الدلائية بالأطلس (المغرب)- والشيخ أحمد الحبيب اللمطي العالم المحقق والعارف الشهير(من تلامذته عبد الواحد ابن عاشر صاحب المرشد المعين وغيره من العلماء)، والشيخ محمد بن عبد الكريم السمان المدني الصديقي مؤسس الطريقة السمانية - الواسعة الإنتشار بالسودان - (وهو أحد شيوخ القطب أحمد التجاني)، والشيخ أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي (مؤلف الذهب الإبريز الذي ترجم فيه لشيخه عبد العزيز الدباغ) والشيخ محمد إلياس الكندهلوي

---

[5] عماد محمد العتيقي، مجلة الدارة، فصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز.ص 115\4.

[6] تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف الشريشي (المتوفى سنة641 هـ) صاحب الرائية الشريشية المشهورة في السَيَر والسلوك والتي مطلعها:

إذا ما بدا من باطن حالة الزجر فما هو إلا البر في منح البــــر

وللشيخ أحمد بن أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري(المتوفى سنة 1021هـ) شرح عليها:أسماه" شرح رائية الشريشي في السلوك". والشريشي هذا هو غير الشريشي شارح مقامات الحريري (المتوفى سنة 620هـ).

المتوفى سنة 1364هـ مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ بالهند، ومحمد توفيق البكري[7] الأديب الموسوعي وأول رئيس للمجمع اللغوي بمصر، وغيرهم كثير.
وإذا كان سندُ أغلبية الطرق الصوفية يمر بسيدنا علي كرم الله وجهه، فإن سند الطريقة النقشبندية يتصل بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قبل أن تجتمع أسانيد كل الطرق في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
وقد شرف الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعدة آيات كريمات أنزلت فيه أشهرها :

"إلا تنصروه فقد نصره الله،إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم"[8]

وقوله تعالى :

"ووصينا الإنسان بوالديه حسنا، حملته أمه كرها، ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا، حتى إذا بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، قال ربي أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك وإني من المسلمين، أولائك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون."[9]

وقد أفرد- هذه الآيات - الشيخُ ابراهيم العبيدي المالكي المصري بتأليف أسماه **عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق**، وملخص الكتاب أن الآيات المذكورة من سورة الأحقاف، نزلت في سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وتضمنت وعدا ربانيا لذريته بالصلاح، إذ قال الله تعالى على لسان سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه "وأصلح لي في ذريتي" واستجاب له الله تعالى فقال: أولائك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون" فحازوا بذلك من المفاخر أعلاها ، وجمعوا من المكارم أغلاها، وأُتحِفوا بخير الدنيا والآخرة، فضلا من الله، والله يؤتي فضله من يشاء .

---

[7] محمد توفيق البكري، كاتب وشاعر وسياسي مصري ولد سنة 1870 وتوفي سنة 1932، كان شيخا للطرق الصوفية، وعضوا بمجلس الشورى، وأسس مجمع اللغة العربية، له عدة مؤلفات منها صهاريج اللؤلؤ، وأراجيز العرب وفحول البلاغة.
[8] الآية 40 سورة التوبة.
[9] الآيتان15و16 من سورة الأحقاف بقراءة حفص، وهي التي اعتمدها صاحب كتاب عمدة التحقيق، أما حسب قراءة ورش فتحمل الآيتان رقمي 14و15. و تقرأ الآية 15 **:"** أولائك الذين **يُتَقَبَّلُ** عنهم أحسن ما عملوا و**يُتَجَاوَزُ** عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون**".**

ظهر في ذرية سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الأعلام الكرام، والسادة القادة، ما عضّد هذا التفسير وصدّق هذا التأويل، وقد كانت لهم في بقاع الأرض شرقا وغربا، الحظوة الزائدة والمكانة الرفيعة بين الأنام، تعظيما لقدر جدهم الأعلى، ولتحليهم بمكارم الأخلاق، وأنبل الصفات، وتحقيقا لما في الآيات الكريمات التي وعدهم الله تعالى فيها بتقبل الحسنات، والتجاوز عن السيئات.
وهل اشرأبت أعناق الرجال الأفذاذ، وتطلعت أعين الأتقياء الأنجاد، إلا إلى هذا المقام ؟ أليس هو مبتغى المؤمنين الصادقين؟ ومطمح قلوب المتقين المخلصين ؟

وحاشا أن يكون هذا - عند أهل الفهم والدراية - مدعاة للغرور، ولا ذريعة للتنصل من الواجبات، والتكاسل عن الطاعات، أو الوثوب على المخالفات، وإنما هو دافع حثيث لشكر الله وحمده، والإستزادة من فضله، ومن شكر النعم قيدها بعقالها، ومن كفرها تعرض لزوالها، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وقد تعرض الشيخ العبيدي في كتابه السالف الذكر إلى حياة ومناقب سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأولاده وبعض من ذريته، وخلص بعد ذلك، إلى ترجمة شيخه محمد زين العابدين البكري، ولبيت آل البكري مكانتها الخاصة بين بيوت أهل الرئاسة والعلم والأدب في مصر، توارثوا المقامات العالية كابرا عن كابر، وجمعوا بين اشتهارهم بعلمي الظاهر والباطن منذ جدهم الإمام المجتهد أبي الحسن البكري المتوفى سنة 952 هـ، إلى ابنه محمد البكري المتوفى سنة 994 هـ، فحفيده زين العابدين البكري، فوارثهم جميعا محمد زين العابدين البكري شيخ المؤلف (العبيدي) الذي حج معه سنة1071 هـ[10]، وكان من أخص أصحابه وأقربهم إليه.

انطلق البكريون مُغَرّبين من مصر، واستقروا بادئ الأمر في تونس من 699هـ إلى 802هـ (1399/1299 م). وتلقتهم قبائل شمال إفريقيا بكل ترحاب، وحفاوة وتكريم، وكانوا يطلقون عليهم إسم أولاد سيدنا أبي بكر الصديق أو البكريين أو البوبكريين أو البوبكرية حسب المناطق التي مروا بها. ولا زالت بقاياهم متمثلة في ضريح القطب الكبير سيدي محرز بن خلف الذي ما برحت زاويته بتونس العاصمة مقصد الزوار والتّالين لكتاب الله، كما كانوا محط تقدير وتوقير من لدن سلاطين تونس، ولكن عندما طفق أبوالعباس الحفصي يُرسي قواعد الدولة الحفصية سنة 1370م، تضايق من نفوذهم الروحي، فلما أحسوا منه ببوادر الجفوة والعداء، اضطروا إلى الرحيل، وانطلقوا بزعامة أبي العالية معمر بن سليمان في اتجاه المغرب الأوسط.

---

[10] الشيخ ابراهيم العبيدي المالكي، عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق (بتصرف).



في وسط الصورة مسجد وزاوية سيدي محرز بن خلف بتونس العاصمة،
كان سيدي محرز أول من أرسى قواعد قراءة حزب الصباح وحزب المساء جماعة،
وبقي ذلك بمسجده إلى الآن.

معمر أبو العالية

كان - حسب الرواية الشفوية - شيخهم أبا العالية معمر بن سليمان على رأس القبائل الهلالية التي دخلت المغرب الأوسط واستقرت بناحية تلمسان. وقد صحبه في هذه الرحلة، رزين وعكرمة وزياد وهم أجداد قبائل الرزاينة، وعكرمة، وأولاد زياد، وكذلك أجداد احميان وأولاد عبد الكريم، ولسبب ما، رحل معمر وأتباعه إلى ناحية " رْبَـا " بأرض بني عامر ولاية البيّض حاليا وهناك حطوا الرحال.

أبو سماحة بن أبي ليلى

لم تحفظ لنا الذاكرة الشعبية، من مجموع ذرية معمر أبي العالية إلا أبا سماحة بن أبي ليلى، الذي أضاف إلى نسبه البكري الصديقي وزعامة أجداده للقبائل الهلالية، اشتهارَهُ بالكرم والنبل، فصنع مجدا لأبنائه وذويه، وبعدما كانوا يُدعَون بالبكريين، ثم الحميانيين لاستقرارهم بقبيلة حميان، أصبحوا يشتهرون - بعد وفاة أبي سماحة - باسم السماحيين نسبة إليه وهو اللقب الذي سيُعْرَف به - فيما بعد - الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي واسطة عقد البكريين في شمال إفريقيا.
توفي أبوسماحة أواخر القرن الثامن، أو أوائل القرن التاسع الهجري، ودفن بتبّو ناحية شروين حيث ضريحه، وبه يقام موسم سنوي إحياء لذكراه، ولا يُعرف له

من الأبناء إلا سليمان بن أ بي سماحة ، الذي يُعد بحق مؤسس مجد العائلة البكرية الصديقية في المنطقة، والذي جعل منها دارعلم وكرم وصلاح.[11]

سليمـــان بن أبى سماحة

قد يكون لسليمان إخوة أو أعمام أو أبناء عمومة، ولكنهم - مع الأيام - ذابوا في القبائل المجاورة، وربما كانوا هم المعنيين بقول ابن أبي محلي عندما تحدث عن أولاد سيدي عبد الله[12] وبأنهم أبناء عم سيدي الشيخ، فمن هم أولاد سيدي عبد الله ؟ هل ينحدر منهم الغياثرة (إحدى بطون قبيلة احميان الجنبة) الذين يُرجعهم بعض النسابة إلى معمر أبي العالية ؟

عُرف سليمان بن أبي سماحة بالإنتقال الكثير في طلب العلم، كان في غرناطة بالأندلس قبل النكبة (**898 هـ/1492** م)، أخذ عن علمائها، ورجع إلى فاس حيث أقام بها، وأخذ فيها عن عدة علماء من بينهم أبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير بالمواق، صاحب كتاب "التاج والإكليل لمختصر خليل" وكتاب "سَنَن المهتدين في مقامات الدين" المتوفى في رجب سنة 897هـ. ثم عاد إلى فجيج فأخذ عن إمامها الجهبذ الفرد، والعالم العلامة الأوحد، سيدي عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الفجيجي المتوفى سنة **918** هـ، باني معلمة عِلمَي الشريعة والحقيقة، ومؤسس النهضة الثقافية التي بوأت فجيج أعلى المراتب بين الحواضر العلمية، وتسنمت برجالات الفكر الفجيجيين ذروة المجد والخلود، فوضعتهم في مصاف فطاحل الأزهر والزيتونة والقرويين وسجلماسة، وفاضت من هذه العين العلمية الثجاجة، موجات النوابغ متتابعة - طيلة القرون المتتالية - حملت على متنها ما لا يكاد يُحصى من العلماء والأدباء والشعراء ورجال التصوف الذين رصعوا المشهد الثقافي بعطاءاتهم المختلفة، كان لهم في بعضها قصب السبق، ناهيك عن المستوى المعرفي الذي بلغته الساكنة بأغلب شرائحها، والذي يتجلى في مشاركتهم المكثفة، في المساجلات الفكرية وفي الحركات السياسية، التي لا يرقى إلى خوض غمارها إلا المستنير، الذي عركه التدافع بالمناكب في حلقات العلم .

ثم كان سليمان بن أبي سماحة إماما بالمسجد العتيق حيث " نزل بقصر الوداغير عند قدومه من مراكش في بداية القرن العاشر الهجري، وتولى إمامة المسجد العتيق والتعليم به، وكان رحمه الله ورعا، ناسكا، انتقل بعد ذلك إلى قرية بني ونيف وتولى إمامة مسجدها، وأنشأ بها زاوية صغيرة تعد النواة الأولى لزوايا آل سيدي الشيخ، وبقي هنالك إلى أن توفي ودفن بمقبرة الوداغير ببني ونيف قرب روضة الشيخ عيسى بن الشريف عبد الرحمان الودغيري وذلك بوصية مكتوبة"[13].

---

[11] Si Hamza Boubakeur, Un soufi Sidi Cheikh, p.14.

[12] إبن أبي محلي، منجنيق الصخورلهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور ج 2 ص 424 .

[13] العربي الهلالي، فجيج، تاريخ وثائق ومعالم، ص 108.

كان في حال حياته يراوح استقراره بين الشلالة وبني ونيف، وكانت له إبل وغنم يتتبع بها مساقط القطر في ربوع الصحراء، وترَك عدة مؤلفات منها شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، كما ذكر ذلك أحمد ابن مريم المديوني التلمساني في البستان.

" أما حظه من العلوم فكان محصورا في الفقهيات وشيء من الأدب، يُبتغى في قصائد زجلية مولدية بسيطة، لا غناء فيها إلا من خلال ما يشع في أبياتها من جلال المناسبة، وعشق المحتفى به وتعظيمه، والرغبة في إنشادها كلما أطل شهر الربيع وهي من أولها إلى آخرها في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تتنوع بصفاته الحميدة ومقاماته الرفيعة، ومعجزاته الخالدة، ومطلعها :

يا رب صل بالـــدوام على النبي بدر التمـام
المصطفى خير الأنام هو الشفيع المجـــــدد

وعلى مشارف الختام يقف متضرعا إلى ربه أن يغفر له، ويلطف به، ويرضى عن والديه، ثم يقول :

يارب أنت اللـــطيف والمصطفى هو الشريف
والناظم هو الضعيف بينكم يانعم الأســـــــياد

وبعد عشرة أبيات من التوسل بجاه المصطفى والصفا، وذي النورين والليث أبي الحسن... ينهي الإنشاد بقوله :

ثم الرضى عن صحبه كـــلا وأهـــــــل بيته
والتابعين نهـــــــــجه مـن اقتـــدى بـه يرشد
رب اجعل في حماهـم مـن المقتـــــــدين بهم
واسلك بنا طريقـــــــهم بجـــاه النبـــــي محمد"[14]

كان يساكن قبيلة احميان وينسب إليهم بحكم الجوار، واحميان فرع من زغبة إحدى بطون بني هلال، وكانوا يجلـّونه ويوقرُّونه، وذات مرة حصل ما كدّر صفو المحبة بينه وبينهم، فازْوَرّ بوجهه عنهم، ونفض يده منهم، وقال عنهم : (عامية)

لا تعمّر مـــا في ڤربة لا تسقي من هُو حمياني
ادفع العبد مع الشعبـة وقل ما زال نصرانـــــي

وكان - إذاك - أحد قطاع الطرق المسمى ابن الأزرق، يصول ويجول في تلك الربوع، يُغِير- بأتباعه من اللصوص- على مواشي الناس، فيأخذها ولا يسترجعها منه إلا من كان ذو حمية ومنعة وقوة.

أغار ابن الأزرق - ذات يوم - على إبل زاوية سليمان بن ابي سماحة فأخذها، فاعترضه سليمان يَعِضُه وينهاه عن أموال الزاوية، فقال له ابن الأزرق : كم من

---

[14] محمد بوزيان بنعلي، فجيج في عهد السعديين *ص 276*

زوايا نهبت، ومن شيوخ سلبت، ليست هذه الأولى، ولن تكون الأخيرة، ولم يزدني أخذهم وسلبهم إلا قوة، فقال له سليمان: (عامية)

تـْبَانْ عودتك تعرق وتبرق يا بن الأزرق و إلا من طول ســـيرها
خيار المطـــــرق بالـورق يا بن الأزرق وخيـــــار الـقوم ميرها
من اشعل نار بها ينحـرق يا بن الأزرق ولا بد له من لهيبهـــــا.

رجع سليمان إلى زاويته، موكلا أمره إلى الله. سمع أعيان احميان نبأ ما تعرضت له إبل سليمان، فقال قائلهم: هذه فرصة مواتية لاسترضاء سيدي سليمان، بعدما أوغرنا صدره فيما مضى، فقاموا قومة رجل واحد، ولحقوا بابن الأزرق فقتلوه وهزموا أتباعه، ولسبب ما اشتعلت النار في مكان المعركة فاحترقت جثة ابن الأزرق، واسترجع احميان إبل الزاوية كاملة، فلما رآهم سيدي سليمان تهلل وجهه، وأقبل عليهم يدعوالله لهم. ومما قال لهم (عامية) :
"كنت نحسب أن أهل الله هم أهل الله، ولكن أهل الله هم احميان"
" جعلكم الله يا احميان كالحجرة الصماء، اللي طاح عليكم يتهرس، واللي طحتو عليه تهرسوه".
أخذ سليمان عن العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي الذي كان قبلة أهل زمانه في التصوف، وكان سليمان من بين المقربين إليه .
تقول الرواية الشفوية: أنه كان صلة الوصل بين ابن شيخه في العلم، العلامة امحمد بن عبد الجبار الفجيجي والعارف بالله سيدي أحمد بن يوسف الملياني، فقد طلب سليمان من امحمد بن عبد الجبار، مرافقته لزيارة شيخه الملياني، فاعتذر له كون فرسه كانت تحتها مهرة، ولا يستطيع السفرَ بها وتَرْكَ مهرتها الرضيعة، ولأنه كذلك تعوَّد الفطور على نوع خاص من التمر تأتيه به الخادمة كل صباح، فوعده سيدي سليمان بتلبية رغبتيْه إذا وافق على زيارة الشيخ الملياني، بأن يترك المهرة بفجيج، وستأتي- إن شاء الله - لرضاع أمها كلما احتاجت لذلك، وسوف تأتيه الخادمة بفطوره من التمر كل صباح إلى أن يعودا، ووافق امحمد بن عبد الجبار على زيارة الملياني، وكان الأمر كما قال له سليمان، إذ كانت تأتي المهرة كل مساء لتبيت بجانب أمها وتأخذ حاجتها منها، وكل صباح يُقدَّم التمر لابن عبد الجبار إلى أن عادا من رحلتهما. وكانت هذه كرامة لسليمان وشيخه الملياني الذي تتلمذ له امحمد بن عبد الجبار منذ ذلك الحين، وأصبح ممن تفتخر بهم الطريقة الأحمدية اليوسفية .
" وبلغ مع شيخه مكانة صوفية مشهودة حتى لقبه غير واحد بالقطب[15]".

[15] محمد بوزيان بنعلي، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي ص 317.

وسليمان الملقب بأحمر اللحية، وأبي داود، وأبي الربيع[16]هو أحد المذابيح، في امتحان مشهور مر به أتباع سيدي أحمد الملياني، ولا بأس أن نورد القصة كما تحكيها الروايات الشفوية، تقول الرواية :

كان للشيخ أحمد بن يوسف الملياني أتباع كثر يُعدون بالآلاف، فاقترح أحد المريدين وهو امحمد بن عبد الرحمان السهلي على الشيخ أن يمتحن أتباعه حتى يتبين له أهل الصدق منهم فيقتصر على تربيتهم، ويذهب من لا فائدة في بقائه إلى حال سبيله، وهكذا تقرر أن يُنَادَى صبيحة عيد الأضحى: " أن الشيخ قرر هذه السنة أن يُضحِّي بأهل المحبة تقربا لله، فليتقدم أهل الامتثال"، فتقدم الأول وصُعد به إلى الطابق الأول حيث يقيم الشيخ، وذُبح كبش كان مُعدا لأضحية الشيخ وأريق الدم في الميزاب من الأعلى إلى الساحة التي يتحلق فيها المريدون، فظهر الجد في الأمر، ووقع القوم في حيْص بيْص، وبلغت القلوب الحناجر، و وُضِعَ صدق المحبة على محك المحنة والاختبار، ونودي على الباقين فقام الثاني والثالث إلى أن وصل العدد إلى سبعة أو عشرة أو أكثر- حسب الروايات - وتسلل الباقون لواذا، خائفين وجلين لهول النازلة وصعوبة الإقدام، وآثر الكثيرون السلامة، واستُقبل الفائزون بالرضا والقبول، وهُنئوا باقتحام العقبة بامتياز، ومن ثم سُمُّوا بالمذابيح.

من المؤرخين من يردهم إلى سبعة مريدين وهو المؤكد، ومنهم من يقول عشرة ومنهم من يصل بهم إلى حد الأربعين[17]، وبالإضافة إلى سليمان بن أبي سماحة ، يُذكر الآتية أسماؤهم :

سيدي بوتخيل بن الحسين القادري دفين ضريحه بالعين الصفراء (الجزائر).
سيدي امحمد بن عبد الجبار الفجيجي البرزوزي دفين قصر المعيز بفجيج.
سيدي امحمد بن عبد الرحمان السهلي دفين زاويته شرق بوذنيب.
سيدي أبو القاسم بن أحمد أزروال المعلاوي دفين بركين ناحية جرسيف.
سيدي يعقوب بن عبد الواحد الراشدي دفين رشيدة ناحية جرسيف .
سيدي أحمد العروسي صاحب زاوية بالساقية الحمراء.
سيدي موسى البريشي دفين فجيج/تافلالت.(يكنى بوقبرين)
سيدي علي بن عبد الله الفلالي.

توفي سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف سنة **946** هـ، وبها دُفن وضريحه فيها مشهور جَدّد بناءه الشيخ بوعمامة سنة**1311**هـ، يُقام به موسم ديني يوم فاتح يناير من كل سنة، حيث يجتمع القراء من فقهاء وفقراء، لقراءة ختمة من القرآن الكريم تُفتَتَحُ بعد صلاة العصر جماعة جهرا، ويُستمَر في قراءتها إلى أن تُختتم مع

[16] عبد الله طواهرية، تذكرة الخلان ص 37 وما بعدها.

[17] بوجمعة بن مصطفى أزروال، شذرات من الشرف المنيف، ص 589.

صلاة الفجر. وهي عادة حميدة تجري في كل زوايا الجنوب[18]. (وقد كان حفيده عبد القادر بن محمد يبلغ السادسة من عمره عند وفاة جده سليمان بن بوسماحة)

ترك سليمان من الأبناء:

-1- **أحمد المجذوب بن سليمان** (المتوفى عام 978 هـ) عُرِفَ بالتقوى والصلاح كتب عنه ابن أبي محلي في كتبه كالمنجنيق وسم ساعة وغيره، وأثنى عليه الثناء اللائق به، تُنسب إليه قبيلة المجاذبة ومقرها بعسلة، ناحية العين الصفراء، يُقام على ذكراه - بضريحه - موسم وتَجمُّع كبير لتلاوة القرآن، وذكر الله، وإطعام الطعام، وعُرفت ذريته بالكرم والشجاعة، يشهد لهم بذلك تاريخ المقاومة الطويل ضد الإحتلال الفرنسي.

-2- **صفية بنت سليمان**: تزوجها عبد الرحمن النهاري أحد شرفاء قبيلة أولاد انهار الأدارسة الحَسَنيين وخلفت منه عدة أولاد منهم :

- يحي بن صفية (يُعرف باسم أمه لشهرتها وصلاحها) دفين سبدو، تقع جنوب تلمسان وتبعد عنها بحوالي 60 كلم، صحب سيدي يحيى العارفَ بالله سيدي امحمد بن عبد الرحمان السهلي وبلغ قدرا كبيرا في التصوف شهد له به شيخُه.

- محمد بن صفية ذكره ابن أبي محلي في كتبه.

- أحمد بن صفية دفين عين بني مطهر،على الضفة اليسرى لوادي مسخسخة، وحول ضريحه مقبرة قديمة.

دفنت لالة صفية بالصفصيفة، ولاية النعامة بالجزائر، وضريحها بها معروف.

-3- **محمد بن سليمان.**

محمد بن سليمان بن أبي سماحة

أخذ العلم والتصوف عن القطب محمد (امْحَمد[19]) بن عبد الجبار البرزوزي الفجيجي (المتوفى 956 هـ)، الذي يربطه بالطريقة الشاذلية سندان : سند إبراهيم التازي وسند أحمد زروق عن طريق شيخه الملياني، كما يربطه سنده العلمي بعلماء تلمسان وفاس[20].

لزم محمد بن سليمان خدمة شيخه والإقتداء به، وإخلاص الوُد له، ولمحبته فيه وصدق الإعتقاد في خصوصيته، كان يصحب ابنه الأثير لديه، عبد القادر لزيارة شيخه، يستمطر له بذلك صالح الدعاء، ويستجلب له نظرة الرضا من حضرة العارف بالله، لِمَا كان يتفرس في ابنه هذا من نجابة وذكاء، ويستشرف له من علو الشأن ووضاءة المستقبل.

---

[18] عبد الله طواهريه، رسالة خاصة.

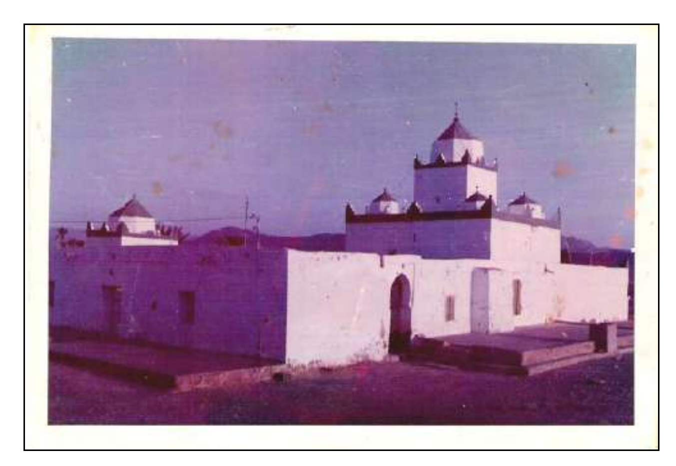
[19] محمد بوزيان بنعلي، أعلام الفكر والأدب، ص317.

[20] Houari Touati, Entre Dieu et les hommes , p 195

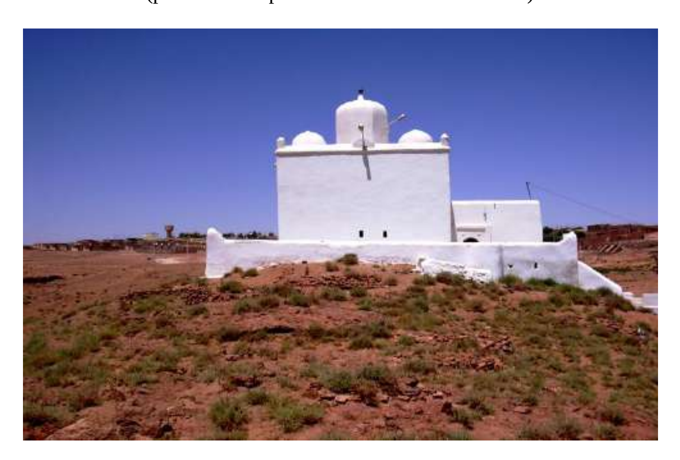
ورَدَ ذكرُ محمد بن سليمان في كتب ابن أبي محلي، ووصفه بالتقوى والفضل وأنه من رجال التصوف الصادقين. توفي بالشلالة الظهرانية التي كانت - مع ماجاورها من القصور- امتدادا طبيعيا لمنطقة فجيج، وبها قبره وعليه قبة كبيرة، بناها الشيخ ابن الدين سنة **1164هـ /1750 م**، يقام بها موسم سنوي على ضريحه.

خلف محمد بن سليمان من الأولاد ستة هم :

النبال بودربالة، الطاهر، عبد الرحمن، إبراهيم، أحمد، و**عبدالقادر**.



ضريح سيدي سليمان بن أبي سماحة
ببني ونيف (الجزائر).
(photo offerte par Mr Abdellah TOUAHRIA)



ضريح سيدي محمد بن سليمان (والد سيدي الشيخ)
بالشلالة الظهرانية (الجزائر).
(photo tirée du site : WWW .chellala dahrania)

الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي الملقب بـ: سيدي الشيخ

إزداد الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي بالشلالة الظهرانية (ولاية النعامة حاليا- الجزائر-) سنة **940 هـ/1533 م**، من أبيه السالف الذكر وأمه أم الخيرالجفيرية بنت سيدي علي بن سعيد من آل سيدي زيان الودغيريين، الفجيجين مستقرا، الشرفاء الأدارسة نسبا.

تقدمه الموسوعة المغربية: "معلمة المغرب" تحت إسم الفگيگي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي بالتعريف التالي:

"إشتهر رحمه الله بتوقد الذكاء، وحضور البديهة، وحدة الخاطرمنذ طفولته واشتهر في كهولته متصوفا شاذلي الطريقة في مشرق المغرب وغربه، وفي مصر والشام والحجاز، ومكّنته هذه الشهرة من الإتصال بالملوك السعديين، والوزراء والمشائخ والعلماء، وأصحاب المكانة المرموقة، وكانت زاويته بفجيج قبلة نفر كبير من المريدين، وطلاب السر والطريقة، أشاد بسمت الشيخ وكرمه ونبله وحسن شيمته الرحالة يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي.

ولأنه أقام بفجيج مدة مؤثرا في نسيجها الثقافي والإجتماعي سميناه فجيجيا[21] ".

قرأ القرآن والعلوم الشرعية بفجيج بزاوية سيدي عبد الجبار التي كانت منارة علم، لم ينشأ قبلها ولا بعدها مثلها بفجيج، أخذ العلم عن محدث وقته العالم العارف بالله سيدي أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار، الذي يجعل منه محمد بوزيان بنعلي، إضافة إلى جده الإمام عبد الجبار وعمه إبراهيم: "ثالوثا يتميزعن كل رجالات العلم والفكر والأدب الذين درجوا على أرض فجيج الطيبة، بما أضافوه من إضافات نوعية إلى خزينة الثقافة المغربية :

- فباختصاره للقرطبي (مختصرالجامع لأحكام القرآن) صار الإمام سيدي عبد الجبار من أشهر المفسرين المغاربة...
- وبسلوانيته (روضة السلوان) جوزنا لأنفسنا أن ننصب شاعرنا إبراهيم على قمة الهرم في إمارة شعر الطرديات...
- وبفريده (الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد) ... إلى ما كتب ونظم ، كان أبو القاسم أكبر وأغنى من كل الذين ترجمنا لهم الآن وسنترجم لهم لاحقا [22]".

ورث- سيدي الشيخ- التتلمذَ على آل سيدي عبد الجبارعن أبيه وجده، وكانت العلاقة بين العائلتين كالتالي:

---

[21] معلمة المغرب ج19ص 6497/6496

[22] محمد بوزيان بنعلي،أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، ص 234.

علاقة السماحيين بآل سيدي عبد الجبار البرزوزي الفجيجي

آل عبد الجبار	الشيخ	التلميذ	السماحيون
الأب	سيدي عبد الجبار البرزوزي	سيدي سليمان بن بوسماحة	الأب
الإبن	سيدي امحمد بن عبد الجبار	سيدي محمد بن سليمان	الإبن
الحفيد	سيدي ابوالقاسم بن محمد	سيدي عبد القادر بن محمد	الحفيد

كما أخذ عبد القادر السماحي عن عبد الرحمان السكوني، بالزاوية السكونية، التي كان لها إشعاعها وروادها وعلماؤها. وأدت - بجدارة - دورها العلمي المنوط بها.

ولم ينس التلميذ ُفضلَ شيخَيْه عليه، فكانا موضع تقديره وتعظيمه، وصِلاته المتواصلة بالهبات، والهدايا، طيلة حياتهما، كما يشهد به صاحب كتاب تقوية إيمان المحبين، أحمد ابن أبي بكر السكوني.

وتاقت نفسه - بعد تحصيل العلم الشرعي- إلى طلب علم التصوف فشد الرحال إلى رحاب الشيخ العارف بالله امحمد بن عبد الرحمان السهلي، فألقى عصا التسيار ببابه، وعض بالنواجذ على منهاجه.

الشيخ امحمد بن عبد الرحمان السهلي

بعد وفاة شيخه أحمد بن يوسف الملياني توجه امحمد بن عبد الرحمان غربا إلى سجلماسة مرورا بفاس وحط رحاله بقصر أولاد عبد الحليم (-الريصاني- بتافلالت) فأقام عندهم يُقرئ الطلبةَ القرآن، ويؤمهم في الصلاة، واتفقوا بينهم على كيفية إطعامه، وذلك بالتناوب بين عائلات القبيلة، حيث تطعمه العائلة يوما والتي تليها يوما إلى ينتهي الأمر إلى الأولى ثم يُستأنف العمل.

ذات يوم أخبر أحدُ الطلبة القومَ بأنه راقب الفقيه (أي سيدي بن عبد الرحمان) وتأكد له أنه لا يتوضأ لا لصلاة ولا لغيرها، فأرشده كبار القوم إلى مكيدة يتأكدون بها من هذه الدعوى، فأمروا الطالب أن يستغفل الشيخ عندما يكون يكتب عنه القرآن بالإملاء، فيضع على ظفر أصبع من أصابع رجله نقطة مداد(صمغ) ويراقبها بعد ذلك، فستزول بماء الوضوء، إذا توضأ الشيخ، وإلا فالطالب محق في دعواه، وراقب الطالب أثر المداد يوما أو يومين فلم يُمح، فجاء كبار القبيلة حينئذ يستفسرونه لمّا تأكد لديهم أنه يؤمهم بغير وضوء، فقال لهم - بعد ما سمع حجتهم - " إن الوضوء يجب على من نقض وضوءه، والوضوء ينقضه - من بين ما ينقضه - الضرورتان اللتان تكونان نتيجة الأكل والشرب، فمن منكم يا ترى أطعمني منذ المدة الفلانية ؟ فبهت القوم ونظر بعضهم إلى بعض لأنهم أغفلوا الشرط الذي قطعوه على أنفسهم، وتهاونوا في إطعامه، تواكلا منهم بعضهم على بعض، فقام مغاضبا ورحل مًيمما صوب الشرق، إلى أن وصل إلى الزريگات ناحية أرفود،

حيث استقر بها، وأقام عند أهلها، وأقبلت عليه الدنيا، حيث آمتلك عدة مزارع حبَّس بعضها على الأيتام والطلبة، ولا تزال آثار داره وخلوته باقية.
ثم بعد مدة دعاه داعي الرحيل فاتجه شرقا إلى منازل قبيلة دخيسة وبني حسن، وكانوا يسمون منطقتهم **الصُّعْب** فقال لهم :" سهلها يا بني تسهل " وأطلق عليها اسم السهلي (وهي الآن قرية تقع شرق بوذنيب، تبعد عنه بثمانية عشر كلم).
وتزوج من قبيلة دخيسة، ورزق بولد، وذات يوم بينما كان هذا الولد يلعب بجانب النهر مع أقرانه ألقى به أحدُهم فيه، فمات غرقا، وجاء أعيان القبيلة يعزونه في موت ولده، ولكنهم وجدوا سيدي امحمد بن عبد الرحمان منشغل الحال بربه لم يعرهم أي انتباه، ولا فطن لما قالوا، وعلى إثر هذه الحادثة غارت العين التي كانوا يشربون ويسقون منها، فتداولوا الأمر بينهم وعلموا أنهم أخطأوا في حق هذا الرجل الصالح، فذهبوا إليه وحاولوا الإعتذار إليه عن تهاونهم السابق في موت ولده فانتبه من غيبته، وثاب إليه وعيُه، وقال لهم: (عامية)
"فكّرتوني في كبادي، الله يجليكم من بلادي،الأول بالعوين والتالي بلا عْوين[23]"
فضربت المنطقةَ سنةٌ شهباءٌ، لم تدع زرعا ولا ضرعا، واضطرت قبيلة دخيسة إلى الهجرة، فيممت صوب مكناس حيث بقاياها الآن، ولم ينج منهم - من دعوته - إلا أسرة واحدة هي أصهاره، لم يزد عددها ولم ينقص عبر الأجيال.
وأنشأ الشيخ امحمد بن عبد الرحمان زاويته بالمكان المسمى بالسهلي، فوفد عليه طلاب العلم والمعرفة، من كل المناطق، ورغم كثرة المريدين فإن الرواية الشفوية لم تذكر لنا إلا أبرزهم كأمثال عبد القادر بن محمد السماحي، أحمد بن موسى شيخ زاوية كرزاز، يحيى بن صفية النهاري، أبي عبد الله الونيفي (ذكره ابن أبي محلي).
تتلمذ الشيخ (عبد القادر بن محمد) على يده، وكان من المقربين إليه، خدمه بنفسه وبماله، ويحكي الشيخ السكوني الفجيجي في كتابه تقوية إيمان المحبين كما تحكي الرواية الشفوية الكثيرَ مما كان يقوم به إرضاءً لشيخه، وما كان يقدمه بين يدي زيارته له من أموال وهدايا، ويحكى في هذا السياق أن الشيخ ابن عبد الرحمان قال له " أنت أعطيتني بالغرارة، وأنا نعطيك بالچرارة " (الغرارة جراب كبير مصنوع من الصوف والشعر يحمل مقدار قنطار- قمحا أو تمرا...- والچرارة أرض فلاحية في شكل حوض، توجد شرق زاوية السهلي).
وهو الذي سماه "الشيخ"، إذ قال له ذات يوم - لما رأى صدقه وتفانيه في خدمته - (عامية):"شخْت عليَّ يا شيخ" فأصبح لا يعرف ألا به، وأصبحت طريقته تعرف بالشيخية، نسبة لهذا النعت الذي غدا منذئذ إسما له، وفي اصطلاح القوم أن الشيخ يُعَيِّنُ من يكون وريثه تارة بالتصريح، وتارة بالتلميح، فيكون الأمر كذالك، وقد ظهرت حقيقة وراثته لشيخه - كما أشار له بها - فبلغ من المجد أعلاه، ومن

[23] العوين: الزاد (ما يستعان به على السفر).

الفخار أغلاه، ومن الظهور أسناه، ويُحكى أن ابن عبد الرحمان كان يغلب عليه الجلال، وتأخذه أحيانا هزات الحال، فيغضب على تلميذه ويهجره الأيام والليالي، فيعتكف سيدي الشيخ ببابه، ويتحايل بكل الوسائل حتى يرضيه ويستدر عطفه، ويستميل قلبه، ولا يفتأ يطلب منه- في الأوقات والأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء - أن يدعوَ له ولذريته، فما زال يدعو له ولهم بالخير حتى قال له :(عامية)

"التالي في أولادك يجيب ْرَبيَّعْ، والْربَيَّعْ يجيب منجل، والمنجل إذا ما احصد الفدان يقلعه بجدوره " (والرْبَيَّعْ عملة نقدية زهيدة كانت متداولة إذاك)[24]

في أواخر حياة ابن عبد الرحمان، استأذنه سيدي الشيخ في الإستقرار بجواره، والإقامة في كنفه، لفنائه في محبته، وإيثار قربه على ما سواه، فكان رد الشيخ امحمد بن عبد الرحمان أن قال له: (عامية)

إذا بغيت العز والكـــــنز وركوب الاعيادِ سِرْ من فجيج غادي
وإذا بغيت العفس والطفس وضرب الزنـادِ اقـعد فـي بـــلادي.

وأوصاه بتعظيم آله وأبنائه وذريته وكان الأمر كذالك، فكان سيدي الشيخ خير مثال في تعظيم آل البيت عموما وأبناء شيخه خصوصا، وجعلها كلمة باقية في عقبه، فكان أولاد سيدي ابن عبد الرحمان محل التبجيل والتوقير من طرف أولاد سيدي الشيخ عبرالقرون الأربع التي تفصلنا عن فترة هذين الشيخين، لم تتغير سيرة أحفادهما إلى الآن. فكان ولا يزال لا يُرفض لهم طلب، ولا تُرد لهم شفاعة، ويُستقبلون بما يليق بآل البيت رضوان الله عليهم، وتعظيم آل البيت الكرام شمة صديقية، ومنقبة بكرية، عُرف بها أولاد سيدي الشيخ ، حتى صارت لديهم ديدنا وراثيا، وعادة مألوفة .

خلف الشيخ امحمد بن عبد الرحمان أربعة أولاد، هم :

- أحمد (يتعاطى أغلبية ذريته الفلاحة)
- بحوص (كان يغلب على ذريته السهر على جمع الزيارة المخصصة لزاوية بن عبد الرحمان)
- أبو القاسم (يغلب على ذريته تعاطي التجارة)
- محمد يطلق على ذريته أصحاب القصر الصغير، يقال إن ابن عبد الرحمان تبناه، وأحاطه برعايته، فهو إذن منه وإليه.

(ومعهم كذلك أولاد عبد السلام وهم ذوو أصول فجيجية)

يُكوّن اليوم أولاد ابن عبد الرحمان جماعة قروية، بقرية السهلي، تابعة لبوذنيب، وتوجد مجموعة مهمة منهم تقدر بأكثر من مائة عائلة بالزريگات تابعة لجماعة الرتب (أرفود)، وتوجد مجموعة ثالثة بتازوگارت (غرب بوذنيب)، تقارب الثلاثين عائلة، كما أنهم يوجدون كأفراد وعائلات وأقليات بعدة مناطق بالمغرب والجزائر.

من النسّابة من يلحقهم بمولانا إدريس على أساس أنهم حَسِنيون، ومنهم من يعود بهم إلى أخيه سيدنا الحُسين رضي الله عنه، وتوجد بين أيديهم شجرة نسب تجعلهم ينحدرون من سيدنا الحسين بن علي كرم الله وجهه وهي كالتالي: سيدي امحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الملقب بالشريف بن عبد الرحمان بن إدريس بن الحسين بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن فاطمة الزهراء وعلي رضي الله عنهم[25].

والظاهر أن شجرة النسب هاته بها خلل واضح، تحتاج إلى مراجعة لكي تكتمل، لأن بعض الأسماء بها مبتورة، وبعددها الحالي لا تستجيب لمنطق النظرية الخلدونية.

كان أولاد سيدي ابن عبد الرحمان يواظبون على الخروج على دوابهم مثنى وثلاث، في جولات تأخذهم إلى شرق المغرب وغرب الجزائر وجنوبها، ويُستقبلون أينما حلوا وارتحلوا بكل إجلال واحترام، وتُقدم لهم الهدايا والهبات، وكان منهم الفقهاء والصلحاء ومقدمو الطرق الصوفية (كان أولاد الهاشمي فرقة أولاد السماحي، مقدمي الطريقة الوزانية، وكان مقدمو الطريقة الدرقاوية المدغرية من أولاد بحوص)

كانوا بجولاتهم هاته يلعبون دورا مهما في الدعوة إلى الله، وتعليم فقه الطهارة والصلاة والحث على إيتاء الزكاة، ومحبة الله ورسوله وآل بيته، وإصلاح ذات البين، كانوا يقطعون الفيافي، ويجوبون الصحاري ويصلون إلى قبائل رُحّل قليلات الاتصال بغيرها، قد غلبت على أهلها جفوة البداوة، وضعف لديها الوازع الديني، فكانوا صلة وصل بينهم وبين أهل العلم، وقد أدّوا بذلك خدمة كبيرة في هذا المجال، كما أنهم حافظوا بذلك على بقاء المحبة الربانية التي جمعت بين سيدي بن عبد الرحمان وتلامذته وذرياتهم (أولاد سيدي الشيخ، أولاد نهار، و آل كرزاز) وأتباعهم ومريديهم.

قال صلى الله عليه وسلم:

" **إن من أبر البر صلةُ الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**[26]. ويشرح النووي هذا الحديث قائلا:"وفي هذا فضلُ صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم، وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه، ويلتحق به أصدقاء الأم والأجداد، والمشائخ والزوج والزوجة... وقد سبقت الأحاديث في إكرامه صلى الله عليه وسلم خلائل خديجة رضي الله عنها.[27]"

[25] شجرة نسب في ملك مولاي أحمد بن مبارك بن الهاشمي بن عزوز بن عبد العزيز بن الطيب بن الحاج بن محمد بن أحمد بن **امحمد بن عبد الرحمن السهلي.**

[26] حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رواه مسلم (كتاب البر والصلة).

[27] النووي (الإمام)، باب بر أصدقاء الأب والأم، رياض الصالحين، ص341.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إن بر والديك أن تفعل مع أصحابهما من بعدهما ما كان يفعلان معهم في حياتهم، وربما كان رضي الله عنه يقوم لبعض الأعراب ويخدمهم فيقول له الناس: إن هؤلاء أعراب يرضون باليسير من ذلك فيقول : إنهم كانوا يأتون إلى عمر في حياته. وقد قيل:

خالل خليل أبيك وارْعَ أخاه واعلم بأن أخا أبيك أبوك "

وأخ الأب يكون أخا في النسب أو أخا في الله، والواجب صلتهما معا.

لم يكن هذا الخروج خاصا بأولاد سيدي ابن عبد الرحمان، وإنما كان هذا عمل شيوخ ومقدمي الطرق الصوفية، فهو لب الدعوة إلى الله، وهو أشرف الأعمال.

كان الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي، يتنقل بزاويته بين القبائل، وكان شيوخ الطريقة الوزانية يسهرون على تنظيم الجولة السنوية، ويحرصون عليها، لمّا كان إشعاع الزاوية - في وقت من الأوقات- يغطي المغرب العربي بدوا وحضرا.

كما كان يقوم بهذا العمل ذاته شيوخ الطريقة الكرزازية، التي كانت تغطي بانتشارها ربوع المغرب والجزائر، ولا زال كبار السن من فقراء هذه الطريقة يذكرون بفرح زائد مرور موكب الشيخ بوفلجة بن عبد الرحمان الكرزازي، وكيف كان يُحتفل بمَقدمه أينما حل، وكانت تقوم بالشيء نفسه الطريقة القندوسية (زاوية سيدي محمد بن بوزيان)، وقام بهذا العمل النبيل شيوخ الطريقة الدرقاوية التي كان من شروط الإنتماء إليها الخروج في سبيل الله للتذكير، وقد كان العالم العلامة، والعارف بالله الشهير، صاحب التآليف النفيسة سيدي أحمد ابن عجيبة، يطوف قبائل الشمال للتذكير وجمع الهبات المنذورة للزاوية.

من المؤسف أن يوجد اليوم من لا يرى في تلك العلاقة النبيلة إلا الجانب المادي، وأن يَصِمَ الزائرَ والمزورَ بما لا يليق بجودهما وشهامتهما، ونسي أو تناسى، أن هؤلاء الشرفاء النبلاء كانوا من أكرم وأتقى خلق الله، وكانت جولتهم حافزا - للقبائل التي يزورونها - على الاجتماع لذكر الله، والتذاكر في الدين، والصدقة وفعل المعروف، والتأسي بأهل الكرم والمروءة، وعندما كانت تشيع الفوضى في جل الدول الإسلامية، ويضعف دور السلطة المركزية، كانت الزوايا تقوم بأخذ الزكاة، إقامة لأحد أركان الدين الإسلامي الخمسة، فقد يُتهَاون في دفع الزكاة إذا لم يوجد من يقف على أخذها ممن تجب عليه، ودفعها لمن تجب له، ويحرص على الحفاظ على إقامتها بشروطها، علما بأنها عامل تزكية وتطهير للفرد والمجتمع" **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم**"[28] كما كان هؤلاء القوم عامل إصلاح بين القبائل والأشخاص،

[28] الآية 103 سورة التوبة.

لا تـُردّ لهم شفاعة، ولا يُعترض لهم على رأي تجتمع عليه كلمة القبيلة، وتغمد له السيوف، في فترة كانت الحروب بين القبائل هي اللغة السائدة، والعملة الرائجة.

كان أولاد سيدي ابن عبد الرحمان يَجمعون ما يَجمعون، ثم ينفقون جميع ما يُعطى لهم على قاصديهم وضيوفهم، وضيوف زاوية جدهم، سيدي ابن عبد الرحمان ، وكأن قائلهم يقول :

يجود علينا الخيِّرون بمالـــــهم ونحن بمال الخيِّرين نجـــــودُ

لم يثبت عنهم جماعات كانوا أو فرادى، أنهم كانوا يهدفون بجولاتهم هاته، إلى إقامة المشاريع الاقتصادية أو التكالب على الدنيا وجمع حطامها، وإنما كانت أبواب دورهم مشرعة لكل غاد ورائح، يتنافسون في إكرام الضيوف حتى تصل بهم المنافسة إلى الملاسنة والمقاطعة فيما بينهم، فلا انبسطت أيدي البخلاء **!**

توفي الشيخ امحمد بن عبد الرحمان بقرية السهلي سنة 974 هـ حيث ضريحه بالقصر القديم.



قصر السهلي حيث زاوية الشيخ سيدي امحمد ابن عبد الرحمان السهلي.
وهي التي كانت قبلة المريدون، ومن بينهم الشيخ عبد القادر بن محمد.
(photos de bas et de haut de Mr Bouhafs Naim)



ضريح الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمان السهلي
بقصر السهلي شرق بوذنيب بالمغرب.
(صورة مهداة من الماحي الحاج بن المصطفى)

زاوية الشيخ السماحي بفجيج

لزم السماحي أستاذه الشيخ امحمد بن عبد الرحمان إلى أن أذن له في الذهاب وإنشاء زاوية بفجيج بالمكان المسمى العباد على الهضبة المطلة على قصر زناقة.
لا ندري هل كان هذا المكان يُسمى **العُبَّاد** قبل نزول سيدي الشيخ به، أم هو الذي أطلق عليه هذا الإسم عندما اختاره لإقامة زاويته؟ أم أشار عليه شيخه بهذا الإسم وهذا المكان؟ حسب الباحث الفرنسي ـ الأب ميلاد عيسى ـ الذي قام بتحقيق الياقوتة، أن سيدي الشيخ هو الذي سمّى المكان "العُبَّاد" تيمنا بزاوية العباد بتلمسان حيث ضريح الإمام الغوث سيدي أبي مدين.
لا يُستبعد أن يكون شيخه ابن عبد الرحمان، أشار عليه بذلك وسمى له المكان، لأن الحالة نفسها تكررت مرات مع عديد من الشيوخ عندما كانوا يتفرسون في أحد تلاميذهم علو الشأن، وانتشار الصيت. ومع كثرة الأمثلة نكتفي بحالة عبد السلام بن مشيش، عندما أذن لأبي الحسن الشاذلي بالذهاب إلى الشرق، فقد أخبره بما سيلاقيه في تونس ومصر، وأن اسمه سيصبح الشاذلي نسبة إلى بلد شاذلة التي سيستوطنها، وما سيلحق به من أذى من سلطانها، إلى غير ذلك في قصة طويلة[29].
بعد وفاة شيخه، أنشأ سيدي الشيخ زاويته، وأقبل عليه طلاب المعرفة من كل حدب وصوب، وانتشر إشعاعها في أهل المدر والوبر، واستقطبت أهل الفضل

---

[29] عبد الحليم محمود شيخ الازهر، أبوالحسن الشاذلي.

شرقا وغربا . وأصبح اسم " سيدي الشيخ" حاضرا في النوادي العلمية حتى قال عنه عدوه اللدود ابن أبي محلي: " واشتهر صيته منذ كنت صبيا، وأنا اسمع به."[30]
والأمر كما قال ابن أبي محلي المزداد سنة 967 هـ فقد كان يبلغ سبع سنوات سنة 974 هـ، وهي السنة التي أنشأ فيها سيدي الشيخ أول زواياه وتصدر للمشيخة.
وامتدت فروع زاويته إلى الجزائر، من بجاية إلى مدينة مزغنة (إسم الجزائر العاصمة سابقا) إلى وهران فتلمسان فقصور توات والساورة من الصحراء الشرقية وفي شمال المغرب من كبدانة ومليلية إلى وجدة وفاس مرورا بدبدو وعيون بني مطهر(كما كانت تسمى إذاك).
وانقادت إليه القبائل الرحل من أمثال بني راشد، وقبائل طلحة من أهل أنجاد وقبائل رياح والأغواط وحميان وبني عامر...
كانت الزاوية المركزية أو الزاوية الأم - في البداية - بقصرالعباد بفجيج وأنشأ فيما بعد زاوية بآجدل شرق الحمام الفوقاني بفجيج، وهي التي بها الآن ضريحه ومزاره، وسيأتي تفصيل وجود ضريحين له.
ويذكر بعض الباحثين أن أول زواياه - بعد تطوافه بفاس، وسجلماسة، وعين ماضي وتوات - كانت بأم جرار(ناحية العين الصفراء) أسسها في 1021 هـ[31]، وهذا يتعارض مع قول ابن أبي محلي الذي يثبت أن اشتهار سيدي الشيخ بالمشيخة وإقبال الناس عليه كان قبل ذلك ، ولابد- إذن- أن تنشأ زاوية تواكب هذه الشهرة منذ البداية، وقد اجتمع به- أي ابن أبي محلي - لأول مرة بناحية الشلالة سنة1008 هـ ثم اجتمع به بزاويته بفجيج في 1012هـ. وعلى هذا الأساس تكون زاوية أم جرار- نظرا لتاريخ إنشاءها- الثانية بعد زاوية العباد، أوالثالثة بعد العباد وآجدل، أوالرابعة بعد الزاويتين المذكورتين وزاويته بالأبيض.
كان سيدي الشيخ يتنقل إما لزيارة شيخه حال حياته، أو لزيارة أبناء شيخه بزاويته في السهلي بعد وفاته، كما كان يرتحل - بزاويته المتنقلة- بين القبائل لنشر دعوته، أو تلبية لطلب القبائل التي كانت تستضيفه تبركا به، أو للأخذ عنه، أو للصلح فيما بينها، وكانت له قرية أو قصر بواحة الأبيض، صارت فيما بعد زاويته المركزية، كما كانت له سكنى (قصر[32])بالشلالة الظهرانية حيث ضريح أبيه سيدي محمد بن سليمان، كان يتردد عليها، ولأن أمواله وأموال الزاوية، كانت نَعَما (إبلا وغنما وخيلا...) شأنه في ذلك شأن سكان النجود العليا (الظهرا) والصحراء، فكان عليه أن يراوح الانتجاع بين الصحراء والظهراء، طلبا لما فيهما من خصب المرتع، وفسحة المنتجع .

[30] المنجنيق ج2 ص 132.
[31] Jacques Guibert, Les Ouleds Sidi Cheikh , p :15.
[32] القصر في لغة الجنوب الصحراوي هو تجمع سكني صغير أو كبير يحيط به حصن له باب أو أبواب.

كما " كانت له- بفجيج - على ساقية تزدارت رحيْن، وكانت له ثماني عشرة ناقة وثمانون "جنانا" وستون خروبة ماء(كل خروبة هي عبارة عن 45 دقيقة ماء) سخرها لخدمة الزاوية التي أنشأها منذ القرن العاشر الهجري بفرعيها آجدل والعباد، والتي جعلت منها أحد أغنى مراكز التصوف بالمغرب[33]"، قد يكون ورث ذلك عن أبيه، أو اشتراها أو وهبت له أو حبست أو حبس ريعها على الزاوية. وقد ورث من جده سيدي سليمان بن بوسماحة، قطعان ماشية، هي من أجود أنواع الغنم، كان يعتز وينوّه بها، ذكرها السكوني، في المنقبة المائة والثلاثين من كتابه تقوية إيمان المحبين.

يقول ابن أبي محلي في معرض حديثه عن محمد الصديق إبن سيدي الشيخ:
"..وهو الفقيه التقي الوجيه الصفي السيد الوثيق، المشهور من بنيه بمحمد الصديق، وإن كنت ما اجتمعت به قط لغيبته عن فجيج، أيام كينونتي به، في ناحية الأبيض وهو منزل أبيه.. وهي قريتهم المعروفة .."[34]
فالظاهر أن سيدي الشيخ كان يراوح الإقامة بين زاوية العباد وآجدل، وبين الفينة والأخرى يزور دُورَه بالشلالة والأبيض.
كما يذكر ابن أبي محلي تنقلات سيدي الشيخ بين تيڨورارين وتوات وانتقاله إلى جبل بني يزناسن للصلح بين قبائل خراجة (الخراريج)[35] ويشير- في غمز صريح - إلى نزوله بقرب موطن العكاكزة، وكان يتهمه باعتناق مذهبهم، وكان العكاكزة يقطنون جبل الزكارة وبني بوزڨو(غرب وجدة وجنوب جبل بني يزناسن) ويَدّعُون انتسابهم إلى طريقة سيدي أحمد بن يوسف الملياني، ولكنهم يأتون بدعا ومحرمات وشذوذا لا تقره الشريعة، ولا يقبله الذوق العام، فيشيعون بينهم الأموال والنساء، قائلين : نحن نشرب من جعبة، ونأكل من حبة، وننام في جبة.
وعليه، وبناء على كلام ابن أبي محلي، فنزول سيدي الشيخ بزاويته كان في السفح الرابط بين جبل بني يسناسن وجبل الزكارة (وهو السفح الممتد بين وجدة والعيون الشرقية). ولا أستبعد أن يكون نزوله ومحط زاويته بالمكان الذي تقيم فيه - حاليا- قبيلة المهاية موسمها السنوي وهو المسمى"موسم سيدي الشيخ" قرب سيدي موسى (يقع هذا المكان جنوب/غرب وجدة ويبعد عنها بـ 13 كلم). قد يكون - إذاك - أتباعه من المهاية اتخذوا المكان - بعد رجوع شيخهم إلى الصحراء - مزارا يتبركون به، كما هو الشأن في أغلب المزارات، وبقي معروفا لديهم، حتى دُفن به أحد أعيان أولاد سيدي الشيخ، بأمر من قائدهم الحاج السهلي في أواخر القرن

[33] محمد بوزيان بنعلي ، بيوتات العلم والأدب بفجيج.ص 146.
[34] النجنيق ج1 ص 246.
[35] المنجنيق ج2ص327

التاسع عشر الميلادي، واتُخذ من ثمة مقرا لموسم المهاية الذي لايزال - إلى الآن - يقام في شهر غشت من كل سنة.
وحسب المناقب فإن سيدي الشيخ حاول الإنتقال نهائيا إلى الديار المقدسة لجوار البيت الحرام، والإنقطاع فيها لله، لِمَا لاقاه من عنت المنكرين عليه، حتى ترك كلمته المشهورة: " من قال أنا ولي، فليأت إلى فجيج ! "، ولكن في اليوم الرابع من الرحلة التي انطلق فيها، رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره في المنام بالرجوع والإستقرار بالأبيض وإنشاء زاويته هناك، فصدق الرؤيا، وامتثل للأمر النبوي، ولم يكن اختيار المكان اعتباطا ولا ارتجالا، وإنما كان اختيارا ناجحا إلى حد كبير، فهو في منتصف الطرق بين وهران وفجيج، ثم جاء على طريق القوافل المتنقلة ذهابا وإيابا، في رحلات التجارة، بين التل الوهراني والجنوب الصحراوي باتجاه تنبكتو، وجاء أخيرا على طريق الحج القادمة من سوس، ومراكش، وسجلماسة، وفاس عبر فجيج.
ويرى العربي الهلالي (في كلمة له في موسم سيدي الشيخ بضريحه بفجيج 1998) أن سيدي الشيخ كان موفقا في هذا الإختيار، فآثر الإبتعاد عن مناطق نفوذ السلطتين التركية والسعدية التي كانت في النزع الأخير، وكانت تتوزعها الفتن والقلاقل، فرأى من الحكمة أن ينأى بنفسه عن تبعاتها.



ضريح سيدي الشيخ(عبد القادر بن محمد السماحي)
بفجيج (المغرب).
(photo prise par Mr Brahim Masrouh , fevrier 2007)



ضريح سيدي الشيخ (عبد القادر بن محمد السماحي)
بالأبيض سيدي الشيخ (الجزائر).
(Photo offerte à l'auteur, par Milad Aissa
maitre spirituel des frères de Jusus à El Abiod Sidi Cheikh en 1984)

ملاحظة: أنظر سبب وجود قبريْن للشيخ عبد القادر السماحي، ص71.

جهاده ضد الإسبان

تَزعَّم الجهاد ضد الإسبان، وشارك فيه، وشهد عدة معارك بثغور وهران ومليلية وغيرهما. كما كانت له علاقة وطيدة بالمجاهدين المغاربيين، فهذا المجاهد الحاج سالم بن علي الشنطيط التونسي يَقْدُم على سيدي الشيخ زائرا ويستشيره في الجهاد فيحثه ويشجعه عليه، ثم يقفل راجعا إلى الشواطيء التونسية، وبعد وقت يكتب الحاج الشنطيط الى سيدي الشيخ، يخبره بغزواته وانتصاراته، وعن نصيب سيدي الشيخ من الغنائم، وذلك سنة 1008هـ.

بعد ذهابه إلى تلمسان وعودته منها، قَدِمَ السلطان عبد الملك السعدي إلى فجيج حيث استُقبل بها استقبالا كبيرا، ومن المؤكد أنه اجتمع بسيدي الشيخ، رغم أن رواية السكوني لم تذكر ذلك بالتحديد، وإنما ذكرت عرضا وجود سيدي الشيخ بفجيج أثناء زيارة السلطان عبد الملك لها. ولاشك أن السلطان السعدي كان يهيئ لمعركة وادي المخازن نظرا لإرهاصات الحرب التي كانت تسود العلاقات المغربية البرتغالية/الإسبانية، ولا يفوته ـ بهذه المناسبة وهو بفجيج ـ تجديد وتأكيد البيعة واستشارة أهل الحل والعقد من زعماء القبائل والعلماء وشيوخ الزوايا بالجهة الشرقية الجنوبية من مملكته- وعلى رأسهم سيدي أبو القاسم ابن عبد الجبار وسيدي عبد القادر السماحي ـ حول ما يتعلق بحالة البلاد وحرصه على إذكاء نار الحمية في أهل تلك المنطقة تحسبا لما يرمي إليه.

الشيخ السماحي ومعركة وادي المخازن[36]

لما توفي الملك الغالب بالله السعدي سنة **1574**م استولى ابنه محمد المتوكل على السلطة، غاصبا بذلك حق عمه عبد الملك في تولي الأمر حسب النظام السعدي، زيادة على ذلك فإن محمد المتوكل أراد أن يفتك بعميه عبد الملك وأحمد (المنصور) ففرَّا إلى الجزائر التي كانت ضمن الإيالة التركية، ومنها أبحرا إلى اسطنبول للإستنجاد بالسلطان التركي الذي كلف حاكم الجزائر بمدهم بجيش هزما به ابن أخيهما الملك محمد المتوكل، وأعلن عبد الملك المعتصم بالله نفسه ملكا بمراكش وعين أخاه أحمد المنصور نائبا عنه بفاس، وفر محمد المتوكل إلى إسبانيا مستنجدا بملكها الذي تلكأ في مساعدته على استرجاع ملكه، فقصد ملك البرتغال سباستيان الذي كان إذاك يقود إمبراطورية أثبتت عظمتها بقوة أساطيلها التي اكتشفت بها طريق رأس الرجاء الصالح إلى آسيا، والخليج العربي وشبه القارة الهندية، ودخلت حروبا مع أهالي تلك البقاع وخرجت منها منتصرة، مما ملأ مَلِكـَها الشاب سباستيان غروراً وعجرفة فأمر بالإستعداد لغزو صليبي ضد المغرب الإسلامي متذرعا برد المُلك المغتصَب لصاحبه محمد المتوكل .

إشترك الإسبانُ والألمان والطليان في هذا الغزو، بالإضافة إلى فرقة جنود مجهزة بعتادها شارك بها بابا الفاتيكان. وأعد سباستيان ألف مركب لنقل ما يربو عن مائة وعشرين ألف جندي بعدتهم وعتادهم، ووصل إلى وادي المخازن حيث تجمع المغاربة في أربعين ألف بين فارس وراجل يؤطرهم العلماء وشيوخ الزوايا على رأسهم العالم العارف بالله سيدي أبو المحاسن يوسف الفاسي شيخ الشاذلية الجزولية الذي لم يلتفت وراءه منذ خروجه للجهاد حتى تحقق النصر وعاد دون أن يأخذ شيئا من المغانم الضخمة التي غنمها المجاهدون. وقد خطط لهذه المعركة السلطان أبومروان عبد الملك بن الشيخ السعدي وهو من هو علما وعملا وأدبا وشجاعة وصدقا وإتقانا لعدة لغات أوروبية وشرقية.

كان محمد المتوكل إلى جانب سباستيان في مواجهة المغاربة يرأسهم الملك عبد الملك يعضده أخوه أحمد المنصور، وكان عبد الملك يصارع المرض الذي انتابه قبل أسابيع من وقوع المعركة، ورغم ذلك تحامل يوم المعركة فركب جواده واستل سيفه ليعلن انطلاق المعركة ويكون في مقدمة جنده، ولكن سرعان ما خانته قوته ، وكاد أن يسقط من على فرسه فأعانه طبيبه وحراسه على النزول عنه، ولما وضوعوه في محفته اكتشفوا أنه توفي والمعركة في أوجها، توفي واضعا سبابته على فمه، في إشارة إلى ستر موته عن جنده، فنقلوه إلى خيمته كأنه متعب ليس

[36] شوقي أبوخليل، وادي المخازن، ص 45.

إلا، ولم يعلم بذلك إلا طبيبه اليهودي وحاجبه وأخوه أحمد المنصور الذي كان يدخل بين الفينة والأخرى خيمة الملك كأنه يستشيره ثم يعود لإصدار الأوامر.

انتهت المعركة بالانتصار الباهر، مخلفة سباستيان قتيلا، ومحمد المتوكل غريقا (أطلق عليه المغاربة اسم المسلوخ، لأنه سُلخ ومُلئت جثته تبنا وطِيف به في المدن المغربية) إلى جانب آلاف القتلى والأسرى، وغنم المغاربة ما لايحصى عدده من أنواع الأسلحة والخيول والعربات بثيرانها إلى غير ذلك.

بعد انتهاء المعركة التي لم تدم أكثر من أربع ساعات، أمر أحمد المنصور باجتماع عام يضم قادة الجيش والعلماء وشيوخ الطرق والشرفاء وزعماء القبائل وأعيانها، فخطب فيهم مؤبنا أخاه الملك الشهيد عبد الملك المعتصم بالله معددا مآثره وشجاعته وإخلاصه لربه ووطنه، عارضا عليهم بيعته بتواضع الشهم المقدر لثقل الأمانة، فصاحوا بلسان واحد مباعين له بالإجماع، فكان نِعم الملك علما وأدبا وعدلا وسيرة عطرة، وآثارًا علمية وعمرانية لا تزال شاهدة على عظمته.

سُمِّيتْ معركة وادي المخازن **بمعركة الملوك الثلاثة**، فقد قـُتل فيها ملِكٌ، وغرق ملكٌ ، وتوفي ملكٌ مريضا، والعجيب فيها أن ملكاً ميتاً هزم مَلِكيْن حيَّيْن. كما تـُوِّج في آخر يومها ملكٌ رابعٌ لـُقـّب بالمنصور.

وحري بهذه المعركة أن تـُعَدَّ في الحروب الصليبية التي استهدفت العالمَ الإسلامي إلا أن هذه المرة حاول الغزاة ضربه من غربه لا من شرقه، واعتبروا المغرب معبرا للوصول إلى الأراضي المقدسة كما ردد سباستيان ذلك لبث روح الحمية في نفوس جنوده.

شهد سيدي الشيخ معركة وادي المخازن، تؤكد هذا الأمر قرائن كثيرة، وإن لم توجد ـ لحد الآن- الوثائق التي تثبت ذلك.[37]

• إذ كان يبلغ من العمر- عند وقوعها- ستا وأربعين سنة، أي في أوج قوته البدنية، وقد مضى على إنشاء زاويته عقدٌ من الزمن، اشتد في هذا العقد عوده، واشتهر فيه أمره، وأصبح أتباعه كثرٌ، وكل هذه العوامل مشتركة توجب حضوره الفاعل والضروري.

• شهدت كل الطوائف الصوفية معركة وادي المخازن ويستبعد أن لا يحضرها، وهو شيخ أحد فروع الطريقة الشاذلية، واجتماعه بالسلطان عبد الملك بفجيج كان يصب في نفس الاتجاه، وما تجشمُ هذا السلطان مصاعب السفر ومتاعبه للوصول إلى فجيج ـ وهي إذاك عاصمة لمنطقة شاسعة ـ إلا لدعوة شيوخها وأعيانها وأتباعهم إلى الاستعداد للمعركة والمشاركة فيها، فوجد الاستجابة الفورية والامتثال الكامل، ولا غرابة في ذلك فطاعة أولي الأمر واجبة في المنشط والمكره، وقد قاد شيخُه في الحديث أبوالقاسم بن محمد بن عبد الجبار مجاهدي فجيج ونواحيها إلى

[37] Houari Touati,entre Dieu et les hommes, p 198.

وادي المخازن، ولا يمكن أن يتخلف عن شيخه، بل كان ساعده الأيمن لِمَا عرف عنه من شجاعة وإقدام بين قومه.[38]

• ومما يقوي هذا المنحى كذلك علاقة سيدي الشيخ المتينة بالسعديين قبل وبعد المعركة. فلو لم يحضرها لفترت تلك العلاقة، وبالعكس نراها زادت وثوقا وارتباطا بعد المعركة. وأنَّى لمن لم يحضرها ويشارك فيها أن تكون له الحظوة الزائدة ، والقرب الخاص اللذان كان يمتاز بهما سيدي الشيخ لدى سلاطين الدولة السعدية ؟

• كانت له - بعد معركة وادي المخازن - مراسلات مع السلطان أحمد المنصور الذهبي، واتخذه السلطان شيخا في التصوف، وبعث لسيدي الشيخ بهدية تمثلت في كسوة سنية وكتاب "**تنبيه الأنام**" للشيخ عبد الجليل بن أحمد بن عظوم المرادي التونسي(المتوفى سنة 960هـ)، مبوّبا بماء الذهب[39]. ولا يحضى بكل هذه الامتيازات إلا من برهن في ساعة الشدة عن وقفة صادقة وموقف شريف.

• بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي- ووفاء له - أخذ سيدي الشيخ البيعة لولي عهده الأمير زيدان من أهالي فجيج رغم الشكوك التي أثارها ابن أبي محلي حول هذه البيعة.

وقد قضى زيدان فترة زمنية مقيما عند سيدي الشيخ بزاويته عندما كان لايزال أميرا، ولم يفت ابن أبي محلي أن يحكي عن هذه الفترة - بسخرية طبعا- أن سيدي الشيخ أمر خادمته أن تأتيه بسبحة يعطيها للأمير زيدان وكان يناديه استئناسا بِـ" ابَّا زيدان" كأحد فقرائه، كما أن الأمير زيدان - وقد أصبح سلطانا - كتب له رسالة يسأله فيها عن التصوف وشرعيته وكيفية اتخاذ الشيخ، وشروط أخذ العهد عند القوم فكتب له رسالة جامعة شاملة يجيبه فيها عن تساؤلاته.

إن كل ما سبق ذكره يؤكد - بدون أدنى ريب - حضور سيدي الشيخ معركة وادي المخازن، ودوره الفاعل فيها، كما عرف عنه لاحقا من شجاعة في مقاومة الإسبان على أبواب وهران المحتلة.

علاقته بالفقيه الثائر إبن أبي محلي

قصده من بين من قصدوه، أحد الفقهاء المسمى أحمد بن عبد الله بن أبي محلي ابن القاضي السجلماسي، للأخذ عنه وكان ذا طموح سياسي، وهوس مهدوي، درس علوم عصره على كبارعلماء القرويين، ولكن ابن أبي محلي هرب من فاس إلى الجنوب فَرَقا وجُبنا عندما شاهد المغاربة يستعدون لخوض المعركة الفاصلة بوادي المخازن (30 جمادى الأولى سنة986 هـ/ 4 غشت 1557م) ضد الجيوش البرتغالية الغازية والتصدي لها تحت إمرة السلطان عبد الملك السعدي، وبتأطير من الزوايا الصوفية التي كانت في القرن العاشر الهجري تعرف أوجها وتوهجها، واستنهاضا

---

[38] عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام أحمد ابن أبي محلي، ص 141.

[39] السكوني، تقوية إيمان المحبين (المقدمة).

من العلماء الذين كانوا في مقدمة الجيوش المغربية[40] وعند انتصارالمغاربة انتصارهم الباهر سقط في أيدي الفارين من الزحف ومن بينهم أبن أبي محلي، وللتغطية على هذه الكبيرة - وهو العالم الذي يعرف أن الفرار من الزحف من الكبائر- توارى عن أعين المشيرين إليه بأصابع الإتهام، واستقر به المطاف عند الشيخ سيدي أبي عبد الله محمد بن امبارك الزعري التستاوي فبقي عنده اثني عشرة سنة لقي الشيخ الزعري منه العنَت، بسبب أحواله الصعبة وشطحاته الحادة[41] ثم يمّم صوب الشرق لأداء فريضة الحج، وكان يجتمع في طريقه بالعلماء وشيوخ التصوف، يأخذ عن البعض ويجيز البعض الآخر.

عند رجوعه تنقل بين الزوايا لعله يجد من يستدرجه من شيوخها، للوصول إلى أهدافه، ومن بينها التعويض عن فراره من الزحف يوم معركة وادي المخازن التي كان يسميها في كتبه معركة وادي المخازي **!!!**[42] عساه يرد شيئا من الإعتبار إلى تلك النفس المخدوشة في كبريائها[43]، والتي كانت تشعر بالمخازي تلاحقها أينما حلت، فلم ير أنجع لأمرها، ولا أجبر لكسرها، من أن ينحو بها منحى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والظهور بمظهر القيام لإصلاح فساد الدين وتقويم اعوجاج السلطان حسب قوله.

ورأى إقبال الناس على سيدي الشيخ، وإشعاع طريقته التي غطت غرب الجزائر وجنوبها وشرق المغرب وشماله. فأراد أن ينتسب إليه، ومن ثم يستدرجه لأهدافه التي كان يرمي بها إلى الثورة على السلطة الشرعية للسعديين وشق عصا الطاعة عليهم، وكان أول لقاء له به عندما زاره بضواحي الشلالة الظهرانية قرب جبل يقال له زطم سنة 1008هـ صحبة الحاج أبي حفص(ابن سيدي الشيخ) واستضافه سيدي الشيخ مدة ثلاثة أيام، أكرمه فيها كما يعترف بذلك ابن أبي محلي في كتبه، حيث أهداه فرسا وعمامة وقميصا، وعند رحيله شيعه سيدي الشيخ وعرض عليه وضع شرح على قصيدته سلسلة الأشياخ (الياقوتة) التي يكون قد أطلعه عليها أثناء هذه الزيارة[44].

من البديهي أن سيدي الشيخ كان يسمع بابن محلي، وإلا لم يكن ليعرض زبدة أفكاره وعصارة طريقته، على أول قادم عليه ، فمما لا يحتاج إلى تأكيد أن شهرة ابن أبي محلي كانت تسبقه، وكان سيدي الشيخ مطمئنا كل الاطمئنان إلى علو مكانته العلمية وشفوف درجته العرفانية، وقوة عارضته المتجلية في كتاباته، مما يجعله جديرا بهذا العرْض، وأهلا لهذا الغرَض.

---

[40] عبد المجيد القدوري، ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت ص 81.

[41] المرجع نفسه ص86.

[42] ابن أبي محلي، الإصليت ص 28.

[43] عبد المجيد القدوري، الفقيه الثائر ص86.

[44] المنجنيق ج1 ص 159

ثم اجتمع ابن أبي محلي بعد ذلك بسيدي الشيخ بزاويته بفجيج سنة 1012هـ، وأخذ عنه الطريقة، وتصاهر معه، إذ تزوج إحدى بناته (رقية)، وبقي معه كما يقول :**" ثلاثة أشهر في ناحية من داره ليس بيننا إلا حائط فقط"** [45]غير أن سيدي الشيخ تفرس فيه- بعد المصاهرة والمعاشرة - حدة الطبع وسرعة التقلب والفجور في المخاصمة، والتطرف في المعاداة، والإعتراض على الشيوخ، وهي الآفة التي يؤكد القوم على أنها علامة خراب الباطن وسوء الخاتمة.

ولما رأى سيدي الشيخ منه ذلك أخذ يبتعد عنه برفق شديد، خصوصا أن ابن أبي محلي كان هدفه أكبر وأبعد مما كان يُظهر، كما عبر عن ذلك أبو الطيب المتنبي حين قال:

وفؤادي من الملوك وإن كـــــــــــان لساني يُرى من الشعراء.

أعرض- إذن - سيدي الشيخ عن ابن أبي محلي لمّا تفرس فيه طموحا لا يحد، واندفاعا لا ينثني، إلا أن أحمد بن أبي محلي وكَرَدٍّ فعل لذلك الإحباط وخيبة الأمل استل قلمه - وله قلم حاد ولسان لاذع - فاستهدف سيدي الشيخ بالطعن والكلام البذيء ولم يأل جهدا في الأخذ منه ومن أتباعه.

وقد تنسم فيه أهل فجيج روائح ادعاء المهداوية، وبَثِّ أفكار الخروج على السلطان، فجحدها، واتهمهم بأنهم راسلوا قائد البلد يؤلبونه عليه بهذه التهمة المختلقة[46] التي حاول تبرئة نفسه منها، ولكنها كانت تتفشى في فلتات لسانه، وسقطات أحواله، ولم يكن يخفيها عن حاشيته والمعتقدين في خصوصيته، وقد قال له القاضي ابن بودي الزناقي في بعض رسائله يلومه فيها لقدحه أعراض الناس : **" إنك استحللت أعراض الناس ومن استحل أعراضهم يوشك أن يستحل أموالهم ودماءهم"**[47]، وكأن هذا القاضي كان يقرأ دقائق مستقبل ابن أبي محلي **!!** .

ثم ينطلق في شرذمة ممن استهواهم علمه و"صياحه" إلى سجلماسة ويتبعه منها ، وفي الطريق إليها، جيشٌ جرارٌ فيعلن الثورة على السلطة السعدية، ويصل إلى أبواب مراكش فيحتلها بجيشه، ويطرد منها الأمير زيدان، ويعلن نفسه سلطانا لمدة ثلاث سنوات إلا ربعا، ثُم يعود السلطان زيدان السعدي إلى مراكش بعد استعداده بقبائل حاحا بزعامة الشيخ أبي زكرياء عبد الله بن عبد المنعم الحاحي ويَلْقَى أبو محلي نهايته على يده. فيُقتل وتـُعلق رأسُه بأحد أبواب مراكش، في معركة جيليز يوم 8 رمضان 1022هـ / 30 نوفمبر 1578 م م/ وقد بلغ من العمر 55 سنة.

بعد سنين وعقود وقرون يظهر صدق سيدي الشيخ في دعوته الربانية، وطريقته العرفانية، التي استمرت مع أتباعه ومريديه، وتنفضح دعوة ابن أبي

[45] المرجع نفسه ج 1 ص 133.
[46]المرجع نفسه ج1 ص 319.
[47] المنجنيق ج 2 ص 418

محلي التي ذهبت مع الريح. وقد قال عنه الشيخ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجتاني:
"ملأ الدنيا صياحا، ودعاوي، وعياطا، وأكاذيب، مما لم يشهد به عقل ولا نقل"[48]
وقال عنه الشيخ الحسن اليوسي :
"ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه، وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد، فاستخف قلوب العوام واتبعوه....إلى أن يقول: ورمزوا إلى ملكه ونهايته بقولهم: قام طيشا ومات كبشا "[49].

يقول الدكتورمحمد حجي رحمه الله - في ندوة المغرب الشرقي- بكلية الآداب بوجدة، عندما تعرض لذكر ابن أبي محلي :"أما فيما يخص انقلابه على السماحي فأظن أن ابن أبي محلي ومن قرأه ومن تتبع كتاباته عرف أنه - بالرغم عن هوسه، وأؤكد على قضية الهوس فيه، لأنها تظهر جلية في كتاباته - كان مع ذلك يصاحبه شيء من الإعتداد".[50]

الشيخ السماحي وحياته وأحواله في كتابات إبن أبي محلي

في كتابات ابن أبي محلي - و كلها تحامل على سيدي الشيخ وقذف شنيع له - نجد الكثير والكثير جدا عن حياة الشيخ عبد القادر بن محمد ونقرأ المُفصَّل والمثير عن الحياة اليومية لساكنة قصور فجيج، والقرى التي كانت تدور في فلكها وتحسب عليها، ولولا تركيز ابن أبي محلي على تتبع عورات أعدائه، واستطراداته في الشتم والقدح، وتكراره الذي لا يمسه فيه لغوب، لكان خير مصور لتلك الحقبة، ورغم ذلك فقد ساهم مساهمة كبيرة في شهرة سيدي الشيخ من حيث لا يريد ولا يقصد، بل كان مراده وقصده إطفاء شعلة الطريقة الصوفية التي أنشأها سيدي الشيخ، وطمس معالمها وصرف الأتباع والمريدين عنها، فينطبق عليه بذلك قول الشاعر أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

راسل ابن أبي محلي كبار الشيوخ في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر لتبديع الشيخ السماحي، والإنكارعليه، وطالبهم بإصدار فتاويهم في شأن خروجه عن الشريعة، بناء على التهم التي نسبها إليه ابن أبي محلي، إلا أن جلهم توقف لغياب الدليل، أو لمعرفتهم بأن الغالب على هاته الحالة هو خلاف شخصي يُستغل فيه الدين، أو لأن بعضهم سبقت له معرفة بالسماحي في الحواضر العلمية أو مواسم

---

[48] الفقيه الثائر ص 63.
[49] الحسن اليوسي، المحاضرات، ص106(ويقصد بالرمز تاريخ قيامه وقتله بحساب الجمل)
[50] (تقرير الندوة ص 508)

الحج، كالشيخ زين العابدين البكري الذي يجمعهما معا النسب الصديقي البكري، وكان سيدي الشيخ يزوره بمصر في طريقه إلى الحج.

ولا يخفى أن ابن أبي محلي كان وراء حركة فكرية ومساجلات أدبية امتدت من جنوب المغرب إلى مصر مرورا بالجزائر وتونس وليبيا، ما كانت لتكون لولا هذا الثائرالمتعصب الطامح للشهرة والزعامة السياسية، وصاحب القلم السيال الذي لا يجف، والجريء الذي لا يُحابي، والبليغ الذي لا يكبو، والذي استطاع أن يخلف ألف صفحة من تأليفه في بضع سنوات[51].

ونختار من شعره هذه الأبيات، أما نثره فستأتي منه عدة نصوص:

يلومونني في ذكرها وهي تـــعذل	لتقصيريَ من ذكرها كيف أفــعل
فلا أدري من أرضي أحبتـي أم همُ	وإرضاء كل منهما ليس يُعقـــــل
فلله ما أسلى الخلي عن الهـــوى	ويا ما أحيلى صرفه إذ نُعـــــلَّل
ويا ما ألذ ذكرهم وحديثهـــــــم	ولا سيما إن أجملوا وتجملـــــوا
حما الله ذاك العيش من كل شـائب	يُغَيرُ صرف الود أويتقـــــــلل

ولنأخذ بعض النماذج من المواضيع التي تناولها أبو محلي:

-1- وصف دار سيدي الشيخ بفجيج:

وهي التي كان يتخذها زاوية له بالعباد وهي على الهضبة التابعة لقصر الوداغير والمطلة على قصر زناقة (ولا تزال أطلالها قائمة غرب قبة ابنه سيدي بن عيسى)

"إن له بفجيج دارا بناها ... جعل لها بابا واحدا بمغلاقه وهي دار واسعة ثم عمد إليها فقسمها بحائط مضروب في وسطها نصفين ثم بنى في الوسط المذكورأيضا صومعة بل غرفة وتحتها بيت بمقدارها له بابان، باب يدخل منه من النصف البراني، وباب يلج منه إلى النصف الدخلاني الذي فيه كل عياله وخدمه إذ فيه أربعة قصور أو نحوها ولكل من هذين البابين مغلاق بمفتاحه والبيت المذكور صغير مقداره ـ والله أعلم في زعمي الآن ـ دون عشرة أذرع وفويق خمسة طوله وعرضه متقاربان، لا يدخل للنصف الذي فيه عياله إلا منه... وله في ناحية من هذا البيت فراش بوسادته لا يحول من ذلك المكان، كما إن له في الغرفة التي فوقه فراشا آخر لسائر أزواجه وباب الغرفة من داخل الدار وفيها طاقات منهن يطل على ما يريد من النصفين."[52]

-2- ضيوف سيدي الشيخ وما كان يقدمه لهم :

---

[51] عبد المجيد القدوري، الفقيه الثائر ص 75 (خاض الصراع الفقهي الذي دار بين علماء المشرق والمغرب حول تحريم التبغ، وحول البسملة هل هي جزء من الفاتحة أم لا وغير ذلك، وكان من المدافعين عن التبغ ومن مستعمليه).

[52] المنجنيق ج 2 ص 426

"في كل صبيحة يهيئ لهم التمر قبل الشواء أو بيض مصلوق (كذا في الأصل) بعسل وسمن .. ولا يزالون في مجلسه حتى ينتصف النهار أو بعده فيقدم لهم قصعة ...[53]

-3- علاقة ابن أبي محلي مع أبناء سيدي الشيخ:

كان ابن أبي محلي يريد استدراج أتباع سيدي الشيخ تلاميذا ومريدين إلى صفه، ثم حاول أن يمد يده إلى أبنائه فكان يدّعي أنه استمال ابنيْ سيدي الشيخ : الزروقي وأخاه محمد الصديق الذي له مراسلات معه، يظهر منها أنه كان فقيها مُلمّاً بما يلم به أقرانه من الفقهاء، وكان على جانب من الأخلاق منعته من الدخول في الخلاف الذي طبع علاقة أستاذه بأبيه.

وقد سبق للشيخ(عبد القادرالسماحي) أن طلب مشافهة ومراسلة من ابن أبي محلي، قبل احتدام الشقاق بينهما، إعطاء بعض الدروس لولديْه السالفي الذكر. وله مراسلات كثيرة معه ومعهما في هذا الشأن، كما أنه يتعرض في بعض المقاطع من كتبه لذكرابنيْ سيدي الشيخ : الحاج أبي حفص وابن عبد الرحمان، ولم يسلم هذا الأخير من الهمز واللمز.

-4- مراسلات تمت بين سيدي الشيخ وابن أبي محلي قبل حصول الجفوة:

يقول ابن أبي محلي:

"ونصه وهو بخط ولده الميمون الزروقي...وعليها عنوانان أحدهما بخط الولد المذكور بما هذا نصه : السيد أحمد بن عبدالله بن القاضي رفع الله مقامه وسلك بنا وبه سبيل الاستقامة صحبة الخضر وإلياس عليهما السلام والعنوان الآخر في الجهة الأخرى بإزاء علامة أبيه نصه بخط يده لا بكتابة نجله أو غيره من صحبه أو أهله : يصل إن شاء الله ويتصل بيد الإمام الهمام العالم قدوة الإسلام يتولى نشره وخطابه وفحواه، وليّنا وصفينا السعيد إن شاء الله الأسعد أبو محمد سيدي أبو العباس أحمد أنزله الله منازل الأكرمين من أوليائه المقربين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين الآية والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى صحبة الخضر وإلياس عليهما السلام.

ونص ما في المكتوب: **الحمد لله دائما وأبدا وصلى الله على من خُيِّر فاختار أن يكون عبدا، عن أذن الولي الصالح المتبرك به، المتوكل على الله، المفتقر في كل حال إليه السيد الشيخ أبي محمد عبد القادر بن السيد محمد بن السيد سليمان بن سماحة نفع الله بالجميع، إلى ولي الله حقا وصفيه صدقا ولينا في ذاته وحبيبنا من أجله السيد الكامل السند العالم العامل الزاهد المعتمد سيدنا أبي العباس أحمد،**

---

[53] نفسه ج 2 ص 426

أحمد الله عاقبته وأدام في الدنيا والآخرة عافيته سلام كريم برٌّ عميم يشملكم وتغشاكم نفحاته وتصحبكم رحمة الله تعالى وبركاته وجميع من تعلق بكم وشمله جانبكم موجبه إليكم تجديد عهد بكم والسؤال عنكم وعن المرضية أحوالكم أجراها الله على وفق آمالكم في ما يحبه ويرضاه وإعلامكم بأنا على محبتكم ومحبة من يحبكم إن شاء الله إلى يوم الدين جعلها الله لوجهه ونفعنا بها في الدارين هذا وقد ورد علينا كتابكم وفهمنا منه ما تضمنه خطابكم فقام ذلك عندنا مقامكم وتمتعنا منه بلذيذ حديثكم نيابة عن رؤية وجوهكم فالله يجازيكم عنا بكل خير ويجنبنا وإياكم كل شر وضيــر وها نحن متوحشون فيكم، مشتاقون في النظر إليكم، فالله يجمعنا بكم في ساعة سعيدة مباركة إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير وهو على كل شيء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل وعليه التكلان والتعويل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكتب عن إذن والده مسلما عليكم ملتمسا صالح دعائكم في شهرالله تعالى ذي الحجة عام تسعة وألف عبيد الله تعالى أصغرعبيده وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه الزروقي كان الله له انتهى.[54]"

يقول ابن أبي محلي :

"ويتلوه كتاب آخر من عنده أيضا (أي سيدي الشيخ)عنوانه وهو بخط نفسه وبإزائه علامته على ظهره العالم العلامة العارف بالله سبحانه الحبيب الأود، السعيد إن شاء الله الأسعد، سيدي أبو العباس أحمد أحمد الله عاقبة الجميع بجاه النبي الشفيع. وفي طي الكتاب بخط مأذونه ما نصه:

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وعلى المسمى نفائس الأنفس المصطفى صلى الله عليه وعلى آل بيته الشرفا وصحبه عليه وعلى آل بيته الشرفا وصحبه الخلفا وحزبه الحنفا ورضي الله عن السادات الثقات والمشايخ الرواة والأعلام الهداة مثل الزاهد الإمام العالم العلام سيدي أبي العباس أحمد بن عبد الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته سلام تعمكم في كل وقت نفحاته مع العافية والسلامة ، أما بعد، فإن سألتم عنا فنحن على محبتكم حتى يرث الله الأرض ومن عليها وقد بلغنا كتابكم الكريم وفهمنا معناه القويم وأقمناه عندنا مقامكم فجزاكم الله عنا خيرا ووقانا وإياكم كل ضير وسلك بنا وإياكم مسالك أهل الجذب والتحقيق بجاه سيدنا محمد الصديق وسيدي محمد بن صالح صاحبكم رجع بحول الله كما يحب ويرضى وسلامنا عائد على من لاذ بجنابكم الرفيع وبه كتب معظم ما عظم الله منكم الفقير إلى الله عبد القادر بن محمد السماحي ويقبل يده اليمنى كاتبه محمد بن الحسن الحنصالي ملتمسا لفضلكم وفضل شيخنا المقدم فيه الأمر بكتابته وبتاريخ أواسط شهر الله المعظم رمضان عام ثمانية وألف رزقنا الله خيره وكفانا شره بمنه وكرمه آمين ثلاثا ثم انتهى"[55]

[54] المنجنيق ج 1ص242

[55] المنجنيق ج1 ص 243.

ثم نختم بالرسالة الثالثة (للسماحي) التي يوردها ابن أبي محلي قائلا:

" ونصه: الحمد لله، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه، السيادة التي علا نورها، وارتفع في سماء المجد منارها، سيادة السيد الأجل الفاضل الأفضل البارع الأعدل قطب الوقت وبركته وعلمه الأسنى وحجته من نفع الله به الحاضر والبادي والرائح والغادي سيدي أحمد بن عبد الله حفظه الله ورعاه ومن المكاره وقاه سلام كريم تعمكم نفحاته وتصحبكم رحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد فإنه لا زائد بحمد الله إلا الخير والعافية ونعمه الدائمة المتوالية وإعلامكم بأنا على محبتكم طبعا واعتقادكم شرعا وذكركم بالخير جمعا وها نحن ننتظر قدومك علينا منذ سألنا منك ذلك لينتفع أولادنا منك ببعض ما من الله عليك إن شاء الله تعالى وقد أردنا إن تعزم لنا بصرف تلك القصيدة التي هي سلسلة الاشياخ بعد استعمالك عليها شرحا والسلام وكتب عن إذن الشيخ السيد عبد القادر بن السيد محمد نفع الله بهما في الدارين في شهر الله جمادى الأولى عام ثمانية وألف انتهى"[56]

-5- استدراجه لبعض مريدي سيدي الشيخ لفصلهم عنه:

لم يأل ابن أبي محلي جهدا، ولم يدخر وسعا، بشتى الوسائل، لصرف أتباع سيدي الشيخ عنه، مرة بالإقناع، ومرات بالتهديد والإبتزاز، ولهذا كان سيدي الشيخ ينعته بالعتروس[57] الأجرب تنبيها لأتباعه بالإبتعاد عنه مخافة العدوى.

أذاع ابن أبي محلي عن سيدي الشيخ التهم الخسيسة التي لا تليق بالفاسق الجاهل، فضلا عن العالم العامل، فأسلس له القيادَ بعضُ الأشخاص ممن يتبعون كل ناعق، ويلتفتون إلى كل صائح، واغتر به بعض الفقهاء - حسب زعمه - وتتلمذوا له.

فمن الفقهاء الأعيان الذين يدعي ابن أبي محلي أنه استدرجهم:

- يحيى بن عبد الرحمان النهاري المدعو (سيدي يحيى بن صفية) وكان مريدا للشيخ ابن عبد الرحمان السهلي ويظهر من كلام ابن أبي محلي أنه تتلمذ لسيدي الشيخ، بعد وفاة شيخهما السهلي الذي أذن وأشار غير ما مرة للسماحي بوراثة مقام التربية عنه[58] ويؤكد - السماحي - ذلك في الياقوتة بقوله

فعنه أخذنا اعني عن قمر الدجى **ورثنا طريق القوم** دون استرابة

كما أن للشيخ يحيى بن صفية صلة قرابة بسيدي الشيخ فهو ابن عمته، واعتراض يحيى وأبناؤه عليه مرده - غالب الأمر- إلى التحاسد والتباغض وشبه تلك

---

[56] المرجع نفسه1 ص 244

[57] العتروس فحل فصيلة الماعز. والجرب مرض جلدي معدٍ، إذا أصاب رأسا من الماعز استشرى في الجميع وهو غالبا ما يصيب الماعز بخلاف الغنم.

[58] المنجنيق1 ص 250.

الصفات التي تكون عادة بين الأقارب، إذا انفرد واشتهر واحد منهم بالمال أو العلم أو المنصب دونهم.
- موسى بن يحيى بن صفية.
- الحاج بن يحيى بن صفية.
- الشاذلي بن يحيى بن صفية.
- محمد الصغير بن يحيى بن صفية وكان صهرا لسيدي الشيخ.
- أحمد بن محمد بن محمد بن موسى البريشي العامري(المشهور بسيدي حدوش)[59] كانت سكناه بأم چرار.
- محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر السكوني.
- محمد أمقران بن أحمد بن عبد الجبار الفجيجي وكان صهرا لسيدي الشيخ ببنته فاطمة تامقرانت، دفينة ضريح السماحي بآجدل وقبرها في الجانب الأيمن من مدخل الضريح. (أنظر أبناءها من سيدي الشيخ في ذريته).
- عبد الرحمان بن عبد العزيز النهاري(وكان شاعرا مجيدا مدح ابن أبي محلي بشعر رائع وله عدة قصائد أوردها الممدوح بها في المنجنيق).
- الشيخ احمد الفنزاري .

واستعصى- على ابن أبي محلي - بعض الفقهاء والقضاة، ويبدو من كتاباته أنه كان يود استقطابهم بكل ما يملك، لِمَا لهم من المكانة في المجتمع، ولاستدراج الناس بهم، واتخاذهم أحبولة يصطاد بها العوام، ولمّا لم تَلِن له قناتُهم جرد قلمه اللاذع فتفنن في تجريحهم، والسخرية بهم، ووَصَمَهم بكل قبيح، فرماهم بالجهل والنفاق والمداهنة، وبقي أغلبهم ثابتا على عهد وصحبة سيدي الشيخ ومنهم من دافعه بالحسنى أسوة بشيخهم، الذي عامله بالحلم والتعفف عنه.

منهم :
- أحمد بن عبد الرحمان بن بودي الزناقي.
- وعبد الحكم بن عبد الكريم الچراري من أولاد المسعود.
- وأخوه القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم الچراري.

كان هذا الأخير متصاهرا مع سيدي الشيخ، كل منهما متزوج بابنة الآخر، وكان على جانب كبير من العلم والتقوى وله في شيخه سيدي الشيخ قصيدة : (إذا أخذتَ الحرف الأول من كل بيت وجمعتهم بالترتيب تعطيك: سيدي الشيخ خذ بيدي:

ساترك ما ســــــواه شغلا بذكره	وازهــد في القضا وإن كان حرفتــي
يلومنني في الزهد عنها لأ نـــــها	طريقة أســـــلافـــي وأرفــع رتبــة
دعاهم لذاك ما تروم نفــوسهـــم	من العـــــرض الدني حبا لرفعـــة
يروم هـــوادي كل مـا يبتـغونــه	فتعسا له فالزهــــد أبلغ حجـــــة
أمن بعد إشرافي على الوصل أنثني	الى الفصل راجعا وفي الوصل بغيتي

[59] محمد بوزيان بنعلي، بيوتات العلم والأدب بفجيج ص 150.

لعمرك ما القضـاء إلا بليــــــة — وهم وغوص في بحار القطيـــــعة
شغفت بحب الشيخ عبدا لقــــادر — فأذهلني عن القضا في الخصومـــة
يشير الي بالقـــضا غير مـــرة — ويأمرني بالفـــصل بين الخليقــــة
خليلي هل بالربع نفس كئيــــبة — تساعدني للحـــزن يومي وليلتـــي
خذي النصح نفسي ذكر ربك فالزمي — على مقتضى منهـاج شرع و سنـــة
ذلولا فكــوني ولله مُسَلــــما — لما قد قضى في ملكــه من قضيـــة
بعبد القدير شـيخي أرغب خالقي — في نيل مقاصد وختـــــم بجـــنة
يميني لقد سألتـــه بمحــــــبه — وذاكره في كـــــل حال وهيـــئة
دوام هواه فـي الفـؤاد أذابـــــني — حياتي بوجده وفي الفـــقد موتتـــي
يحق لمثلي أن ينـوح ويبكي عـــن — فراق منازل بـــــــها كل منيتـــي

وتعرض هذا القاضي كغيره لانتقادات ابن أبي محلي القارصة، وشتمه الساقط، فكان رده- في رسالة ستأتي- ينم عن أدب جم، ونبل أصيل يليقان بالمنتسب لأهل التصوف، وهم الذين يقولون " **التصوف كله خلق فمن فاتك في الخلق فاتك في التصوف**". وعندما تقرأ تحامل ابن أبي محلي اللاأخلاقي على القاضييْن أحمد بن بودي ومحمد عبد الله بن عبد الكريم، وتقرأ رد هذيْن الأخيريْن يتبين لك البون شاسعا، والفرق واسعا، بين ترفع هذيْن وإسفاف ذاك .

يقول ابن أبي محلي مخاطبا القاضي ابن بودي:

... لقد خرق ثوبك المسامر، بقلب الفاعل مفعولا، والجاعل مجعولا... وأنت أيها المتمشدق علينا قد سمعت ما قال شهود الله في خلقه من أمة نبيه وهم العلماء المتقدمون والفضلاء المتأخرون، في بدعة شيخك ونزغة أسود سلخك، ثم تعاميت عن سوأته، وكشفت عورتك إلى ما فوق باعك ... فلمَ يا قليل الحيلة انحرفت عن سبيل الورع مع شيخك إلى سيخك بالسين المهملة ؟ بالحرص والطمع، ورغبتم عن السنة السمحا، مع شعب البدعة الشنعا، ثم أخذت تتسوك بعود القلقلة في نهار رمضان...فانظروا يامعشر المسلمين لتلبس الأفاك، وخدعة الهتاك، والعين تزني بالنظر وقد تقدم ما في ذلك من سيرة شيخ هذا النفر، وقدوة هذا المفلس المنتصر بزوره وقد أودى به الغدر وقد هتكوا أستار الشريعة ثم تعلقوا بعد ذلك بحبال الخديعة، إن هذا لهو البلاء المبين ."[60]

لكنك أيها الغار بنفسه أدلى بك الوهم، واستزلك الزعم، فتحككت بالأفعى، كأنك عقرب تسعى، فاستنطقت الحجر الصامت، واستعجلت العقوبة بسؤالك الفائت، حتى حضضت على أكل لحم الجزور هزبراً جائعاً، وزاحمت على فريسته غضنفراً مدافعاً.[61]

و يقول ابن أبي محلي مخاطبا القاضي امحمد عبد الله الجراري:

---

[60] المنجنيق 1 ص227.
[61] المنجنيق ج1 ص 157.

" ولما أيقن المنخرم بفضيحة شيخه البدعي الغرار وأنه لا محيص له في الدنيا من العار، وفي الأخرة- إن لم يتب أو يعفو الله عنه بفضله- من النار، أحتال على ستر منكشف عوراته بهذه الرؤيا... ودنس طاهر ذيلهم الحلمي - أي أبناء عمه أولاد المسعود- بحرصه وطمعه وبيعه دينه بقوت بدنه، حتى كان يسمونه بولكباش إي أبا الأكباش بلغة البربر لا بالعربية لما يهديه إليه منها مغويه أي شيخه في كل سنة ليوازره على باطله...."

ونقفز على فاحش الكلام المقزز، الذي جاء في السياق ونكتفي بقوله[62] :

... وأدنى رتبة من الثقة العدول، في علمه ودينه يقاس بكراعه أنف ألف من مثل محمد عبد الله الذليل الضئيل فأين علمه الزائف، وعمله المخالف، وشعره الهجين، ونثره المهين، من جواهر النظام وقلائد صيارفة الحكام[63].

ويأتي رد القاضي محمد عبد الله الجراري، ليُعَبر عن أدب الخلاف، ومجادلة المخالف بالإنصاف، وهي من ثمار صحبة أهل الله، ونتيجة من نتائج تربيتهم وتزكيتهم والإقتداء بهم :

"الحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم وآله ولتعلم أيها الأخ في دين رسول الله عليه صلاة الله وسلامه، سيدي أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي بعد السلام عليكم والرحمة والبركة أن أهل هذا الزمان كما قد علمت وكما قيل:

إن يسمعوا الخير أخفوه وإن سمعوا شرا أذاعو وإن لم يسمعوا كذبوا

وأما انتم، عندنا في منزلة يعلمها الواحد الأحد، وقد أذاعوا عنك من الأقوال ما ننزهكم ومقامكم عنه، والتمسنا لكم فيه على تقدير وقوعه وصحته عنكم، تأويلا حسنا ونحن معكم والحمد لله كما كتبتم لنا، كالماء في اللبن، أو الماء مع الماء إن سكن، غير أن ما يصدر منكم في جانب من علمتم يسلم لكم فيه، ولا يقتدى بكم، والتمسنا لكم فيه مخرجا كما وقع ممن تقدم قبلكم، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما عليه أولها، وقد علم الله، والحمد لله محبتنا فيكم، أنها لأجله، إذ لم نأخذ منكم فرضا ولا سنة، ولا تقدمت لكم فينا يد ولا منة، والحب في الله لا يتغير إن شاء الله، وما يبلغكم عن بعض المبلغين عنكم إلينا لا يعبأ به إذ ما من مقال إلا يتولد عنه مقال، ولنا:

ولا سالم من تمزيق العرض إنما تكلم ذو اللســان في البعد والـقرب
وقد فتن الخلاق بالبعض بعضنــا فكيف سلامة الفتــى من أذى الغتب
ولله ذي لب يداوي بتوبـــــة بذور سقام اللهـــو والعيب والذنب
بها يمحون الله عنا جميع مـــا اجترحنا من الآثام يا صاحب الكرب

---

[62] المنجنيق ج1 ص 244

[63] المنجنيق ج1ص 271.

ثم السلام عليكم بالدوام وعلى نسيبكم الشيخ عبد الله وأحبتكم الأعلام"[64].

-6- مدى إشعاع الزاوية:

من خلال قصيدة يحاول فيها ابن أبي محلي التشويش على أتباع سيدي الشيخ، واستنهاض الشيوخ والفقهاء وأعيان القبائل للإنكار عليه، نعرف مدى إشعاع الزاوية الشيخية وذيوع صيتها، ونعرف فجورابن أبي محلي في المخاصمة ومبالغته في الجدال، من كثرة كلامه، ومن كثر كلامه كثر لغطه وغلطه :

وكم صاح قبلي من بلاديَ قــادة	**وسادة علم والتقى وبجـــاية**
وناس عموا من واهن ومــداهن	**وغر وخب فاتن من هدايـــة**
و يا أهل دبدو جاءكم سيل حــارق	**ليغرقكم من كيده في الضلالـــة**
و قد أتلف الأغواط لمـــا تمسكوا	**بحبل الغرور يا بنــي يعلى عالت**
ويا معشر الأحلاف إيـــاكم الذي	**يدب كما القنفود ليلا لجـــارة**
ويا طلحة الأنجاد في تل عزهـــا	**أما تبصرون الخــرب تحت إهانة**
ويا حامي الطرفاوي من كل عثرة	**كشاو وعبد الله خوف الشمـــاتة**
ويا سيدا في قومـــه ءال عامر	**وكل بني يعقــوب من عرب غـارة**
ويا عصبة العقبان من نسل راشد	**الا تصرخون داعيـــا للإغاثــة**
ويا قائد الفرسان من نجــع ناظر	**ونجع ريــاح ما لكم عن إجابتــي**
ومد على الصحراء أطنـاب زيغه	**فضل بها يصطاد كل نعـــامة**
ومن تلمسان قبلنـــا كان وفـره	**فيا عجبا من نحلة في فـــزارة**

إن أول ما يستوقف القارىء في القصيدة هو شهرة سيدي الشيخ، وانتشار دعوته، وتأكيد ابن أبي محلي على أن لعدوه أتباع كثر يقتدون به، وأنه مُعَظم الجانب عند القبائل القريبة والبعيدة من بجاية إلى تلمسان، فدبدو، فقبائل الأغواط وبني يعلا والأحلاف، وطلحة أنجاد، والطرافي، والقبائل الشاوية، و ذوي عبد الله، وآل عامر وبني يعقوب، وبني راشد، وعرب رياح، وأهل القصور الصحراوية وغيرهم.

ثم إن آخر ما يُستنتج من القصيدة هو أن ابن أبي محلي عندما كان يحارب تغلغل إشعاع طريقة السماحي في وسط المجتمع البدوي والحضري على السواء، ويصارع سعة انتشارها واشتهارها بين القبائل التي ذكرها في قصيدته، كان يقوم بدعاية مجانية لصالح عدوه، ويسجل بشعورأو بدون شعوراعترافه بانتصارالسماحي وهزيمته، وشعبية سيدي الشيخ الواسعة، وانكماشه هو على نخبته، وهذا مصير من يخطط وينفذ لهدف ما، تحت تأثير الغضب والحنق والنزق.

[64] المنجنيق ج2ص 439.

إن الخلاف بين رجال التصوف الذين يقتربون من العوام ويختلطون بهم، قصد تربيتهم، والارتفاع بهم، وبين العلماء الذين يرون العلم لباب الحكمة، فلا يُعطى لغير أهله، ولا يوضع إلا في محله، ويجب صونه عن غير مستحقه، مرده حسب وجهة نظر بعض الباحثين إلى التواجه الطبيعي بين التصوف النخبوي والتصوف الشعبي[65].(حسب رأيهم أن السماحي كان يمثل التصوف الشعبي، وكان ابن أبي محلي يمثل التصوف النخبوي)

وتاريخ التصوف وواقعه يقول غير ذلك، فقد كان - من شيوخ التصوف - العلماءُ (كالشيخ عبد القادر الجيلاني، والشاذلي، والرفاعي ...) وكان أكثر أتباعهم العوام.

كما كان - من شيوخ التصوف - الأميون (كالخواص، وأبي يعزى، والدباغ وغيرهم....) وكان أكثر أتباعهم العلماء[66].

وقد تنطبق قاعدة هؤلاء الباحثين على الطريقة الصوفية "**التبركية**" التي فقدت الشيخ المربي الحي، واقتصرت على الطقوس المتوارثة، وعلى المريدين التقليدين الذين قنعوا بالجانب التعبدي، واكتفوا بالتشبه بالقوم قولا ومظهرا، وقصّروا عنهم ذوقا ومخبرا.

ولكن الأمر غير ذلك في الطريقة الصوفية " **التربوية** " التي يؤطرها شيخ حي، صاحب الإذن المطلق، والسند الصحيح ، والمعرفة الكبرى ، فهو فقط، ووحده - بما أوتي من همة عالية وعلم لدُني - مَن يجعل من الطريقة معملا حركيا لصنع الرجل الكامل أخلاقا وعبادة ومعرفة، بغض النظر عن درجته العلمية.

ويؤكد هذا المنحى، ما نشاهده حاليا، في أتباع الطريقة القادرية البودشيشية، بالجهة الشرقية من المغرب، وذات الإشعاع العالمي الواسع، والتي جمعت إليها وفيها بين العالم المتخصص والأمي، والمثقف، والحِرَفي، ورجل الأعمال، والفلاح وقفوا فيها كأسنان المشط، بعد أن ذابت بينهم الفوارق الثقافية والإقتصادية والإجتماعية، ووحدهم طلب وجه الله لله بالله.

فالعبرة بوجود الشيخ العارف بالله، الواصل الموَصِل، ثم بوجود طالب طريق الحق، الباحث الصادق عن صلاح قلبه، حتى تكتمل صورة الشيخ والمريد، والمتوجِّه والموَجِّه.

7- العلماء والشيوخ الذين اعترضوا على سيدي الشيخ:

فمن الفقهاء الذين ناصبوا سيدي الشيخ العداء قبل مجيء ابن أبي محلي أو معه (وذلك حسب كتابات-ابن أبي محلي- التي يؤخذ منها ويُرَد، لأن حدة الضغائن

[65] Entre Dieu et les hommes ,Houari Touati p 21

[66] انظر –عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى الجزء الثاني ص 150.
- ومتفرقات في كتاب الإبريز للشيخ بن مبارك اللمطي.

والإحن التي كان يحملها لسيدي الشيخ أفرغت مقولاته من الثقة المطلقة– فيما يتعلق خصوصا بعدوه – أما ما عدا ذلك فأغلب كلامه مدعاة للإحترام والتقدير):

- العلامة أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار محدث وقته بفجيج. وهو شيخ السماحي في العلوم الشرعية، ويعرض محمد بوزيان بنعلي لقصيدة دالية في هجاء سيدي الشيخ، ينسبها ابن أبي محلي إلى سيدي أبي القاسم المذكور فيرى الكاتب أنها أقرب إلى روح ابن أبي محلي" لأن أبا القاسم وضع لنفسه طائفة من الضوابط، جعلته خارج دائرة الصراع بين الرجلين رغم ما ينسبه إليه ابن أبي محلي من مواقف مناوئة للسماحي.[67]"

ربما كان الشيخ أبو القاسم - من باب الفتوة والمجاملة - يداري ويجبر خاطر تلميذه ابن أبي محلي بالكلمات والملاطفات- التي يسمح بها الشرع والتي تحتمل عدة معاني- فيؤولها ابن أبي محلي حسب مبتغاه وينسبها إليه. ومن المستبعد جدا أن يسف عالم حافظ في مثل جلالة قدر هذا الشيخ إلى درك مشاغبات ومهارشات ابن أبي محلي.

- الشيخ عبد الرحمان بن علي من لا يخاف، إمام سجلماسة.
- الشيخ سليمان بن محمد بن عمر الجومي.
- الفقيه النحوي محمد بن مشرف إمام بوسمغون.
- الشيخ سعيد قدورة مفتي الجزائر(تلميذ ابن أبهلول الآتي ذكره).

- الشيخ محمد بن علي بن أبهلول- كانت له زاوية بسهل مجاجة غرب مزغنة[68]- فقيه ناحية زواوة والجزائر، تجاوزهذا الشيخ حدود آداب الخلاف بين العلماء، فأفحش في هجاء سيدي الشيخ، وخصوصا في قصيدته العينية، ونعرف عاقبة البغي والباغي، من خلال الحوار الذي جرى بين ابن أبي محلي وسيدي الشيخ، في داره بفجيج بمحضر ابنه الزروقي، يقول ابن أبي محلي:

" قال لي(أي سيدي الشيخ) ولِمَ لا تشرح قصيدتي التي وعدتني بشرحها ؟ وهي يومئذ عندي وبيدي... فقلت له منعني منها ما لو ذكرته لك لساءك، فتفطن لها مني، فقال: قد قال ذلك قبلك من انتقم الله منه، فَرُمي بِكِلاه للكلاب فلم تأكلها، يشير بذلك لسيدي محمد بن علي بن أبهلول... وكأنه يحذرني النقمة بسبب إنكاري عليه، ويوعدني بالسطوة...[69]

وكانت - فعلا - خاتمة ابن أبي محلي لا تقل سوءا عن خاتمة صاحبه ابن أبهلول، الذي كان مآله مُرعبا حسب السياق السابق[70].

---

[67] محمد بوزيان بنعلي، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي ص 216.

[68] أطلق هذا الأسم على الجزائر عاصمة القطر الجزائري، قبل احتلالها من طرف القوات الفرنسية.

[69] المنجنيق ج1 ص178.

[70] عبد الله حمادي الإدريسي، السلطان السجلماسي،الإمام أحمد بن أبي محلي، ص 434.

أنظر: محمد بن سليمان الصائم التلمساني، كعبة الطائفين، (مات ابن أبي بهلول مقتولا سنة 1002هـ بتحريض من الأتراك). ص29 (الهامش).

إلا أن الشيخ سعيد قدورة مفتي الجزائر، لم يستسلم للشائعات، وأراد البينة والوقوف بنفسه على دواعي هذا الصراع المحتدم بين السماحي والمعترضين عليه " فانتقل من الجزائر إلى فجيج ليناظر السماحي في الاتهامات الخمسة التي كان يرميه بها ابن أبي محلي، ومما جاء فيها : لقيته (أي السماحي) ساعة من النهار، وجرى بيننا كلام كثير، إذ صرحت له بمناكيره قصدا لبذل النصيحة، وأداء ما يجب على العالم من عدم السكوت، وبدأت له بالخلوة المشؤومة... فما زلت معه وهو يتبرم من ذلك حتى التزم ألا يعود لإعطاء السر للنساء أصلا، بل يعطيه للواسطة زوجها أو محرمها، فقلت الآن رضيت... وتستمر المناظرة في مناخ علمي رفيع يطبعه الإستشهاد والإستدلال والمعالجة العميقة للموضوع بشكل يؤكد أن السماحي كان محيطا بالعلوم الشرعية...وبعد شد وجذب وكلام وآخر تنتهي المناظرة بقول عالم الإسلام (سعيد قدورة) : فسكت حينئذ وخرجت[71]".

الشيخ السماحي في كتاب:"رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت"

كان يوسف ابن عابد الفاسي[72] يبحث عن الشيخ المربي، فجال المغرب شمالا وجنوبا، ثم توجه نحو الشرق فقصد شيوخ المنطقة ومن بينهم الشيخ السماحي في زاويته بفجيج، فأكرمه واستقبله بحفاوة زائدة، ولقنه بعض الأذكار بطلب من ابن عابد، ولما هم بالرحيل ألبسه كسوة، وأهداه بعض المال كي يستعين به على السفر، وأشار عليه بأن شيخه الذي يطلبه لايزال أمامه.

الشيخ السماحي في كتاب السكوني:" تقوية إيمان المحبين"

بعد ثلاثين سنة من وفاة سيدي الشيخ، بدأ أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكرالشريف السكوني كتابة مؤلفه:"**تقوية إيمان المحبين**".

لا يخفى أنه - بعد وفاة سيدي الشيخ ومقتل ابن أبي محلي - أصبح لدى مؤلف الكتاب، ولدى غيره، متسعا من الوقت - وهو ثلاثة عقود كاملة- لمراجعة الأحداث التي عرفتها فجيج بداية القرن الحادي عشرالهجري، بين سيدي الشيخ وابن أبي محلي، للحكم أو المقارنة بين الرجليْن، ولإعادة النظر في منطلق ومسار وخاتمة الحركتيْن، وهو ما حدا بالسكوني الإبن وببعض أهل فجيج الذين تعصبوا لإبن أبي محلي ضد سيدي الشيخ، إلى مراجعة مواقفهم، ورد الإعتبار لهذا الأخير، وتعظيمه والتحدث بمناقبه، وإضفاء الإحترام والتوقير عليه، والمواظبة على زيارة زاويته،

---

[71] المنجنيق ج1 ص 178

[72] الشيخ يوسف بن عابد بن محمد الوكيلي الإدريسي، المزداد سنة 965هـ (بعيون سيدي ملوك) العيون الشرقية، والمتوفى بحضرموت باليمن سنة1048هـ كان يبحث عن شيخ بعينه ليأخذ عنه، فاهتدى بعد بحث طويل وشاق إلى شيخه أبي بكر بن سالم السقاف... رحلة ابن عابد الفاسي ص7.

والإنخراط في سلك طريقته، بعد ما أكدت لهم الأيام صدق دعوة سيدي الشيخ، وشرعية طريقته التي لم تزدد بعده إلا انتشارا، وشطط ابن أبي محلي، وخروجه على السلطان الشرعي، خروجا مبنيا على وساوس المهدوية التي غرته بالباطل فأهلكته، وأهلك هو أتباعه بلا طائل.
يقول السكوني: ولم يبعثني على ذلك (أي الكتابة) إلا حسن الظن بالله، وخالص محبتي في هذا الشيخ في ذات الله[73].
أفرد أحمد السكوني المنقبة الخامسة والثلاثين لتعداد خصال سيدي الشيخ ومزاياه، وهي ليست مروية عن أحد من أبنائه أو أتباعه، وإنما هي من إنشاء المؤلف الذي لم يدعْ مكرمة إلا ألبسه إياها، ولا محمدة إلا حلاه بها.
كما يخصص فصلا يردّ فيه على خمس مسائل، كان المنكرون على سيدي الشيخ - بزعامة عدوه أحمد بن أبي محلي - يتخذونها مشجبا لنشر اعتراضاتهم عليه، فوجد لها - كلها - مَخرجا شرعيا، بعيدا عن أن يمس بابن أبي محلي، الذي لا يذكره إلا بتقدير واحترام. والمسائل الخمسة هي :

- تأخير صلاة العصر.
- مخالطة النساء الأجنبيات.
- ابتياع الأحباس.
- الإمتناع عن أكل ما طحنت الرحى.
- أخذ البيعة لمن ظن أنه الأمير زيدان.

قدَّمَ أحمد بن أبي بكر السكوني لكتابه تقوية إيمان المحبين، بمقدمة تحدث فيها عن فضل الصالحين، وواجب الاقتداء بهم، واستشهدَ بمعجزات الأنبياء وكرامات الصالحين من الصحابة والتابعين، " والتصديق بالكرامات تصديق بالمعجزات، إذ هي فروع، ولولا صحة المتابعة ما ظهرت كرامة[74]" ثم شرع في سرد كرامات سيدي الشيخ وهي مائة وخمسون كرامة.
نتعرف من خلال مطالعتنا لكتاب تقوية إيمان المحبين على:
- زوجات سيدي الشيخ : فلم تذكر بالإسم إلا فاطمة الملقبة تامقرانت أي الكبيرة وهي بنت محمد أمقران بن أحمد بن العلامة سيدي عبد الجبار الغني عن التعريف. وتُذكر بالتلويح خديجة بنت القاضي امحمد عبد الله الجراري.
- أولاد سيدي الشيخ : يَرد ذكر بنعيسى، الحاج بحوص، الحاج بن الشيخ، أبو حسن، امحمد عبد الله، إبراهيم، الزروقي .
كما نتعرف على بعض فقراء (تلاميذ) سيدي الشيخ، الذين أتى بهم سياق الحديث، أما أتباع الزاوية وروادها فعدد كبير، كما يعترف ابن أبي محلي نفسه بذلك، فممن ذكرهم أحمد السكوني :

[73] السكوني، تقوية إيمان المحبين، ص 20.
[74] المرجع السابق ص24.

بومدين السويدي مقدم الطريقة بتلمسان، والشاذلي بن حمادي (من حفدة سيدي عبد الجبار ومن الذين بلغوا الشأو الكبير في الولاية والصلاح والمعرفة، وضريحه مشهور بقصر المعيز)، محمد بن عيسى الصميلي، إبراهيم الرفاعي، عبد الله الفاسي، إبراهيم بن اعميض، أحمد بن عبد الواحد الرفاعي، سليمان المنيعي، سليمان بن ملوك، المقري بن المخرق الصفيصفي، محمد بن علو، التومي بن سليمان، أحمد المراكشي، لكحل الخلوفي، عبد العزيز بن عمرو بن يدير، عبد الرحمان بن خليف، إبراهيم بن عثمان الفيلالي، المرابط أحمد بن بتو، أحمد بن داوود، محمد بن مولود الونيفي، عبد العزيز بن عبد الله الحمامي، مزيان الجدلاوي

و نتعرف أخيرا على خدمه الخاص الذين كانوا يلازمونه، منهم خادمة من آل جعفر الفجيجين، ثم الشيخ أجنان، الچندوز، بن خضر، سالم، عبد الله بن مساعد، وخليل بن عثمان بن عبد الوافي (وسيدي عبد الوافي بن أحمد هذا: "ولي ذو كرامات، زاهد موفور الصلاح، تجله العامة ويوقره العلماء، وتخطب وده الوزراء وأرباب المكانة والجاه، بل والخلفاء معترفين بوضعيته الروحية[75]") فخليل إذن، حفيد أحد العارفين الفجيجين الكبار، وسليل بيت علم وأدب ومجد، كانت لجده المكانة السامقة، والمرتبة المرموقة، وإنما انقطع ـ خليل ـ لخدمة سيدي الشيخ لأنه لا يعرف أهل الفضل إلا ذووه، ولأنه يدرك ـ وقد ترعرع في بيت علم وفضل ـ أن مقامات الرجال لا تنال إلا بخدمة الرجال.

لا بأس من اختيار منقبتين من بين المناقب التي جمعها أحمد السكوني في كتابه تقوية إيمان المحبين:

المنقبة السابعة والعشرون:

ومن مناقبه رضي الله عنه أن الشيخ أجنان كان من خدامه، ثم إنه خالف عنه ولم يصدقه ولم يلتفت إليه، ومال إلى سيدي أحمد بن عبد الله القاضي المحلي، فقال له الشيخ سيدي عبد القادر يوما: سميتك أجنان والجنان فيه كل فاكهة، لكن انقطعت ولادته وسقطت أوراقه، وكان أجنان المذكور ذا مال وبنين فأنفذ الله فيه دعوة الشيخ وذهب جميع ذلك، كأنها لم تكن عنده.

المنقبة الرابعة والثلاثون:

ومن مناقبه رضي الله عنه، أنه سافر في حال صغره إلى الصحراء وهي تجرارين، ومعه بعض القوافل، فأدرك بعض وزراء المغرب، ووافوا هنالك ليلة القدر، ثم إن ذلك الوزير طلب من يصلي بهم تلك الليلة، فأشير له إلى الشيخ، فطلب منه الوزير الصلاة بهم، فأجابه بالرضى، فتقدم وصلى بهم تلك الليلة، وجعل ختمة القرآن في تسليمة واحدة بسهولة وعدم الملل والتطويل، فلما فرغ من الصلاة شكر ذلك الوزير فعله، وجازاه خيرا على صنيعه وقال له لولا ما حفظناه لقلنا لك لم تتمه

[75] محمد بوزيان بنعلي، بيوتات العلم والأدب بفجيج، ص 107.

ثم إن ذلك الوزير، حرر في وجهه على فعله (أي أعفى لأجله) جميع تلك القوافل ولم يأخذ منهم درهما كعادته.
لم يُغفل كتاب تقوية إيمان المحبين ذكرَ ما كان يلاقيه سيدي الشيخ من عنت المنكرين عليه، كما تؤكد ذلك الرواية الشفوية التي تتحدث عن الحقد الذي كان يحمله له أقرب المقربين إليه من أبناء عمومته الذين حاولوا اغتياله " بثنية الزيار" شمال الأبيض، ولم يسلم من الإعتراض عليه عمه سيدي أحمد المجذوب.
فقد كان أقارب سيدي الشيخ ينقمون عليه الانتماء إلى زاوية سيدي ابن عبد الرحمان السهلي، والتخلي - حسب فهمهم - عن طريقة أسلافه الذين كانوا ينتمون إلى الطريقة اليوسفية المليانية إذاك.
وقد وقع - من بعده لبعض حفدته الذين اعتنقوا الطريقة التجانية، وأصبحوا من مريدي شيخها سيدي أحمد التجاني - ما وقع لجدهم سيدي الشيخ، فقد حاربَهم أهلـُهم وضايقوهم كما ورد بتفصيل في كتاب " **رفع النقاب بعد كشف الحجاب**" لأحمد سكيرج، وذلك لجهل العامة بالتصوف العرفاني وشروطه وآدابه.

الشيخ السماحي في كتاب عبد الخالق العروسي الشرقي: "المُرْقِي"

من مناقب سيد الشيخ المشهورة التي أوردها السكوني في كتابه "تقوية إيمان المحبين"، والتي تغنَّى بها شعراء الملحون[76] الذين كانوا يمدحون سيدي الشيخ عبرالقرون التي تلت وفاته، وملخصها: أن امرأة كانت تستسقي من بئر في صحراء وادي درا، وكانت تحمل ابنها على ظهرها فلما طأطأت راسها لأخذ الدلو من فم البئر، تدحرج ابنها وسقط في البئر فاستغاثت بأهل الله، فتسارع ثلاثة شيوخ لإغاثتها، وهم مولانا عبد القادر الجيلاني، وسيدي امحمد الشرقي، وسيدي الشيخ، فنبع الجيلاني من قعر البئر، وهوى الشرقي من فم البئر، وتوسطهم سيدي الشيخ بين مدخل البئر وقعره فأخذ الطفل بيد وأخذ عمامة الشرقي التي سقطت منه بيد، قائلا: "خذ عمامتك يا شرقي" واجتمع الثلاثة عند البئر، وتورد الرواية الشفوية عدة أحاديث دارت بينهم.
ويورد عبد الخالق العروسي الشرقي، في كتابه المُرْقِي، وهو في ذكر مناقب سيدي امحمد الشرقي(التدلاوي، مؤسس زاوية أبي الجعد) يورد هذه المنقبة بعينها منسوبة

[76] يقول أحد شعراء الملحون في هذا الموضوع (لعله محمد ولد بلخير أو غيره):
بالله يا القمري زين التحثـــــالة   باغي نسيفطك شـــور قويدر طير
إذا مشيت توصل في الحين تعالى   اللي مليح معلــــــوم يدير الخير
أنت اللي لغات عليك الهجــــالة   منين طـاح ولدها جا في قاع البير
أنت وبالعجوب شبوب الخيـــالة   أنتما اثنين مــــا يغلبكمش إيشير
أسنى معاه مول البيضـا الشعـالة   قدام لا يطيح طمـــــــــاه المير

للشيخ الشرقي فهو – حسب الراوي - من أخذ الولد قبل بلوغه قعر البئر، وأن عمامته سقطت فأخذها سيدي الشيخ قائلا له: "خذ يا الشيخ الشرقي عمامتك".[77]
يقول المؤلف بعد سرد المنقبة: ".. وكان الشيخ أي الشرقي تسابق إليه هو ورجل آخر من الصالحين، يقال إنه سيدي الشيخ بن أحمد مولى البيض".
ويضيف محقق الكتاب بالهامش قائلا(عن سيدي الشيخ):"لم نقف له على تعريف".

الشيخ السماحي في كتاب محمد الصائم التلمساني: "كعبة الطائفين"

ولد محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي سنة 1014هـ/1605م، قضى أكثر من عشرين سنة في تأليف كتابه **"كعبة الطائفين"**، يقول على لسان والده (سليمان الصائم الذي كان عقيما): " زرت الشيخ السماحي سيدي عبد القادر بن محمد أنا وسيدي أحمد بن عبد الغفار، وهو في الصحراء، فسألته عمارة الدار(أي الولد) فقال لي يعطيك الله ولديْن يقرآن القرآن العظيم، فكان كذلك والحمد لله". فأنجب محمدا وأحمدا[78].
كان محمد مؤلف الكتاب يبلغ إحدى عشر سنة عندما توفي سيدي الشيخ سنة 1025هـ/1616م، فهو من معاصري السكوني صاحب كتاب "تقوية إيمان المحبين". التقى المؤلف بمريدي السماحي وأبنائه ومنهم إبنه إبراهيم بن عبد القادر السماحي الذي كانت تربطه بالمؤلف أخوة في الله، وتحدث عنه في عدة أماكن من كتابه كعبة الطائفين[79]، منوها به وبمكانته الصوفية ووصفه بالشهيد. وتعرض للخلاف الذي وقع بين سيدي الشيخ و ابن أبي محلي وتحدث عنهما معا بتقدير كبير.
كما يصرح بانتمائه إلى الطريقة الشيخية بواسطة شيخه" سيدي بلقاسم بن موسى المدعو بن صابر وهو أخذ عن الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد (المدعو سيدي الشيخ) عن سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي..."[80] ويورد السند كاملا كما جاء في الياقوتة. وواضح أن ابن صابر الذي أخذ عنه كان من مقدمي الطريقة الشيخية، وقد وصفه المؤلف بأوصاف تنم عن بلوغه مقاما عاليا في السلوك.[81]

---

[77] عبد الخالق العروسي، المرقي، ص 517.
[78] محمد بن سليمان الصائم، كعبة الطائفين، ص 16.
[79] يوجد مخطوط كعبة الطائفين في ثلاثة أجزاء، حقق الجزءَ الأولَ(641 صفحة) قيداري قويدر، في رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي، وبقي جزءان لم يحققا ولم يظهرا للوجود بعد.
[80] محمد بن سليمان الصائم، كعبة الطائفين، ص 629.
[81] المرجع السابق ص 554.

الشيخ السماحي وآثاره الفكرية

- الياقوتة في التصوف:

قصيدة تائية من **178** بيت من بحر الطويل، رويّها التاء المكسورة، كتبها سيدي الشيخ بالعاقر ناحية المشرية- بالجزائر- عندما كان معتكفا بخلوته هناك[82]يقول سيدي الشيخ مفتتحا ياقوتته:

بدأت بحمد الله قصدا لنجح مـــا	أروم من استفتاح نظم القصيـــــدة
وبعد ففضل الله يؤتيه من يشـــا	بمحض تفضل ومن ورحمـــــة
ومهما اجتبى عبدا سعيدا لقربـه	تخيره وذاك ليس لعلـــــــــــة
ويمنع من يشاء جل بعدلـــــه	ويحرم فيض الفضل من غير قلـة

درج شيوخ كثيرون من أقطاب التصوف على نظم التائيات، في بحر الطويل بالذات، وبنفس الروي، حتى كاد هذا القالب، بهذه المقاييس، أن لا تفرغ فيه إلا المعاني الصوفية، وأن يصبح حكرا على القوم يَصُبُّون فيه أفكارهم ويُودِعونه عصارة مذهبهم.

قبل أن يتبوأ الشعر الصوفي مكانته في المشهد الأدبي، كانت أشهر التائيات الغزلية العذرية التي يتداولها الرواة بينهم، والتي رصع بها صاحبها صدر العصر الأموي، هي قصيدة كثيّر عزة (المتوفى سنة 105 هـ) ومطلعها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقـــــلا	قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّـــــتِ
ومسا ترابا كان قد مس جلدهـــا	وبيتا وظلا حيث باتت وظلّـــــتِ
ولا تيأسا أن يمحوَ الله عنكمـــا	ذنوبا إذا صليتما حيث صلـّــــتِ

وأدعي - والله أعلم - أن شهرة هذه القصيدة ورقتها، ورونق سبكها، وصدق عباراتها، والحب العذري الذي تغنى به صاحبها، كلها مجتمعة أغرت من جاء بعده من الصوفية، بالنسج على منوالها، أشارة منهم - وهم أرباب الإشارات- إلى ذلك الحب السامي، والعشق العالي، الذي دندن حوله كـُثَير عزة، ودندنوا، ويدندنون هم كذلك حوله.

---

[82]عبد الله طواهرية، سلوة الأحزان في مناقب قطب الزمان ووحيد الأقران، ص 4.

يقول فيها :

وطالعنْ ياقوتة إن رمتـــا	معرفة وحكمة إن شئتـــــا
فقد حوت جماع هذا العلــــم	حتى غدت فيه عنوان فهــــم
وحسبك الذي أفاد فيهــــا	من حفظه علوما لم تسعهـــا
منها الذي يظهر للعيــــان	وغيره في مضمر الجنــــان
أنشأها **بعاقر المشريـــــة**	إبان خلوته دون مريـــــــة

لم ينفرد الصوفية وحدهم بهذه الظاهرة، التي توحدوا في اختيار نموذجها (بحرا ورويا) بل عُرفت نفس الظاهرة عند علماء البديع الذين اقتفوا أثر بردة البوصيري:

أمن تذكر جيران بذي سلـــم		مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فامتطوا صهوتها، ونظموا في سلكها، وساروا على دربها، ومن هؤلاء : صفي الدين الحلي، وعائشة الباعونية، وابن حجة الحموي وغيرهم، حتى لا تكاد تُذكر لك قصيدة في البديع إلا أوشكت أن تقول إنها ميمية مكسورة في بحر البسيط.
ونعود للتائيات فنختار منها لبعض الصوفية، على سبيل المثال لا الحصر:

تائية الشيخ عبد القادر الجيلاني (توفي 561 هـ) المسماة بالوسيلة:

نظرت بعين الفكر في حان حضرتي		حبيبا تجلى للقـــلوب فحـــنت
....وأصبحت بالوادي المقدس جالسا		على طور سينا قد سموت بخلعتي
على الدرة البيضاء كان اجتماعـــنا		وفي قاب قوسين اجتماع الأحـــبة

تائية الإمام أبي حامد الغزالي (توفي 505 هـ)

بنور تجلى وجه قدسك دهشتـــــي		وفيك على أن لا خفا بك حيرتــــي
فيا أقرب الأشياء من كل نظـــرة		لأبعد شيء أنت عن كل رؤيـــــة
ظهرت فلما أن بهرت تجليــــــا		بطنت بطونا كاد يقضي بـــردتي

تائية عمر ابن الفارض (توفي 632هـ) المسماة : نظم السلوك:

سقتني حميا الحب راحة مقلـــتي		وكأسي محيا من عن الحسن جلت
فأوهمت صحبي أن شرب شرابهم		به سر سري في انتشائي بنظـــرة
وبالحدق استغنيت عن قدحي ومــن		شمائلها لا من شموليَ نشوتـــــي

تائية الشيخ أحمد عرب الشرنوبي (توفي 994هـ) المسماة : تائية السلوك:

أصول طريق القوم أهل الحقيقة		هداة الورى المهدين من خير ملـة
طهارة أنفاس وصدق مـــودة		و حذق وآداب وتجريد همـــــة
حياء وإخلاص ذكاء وفطنـــــة		كذا الورع المحمود في كل شرعة

تائية الشيخ محمد البوزيدي تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (ت 1229هـ)

أيا من تجلى في بهاء جـــــماله		وسر كماله وعز و رفعـــــــة
وأبهمت أمرها عن الخلق جملـــة		سوى عارف صفي من كل علـة
له بالمعاني علم يدريها كيفـــما		تجلى بهاؤها على كل هيئـــــة

تائية الشيخ محمد الحراق مؤسس الطريقة الحراقية بتطوان (ت1261هـ)

أتطلب ليلى وهي فيك تـــجلت		وتحسبها غيرًا وغيرك لــيـــست
فذا بَله ٌفي ملة الحب ظـــــاهر		فكن فطنا فالغير عين القطيعــــة
ألم ترها ألقت عليك جمالهـــــا		ولــو لم تقم بالذات منك اضمحلت

تائية الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد(استشهد 1909 م)

سقتني بثغر الوصل قهوة حسنها مشعشعة دارت بألحان نشـــأتي
فيا ساقيا مهلا فما روي الحشــا أدرها على سري بحانات حضرة
سكرت ولكن من محيا جمالهـــا فطلعتها سكري ككاسات خمـــرة

نكتفي بهذه الأمثلة، على أن غيرها كثير وكثير جدا، فمنهم من اقتصر في تائيته على أحوال المحبة، وبثَّ فيها مواجده، ونثرفيها لواعجه، ومنهم من تعداها إلى الإصطلام والشطحات، ومنهم من أدرج فيها آداب السلوك الصوفي ومباده، وأركانه ومصطلحاته، ومنهم من تحدث عن الأحوال والمقامات، والبدايات والنهايات، إلى غير ذلك.

واختلفت تائياتهم طولا وقصرا، فكانت أطول القصائد- حسب المشهور- تائية عمرابن الفارض التي بلغت 759 بيتا، وتجاوزتها تائية الشيخ أبي مسلم ناصر الباهلاني الرواحي العُماني إلى 1597 بيت [83].

تناول الشيخ السماحي في تائيته المراتب التي رقاها في سلوكه الصوفي، والمنن التي أتحفته بها الحضرة الإلهية :

فلما رأى رضائي ليس بدونـــه كساني رداء قربه والـــــخلافة
رقيت فما الذي يفوق مقامـــنا سوى السلف الأخيار أهل الولاية
وعاينت ما لوعاين الغيرجزءه لذاب وطاش ما له من قريـــحة

عرَّف بنفسه، وبمقام الدعوة إلى الله الذي تأهل له بإذن من شيخه وورثه عنه بتصريح منه، وبمرتبة الدلالة على الله - بالحال والمقال - التي أصبح أبرز أعلامها، يدعو ويحث أهل عصره للانضواء تحت أعلامها، فينادي فيهم بأعلى صوته قائلا:

فإني عبد القادر بن محـــــمد سليل أبي الربيع نجل السماحـــة
فيا أهل عصرنا أجيبوا دعاءنا فإني أدعوا للهدى عن بصــــيرة
ولست بمدعي الرسالة غيرمــا تحصل لي من إرث علم وحكمــة
دعوت إلى باب الكريم عــباده دعاء مأذون لم يزل عن بصيرة

ثم أتى بسلسلة أشياخه من العارف بالله امحمد بن عبد الرحمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يسمي قصيدته سلسلة الأشياخ، فأخرس بها لسان من كان يطعن في صحة نسبه الصوفي، وسنده المعرفي، لأن من لا شيخ له، أومن له

[83] أبو مسلم ناصر الرواحي أطلق عليه معاصروه لقب: شاعر العلماء وعالم الشعراء، كان شاعرا مقتدرا، مشاركا في شتى العلوم منها التصوف، وله فيه شعر كثير ينم عن علو كعبه في هذا الميدان. عماني الأصل توفي بزنجبار سنة 1920.

شيخ ولا إذن له لا يُقتدى به، فلذلك قدم إجازته المتصلة، بين يدي دعوته إلى الله مركزا على ثُلاثية أساسية في الطريقة الصوفية وهي السند المتصل والمعرفة الصريحة والأذن المطلق:

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زمانـــــنا إليه انتهت فنـــون هذي الطريقة
فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه تسلسلت الأشياخ أهل العنايــــــة
أبو عابد الإلاه يسمى محــــــمدا إلى عابد الرحمن يعزى فـي نسبة
فعنه أخذنا أعني عن قمر الدجـى ورثنا طريق القوم دون استرابــــة

بيّنَ شروط الوصول وأركان التصوف الذي يبدأ بالتوبة وينتهي بالمعرفة الكبرى (نكتفي بالبيت الأول والبيت الأخير وبينهما أبيات تفَصّل المقامات والأحوال):

بدايتها للغافلين بتوبــــــــــة وأشراطها محصورة بالتــــثبت
نهايتها شم وذوق شـــــــرابها به ري خمر ثم سكر بغــــــيبة

ردّ - دون أن يذكر إسما، أو يلمح إلى شخص - على المنكرين طريق التصديق، المناوئين أرباب المعرفة والتحقيق، وأوعدهم سوء المنقلب في الدنيا والآخرة:

ومن ينسبن إلينا غير مقولـــنا يصبه بحول الله أكبر علــــــة
وموت على خلاف دين محمد ويبتليه المولى بفقر وقلــــــة
بلعن الإله باء من رام نسبـنا عنادا إلى فعل نكير وبدعـــــة

ثم ختم قصيدته بتواضع العلماء، وبالإعتذارعن العيوب والأخطاء التي قد يراها أرباب الفن، وفرسان الكلام، وأقيال القريض، فجاءت قصيدته جامعة لما تفرق في غيرها.

ولست بذي نحو ولا عروض لما يرومه من قريضنــا ذو الدراية
فعذرا لمن رام انتقاد ظـــهورنا فلم نعد عن أوصافنا البشريـــة
ومن رأى من عيوبنا فليداركــها بحلم وليصلحنهـــا بعد التثبت

من أقدم الشروح التي وضعت عليها - حسب علمنا- الشرح الذي وضعه محمد معروف ابن سيدي علي بوشنافة الإدريسي، من فرقة العوامر وكان من تلامذة العارف بالله الشهير مولاي العربي الدرقاوي الذي أرسله لنشر الطريقة الدرقاوية بأم عسكر بالجزائر، وبها أنشأ زاوية وبها توفي.وترك ذريته بها، والشرح بعنوان:**"تاج الياقوت وسر الناسوت"**حققه محمد بنعلي بوزيان سنة **2009.**

ثم - في سنة 1935 - تناولها بالشرح والتعليق عليها الأستاذ عبد القادر بن محمد بن سودة الفاسي بطلب من زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة وبالأخص الباشاآغا عبد

القادر بن الدين بن حمزة، وأخيه شيخ الزاوية الشيخية الشرقية العربي بن الدين، وقد سمى ابن سودة كتابه هذا : "الفيوضات الوهبية ".

طبعت الياقوتة عدة مرات، كانت الأولى سنة 1344هـ /1925 م بتونس على نفقة مولاي عبد الله نور بن محمد من آل سيدي الحاج بن عامر الجزائري[84] الذي كان مقدم الطريقة القادرية بالبيّض وبها توفي سنة 1954، وتم الطبع بإذن من شيخ الزاوية بالأبيض باشا آغا العربي بن الدين.

ثم توالت الطبعات، بالمغرب والجزائر، إلى سنة 1984 م حيث قام الفرنسي الأب ميلاد عيسى، الأب الروحي لطائفة مسيحية تتخذ من الأبيض سيدي الشيخ (الجزائر) مقرا لها، بأول تحقيق للياقوتة، وترجمها إلى الفرنسية بعد أن وضع عليها دراسة نقدية، تناولتها من الناحيتين الأدبية والفكرية، وتناولت حياة سيدي الشيخ، والتصوف ورجاله، طبع الكتاب بالجزائر العاصمة.

ثم حققها بعد ذلك عبد الله طواهريه وهو من ذرية صاحب الياقوتة، من ابنه الحاج بوحفص، فرقة الطواهرية، ووضع شرحا مفصلا لمتنها، وتَرَاجِمَ ضافية لرجالها وتتبع بالتبيان والتمحيص غوامضها وشواردها، طبع الكتاب بوجدة بالمغرب، سنة **1992**

ولا يزال الباحثون يتناولونها بالبحث والدراسة من جوانب أخرى.

عرض سيدي الشيخ على ابن أبي محلي قصيدته التي كان يسميها إذاك:"سلسلة الأشياخ"، طالبا منه وضع شرح عليها، في أول اجتماع لهما بالشلالة وقد سبق ذكر ذلك.

إلا أن أسئلة ملحة لا تفتأ تطرح نفسها :

أليست تلك الأبيات التي تشبه ردودا على إتهامات ابن أبي محلي إضافات متأخرة على النص الأصلي ؟

ألم يكن البيت الذي سمى القصيدة بالياقوت من بين الإضافات المتأخرة ؟

يقول الشيخ السماحي :

وسميتها الياقوت رفعا لقدر ما تسلسل فيها من شيوخ عديدة

لا يمكن إلا أن يكون الأمر كذلك، لأن تسمية القصيدة بالياقوتة أو الياقوت لم تثبت عند عرضها على ابن أبي محلي، وإنما كانت تُسمى سلسلة الأشياخ، وتكرر ذكرُها بهذا الإسم عدة مرات في كتابات ابن أبي محلي، ومعلوم أن العلماء والأدباء - قبل نشر إنتاجهم - يراجعون كتبهم نثرا وشعرا، ولا ينفكون يضيفون ويحذفون

[84] ولد مولاي عبد الله نور سنة 1898 بالبيِّض، أخذ عن عدة شيوخ، بداية عن أبيه وعمه القاضي مولاي عبد القادر، ومحمد بن عيسى القاسمي، وأحمد بن مامون البلغيثي بفاس والمختار بن حماد الديماني الشنقيطي، كما أخذ عنه الطريقة القادرية والشاذلية عدة تلاميذ منهم الشيخ محمد بن الحاج بحوص مول السخونة. توفي سنة 1954.

منها وإليها، تماشيا مع الأحداث المستجدة، والأمور الطارئة، وتلافيا لجنوح فكر أو كبوة خاطر، وطلبا للتمام والكمال .
يقول صاحب الياقوتة :

ولاتسمعن قول عاد معــــانـــد	حسود لفضل الله بـادي التعـنت
ومن ينسبن إلينا غير مقولنـــــا	يصبه بحول الله أكبر علـــــة
وموت على خلاف ديـن محمد	ويبتله المولى بفقر وقلــــــة
وبطش وشدة انتقام وذلــــــة	ويردعه ردعا سريع الإجابـــة
بلعن الإله باء من رام نسبنــــا	عنادا إلى فعل نكير وبدعـــــة
كذاك الذي يرمي كريم جنابنــا	وينسب قدرنا لأقبح سيــــــرة
فكيف وباسم الحق نهج طريقنا	يعود إلى ضلال أهل الدنـــاءة

عندما تقرأ كتُب ابن أبي محلي، تـَعْلق بذهنك - رغماً عنك - أنواع التهم التي كان يرمي بها الشيخَ السماحيَ لكثرة تكرارها، وإدمانه على اجترارها، وعندما تقرأ الأبيات السالفة الذكر، تحس الرابط بينهما، مما يجعلك تظنها ردودا على ابن أبي محلي أضيفت إلى القصيدة بعد الغبار الذي أثاره هذا الفقيه القادح. لا شك أنها - من الناحية الزمانية - جاءت بعد هذه الأحداث، ولكن من المؤكد أنها لم تأت ردودا انتقامية أفرزها رد الفعل فهذا لا يليق بأهل المقامات الربانية، الكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس - كيف وهم القائلون: **إذا اشتغلتَ بعداوة العدو، فاتتكَ محبة الحبيب**[85].

إن الأفق الروحاني الذي تـُحلق فيه الياقوتة لا يسمح للأبيات المذكورة أن تكون إسفافا والتفاتا للرد على شخص بعينه، ولا أحسبها تهبط من عالمها العلوي النوراني إلى عالم الظـُلمة والإنفعال النفساني، وما هذه الأبيات - حسب رأيي - إلا تحذيرات أتت بها ضرورة الأحداث، ليُنَبـّهَ الغافلُ والجاهلُ إلى خطورة معاداة أولياء الله فهي مؤدية - لا محالة - إلى الإيذان بحرب من الله[86]، ولتنبيه الأتباع – وهم المقصودون قبل غيرهم – من مغبة الاعتراض على الشيوخ، ونقض عهودهم، حفاظا على جدية السلوك الصوفي لديهم، ورغبة من سيدي الشيخ في إنقاذهم من براثن التذبذب والشطط، وأي شطط أقبح من اتباع أصحاب الأهواء .

إن الشيخ -عند القوم- هو حامي حمى أتباعه من العوارض القلبية التي تقطع المريد عن ربه، والمدافع العنيد الذي يصد عنهم قُطّاع الطرق من الطوائف الزائغة والزائفة، الذين يعترضون سيرهم إلى الله، فيحق له - بموجب ذلك - التلميح

[85] مولاي العربي الدرقاوي، الرسائل – مطبعة حجرية.
[86] الحديث القدسي " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ...." الحديث 6581 من صحيح الإمام البخاري .

والتوضيح والتصريح، ويجب عليهم الإستماع والانصياع والإتباع، ولذلك يقول سيدي الشيخ، وهو قول كل شيخ، مرب، واصل، مُوَصِّل:

فوا أسفا لتاركي حبل عهدنـــا عمي وصم وارتد بالقطيعـــة
وأي سلوك كامل دون صحـبة وأي اهتداء شامل دون منـــحة
وأي طريق راشد دون رشدنـا وأي اهتمام الوقت من غير همـة.

<u>أبيات متفرقة تنسب إلى سيدي الشيخ :</u>

محوت ذاتي بوصف الذات وغبت عني عن كل فانـــي
دنـــــوت أنت ودمت أنت بقيت أنت عن كل دانــــي

•

تسلم لهم فالقوم أهل عـــناية وخلهم في الوصف لا تتـحقر
فإن كنت يا هذا بهم متمسـكا فتبقى طوال الدهر لا تتـــغير

وعندما زار ولدا سيدي الشيخ، الشيخَ زين العابدين البكري بمصر، وهما في طريقهما إلى الحج، قال لهما- وقد وجدا بين يديه كراسا - هذه الأبيات لأبيكما:

يقولون في الصحرا صلاة تركـتها ولم يعلموا أني أصلي بمكـــــــة
أصلي صلاة الخمس في البيت دائما وهم يحسبـــون في البراري القفيرة

- <u>رسالته في التصوف :</u>

بعث بها إلى الأمير زيدان بن أحمد الذهبي، ردّاً على رسالة مفقودة، أرسلها الأمير المذكور، إلى سيدي الشيخ، ويتبين من جواب هذا الأخير، أنه سأله عن أصل وكيفية أخذ العهد على شيوخ التصوف، ومشروعية الذكر.

وفي الرسالة الجوابية كان سيدي الشيخ مُختصِراً، و مُركِزاً على ضرورة صحبة الشيخ المربي الحي المأذون، الذي بدونه لا يسلك السالكون، ولا يسير السائرون، فهو شرط الشروط، وهو باب الحضرة الذي لا دخول إلا منه، كما يقول في تائيته :

وأي دخول كان من غير بابنا وأي وصول كان دون إشارتي

ويقول في إحدى فقرات رسالته إلى الأمير المذكور:

" وكان الصحابة رضي الله عنهم ينتفعون **برؤيته** عليه الصلاة والسلام، حتى قال أنس رضي الله عنه **: ما نفضنا أيدينا من التراب حين دفن رسول الله حتى وجدنا النقص في قلوبنا "**، في تلميح إلى الإنتفاع بالرؤية المباشرة، والصحبة الحسية، وإشارة إلى دور الشيخ المربي الحي في المدد والتربية والسلوك والتوجيه،

وبفقده ينقطع المدد، ويتعذر السير، وتلتبس معالم الطريق، **وبدونه يسمى العمل تعبدا لا تصوفا.**
يقول سيدي الشيخ:
" وكان الصحابة رضي الله عنهم عند تعليم الآداب، وأخذ العلم، يعرف أحدهم بالأثر والوجه الذي يأخذ منه، ويواليه موالاة من يرى فضله وشكر إحسانه من غير زيادة على ذلك، لقوله تعالى**: واتبع سبيل من أناب إلي،** ولقوله: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة،** فقد كان صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه، يعطي لكل واحد منهم ما يليق به ..."
وخلاصة الرسالة أنها تدعو المُرسَل إليه ضمنيا، إلى خوض التجربة الصوفية التي لا تُشرح ولا تُوصف ولكنها تُعانى وتُعاش.
يقول قبل الختام:
"وأحوالهم هي من حقائق تلوح وتصول ولا يعرفها إلا الفحول، ونهاية الوصول إلى الله سبحانه لقوله: **وهو معكم أينما كنتم،** ما بين جمع وفرق، فالجمع لا يحجبه فرق، والفرق لا يحجبه جمع، فإن لكل مقام مقالا، ولكل خصوصية رجالا"[87].

- قصائد من الملحون وبعض الحكم:

له قصيدة في التصوف من أربعة وعشرين بيتا، تسمى الحضرة، يتخذها أتباع الطريقة الشيخية وردا يوميا على طريقة السماع الصوفي، وهي من الملحون الذي يميل إلى الفصحى، تقرأ كل ليلة من ليالي فصل الشتاء بعد وظيفة صلاة المغرب. وقد أفردها عبد الله طواهرية ببحث في كتاب أسماه:**"الحضرة"**.
كما يُروى لسيدي الشيخ من الحكم ما يلي:

بوبياضة والعز معـــاه   خير من منداس بقمحـــو[88]
القمح ياسر والذل معاه   بطرف عيني ما يلتمحـــو

نبغيك تكون حسي محسوسي   وتخطف من الرمكة حســـــة[89]
ما تكونش أعمى مطفوســـي   حتى يقبضوك الأصباع الخمسة

---

[87] الشيخ السكوني، تقوية إيمان المحبين ص 67.
[88] تنسب هذه الأبيات للشاعر أبي عثمان سعيد المنداسي، ويضاف إليها قوله :
عز فـــي قفرا نهـــواه   بالقليل والهنا نفرحـــــــوا
نرتجى مولاي بغنـــاه   حد غيره ما نطرحـــــــو.
والمنداسي هو صاحب قصيدة العقيقة المشهورة في الملحون، نظمها سنة 1066هـ/1678م،عاش الشاعر في منتصف القرن الحادي عشر الهجري في بلاط مولاي رشيد العلوي وأخيه المولى إسماعيل " الذي أعطاه خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة على بعض مدائحه فيه " كما ورد في مقدمة ديوان سعيد المنداسي لمحمد بكوشة. (أنظر كذلك :محمد الفاسي، معلمة الملحون، وعباس الجراري، قصيدة الزجل)
[89] الرمكة أنثى النعام.

وتنسب له هذه الأبيات من الملحون

أنا سيدك داداك أنا المذكـــــــور	طريقي بيضا مــمرورة للهــــادي
واللي تابعني أغشاه الله بالنــــــور	والمتحيد يا ابنــــــي يمسي رادي
وانا سيدك داداك وانا قـــــــدور	بارودي يسرع على سمـــع اورادي
وانا سيدك داداك وانا المذكـــــور	لمياه تسبح بسري في الـــــــوادي
بحري فايض على كل البحـــــور	واعيونه تتخطى لمياه غــــــادي
الدنيا مثلتها نقطة في بـــــــحور	في كفي من خط حرف اسيـــــادي
من سيدنا آدم الى الشيخ المذكـــور	ا بن عبد الرحمن الـــى البغــــدادي
مجوس يهود وانصارى في الصور	اتبات على الأبراج بالصوت تنـادي
نقسم بالله ما نرى صهدات احـرور	بحرمة محمد وربي مــــــــرادي
اعطاني مولاي مرتبة علم الأمـور	بالحضرة والعلم وين ماغـــــــادي
ابلغت مراتب وانظرت قصــــور	اوقفت عليها حتى ينادي منــــادي[90]

[90] السكوني، تقوية إيمان المحبين، ص 238.

ذريـــــــــة سيدي الشيخ

ترك من الأبناء ثمانية عشر ولدا، توفي سبعة منهم دون أن يُخَلِّفُوا، وخَلَّفَ الباقون، وعددهم أحد عشر ، ومنهم تتكون قبيلة أولاد سيدي الشيخ، التي تفرعت إلى عشائر أصبحت هذه العشائر مع مرور الزمان وتكاثر الذرية قبائلا، كل قبيلة تسمَّت باسم جدها الأعلى الذي هو أحد الأبناء الأحد عشر. ولا نعلم كم ترك سيدي الشيخ من البنات، إلا اثنتين : هن رقية التي تزوجها ابن أبي محلي، ثم طلقها عام 1019 هـ، والثانية ذهيبة وهي أم سيدي عطاء الله (من الشرفاء الأدارسة) وكان كفيف البصر. وهو جد القبيلة المعروفة بأولاد سيدي" اعطلا" الكائنة بمنداس شمال ولاية البيض.

- أ- أولاده من زوجته بنت بوسعيد من قبيلة بني عامر:

-1 - الحاج بن الشيخ وهو ولده البكر (دفين الأبيض سيدي الشيخ)
- 2- عز الدين (مات صغيرا)
-3- نور الدين (مات صغيرا)
- 4 - الحفيان (مات صغيرا)

- ب- أولاده من جويرية بنت عمه سيدي أحمد المجذوب:

- 1- الحاج بحوص(دفين الأبيض سيدي الشيخ)
- 2- (بن) عبد الرحمان.(دفين الأبيض سيدي الشيخ)
- 3 –المصطفى(هوالوحيد الذي دفن جوار أبيه في ضريحه بالأبيض)

-ج – أولاده من خديجة بنت القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الحكم من أولاد المسعود الجراري الوطاسي المريني:

- 1 –الحاج عبد الحكم (دفين الأبيض سيدي الشيخ)
- 2 –امحمد عبد الله (دفين الأبيض سيدي الشيخ)
- 3 –الحاج إبراهيم (دفين واوقروت بتوات)

- د – أولاده من فاطمة تامقرانت بنت محمد أمقران بن أحمد بن عبد الجبار علامة فجيج المشهور (دفينة مدخل ضريح سيدي الشيخ بآجدل)

- 1 – بن عيسى الأعرج (دفين فجيج بالعباد بين الوداغير وزناقة)
- 2 – التاج(دفين الأبيض سيدي الشيخ بجوارأخيه الحاج بن الشيخ)
- 3– محمد أبو الأنوار (دفين الأبيض سيدي الشيخ)

- هـ – ولده الوحيد من العلجة (ويقصد بها ذات الأصول النصرانية، ربما كانت من سبايا الإسبان الذين كانوا في حرب مع المسلمين حول ثغور مليلية ووهران، كما يقال أنها تركية الأصل أهداها له بعضُ قوادهم بعد أخذهم الطريق عنه)

- 1– الحاج أحمد، وهوأصغرأبنائه يكنى المزوزي أي الأصغر(دفين الأبيض سيدي الشيخ مع أخيه عبد الحكم، وأمه دفينة خميس مليانة حيث ضريح الشيخ أحمد بن يوسف الملياني)

- و – الباقي لا تُعرف أمهاتهم ولم يخلفوا ذرية وهم:

- 1 – الزروقي
- 2 – أبو الحسن
- 3 – محمد الصديق
-4- المدني

- ز- آخر زوجاته عائشة بنت عبو(عبد الله) دفينة زاوية سيدي الشيخ التي أنشأها بالمكان الذي أطلق عليه فيما بعد القصر الغربي بالأبيض، ولا يعرف لها ولد[91].



قبر فاطمة تامقرانت حفيدة أحمد بن عبد الجبار
علامة فجيج الشهير، وزوجة عبد القادر السماحي.
وقبرها داخل المسجد التابع لقبة سيدي الشيخ بالسهلي بفجيج.

[91] Cheikh Si Hamza Boubakeur, Un soufi sidi cheikh, p.18.

وفـــــــــــــــــــــاة سيدي الشيخ

توفي بكراكدة يوم الجمعة الثاني من ربيع الأول سنة **1025هـ/1616م** وصلى عليه صهره امحمد عبد الله بن عبد الكريم، بوصية منه، ونقل إلى الأبيض - الذي تَسَمَّى منذ ذلك الحين بالأبيض سيدي الشيخ – حيث دفن وبه ضريحه.

له قبران أحدهما السابق الذكر والثاني بفجيج وقصة هذا الأخير حسب الرواية الشفوية كما يأتي:

"كان لسيدي الشيخ (عبد القادر السماحي) أحد المريدين من أهل فجيج - يقال أنه سيدي الشاذلي بن حمادي- وكان موضع سكناه بآجدل (وهي الزاوية الشيخية الثانية من حيث التأسيس بعد زاوية العباد وكلتاهما بفجيج) وكان هذا المريد كثير الملازمة لشيخه يزوره بزاويته بالعباد بين قصرالوداغير وقصرازناقة، ولما قرر سيدي الشيخ الرحيل إلى الصحراء، وأصبحت زاويته متنقلة، بقي تلميذه المذكور على عهده، ولاحظ بعض السفهاء وفاءه لشيخه، فأرادوا امتحانه والسخرية منه، فقالوا له ذات يوم: بلغنا أن شيخك قد توفي، فركب المريد حماره وتوجه نحو مكان نزول سيدي الشيخ، بالمناطق الشرقية، ولما وصل تلقاه سيدي الشيخ بالترحاب والإكرام، فأخبره المريد بما أشاعوه عنه فبقي عنده ما شاء الله، ورجع إلى فجيج، ثم أعادوا الكرة عليه، فتحمل المشاق مرة ثانية ليجد سيدي الشيخ حيا. وفي المرة الثالثة، وليجنبه سيدي الشيخ وعثاء السفر، قال له ضع قبرا أمام دارك بآجدل، واترك فيه غارا قدر إدخال يدك، وعندما يقال لك أني مت، أدخل يدك في القبر، وتأكد هل هناك جثتي أم لا.

وهكذا كلما كان يعاود أولئك السفهاء محاولتهم للسخرية بالمريد، كان يذهب إلى القبر يتحسس جثة شيخه فلا يجد شيئا، إلى أن جاء الخبر اليقين- ذات يوم - بوفاة سيدي الشيخ، فذهب المريد إلى القبر كعادته يستطلعه، فوجد أن هناك جثة سيدي الشيخ وتأكد من ذلك عندما انتشر النبأ الوارد من الأبيض (مكان زاوية سيدي الشيخ ومدفنه) أن سيدي الشيخ قد لقي ربه، فاتخذ المريدُ المكان- الذي تحسس فيه جثة شيخه- مزارا، وبعد وفاة زوجة الشيخ السماحي فاطمة تامقرانت حفيدة العلامة سيدي عبد الجبار الفجيجي دفنت به، ثم أصبح فيما بعد ضريحا لسيدي الشيخ إلى أن جدد الشيخ بوعمامة بناءه على الشكل الحالي سنة **1898**.

أحداث في حياة سيدي الشيخ

السنة	الحـــــــــــــــــــــــــدث	كان سيدي الشيخ يبلغ من العمر:
946هـ	وفاة جده سليمان بن بوسماحة..........	6 سنوات
956 هـ	وفاة محمد بن عبد الجبار(شيخ أبيه)..	16 سنة
967 هـ	مولد ابن أبي محلي..............................	27 سنة
974 هـ	وفاة شيخه ابن عبد الرحمان السهلي..	34 سنة
974 هـ	تصدُرُ سيدي الشيخ للتربية وإنشاء أول زاوية.	34 سنة
978 هـ	وفاة عمه أحمد المجذوب................	38 سنة
986 هـ	معركة وادي المخازن...........................	46 سنة
1008هـ	أول لقاء لابن أبي محلي بسيدي الشيخ بالشلالة	68 سنة
1011 هـ	وفاة شيخه في العلم أبي القاسم ابن عبد الجبار	71 سنة
1012 هـ	لقاؤه بابن أبي محلي للمرة الثانية بفجيج......	72 سنة
1019 هـ	طلاق ابن أبي محلي لبنت سيدي الشيخ "رقية"..	79 سنة
1022 هـ	هزيمة ابن أبي محلي وقتله بمراكش.......	82 سنة
1025 هـ	وفاته (سيدي الشيخ)..........................	85 سنة

ملاحظات:

يتأكد من الجدول أعلاه :

- أن السماحي (سيدي الشيخ) قد أخذ عن شيخ أبيه امحمد بن عبد الجبار.

- كما يتأكد لنا صدق كلام أبن أبي محلي عندما قال أنه سمع بصيت سيدي الشيخ وهو لا يزال صبيا، إذ عند وفاة الشيخ امحمد ابن عبد الرحمان وإنشاء أول زوايا سيدي الشيخ كان ابن أبي محلي يبلغ سبع سنوات.

- ثم يتبين لنا أن سيدي الشيخ كان يبلغ من العمر 79 سنة، عندما وقعت بينه وبين أبن أبي محلي الجفوة المعروفة، وهي مرحلة من عمر الإنسان تتنافى مع بعض تهم ابن أبي محلي التي فشل في محاولة نشرها عن سيدي الشيخ.

شجرة النسب البكري الصديقي

سيدنا ابوبكر الصديق

عــبد الرحـــمن
محـــــمد
صـــــــفوان
طفيل الزغاوي
يزيـــــــــد
زيـــــــــد
عيـــــــسى
محمد الشبـــلي
التادلـــــــي
يزيـــــــد
عيـــــسى
حــــــــامد
زيــــــــد
عامــــــــر
حفص (حرمة الله)
عقـــــــــيل
سعـــــــــــد
سليمـــــــان
معمر أبو العالية
يحــــــيى
عيســـــــى
أبوليــــــلى
أبو سمـــــاحة
سليـــــمان
محــــــــمد

عبد القــــــــــادر(المدعو سيدي الشيخ وذريته أولاد سيدي الشيخ)

الحاج أبوحفص/ عبدالرحمن / مصطفى/ بن الشيخ/ **الحاج عبد الحكم** /ح.ابراهيم/ح احمد/ أمحمد/ بن عيسى/بولنوار/**التاج**

ا لدين	**ابوحفص الحاج**	**ابراهيم**
بن الدين	**قدور**	**محمد**
العربي	**سليمان**	**بلحرمة**
النعيمي	**محمد**	**الشيخ**
بوبكر	**الطيب**	**العربي**
حمزة	**الشيخ**	**بوعمامة**

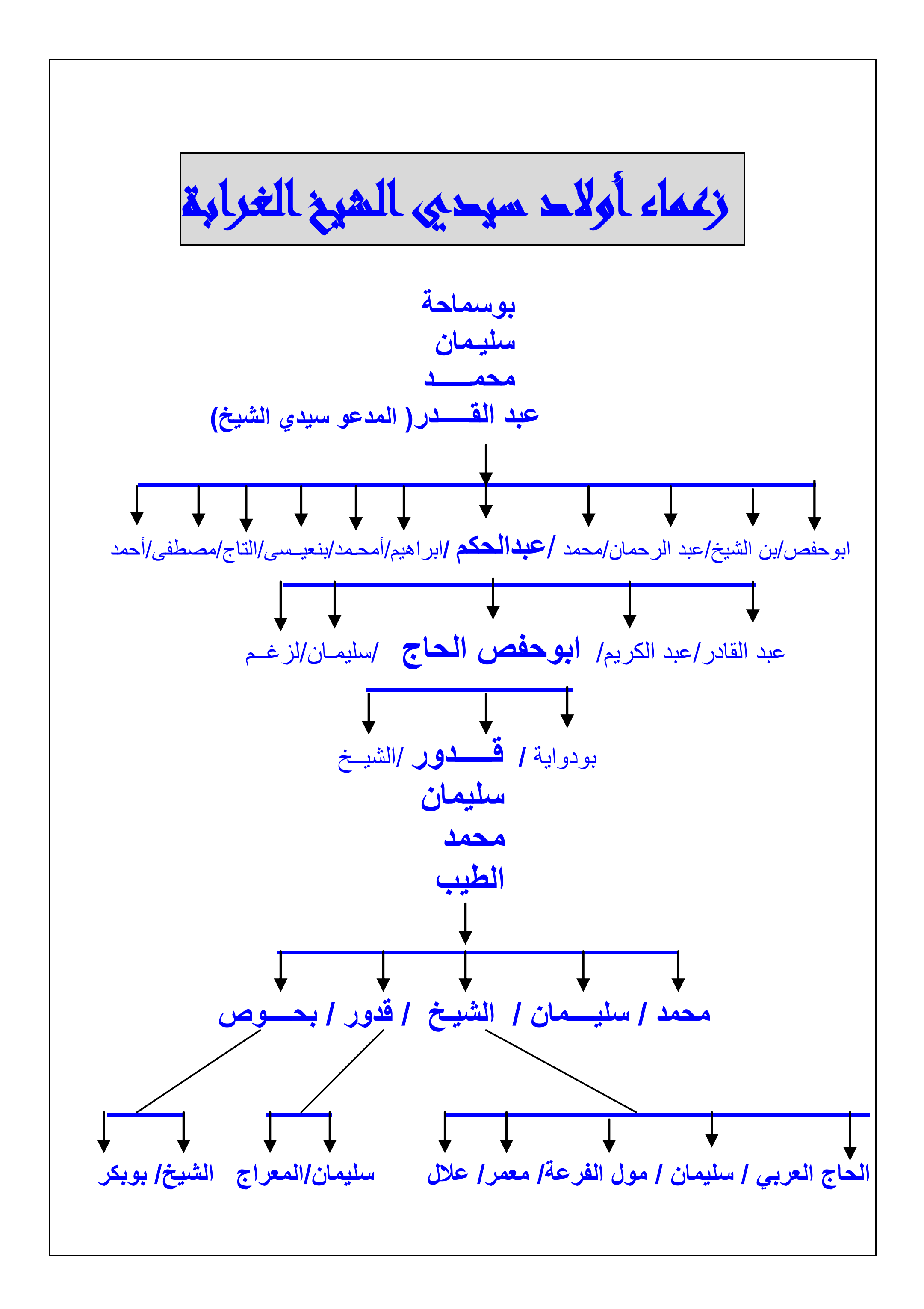
سليمان/محمد/أحمد/قدور/الدين
زعماء الشراقة قاوموا الإستعمار
من 1864 إلى 1887

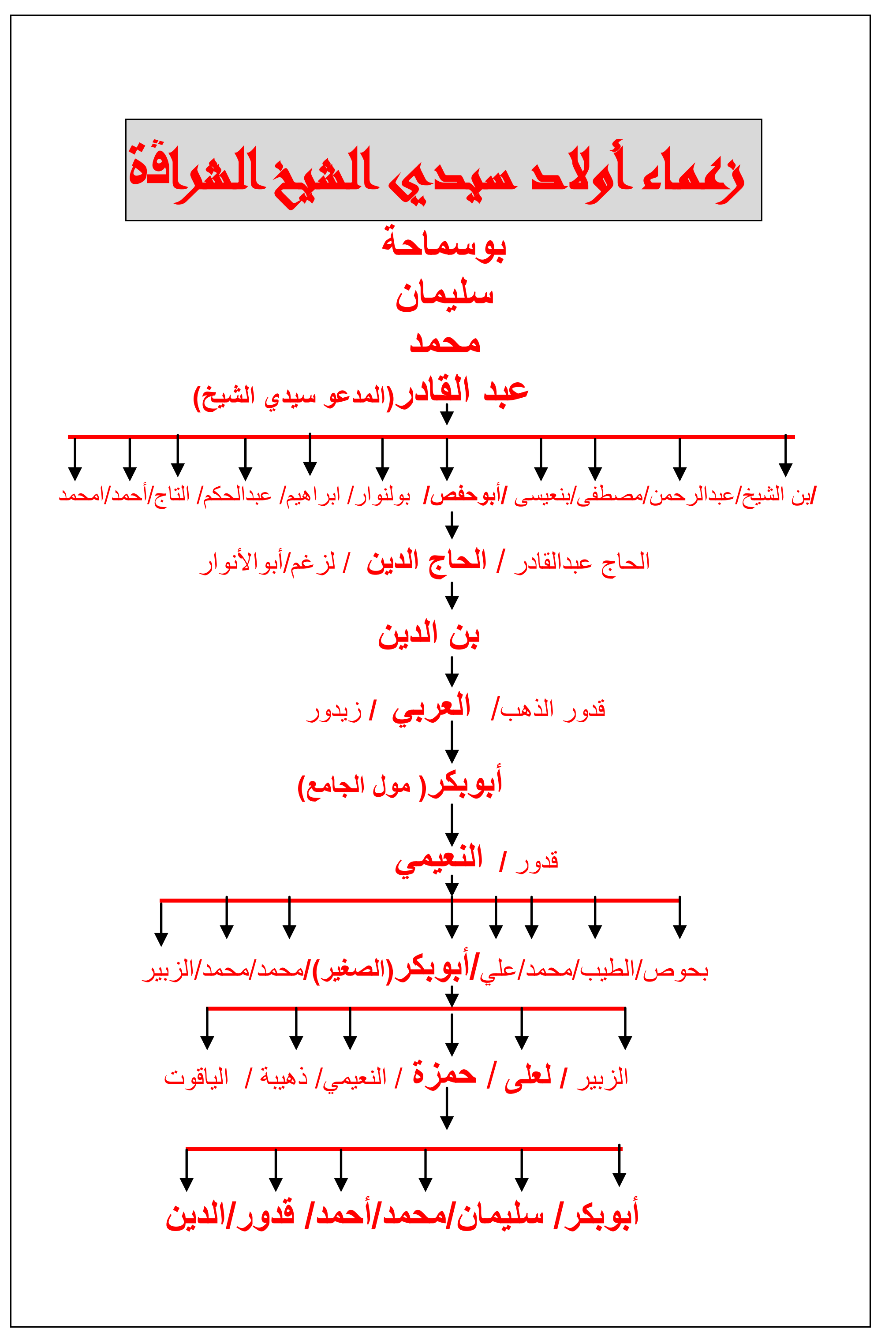
الحاج العربي/سليمان/مول الفرعة/معمر/علال
زعماء الغرابة قاوموا الإستعمار الفرنسي
من 1845م إلى 1894 م

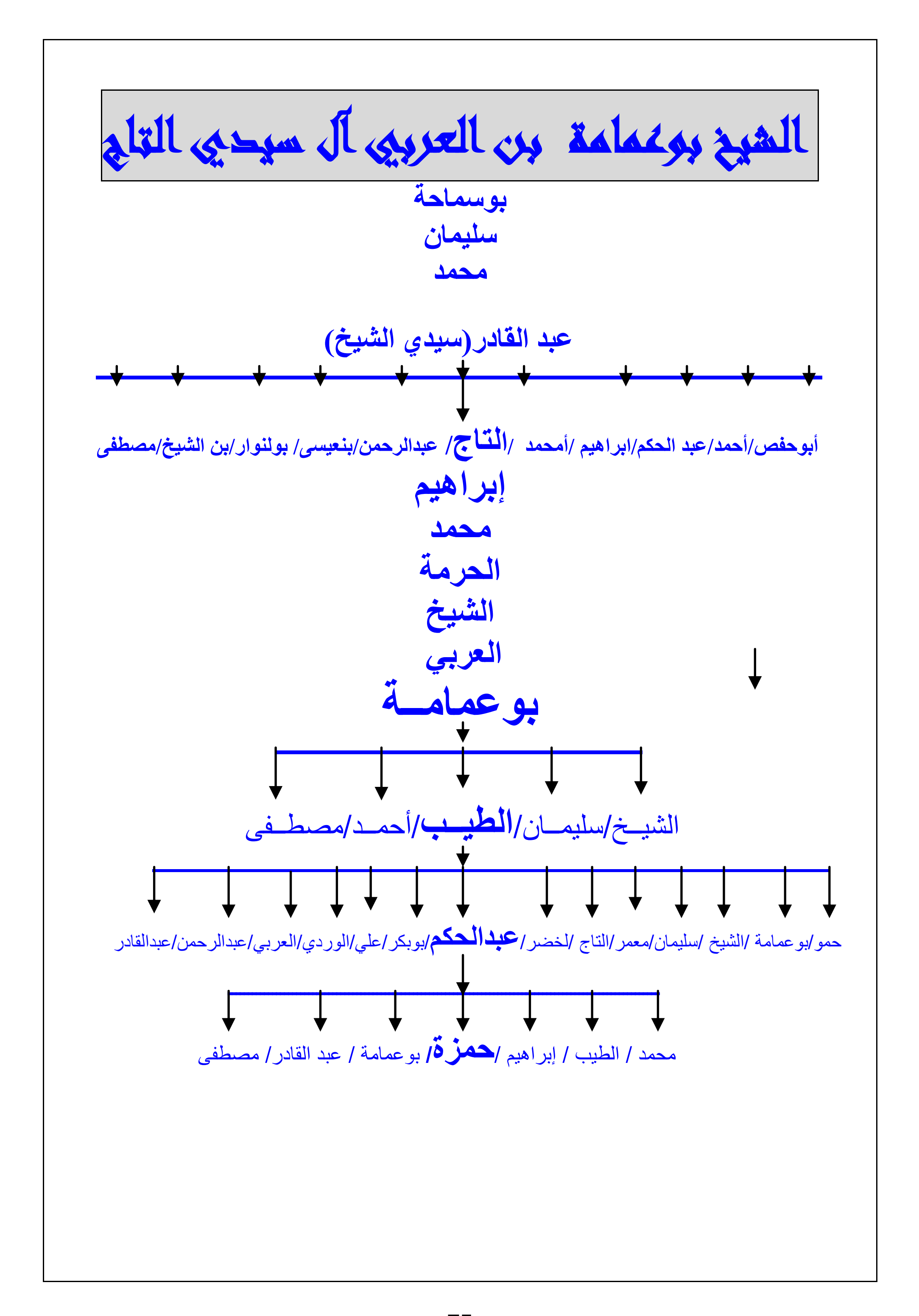
الطيب/أحمد/سليمان/شيخ/مصطفى
بوعمامة قاوم الإستعمار
من 1881 م إلى 1898 م

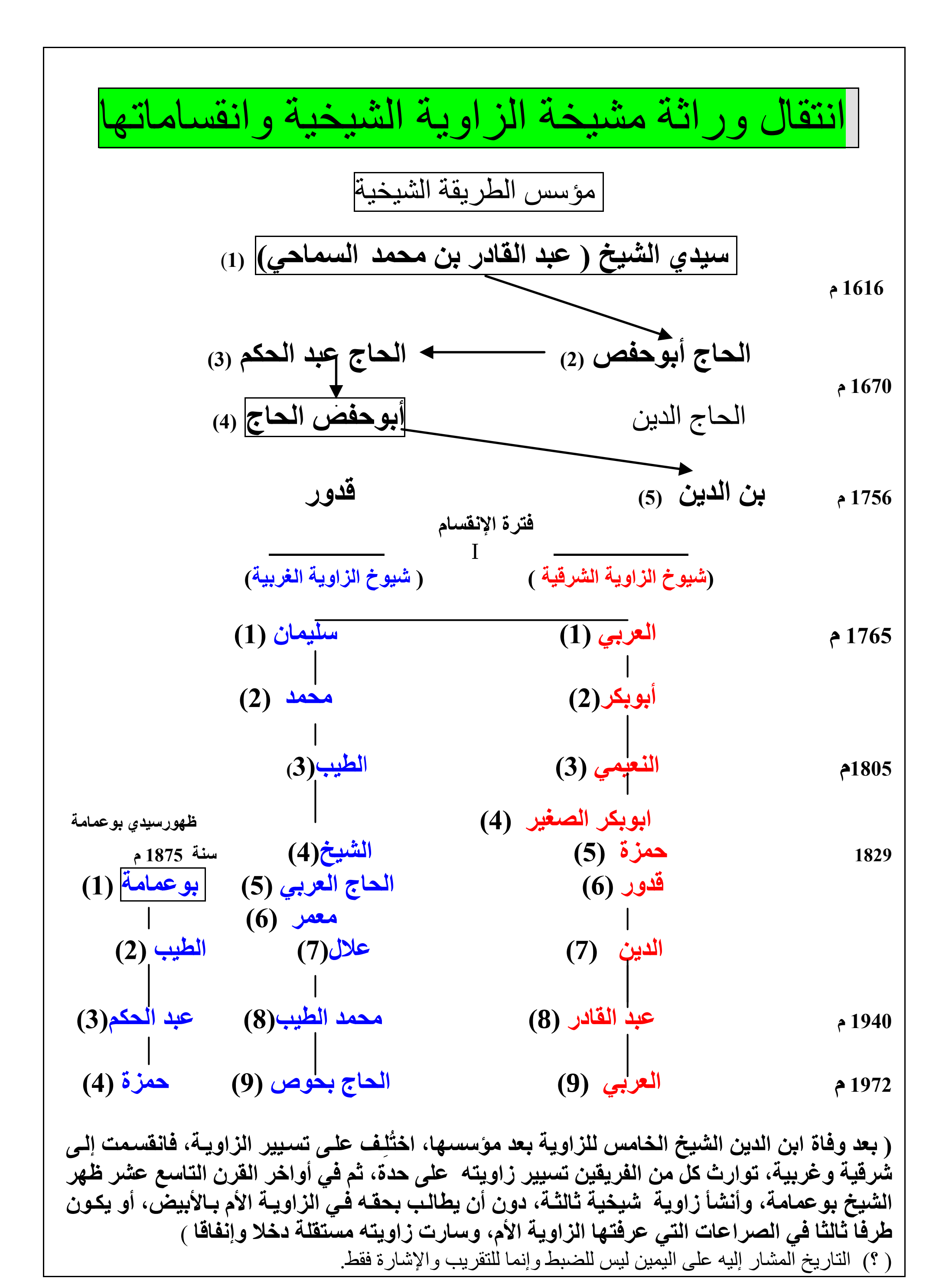
أولاد سيدي الشيخ الشراقة

أولاد سيــــدي الشيـــــــــــخ الغـــــــــــــــــرابـــــة


زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة
بوسماحة
سليـمان
محمـــــد
عبد القــــدر(المدعو سيدي الشيخ)
ابوحفص/بن الشيخ/عبد الرحمان/محمد / عبدالحكم / ابراهيم/أمحمد/بنعيسى/التاج/مصطفى/أحمد
عبد القادر/عبد الكريم/ ابوحفص الحاج /سليمان/لزغم
بودواية / قـــدور /الشيـخ
سليمان
محمد
الطيب
محمد / سليــمان / الشيخ / قدور / بحـــوص
الحاج العربي / سليمان / مول الفرعة/ معمر / علال
سليمان/المعراج
الشيخ/ بوبكر


زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة
بوسماحة
سليمان
محمد
عبد القادر(المدعو سيدي الشيخ)
/بن الشيخ/عبدالرحمن/مصطفى/بنعيسى /أبوحفص/ بولنوار/ ابراهيم/ عبدالحكم/ التاج/أحمد/امحمد
الحاج عبدالقادر / الحاج الدين / لزغم/أبوالأنوار
بن الدين
قدور الذهب/ العربي / زيدور
أبوبكر(مول الجامع)
قدور / النعيمي
بحوص/الطيب/محمد/علي/أبوبكر(الصغير)/محمد/محمد/الزبير
الزبير / لعلى / حمزة / النعيمي/ ذهيبة / الياقوت
أبوبكر / سليمان/محمد/أحمد/ قدور/الدين


الشيخ بوعمامة بن العربي آل سيدي التاج
بوسماحة
سليمان
محمد
عبد القادر(سيدي الشيخ)
أبوحفص/أحمد/عبد الحكم/ابراهيم /أمحمد /التاج/ عبدالرحمن/بنعيسى/ بولنوار/بن الشيخ/مصطفى
إبراهيم
محمد
الحرمة
الشيخ
العربي
بوعمامـــة
الشيـخ/سليمــان/الطيـــب/أحمـد/مصـطـفى
حمو/بوعمامة/ الشيخ/ سليمان/معمر/التاج /لخضر/عبدالحكم/بوبكر/علي/الوردي/العربي/عبدالرحمن/عبدالقادر
محمد / الطيب / إبراهيم /حمزة/ بوعمامة / عبد القادر/ مصطفى



(بعد وفاة ابن الدين الشيخ الخامس للزاوية بعد مؤسسها، اختُلِف على تسيير الزاويـة، فانقسمت إلـى شرقية وغربية، توارث كل من الفريقين تسيير زاويته على حدة، ثم في أواخر القرن التاسع عشر ظهر الشيخ بوعمامة، وأنشأ زاوية شيخية ثالثة، دون أن يطالب بحقه في الزاويـة الأم بـالأبيض، أو يكون طرفا ثالثا في الصراعات التي عرفتها الزاوية الأم، وسارت زاويته مستقلة دخلا وإنفاقا)

(؟) التاريخ المشار إليه على اليمين ليس للضبط وإنما للتقريب والإشارة فقط.

بواكير الكتابة عن أولاد سيدي الشيخ

عندما دخل آل سيدنا أبي بكر الصديق، مع القبائل الهلالية إلى شمال إفريقيا كان يُطلق عليهم - كما سبق ذكره - إسم **أولاد سيدنا أبي بكرالصديق، أو البكريين أو البوبكريين، أو البوبكرية.**

ثم أصبح يُطلق عليهم بعد وفاة سليمان بن أبي سماحة : **السماحيون أو آل بوسماحة** نسبة إلى جدهم الذي اشتهر في المنطقة الجنوبية من الصحراء الشرقية باسم أبي سماحة.

ثم بعد وفاة الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي، أصبح إسمهم الذي عُرفوا به ويُعرفون به إلى الآن : **أولاد سيدي الشيخ أو البوشيخيين أو الشيخيين،** كما يُعرفون اختصارا عند العامة **بـ" الزْوَا " أو الزّوا الغرابة، والزّوا الشراقة،** ومفردها زاوي، أي نسبة إلى الزاوية.

وقد غطّى إسم أولاد سيدي الشيخ على فروع كثيرة من البكريين الآخرين الكائنين بالمنطقة، لشهرة سيدي الشيخ بها، مع احتفاظ كل عشيرة من العشائر البكرية الأخرى بأسماءها الخاصة بها (كأولاد معمر أبي العالية، وأولاد سليمان بن أبي سماحة، وأولاد أحمد المجذوب، وأولاد محمد بن سليمان وأولاد إبراهيم بن محمد وغيرهم).

تحدثت المراجع التاريخية - في نُتف لا تفي بالغرض - عن البكريين في شمال إفريقيا، ولم يبرز ذكرهم إلا بظهورالشيخ عبد القادر السماحي، الذي ذاع صيته مشرقا ومغربا، للمكانة التي احتلها بين صوفيي وقته، ومن أسباب شهرته انتصاب بعض فقهاء عصره - يتقدمهم الفقيه المعروف ابن أبي محلي - للإعتراض عليه ومناصبته العداء، كما هو الشأن دائما بين أهل الظاهر وأهل الباطن، وقد سبق تفصيل ذلك.

ثم تجاهل التاريخُ أولادَ سيدي الشيخ طيلة قرنيين من الزمان، إلا من إشارات عابرة، إلى أن غزت قوات الإحتلال الفرنسي شمال إفريقيا (**1830** م) واضعة أول قدم لها بالتل الجزائري، وما كادت تصل - بعد زحفها - إلى أطراف الجنوب - سنة **1845**م - حتى اصطدمت بأولاد سيدي الشيخ، وقد أصبحوا بعد قرنيين من وفاة جدهم – السماحي – يمثلون عدة عشائر، لها هيبتها ومنعتها بين القبائل.

وقد سال حبر كثير - ولم يجف بعد - بذكر أولاد سيدي الشيخ، منذ **1845** م أي أثناء وبعد الثورات التي شنها أولاد سيدي الشيخ - الشراقة منهم والغرابة - ضد الإحتلال الفرنسي، الذي جند أقلام ضباطه ومستشرقيه، لاستطلاع تاريخ هاته العشيرة وزعمائها، بهدف ضبط خططه العسكرية والمدنية تجاههم، ولمعرفة مواطن قوتهم وضعفهم، ومنافذ الخلل لديهم.

ثم جاءت طبقة ثانية من الباحثين اهتمت بتوثيق تلك الفترة أحداثا وأشخاصا.

ثم تلت ذلك، الطبقة الثالثة التي لا تزال تتناول تاريخ أولاد سيدي الشيخ، مراجعة وتقييما وتصحيحا، وبالتالي، لم تنقطع الكتابة عنهم، طيلة قرن وبعض العقود[92].

لا أظنني أتجنب الصواب إذا قلت أن أولاد سيدي الشيخ، حازوا أكبر نصيب من حيث كمية الكتابة عن الحركات والثورات التي تصدت للغزو الأوروبي في شمال إفريقيا، واضطرته للإعتراف والإهتمام بها، والكتابة عنها.

ومقاومتهم العنيدة والمديدة، وتضحياتهم الكبيرة والكثيرة، أوضح دليل على قيام الزوايا - أحسن قيام - بواجبها الجهادي، ودورها الريادي، في الدفاع عن حوزة الدين والوطن، دفاعا مجردا من الحظوظ الدنيوية، والأطماع الشخصية الرخيصة، شهد لهم بذلك العدو قبل الصديق.

والخزانات والمكتبات الفرنسية في (Vincennes / Aix –en Province) ومكتبات الجيش البري الفرنسي، ووزارة الدفاع، ووزارة الخارجية الفرنسييْن بباريس، تزخر بالعديد من المراجع، من كتب ومجلات، وتقارير عسكرية وسياسية تتعلق بهم، كما أن بالخزانة الملكية- المغربية- بالرباط ،والخزانة العامة والمكتبات الخاصة، ولدى الأشخاص العاديين، الكثير من الظهائر والمراسلات السلطانية، كما تزخر كذلك خزانات ومكتبات الجزائر ووهران بالكثير مما كتب عن أولاد سيدي الشيخ.

كان قرنان من الزمان - بين وفاة سيدي الشيخ 1616 م واحتلال الجزائر1830 م - كافِييْن لتـُشَكل ذريةُ هذا الشيخ، قبيلة مهمة في المنطقة، يُحسب لها حسابها، استطاعت أن توقف - لعدة عقود - زحف أكبر إمبراطورية استعمارية كانت ماضية في احتلال المغرب العربي.

قبل أن نلج متاهات الحقبة التي عايشها أولاد سيدي الشيخ غرابة وشراقة على السواء، والتي أثـّرت سلبا وإيجابا في لحمتهم القبلية، وذهبت بهم كل مذهب ونزحت بعشائرهم شرقا وغربا، لا بد قبل ذلك من تعريف بعض الأسماء التي تتردد كثيرا عند الحديث عنهم، منها: **الزاوية، الطريقة، الشيخ**.

ما هي الـــزاويـــة ؟

الزاوية هي مؤسسة دينية يُسيّرها شيخ صوفي، يسهرعلى تربية مريدي طريق الحق، بأنواع القربات أغلبها الذكر، قصد تحليتهم بالأخلاق المحمدية، وتأهيلهم للمعرفة الربانية، يتكفل بتمويل الزاوية وتوفير حاجياتها مؤسسُها وأتباعُها والمحسنون، ينقطع لخدمتها المتطوعون من مريديها. يكون حجمها، وعدد أتباعها، وتأثيرها الإصلاحي، على قدرإشعاعها وهمة شيخها.

---

[92] Jaques Guibert, Les Ouleds Sidi Cheikh, p.1ere.

منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، ومرورا بالمسجد والرباط، بدأت الزاوية تأخذ تدريجيا شكلها المميز، وتـُرسّخ دورها في نشر تعاليم الإسلام، وإصلاح المجتمع تربية وتثقيفا، وبث روح التكافل والتعاون، والرحمة والتسامح ، والدفاع عن الوطن كلما تهدده الخطر الأجنبي .
تَسَمّت الزاوية - في الشرق الإسلامي - بالخانقاه والتكية.
عندما حاول الإحتلال الأوروبي بسط نفوذه في القرن التاسع عشر، على العالم الإسلامي، كانت طلائع التصدي له هم شيوخ الزوايا ومريدوهم، فبحث عن سر ردّ الفعل الذي واجهه بقوة، وعن العين اليقظة التي تسهرعلى حفظ بيضة الإسلام، ونَقـّبَ بدقة كبيرة عن مكمن روح الإسلام، وعلة صموده وبقائه، وأسباب سموه وانتشاره، فاهتدى - بعد بحث وتمحيص - إلى وجود ذلك كامنا في الزوايا الصوفية.
فماذا تـُقدم الزوايا من خصوصيات لمريديها ؟
كانت ولا تزال - وأعني بها **الزاوية التربوية** بالخصوص- تقدم لب الدين، علما وعملا وأخلاقا وذؤابة ذلك الإخلاص، وإذا ترسخ الإخلاص عبادة ومعاملة، سقطت الأغراض والأعراض، واستقام الفرد والمجتمع، واستبدل المرء الإيثار بالأنانية، فأعْظِمْ بها تربية تَقْلب الأعيان، وترتفع بمن يتخبط في الدرك البهيمي إلى قنة الكمال الإنساني.
سلط الغزو الإستعماري الأضواء على الزوايا بحثا ودراسة، وأعلن الحرب الثقافية عليها، فحاول أن يفرغها من معناها الإسلامي بربطها بالفلسفة الإغريقية والهندية أوبالتبتل المسيحي والبوذي، لقطعها عن مصدرها الاسلامي، ثم اقترب منها لتلطيخها بتهمة الخيانة وموالاة الإحتلال، ليـُنفِّر منها المخلصين من أهلها، والمتعاطفين معها، ثم حرك النعرات "السلفية" ضدها، وشحذ الفكر الخارجي الوهابي[93] ، لينال منها، إلا أن جهوده - كلها - باءت بالفشل، ولا يزال التصوف الحقيقي يشق طريقه كالمعتاد، ولا تزال الزاوية "**التربوية** " منارة تدعو إلى ما كانت تدعو إليه في عصرالجنيد والجيلاني والغزالي والشاذلي والتجاني وغيرهم... رضي الله عنهم.
تكـُون الزاوية - أي زاوية - حيّة، فاعلة، يتزايد إشعاعها ويتكاثرالمقبلون على ارتيادها، وتؤتي أكلها، عندما يكون الشيخ المربي، المأذون، الحي، قائما بها وعليها فتكون الزاوية إذاك وفقط، مؤسسة لتخريج الذاكرين، السالكين على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، السائرين إلى حضرة الله على بصيرة ويقين، ولا تَعدم هذه القاعدة أمثلة، فكل الطرق الصوفية التربوية نشأت على هذا النسق، وشيدت بهذا الأسلوب، ولا يُتَصَور أن تكون إلا كذلك.

---

[93] مذكرات المستر همفر، جاسوس بريطاني كان على اتصال وثيق بالداعية محمد بن عبد الوهاب النجدي، مؤسس السلفية الوهابية.

عندما ينتقل الشيخ إلى رحمة الله، فإما أن يبقى السر والإذن في عقبه، فتزيد الطريقة إشعاعا وقوة، وتتوهج جذوتها أكثر، بفضل السرالموروث. وقد يتعاقب عدة وارثين من نسل الشيخ على تربية وتزكية المريدين، فقد عدَّدَ الوزانييون- أهل الطريقة الوزانية- إثنى عشر قطبا في سلسلتهم، كما عدَّد الناصرييون - أهل الطريقة الناصرية- أحد عشر وليا في أسرتهم[94]، إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وإما أن ينتقل السر إلى شخص آخر، ومكان آخر، فتقف الزاوية إذاك عن السير، وإن بقيت تـُقيم مراسمَها وأورادَها، لأن القاطرة التي تسلك الطريق بالمريدين مفقودة، وهمة الشيخ التي تشع المدد غير موجودة، وتصبح بذلك الزاوية تبركية بعد أن كانت تربوية. وتـُطل النفوس - حينئذ- برأسها، وتبرز الأهواء من مخابئها، وينطلق الصراع على الرئاسة والجاه، وتشرئب الأعناق إلى المكاسب الدنيوية، وتتطلع العيون إلى الموارد المادية التي تفيض بالنعم على الزاوية، والتي يريد كل ذو رحم نصيبه منها ويحس- إذاك - المريدون والأتباعُ أن الزاوية تتخلى عنهم، لاشتغال أهلها بالتنافس على اقتسام الغنائم، فيضيع بذلك التابع والمتبوع .

والزوايا، بعد انتقال السر والتربية عنها، منها من تقف بمريديها عند حدود الأوراد التبركية التعبدية، ومنها من تصبح مدرسة تلقن بعض المباديء العلمية، ومنها من تكتفي بإطعام الطعام، وإقامة المواسم، وإحياء ليالي المناسبات الدينية، ومنها من تصبح أطلالا وأثرا بعد عين.

ثم يأتي المُشاهد السطحي، الذي ليس له إلمام بعمق التغيرات وأسبابها، ومصادر الأحداث ومواردها، فيسحب - ظلما أو جهلا - هذه الحالة على كل الطرق الصوفية، دون تمييز بين التربية والتبرك، وبين السائر والواقف.

ما هي الطـــــريقـــــــة ؟

إذا كانت الزاوية هي مقام الشيخ، ومأوى قاصديه، والمعهد الذي تُباشَر فيه التربية الصوفية، فإن الطريقة هي البرنامج العملي الذي يُنَـظمُه الشيخ بناء على الكتاب والسنة، ويسهر على احترامه وتطبيقه، ويقوم على تشذيبه وتهذيبه، وتتبع جليله ودقيقه، ويلتزم به المريدُ الذي يربطه بالشيخ رباطُ العهد بالإتباع والإمتثال، حتى يقطع به مفازة رعونات نفسه، ويوصله إلى الإستقامة الظاهرة والباطنة فيؤهله بذلك لتبوء مقام الاحسان.

تستمد الطريقة- أي طريقة - مصداقيتها وحركيتها ودورها من وجود الشيخ المربي الحي، فهي بوجوده أقرب الطرق وأقصرها، وأسهل المناهج وأضمنها لبلوغ المرام.

---

[94] أحمد الغزالي، زوايا بني يسناسن، القادرية البودشيشية نموذجا، ص 51.

لا تـُحصى الطـرق الصـوفية كثـرة، فمنهـا المشـهورة والمغمـورة، والقديمـة والحديثة، والمنقطعة والمستمرة، والمنكمشة والمنتشرة، تلتقي أساندها وتفترق، وتتشعب ليجتمع أكثرها في سيدنا علي كرم الله وجهه، عن طريق الإمام الحسن البصري، وأقلها يمر بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن طريق سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه.

تسمى الطريقة أو الطريق غالبا باسم مؤسسها، إلا أنه قد يظهر بعده مُجدّد أو مجدّدون، وقد يقتصر أو يقتصرون على تسمية الطريق باسم مؤسسها الأول، نظرا لقدسية التراث ورسوخه، وصعوبة تقبل الجديد أو رفضه.(كالطرق الواسعة الإنتشار: مثل القادرية والرفاعية والشاذلية والتجانية والنقشبندية والدرقاوية وغيرها... فقد ظهر فيها مجددون كثر، فمروا بها، وبقي إسم المؤسس ثابتا)

ومنها من تتسمى باسم مجددها، وتستقل بفرعها، وتصبح هي بدورها- مع مرور الزمان - أصلا لعدة فروع، ومنها من تذهب بذهاب مؤسسها.

لا تلتزم الطريقة بسندها الأصلي فقط، فقد يظهر في أبنائها أو أتباعها من يجددها بتطعيمها بسند الطريقة التي تَخَرَّجَ بها، وأهِّل فيها للتربية والسلوك، وهكذا تكثر أو تقل المشارب والأسانيد في الطريقة الواحدة، حسب همة أبنائها واجتهادهم في طلب الترقي، وكلما حصل ذلك، كان دليلا على حيويتهم، وشغفهم بطلب الحكمة أينما تراءت، وترفعهم عن الدعوى الفارغة والتَزَمُتِ المُميت. ثم إن تقوقعهم على الموروث لديهم بعد ذهاب الشيخ المُمِدِّ لهم، يسير بالطريقة القهقرى، وتذهب الجهود سدى . وقِدْما كان يردد أتباع الزوايا المثل القائل:(عامية)

اللي طفات ناره، يجيبها من عند جاره.

" وعلى هذا الأساس، تنقسم الطرق الصوفية، إلى ثلاث:

-1- **الطريقة التبركية** : وهي التي توفى شيخها المربي، وانقطعت بموته التربية، واقتصر أتباعه وأتباع أتباعه على أوراده، تبركا به ومحبة فيه وحرصا على الانتساب إليه، فمقامهم الإسلام.

-2- **الطريقة الإرشادية** : وهي التي - زيادة على حالة الطريقة التبركية - يلتزم أتباعها بالعلوم الشرعية، تعليما وتطبيقا، ومقامها الإيمان.

-3- **الطريقة التربوية**: وهي التي يقوم عليها الشيخ العارف بالله الحي، سلوكا وتربية وتوجيها، ومقامها الإحسان"[95].

يقول الشيخ العلامة ابن عجيبة:" والناس في إثبات الخصوصية (أي وجود الشيخ المربي الحي)على ثلاثة أقسام :

---

[95] عبد الباقي مفتاح، مجلة الإشارة عدد غشت 2001 ص 15.

-1- **قسم أثبتوها للمتقدمين ونفوها** عن المتأخرين وهم أقبح العوام.
-2- **وقسم أقرّوها قديما وحديثا**، وقالوا إنهم أخفياء في زمانهم، فحَرَمَهَم الله بركتهم.
-3- **وقوم أقروا الخصوصية في أهل زمانهم، مع إقرارهم بخصوصية السلف،** وعرفوهم، وظفروا بهم، وعظـّموهم، وهم السعداء الذين أراد الله أن يُرَحلهم إليه ويُقربهم إلى حضرته، وفي الحكم (العطائية) "سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يُوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه "[96].

من هو الشـــيـــــخ ؟

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر رضي الله عنهما فقال:
" يا ابن عمر دينك دينك! إنما هو لحمك ودمك، فانظر عمن تأخذ !
خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا[97].

وقال بعض العارفين: " العلم روح تـُنفخ لا مسائل تـُنسخ، فلينتبه المتعلمون عمن يأخذون، ولينتبه العالمون لمن يعطون[98]".

فالشيخ والأستاذ والمربي والمرشد كلها نعوت تدل – في التصوف – على القدوة **الحي**، الدال على الله بالخصائص المميزة له عمن سواه من الدعاة وهي :
المعرفة الكبرى، والسند الصحيح، والإذن المطلق .

والشيخ هو:" من قد أُجيز من شيخه بهذه التربية وهذا السير، فمن لم يشهد له الأخصائيون بعلم يدعيه لا يحق له أن يتصدر فيه، فالإجازة هي شهادة أهلية الإرشاد وحيازة صفاته... وكما لا يجوز للذي لا يحمل شهادة أهلية التعليم أن يُدَرّس في المدارس والجامعات، فكذلك لا يجوز أن يدعي الإرشاد غير مأذون له به من قبَل مرشدين مأذونين مؤهلين، يتصل سندهم بالتسلسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (على غرار علماء الحديث الذين تناقلوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند رجلا عن رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبروا السند أساسا لحفظ السنة من الضياع والتحريف، ولهذا قال ابن مبارك: **والإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء**.)

" وغيرة على التصوف وتحصينا له من المدعين المنتسبين إليه زورا وبهتانا لتحصيل مآربهم المادية، وإخفاء نياتهم الخسيسة، ما فتئ المشائخ وكبار الصوفية

---

[96] عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ص 77.
[97] الحديث أخرجه ابن عدي في كنز العمال ج3 ص152.
[98] عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ص 80.

يعلنون ويبرزون المبادئ والأصول التي يعتمد عليها التصوف والمستمدة من كتاب الله وسنة الرسول صلوات الله عليه"[99].

لا تخلو الأرض من الشيوخ بمختلف أصنافهم ، فإلى جانب العديد من شيوخ العلوم بأنواعها وأشكالها، هناك شيوخ كثيرون يلقنون مختلف الأذكار قصد التعبد والصلاح، وليس قصدنا هؤلاء ولا أولائك - رغم دورهم الإصلاحي الذي لا يُنكر- وإنما نقصد بالشيخ هنا، العارف بالله المحقق، الكبريت الأحمر، والطود الأشم والواصل المُوَصّل ، " الوارث المحمدي والمرشد الصادق، الذي تزداد بصحبته إيمانا وتقوى وأخلاقا، وتشفى بملازمته، وحضور مجالسه من أمراضك القلبية، وعيوبك النفسية، وتتأثر شخصيتك بشخصيته، التي هي صورة عن الشخصية المثالية، شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم."[100].

فنحن إذا وقفنا أمام عيادة أو مصحة أحد الأطباء - عندما يتعلق الأمر بطبيب البدن - وجدنا لافتة تحمل أسم هذا الطبيب، وشهادته العلمية، وتحديد تخصصه، والكلية التي تخرج منها، وهذا للتأكد - قبل كل شيء - من أنه مأذون له بمزاولة مهنته، ثم لكسب الإطمئنان إليه والإستسلام له بثقة كاملة ويقين تام. وكذالك يفعل أطباء الأرواح، إذ عندما يُؤذن للشيخ المربي بالدعوة إلى الله، فإنه يُعلن- على الملإ - عن هويته وخصائصه، ويصرح باسمه وسنده ومقامه، والإذن الذي يدعو إلى الله بموجبه، لرفع الإلتباس عن الباحثين عن الوارث المحمدي فيقتدوا به والطالبين حضرة الله فينقادوا إليه، وهذا ما نجده - بالتمام - في كتبهم شعرا ونثرا:

يقول الشيخ سيدي أحمد العلاوي (مؤسس الطريقة العلاوية المستغانمية) :

صَرِّحْ ياراوي باسم العلاوي بعد الدرقاوي خلّفه الله

- يقول الشيخ سيدي أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الأحمدية الرفاعية (المتوفى عام 578 هـ) في كتابه **البرهان المؤيد** تحت عنوان الصحبة المليحة :

" عليكم أيها السادة **!** بذكر الله، فإن الذكر مغناطيس الوصل، وحبل القرب مَنْ ذكر الله طاب بالله، ومن طاب بالله وصل إلى الله، ذِكْر الله يَثبُت في القلب ببركة **الصحبة**، المرء على دين خليله، **عليكم بنا! صحبتنا ترياق مجرب! والبعد عنا سم قاتل!.**

أيها المحجوب**!** تزعم أنك اكتفيت عنا بعلمك، ما الفائدة من علم بلا عمل؟ ما الفائدة من عمل بلا إخلاص؟ الإخلاص على حافة طريق الخطر، من ينهض بك إلى العمل؟ من يداويك من سم الرياء؟ من يَدُلك على الطريق القويم بعد الإخلاص؟ **"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "**هكذا أنبأنا العليم الخبير.

تظن أنك من أهل الذكر، لو كنت منهم ما كنت محجوبا عنهم.

---

[99] مولاي منير القادري بودشيش، دور الصوفي في زمن العولمة ص 93.

[100] عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف ص 45.

لو كنت من أهل الذكر ما حُرمت ثمرة الفكر! صَدّك حجابك، قطعك عملك!
قال عليه الصلاة والسلام :" **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**". لازم أبوابنا أيها المحجوب! فإن كل درجة وآونة تمضي لك في أبوابنا درجة وإنابة إلى الله تعالى، **صَحّتْ إنابتنا إلى الله !** قال الله تعالى:" **واتبع سبيل من أناب إلي**"
أيها المتصوف! لِمَ هذه البطالة ؟ صِرْ صوفيا حتى نقول لك أيها الصوفي! "

- ويقول الشيخ سيدي عبد القادر السماحي :

فإني عبد القادر بن محمـــــد		سليل أبي الربيع نجل السماحـــة
لقد شهد المولى بأني نصيحكم		وإني على نصحي **جدير بخبـــرة**
دعوت إلى باب الكريم عباده		دعاء **مأذون** لم يزل عن بصيرة
فيا **أهل عصرنا** أجيبوا دعاءنا		فإني ادعوا للهدى عن **بصيــــرة**

- ويقول الشيخ الحالي للطريقة القادرية البودشيشية، العارف بالله أبو جمال سيدي حمزة القادري بودشيش أطال الله عمره:

من جاءني بالتصديــق		سالكا هذا الطريـــــــق
خضت به بحر التحقيق		**وعرّفتـُــــهُ باللــــــه**

ويقول:

ناداني القريب وقربـــــــــني		**وبالإذن المطلق** شرفنـــــــــي
بشراه الذي بِذَا صدقــــــــني		وسارع فورا للأخذ عنــــــــي
أنا البدر ضاء نورا في الدجى		فأرشد الساري إلى الأمــــــان
أنا ترسُ نور يقيك الــــــردى		إذا النفس حــــــاربت بالسنــان
أنا لقـــلوبٍ كلمى طبـــيبٌ		**بسر مـــوروث وبالقـــــــرآن**
أنا حجة الله تمّ بهـــــــــا		بيان الحقيقة للعيـــــــــــــان
أنا شيخ عصري حمدا للــــه		**أنا المُوصّل** إلى الرحمـــــــــان
أنا من سمعت : صرحْ ونـَــادِ		بشراه الذي جاء يقصدنــــــي ...

أما غير المأذون له فلا يستطيع أن يَدّعي ما ليس عنده، وإذا ادّعَى شيئا افتضح عن قريب، وهل يستطيع غير طبيب العيون أن يغامر بجراحة مريض العين بدعوى علاجها؟ وأنّى له ذلك؟ ثم هل يقبل مريض ما - ما عدا الأحمق - أن يُسلم عينه السقيمة للجاهل المدّعِي ؟
فالواجب التحري ثم التحري، في اختيار الطبيب الروحي، لأن البصيرة أغلى وأدوم من البصر!
" إن منصب التربية من أعز وأعظم المناصب الدينية على الإطلاق، لما يحمل صاحبه من شرف الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والاتصاف بصفات أهل الخير

والإحسان، وهو أمر تحتاج إليه المجتمعات، خاصة في هذا الوقت الذي نعيش لأن بالخُلق تسود الرحمة والمحبة بين الناس، وتعظم حرمات الله، وتقدم المصالح التي تجلب الخير للعباد، وهذا أمر عجزت عنه المؤسسات الكبرى في أرقى الدول... وشيخ التربية ميراث إسلامي عظيم، حق للمسلمين أن يفخروا به، وأن يعطوه الأهمية التي يستحقها، لأنه يحمل في طياته الأمل الذي يرجوه كل من يحب وطنه، ويريد أن يحافظ على مقومات هويته في عالم منفتح ومتواصل."[101]

فالبحث عن هذا الشيخ فرض عين- كما حققه العلماء الأعلام - على كل من حزبه الوجد، وشفه الشوق إلى معرفة الله، فكله لهفة وعزم وحزم، لا يقر له قرار إلا بالوقوف بباب حضرة الله، ولا يهدأ له بال إلا بالوصول إلى **الواصل المُوَصل**، ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد. ولابن الفارض في هذا المعنى :

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم[102]

يقول صاحب الحقيقة القلبية:

" إذن من سمت همته، وتاقت نفسه إلى الحقيقة الغيبية، والمعرفة الإلهية، والكرع من الفيوضات الربانية، وإلى العلم اللدني الوهبي، الذي طلبه نبي الله موسى عليه السلام في اتباع العبد الصالح، كان عليه أن يطلبه، ليس من الفقهاء المتخصصين في الفقه والفتوى، ولكن من الأولياء والعارفين، المتخصصين في الدلالة على الله، وتربية أرواح عباده، كي تصفو وتطهر، وتصلح لحضرته.

ذلك أن عالم المادة ظلمة، وعالم الروح نور، والظلمة والنور لا يجتمعان، والانتقال - باطنيا - من عالم الظلمة إلى عالم النور يحتاج إلى عملية تنوير الباطن. وتلك من مهمة الشيوخ الحقيقيون الملهمون في التربية الروحية...

وفي نفس الإرشاد إلى الطريق السوي يقول جل جلاله: **"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"** وأهل الذكر هم المتخصصون، والعصر عصر التخصصات.. والمتخصصون في طريق المعرفة إلى الله هم أصحاب الحقيقة الواصلون المَوَصّلون، الذين خبروا طريق الوصول ومسالكه وتعرفوا على معادن النفوس، وطبائعها المختلفة، فكان على من أراد أن يسأل عن الحقيقة الإلهية، وأن يصفي الحسابات مع نفسه الغافلة الأمارة بالسوء، ويستبدلها بالنفس المطمئنة، ثم الراضية المرضية، ويتحول بها من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، كي يتعرض للفيوضات الربانية، أن يعمل - كما عملنا- بنصيحة ابن عاشر في المرشد المعين على علوم الدين، إذ يقول:

يصحب شيخا عارف المسالك يقيـــــه في طريقه المهالك "[103]

---

[101] حكيم الفضيل الأدريسي، التربية النبوية ص 144.

[102] قصيدة : " شربنا على ذكر الحبيب مدامة " - ديوان عمر ابن الفارض-

[103] أحمج لسان الحق، الحقيقة القلبية الصوفية ص24 و42

ويقول العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة، صاحب " إيقاظ الهمم في شرح الحكم": والناس ثلاثة أقسام :

-1- **قوم قنعوا بمقام الإيمان** ولم تُرفع همتهم لطلب العيان، وهؤلاء لا سير لهم فهم عوام المسلمين.

-2- **قوم تعلقت همتهم بالوصول** واستعملوا شيئا من عبادة الظاهر، لكن لم يظفروا بشيخ التربية، أو لم يقدروا على صحبته، ولم تسمح نفوسهم بالتجريد، وخرق العوائد، وهؤلاء صالحون أبرار، وهم أيضا من عامة أهل اليمين، سواء كانوا من الزهاد أو العباد، أو العلماء الأنجاد، حيث لم يخرقوا عوائد أنفسهم، لم يتحقق سيرهم (لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ؟).

-3- **قوم ارتفعت همتهم إلى الوصول**، وظفروا بشيخ التربية، وقوّاهم الله تعالى على صحبته وخدمته، وتجردوا من عوائدهم، فأشرقت بدايتهم بالمجاهدة والمكابدة وأشرقت نهايتهم بدوام المشاهدة، فهؤلاء من **خاصة الخاصة** وهم المقربون السابقون، جعلنا الله من خواصهم آمين.[104]

" وهنا ينبغي أن نقول بأن التزكية الكاملة لا تتحقق - عند القوم - إلا بصحبة المربّي الحي، لأنه كما يقول الشيخ مولاي العربي الدرقاوي في رسائله : لو كان الانتساب للأولياء المربين الأموات كافيا في التربية، لاكتفى الجميع بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ روحه هي أعظم روح مربيّة على الإطلاق. "**الرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم**[105]".

وعبّر عن هذه الحقيقة الشيخ سيدي أحمد التيجاني فقال:"- حسب ما نقله عنه تلميذه سيدي علي حرازم في جواهر المعاني - إعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه، ونفوذ مشيئته، أن المدد الواصل إلى خلقه، هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين. فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا، وصحبهم واقتدى بهم، واستمد منهم، فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات، طبع عليه بطابع الحرمان[106]".

و نجد نفس المعنى يتكرر- فيتأكد من ثمّ بالتكرار- عند الشيخ عبد القادر السماحي في ياقوتته :

دعوت إلى باب الكريم عباده دعاء **مأذون** لم يزل عن بصيرة
فيا **أهل عصرنا** أجيبوا دعاءنا فإني أدعوا للهدى **عن بصيرة**
فأي **دخول** كان من غير بابنا وأي **وصول** منه دون إشارة

---

[104] عبد القادر الكوهيني، خلاصة شرح ابن عجيبة،على متن الآجرومية في التصوف، ص 19.
[105] عبد الباقي مفتاح، مجلة الإشارة، ص 15، غشت 2001.
[106] المرجع السابق.

وأي وصول كامل دون **صحبة**   وأي اهتداء شامل دون منحـــــة

وهي أبيات اخترتها - دون مراعاة لترتيب النص- لأبين أن سيدي الشيخ يحث على الإقتداء بالشيخ الحي المعاصر المأذون، الداعي إلى الله على بصيرة، فهو بواب الحضرة، لا يمكن الدخول إلا بالرجوع إليه، وصحبته تضمن كمال الوصول وهذه الصحبة الحسية المباشرة التي يدعو إليها سيدي الشيخ، قاعدة ذهبية لم يشذ - ولا يشذ - عنها أي شيخ من شيوخ التصوف، قديما وحديثا، ولم يخلُ منها مرجع من المراجع الصوفية شعرها ونثرها، وقد أجمع عليها الجميع، وبلغ بهم القول إلى هذا التنبيه الخطير في ما ورد عنهم:" من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه.
(والشيخ المقصود هنا والمخصوص بواجب الصحبة هو الشيخ الحي، أما غيره، ففكرة ليست واردة عندهم البتة).
ويقول الشيخ عدة بن تونس (أحد شيوخ الطريقة العلوية) في هذا المعنى :

من لم يكن **بإمام الوقت** متصلا   مات ميتة تـُعزى إلى شَرِّ خلـــة
ولا يدرك معنى الحقيقة مهملٌ   إلا من له شيخ من أهل الولايـة
يريك فتدرك من نفسك نهضـة   تميط عنك اللثام في أدنى مـــدة

وبلغ التذكير بسيدي أبي الحسن الشاذلي إلى قول:

من لم يتغلغل في طريقنا هذه، مات مُصِرًّا على الكبائر وهو لا يشعر.

وهي طريقة تـُسلك، ومعرفة تـُدرك - بعد الصحبة - بالمعاناة والتجربة المباشرة إلى حد التغلغل كما سبق ذكره، لا بالنظر في الكتب، وقلقلة اللسان، وحفظ المواعظ، وترداد الدعاوى، والإنتساب الشكلي للتصوف، يقول أبو حيان التوحيدي:

يظن الغمْر أن الكـُتـْبَ تهدي   أخا ذهن لإدراك العلـــــــوم
وما يدري الجهول بأن فـيهـا   غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رُمْت العلوم بغير شيـــخ   ضللت عن الطريق المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتـــى   تصير أضل من توما الحكيم

ورغم أن سيدي الشيخ كان سليل شيوخ واصلين، عـُرفوا بعلو شأنهم في التصوف، واشتهرت – بوجود زواياهم – الواحاتُ الجنوبية، ورغم تمكنه من علوم عصره، ووفرة كتب التصوف التي نهل منها، وتعدد الطرق التبركية وكثرة الشيوخ الذين كانت تعج بهم المناطقُ القريبة والبعيدة، فإنه أبى إلا أن يبحث عن **الوارث المحمدي**، شيخ وقته، ووحيد عصره، فوجد ضالته في شخص سيدي امحمد بن عبد الرحمان السهلي، فانقطع إليه، والتزم خدمته، وأطنب في وصفه، ولهج بمدحه، يقول سيدي الشيخ في الياقوتة :

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زمانـنــــا	إليه انتهت فنون هذي الطريقــــــة
فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه	تسلسلت الاشيـــــــــاخ أهل العناية
فأولهم في الذكر شمس وجودنـــا	وقطب نهى علومنا اللدنيــــــــــة
أبو عبيد الاله يسمـــى محمـــــدا	إلى عبيد الرحمان يعزي بنسبـــــة
إليه انتهت رئاسة القوم فارتقـــى	على صهوات المجد من غير مرية
فعنه أخذنا أعني عن قمر الدجـى	ورثنا طريق القوم دون استرابـــة

وهذا ما اهتدى إليه- قبله وبعده - **خواص** الأرومة البكرية، ونخبة الشجرة الصديقية، في البحث عن شيوخ عصرهم، والتسابق إلى حضرتهم، والإقتداء بهم والصدق في خدمتهم، والتعلق بهم، لأن هذا المقصد شأن خطير، وعِلق نفيس، ومشرب شريف، لا يهتدي إليه إلا الفحول من الرجال، الذين سبقت لهم العناية، واجتباهم مولاهم لسؤدد الدنيا والآخرة، وإليك أسماء المشهورين منهم :

أعيان البكريين وشيوخهم في التصوف

السادة البكريون	شيوخهم	المرجع
سليمان بن أبي سماحة	الشيخ أحمد الملياني	تذكرة الخلان/ طواهرية ص 23.
محمد بن سليمان بوسماحة	الشيخ محمد بن عبدالجبار	تذكرة الخلان/ طواهرية ص 3
عبد القادر السماحي (سيدي الشيخ)	الشيخ امحمد بن عبدالرحمن السهلي	الياقوتة / تقوية إيمان المحبين/ منجنيق الصخور/ فجيج أ م بنعلي
الحاج بوحفص بن عبد القادر السماحي	الشيخ الشريف أبو محمد التبلكوزي	تذكرة الخلان ص 45عبد الله طواهرية.
الحاج إبراهيم بن عبد القادر السماحي	الشيخ حسن بن عبد العزيز بن رحال الكوش	كعبة الطائفين، محمد الصائم التلمساني ص.226
ابوحفص الحاج بن عبد الحكم (حفيد سيدي الشيخ)	الشيخ إبراهيم بن أحمد شيخ الواجدة (توات)	تذكرة الخلان ص 59 / طواهرية مفاتح الخيرات/ تحقيق طواهرية
ابن الدين (حفيد الحاج بوحفص الأبن)	الشيخ ابراهيم بن أحمد الشيخ أبوحفص الحاج	تذكرة الخلان/ طواهرية .H B .S,Cheikh.Un soufi S
سليمان بن عبد القادر (حفيد أبي حفص الحاج)	الشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية.	رفع الحجاب لسيدي أحمد سكيرج .
الشيخ بلحرمة (جد الشيخ بوعمامة لأبيه)	الشيخ مولاي العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الدرقاوية	الرواية الشفوية
الشيخ بن الطيب (زعيم الغرابة)	الشيخ العربي بن علي شيخ الطريقة الوزانية	الرواية الشفوية
محمد بن عبد الرحمان بن زيان (آل سيدي بنعيسى)	الشيخ سيدي الغازي بن العربي شيخ الطريقة الغازية	الرواية الشفوية
سليمان بن قدور(زعيم الغرابة)	مولاي عبد السلام بن العربي الوزاني	/MuchauxBellaire Martiniere et De la Croix
بوعمامة بن العربي (آل سيدي التاج)	الشيخ محمد بن عبد الرحمان الشيخ محمد العربي المدغري	أعلام المغرب العربي/ع بن منصور الإعلام / عباس التعارجي ج 7
قدور بن حمزة(زعيم الشراقة)	سيدي الكبير شيخ الطريقة الكرزازية	Un soufi Sidi cheikh Boubekeur.H
الطيب بن بوعمامة (آل سيدي التاج)	الشيخ أحمد العلوي المستغانمي- شيخ الطريقة العلوية.	رسالة سيدي الطيب إلى شيخه العلوي (انظر صورة الرسالة في الكتاب)
الطيب بلحاج العربي بن الشيخ بن الطيب	الشيخ الشهيد سيدي محمد الكتاني	الترجمة لمحمد الباقر الكتاني
الشيخ بن النعيمي آل سيدي الشيخ بن الطيب	الشيخ الشهيد سيدي محمد الكتاني	الترجمة لمحمد الباقر الكتاني
محمد بن عبد القادر الزياني	الشيخ الشهيد سيدي محمد الكتاني	الترجمة لمحمد الباقر الكتاني
علال بن الشيخ (زعيم الغرابة)	- الشيخ سيدي م. العربي المدغري شيخ الطريقة الدرقاوية	الرواية الشفوية
بوبكر بن علي بن بحوص بن الطيب	الشيخ سيدي محمد بن الحبيب الدرقاوي	الرواية الشفوية
الحاج عبد الكريم بن الطيب زعيم الغرابة بعد استقلال المغرب	الشيخ سيدي حمزة القادري بودشيش	بمعاينة وحضور الكاتب

ماذا نستخلص من هذا الجدول ؟

إنــه يـبيــن أن السـماحيين - منـذ جـدهم الأول أبــي سـماحة ، وعبـر القـرون اللاحقـة لفترتـه - كلمـا أشـرقت شمس الدلالـة علـى الله، و ظهر**الـوارث المحمـدي**، مجددا للطريقـة الصـوفية العرفانيـة، باعثـا لروحهـا، محركـا لمراسمها وآدابهـا، إلا وكان أعيانـُهم وخيارُهم من السبّاقين إليه، المنخرطين في سلكه، المنقطعين لخدمتـه لأنهم كانوا على دراية بشروط التصـوف فأدوهـا، وعرفـوا قدرالشـيخ المربـي الحـي فاتبعوه. ولا غرو أنهم توارثوا هذا الإستعداد أبا عن جد.

وقد اقتصرنـاعلى جدهم سليمان بـن أبـي سماحة فمـا دونـه فـي نسبهم، لانعدام المعلومـات المحققـة لـدينا عـن أجـدادهم السـابقين، ولا أسـتبعد أن يكـون هـذا ديـدن أسلافهم السابقين في اتباع الصالحين والإقتداء بالعارفين.

كمـا يُــبين الجـدول تنـوع الطـرق التــي انتسـبوا إليهـا، جـيلا بعـد جيـل، منهـا اليوسفية، والتجانية[107]، والدرقاويـة، والغازيـة، والوزانيـة، والكتانيـة، والكرزازيـة، والعلاوية المستغانمية، والقادرية البودشيشية.

كمـا يُــبين كـذلك، أنهـم عرفـوا هـذه الطـرق فـي أوجهـا، وتتلمـذوا علـى أيـدي أقطابها، وكانوا من خاصة أتباعها.

ولا يمكـن أن يكـون هـذا الجـدول شـاملا لكـل أعيـان أولاد سـيدي الشـيخ الـذين تتلمذوا لشيوخ عصورهم، وإنما هو أمثلة مختصرة ليست إلا.

والمثيـر للإهتمـام والإعجـاب معـا، أن هـؤلاء البكـريين أخـذوا عـن شـيوخ كـان جلهم أو كلهم من آل البيت، فكأنـي بهم - بهذا - كانوا يحرصـون على الإقتداء بجدهم الأعلى سيدنا أبي بكر الصديق، في صحبته للرسول الأكـرم صـلى الله عليـه وسلم، فيُثبتـون بـذلك اسـتمرارية التعلـق بـالعترة الشـريفة، و يؤكـدون الوفـاء الـدائم لبنــي المصـطفى، وفـاء لا تزيـده الأيـام إلا رسـوخا وشـموخا، ويجـددون جـيلا بعـد جيـل صورة المحبة النبوية الصديقية، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل.

وقـد شَهِــدْتُ - سـنة **2000** م بمقرالزاويــة القادريــة البودشيشـية بمـداغ ناحيـة بركان(المغرب)- المجلسَ العطر الذي أخَذ فيه عبد الكريم بن الطيـب[108] عن الشيخ سـيدي حمـزة القـادري بودشـيش، شـيخ الطريقـة القادريـة البودشيشـية التـي أعـادت للتصوف التربوي روحه، و سموّه، و ريادته، في عصرنا الحالي.

---

[107] أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، ص 89/ 140/ 220/ 221/ 247/238/236/226 .

يتـرجم أحمـد سـكيرج - صـاحب التـآليف الكثيـرة - لعشـرة مـن أعيـان أولاد سـيدي الشـيخ كـانوا مـن التلاميـذ المقربين من سيدي أحمد التيجاني، وقد نالوا لدية المكانة المرموقة :

- أبناء وحفدة أبي حفص الحاج بن عبد الحكم بن عبد القادر السماحي وهم : محمد بودوايـة وابنـه بـن زيـان، عبـد القادر (قدور بن بحوص الحاج) وابنه سليمان مؤسس الزاويـة الغربيـة وزعيم الغرابـة، وحفيده الطيب، جد عشيرة أولاد سيدي الطيب زعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة.

- ثم: بوسماحة وابنـه سليمان، احمد بـن عبد الرحمن وأخيـه أبـي حفص، عبـد القـادر بـن زيـان، وأحمـد الشـلالي، ومحمد بن معمر آل الحاج بن الشيخ الذي كان بتلمسان ثم استقر بوجدة وبها خلف ذريته: www.tijania.ma

[108] عبد الكريم بن الطيب البوشيخي . أنظر ترجمته في فصل أولاد سيدي الطيب.



الشيخ العارف بالله سيدي حمزة القادري بودشيش
شيخ الطريقة القادرية البودشيشية

وقد جَمَعَت ـ هذه الطريقة العرفانية- حولها العقول والقلوب الباحثة عن القدوة الحي والوارث المحمدي، الذي وجَدَته في شخص شيخها العارف المحقق، والواصل المُوصّل، نجيّ الحضرتين، ومجمع البحرين، وبؤبؤ العين، سيدي أبي جمال حمزة بن العباس القادري بودشيش، من له اليد الطولى في الدلالة على الله، اشتهر بذلك لدى الخاص والعام، وانتفع به الخلق الكثير من مشارق الأرض ومغاربها، وأسلس له القيادَ العلماءُ والصلحاءُ، شبابا وشيوخا،رجالا ونساء وأصبحت زاويته محج الباحثين عن الحقيقة العرفانية، من كل القارات، والمجتمعات، والأعراق، والشرائح. حتى لكأنه المقصود بقول الشاعر(إبن اللبانة الاندلسي):

إلَيْهِ و إلا قَيّدُوا قَدَمَ السُّـــرَى وَفِيهِ وَإلا أخْرسُــوا ألْسُنَ الحَمْدِ

وَعَنهُ أفيضُوا إنَّهُ مَشْعَرُ الهُــدَى وَحَــــوْلَيْه طُوفُوا إنهُ كَعْبَةُ القَصْدِ

وألْغوا حَديثَ البَحْر عِندَ حَديثهِ فكَمْ بَينَ ذِي جَزْرٍ وَكَمْ بَينَ ذِي مَدِّ

الزوايا البكرية التي تُنسَب لأسلاف سيدي الشيخ[109]

وهي زوايا تأسست قبل سيدي الشيخ من طرف آبائه وأجداده.

زاوية سيدي أبي سماحة:

أنشئت بتبو(الجزائر) بمعرفة كافة أولاد سيدي الشيخ، وأحفاد أولاد سيدي أحمد المجدوب، وأشرف على بناء الضريح الحاج الشيخ بن حمزة آل بن الدين، وعيّن تاريخ موسمه في شهر ماي من كل سنة، وأقيمت لجنة تعنى بذلك من أحفاد الشيخ المتواجدين بأدرار و ڤورارة، وأضيف إليها مسجد جديد.

زاوية سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف:

(تقع بني ونيف - الجزائر- جنوب فجيج، تبعد عنها بثمانية كيلومترات)
أم الزوايا البكرية إنشاء في المنطقة، وكانت لسيدي سليمان "رضي الله عنه أملاك من الحجوي الى ورقلة، وحبس كل ذلك على ولديه السيديْن أحمد المجذوب ومحمد بخلاف جنان برعود ببني ونيف فهو للزاوية القائمة، وفيه من أشجار الفواكه ما لا يحصى ولا يعد "[110] كما كان محبسا على الزاوية نخيل بواحة بورسفان شرق بني ونيف بحوالي كيلومتر واحد.
وقد توارث القيام عليها آل ابن عيسى من إبنه عبد القادر، فكانت ولا تزال عامرة، يُقرأ فيها القرآن، ويُكرم فيها الضيف، وتـُقام المواسم وتـُحيى المناسبات الدينية. وتَعَاقب عليها فقهاء أفذاذ وعلماء عاملون، وكان واسطة عقدهم الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن زيان تلميذ العارف بالله سيدي الغازي بن العربي[111]"وكانت تقدم للزاوية سنويا الهبات والمساهمات المادية، من طرف قبائل المهاية، حميان، العمور، وسكان فجيج[112].

زاوية سيدي أحمد المجدوب

أنشأها أحفاده ومقرها بعسلة ناحية العين الصفراء (الجزائر) ولها مرافق قديمة وقد أحدث القائمون عليها مرافق جديدة بعد سنة 2000 م ويشرفون على إقامة موسم سنوي، ويعاد تعيين القائم على شؤون الزاوية كل سنتين.

زاوية سيدي محمد بن سليمان

بالشلالة الظهرانية (الجزائر) يشرف عليها أولاد سيدي محمد بن سليمان فرع " الباقي" (البواقي)، ويتمثل دورها في استقبال زوار الضريح.

---

109 عبد الله طواهرية (رسالة خاصة)
110 عبد الله طواهرية، تذكرة الخلان، ص 79.
111 المرجع نفسه.
112 H-M-P .De Lamartiniére, et N. Lacroix, documents pour servir à l’étude du nord ouest Africain,(DPSENOA) p. 501.

الزوايا الشيخية والمزارات التي تنسب إلى سيدي الشيخ

الزاوية الشيخية بالعباد بفجيج :

أصبحت عبارة عن أطلال، بها معالم خلوة، وآثار مسجد، وزاوية، ودار. وحبذا لو وُجد من المحسنين من يقوم بترميمها، وإصلاحها، وإبرازها كأثر تاريخي له مكانته بين المعالم التاريخية التي تزخر بها فجيج .



في هذا المكان المحاذي لقبة سيدي بنعيسى كانت زاوية العباد التي أنشأها سيدي الشيخ وكان يستقبل فيها مريديه، وكان يجاوره فيها الفقيه ابن أبي محلي.

من المحتمل جدا أن يكون بن عيسى الأعرج (ابن سيدي الشيخ من زوجته فاطمة تامقرانت) هو الذي تولى القيام على زاوية العباد بعد رحيل أبيه، وقد روى عنه السكوني في كتابه تقوية إيمان المحبين سنة 1056هـ عدة كرامات شهدها لأبيه، مما يدل على وجوده بفجيج بعد وفاة والده.

لا نعلم متى انتهى العمل بهذه الزاوية، ولا كيف أهملت واندثرت.

توفي سيدي بنعيسى ودفن بالعباد، وفي سنة 1894م[113] بنى الشيخ بوعمامة قبة رائعة على قبره تنتصب على رأس تل يقع جنوب قصر الوداغير، وتطل على قصر زناقة من الشمال، وتقع أطلال الزاوية المذكورة بالجانب الغربي لهذا الضريح، ولا تزال بقية قليلة من ذريته في عين المكان.

[113] المرجع نفسه ص 61.

الزاوية الشيخية بآجدل بفجيج :

من المرجح أنها الزاوية الثانية التي أسسها سيدي الشيخ، بعد العباد، وبها مزاره، كما مر ذكر ذلك، وإبان الإستقرار المؤقت للشيخ بوعمامة بفجيج وقبل انتقاله إلى أنچاد ناحية وجدة، لاحظ تداعي قبة سيدي الشيخ بآجدل فجددها سنة **1898م**.
كما رمم معالم الزاوية ومسجدها الحاج عبد الكريم بن الطيب آل الشيخ بن الطيب سنة 1972م،عندما كان قائدا بملحقة بوعرفة، وبنى قاعة كبيرة لاستقبال الضيوف سنة 1998م، كما قام - رحمه الله - بمجهودات كبيرة، أثمرت بعد ذلك ربط الزاوية بشبكة الماء والكهرباء، ولم يدخر وسعا في التوسط لدى السلطات لإصلاح الطريق التي تصل الزاوية بفجيج. وكان يحرص على إحياء ليلة القدر بها زيادة على زياراته المتكررة بالمناسبات السنوية.
للزاوية مرافق وبها سكنات القائمين عليها من آل بنعيسى، ويقام بها موسمان سنويان:
الأول في يومي 21/20 غشت من كل سنة يحضره أولاد سيدي الشيخ، خصوصا من المغرب الشرقي، كما يحضره أعيان فجيج وغيرهم من المدعوين، وتلقى به عروض تتناول حياة سيدي الشيخ، وتُحيى فيه الليلتان بتلاوة القرآن وذكرالله وإطعام الطعام.
والثاني تقيمه في 10 أكتوبر بالتقويم الفلاحي من كل سنة قبيلةُ العمور- المنتشرة عشائرها بين بوعرفة وفجيج - ومقرها الرسمي بعبو لكحل، وهي القبيلة التي كانت تربطها بالسماحي علاقة المريد بشيخه، كما أنها من القبائل التي حاربت الغزو الفرنسي تحت راية أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة على السواء، ولا تزال وشائج المحبة تربطهما .
أنشأ أولاد سيدي الشيخ القاطنين بفجيج جمعية وضعوا من بين أهدافها إقامة موسم ثقافي سنوي للتعريف بسيدي الشيخ وتراثه ونشر مؤلفاته وغيرها من الأهداف التي تدور حول نفس الموضوع.



ضريح سيدي الشيخ، عبد القادر بن محمد السماحي بآجدل (السهلي) شرق فجيج.
يوجد داخل القبة، قبر المجاهد الشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة.
الذي توفي بنواحي عين بني مطهر ونقل جثمانه إلى هذا الضريح صيف سنة 1870م.
وجدد بناء القبة الشيخ بوعمامة بن العربي سنة 1898م.
التقطت هذه الصورة في 1906م.



صورة الضريح من نفس المكان، بعد مرور قرن من الزمان.
التقطت هذه الصورة في فبراير 2008
بعد مرور قرن وسنتيْن على التقاط الصورة العليا.

الزاوية الشيخية بالأبيض[114]:

حسب ما سبق ذكره، فإن الزاوية الشيخية بالأبيض هي الثالثة إنشاء، بعد زاويتي العباد وآجدل، أوالرابعة بعدهما وبعد زاوية أم چرار، وهي الزوايا التي انشأها سيدي الشيخ حال حياته.

عرفت - فيما بعد - زاوية الأبيض الإنقسام التالي:

1 -الزاوية الغربية : توجد بالقصر الغربي الذي كان أول قصر بناه سيدي الشيخ بالأبيض، ومر به الشيوخ الذين توارثوا المشيخة، كما هو معروف.

2 - الزاوية الشرقية : في فترة تولي ابن الدين أمر الزاوية، شرع في بناء زاويته بالقصر الشرقي، وكان هذا الحدث بداية تمايز الشراقة عن الغرابة.

3 - زاوية الحاج بحوص: توجد بالقصر ذاته أي الشرقي.

وتتميز كل زاوية من الزوايا الثلاث، باستقلالية دخلها، ومصارفها، وبخصوصية العبيد الذين كانوا يقومون على تسييرها. وسيأتي تفصيل ذلك.



ضريح سيدي عبد القادر بن محمد السماحي
بالأبيض سيدي الشيخ (الجزائر) حيث توجد
الزاوية الشيخية الغربية، والزاوية الشيخية الشرقية.

---

(114) الأبيض سيدي الشيخ : مدينة بالجنوب الوهراني، كان اسمها: "الحاسي الأبيض"، واختصرت إلى الأبيض وبعد دفن سيدي الشيخ بها أصبحت تعرف **بالأبيض سيدي الشيخ** (El-Abiodh Sidi cheikh)

أما **البيّض** (Bayadh) فهي مدينة تقع شمال الأبيض سيدي الشيخ، تبعد عنه بمائة وعشرين كلم وهي اليوم مقر ولاية وكانت تسمى في فترة الإحتلال بـ: جريفيل (Geryville). كما أن هناك قرية أخرى شمال المشرية تسمى **البيوض** (Biodh)، وهي في مجملها ثلاث بلدات في منطقة واحدة، وقد التبس أمرها على بعض الكتاب المتأخرين.

الزاوية الشيخية بأم چرار

يصنفها بعض المؤرخين كأول زوايا سيدي الشيخ إنشاء، ولكن غالبية من تعرضوا لهذا الموضوع، يضعونها في الرتبة الثالثة إنشاء بعد زاويتي العباد وآجدل.

زوايا أخرى نُسبت إليه

أرجح أنها أنشأت في حياة سيدي الشيخ ولكنها لم تعمر طويلا. إذ عندما ذاع صيته واشتهرت دعوته، أقبل عليه طلاب المعرفة من الشرق والغرب، وقد أثبت ذلك الشيخ السكوني عندما عرض لذكر مريديه، فكان منهم الفاسي والمراكشي والإزناسني والدراوي والتلمساني والتواتي ... وغير ذلك، ولاشك أنه كلما كان يأذن لمن يرى فيه أهلية الدعوة إلى الله كان يحث الكفء منهم عندما يعود إلى بلده، أن يُنشئ زاوية يدعو فيها إلى التصوف على نهج الطريقة الشيخية وتحت إشراف شيخها. وهكذا وُجدت، حسب الروايات الشفوية زوايا نسبت إلى سيدي الشيخ بمراكش، وفاس، وطنجة، وورزازات، وزاوية الشيخ (ناحية بني ملال) .

مزارات سيدي الشيخ بالمغرب

إيش

إيش قرية مغربية حدودية تقع شمال فجيج وشرق بوعرفة التي تبعد عنها بـ 70 كلم، يوجد بهذه البلدة مسجد يتسع لعشرة أشخاص أو أكثر، قد حُفر في سفح مرتفع يقع شرق القرية، وبه خلوة في الجانب الأيمن من المسجد، كان سيدي الشيخ يتعبد فيه، ولا زال أحد سكان أيش وهو سليل أحد أعيانها يحتفظ برمح سيدي الشيخ، وبعض آثاره الأخرى.

غَيْنة

يوجد هذا المزار على رأس هضبة منعزلة بين منحدرات ومرتفعات، شرق المريجة، وغرب عين بني مطهرالتي يبعد عنها بأربعين كلم. بنيت به أخيرا بيت للزوار، يتواتر أنها كانت متعبدا للمنقطعين لله منهم سيدي الشيخ. استقرت قربها زاوية سيدي بوعمامة المتنقلة فترة من الزمن، بها مقبرة ضمت قبورعدة فقراء ومقدمين كانوا صحبة سيدي بوعمامة منهم:

المقدم الشيخ بن سليمان (آل سيدي بنعيسى)
المقدم مولاي رشيد العلوي (من حمام ورقة - ناحية العين الصفراء -)
المقدم محمد بن الشيخ (آل الحاج بحوص) وغيرهم.

وراثة الزاوية الشيخية وشيوخها

حسب استقراء التاريخ وتقاطعه مع الروايات الشفوية، لم يظهر في الطريقة الشيخية – بعد مؤسسها – شيخٌ من الشيوخ المربِّين بالخصائص المصطلح عليها عند القوم، ورغم كثرة الشيوخ الذين تعاقبوا على تسيير الزاوية الشيخية بفروعها الكثيرة فإنهم لم يبلغوا مرتبة التربية التي تخضع لإذن خاص، ولم يثبت أن أحدهم كان صاحب طريقة صوفية واضحة المعالم، فاختص بمريدين محسوبين عليه، غير منسوبين إلى سلفه، إلا أننا لا يمكن أن نغفل شخصين اثنين قدما الكثير في سبيل تجديد الطريقة الشيخية وإحياء مراسمها التبركية وهما :

1- أبو حفص الحاج بن عبد الحكم (حفيد سيدي الشيخ) الذي أعاد للطريقة الشيخية روح التصوف الحق وجدد أورادها وسلوكها وإشعاعها، مع أن مشربه لم يكن من الطريقة الشيخية، ولا سند يصله بسيدي الشيخ، وإنما ألحقناه بالطريقة الشيخية لعلاقة النسب التي تربطه بمؤسسها ولأنه كان شيخ الزاوية الشيخية بوصية من أبيه الحاج عبد الحكم بن عبد القادر السماحي.

أخذ أبو حفص الحاج عن الشيخ إبراهيم بن أحمد القادري صاحب الواجدة (توات)، وإبراهيم هذا من الشيوخ الكثر الذين خلفهم الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي.

كان - لبحوص الحاج - باع طويل في التصوف، يتجلى ذلك من خلال كتبه: بهجة البهاج في التصوف، ومفاتح الخيرات في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والمؤلفة في أسماء الله الحسنى.

من خلال آثاره المكتوبة، استطعنا أن نعرف أنه كان متمكنا من علوم عصره، صائلا جائلا في فنونها، إلا أن الصراع الذي نشب بين أبناء عمومته حول الزاوية جعله يختار الرحيل إلى الديار المصرية - حسب بعض الروايات – أو أحد الحرمين الشريفين والاستقرار بها إلى أن وافاه الأجل.

2- الشيخ بوعمامة بن العربي آل سيدي التاج، الذي غلب الجانبُ الجهادي/السياسي على تصوفه، ورغم ذلك أعطى للطريقة الشيخية من العناية ما جعلها تسترد حيويتها وإشعاعها، وكان سنده كسابقه من غير الطريقة الشيخية، إذ أخذ في بداية أمره عن الشيخ محمد بن زيان ذي السند الغازي، ثم عن الشيخ محمد العربي المدغري شيخ الطريقة الدرقاوية.

لنا عودة للحديث عن أبي حفص الحاج وبوعمامة بن العربي بتفصيل أكثر.

فمن هو- إذن - وارث سر التربية عن الشيخ السماحي؟

لا نستطيع البت اليقيني حول شخص بعينه، ولكن الشكوك تحوم حول شخصين اثنين، ظهرت عليهما آثار المشيخة، وإن لم يتصدرا للدعوة إلى الله علانية، ولم يكن لهما الإشعاع اللافت للنظر، وربما مارسا تربية المريدين في شكل محدود: وهما

الشاذلي بن حمادي سليل العلامة سيدي عبد الجبار دفين قصر المعيز بفجيج، وخليفة الإدريسي الحسني دفين الخيضر(الخيثر)، ناحية المشرية- الجزائر-

* فالأول لا يختلف إثنان على ولايته " قبره مشهور تحت قبة جنائزية بيضاء تستقبل الناظر أول خروجه من البوابة الشمالية من قصر المعيز. ولي صالح، وخاشع قانت، من مريدي السماحي، ومقيدي بعض كراماته، ويظهر من مراسلاته أنه بلغ شأوا شامخا محمودا في طريق القوم والمجاهدة والسلوك، وانفرد بأتباع ومريدين يخدمونه، ويجددون به العهد ويستمنحونه خيره وفضله[115]"

* والثاني - الملقب بسيدي خليفة بالمولات- وهو أحمد بن امحمد بن عيسى، من ذرية المولى إدريس كما هو مشهور عنه، يتواتر أن الشيخ السماحي لقبه بـ"خليفة "، فقد تكون إشارة من شيخه له بوراثة السر، وخلافته له بعد وفاته وكلام القوم إشارات.

ضريحه بالخيضر يقام على ذكراه موسم سنوي مشهور في المنطقة، ولا تزال ذريته محترمة الجانب لفضل هذا العارف بالله وسمعته.

ولا يعني هذا - بحال من الأحوال - أن ذرية سيدي الشيخ كانت عقيمة عن إنجاب أولياء الله وأهل الصلاح والمعرفة، بل ظهر منهم العدد الكثير، على مدى القرون الماضية، ولا تزال فئات مِن خلَفِهم سائرة على نهج السلف، إلا أن الفرْق شاسع بين أن يكون المرء صالحا في نفسه، وبين أن يكون مُصلحا لغيره، إذ البروز والتصدر لإصلاح الغير يُشترَط فيه توفر أركان الدعوة إلى الله، وإلا أصبح الداعي مُدّعيا وأضر- إذاك - بأتباعه، وغرر بمعتقديه، وكان سبب اعوجاجهم، وتحمّل بذلك تبعات فسادهم ووزر جهلهم بربهم.

هكذا توارث القيامَ على الزاوية الشيخية، رجالٌ حافظوا على سيرها وعمارتها وبقائها واستمرارها، وإن اختلفت مشاربهم. كان أولهم الحاج بحوص ثم أخوه الحاج عبد الحكم، فبحوص الحاج، ثم آل أمر الزاوية إلى ابن الدين، الذي أسس القصرالشرقي بالأبيض، فكان- بعد وفاته - البذرة الأولى للزاوية الشرقية التي ستنفصل عنها الزاوية الغربية. .

ثم تفرعت الزوايا بعد ذلك، فحيثما تجمع أولاد سيدي الشيخ كانوا يقيمون زاوية ينسبونها إلى جدهم الأعلى أو إلى أحد أبنائه أو حفدته ممن ظهر صلاحهم، أواشتهروا بتقواهم. ورغم تعدد هذه الزوايا، فقد بقيت كلها تابعة للزاوية الأم بالأبيض سيدي الشيخ والمحصورة في شيخين إثنين:

* شيخ الزاوية الشيخية الغربية: كان يمثلها أولاد بحوص الحاج.

* شيخ الزاوية الشيخية الشرقية: كان يمثلها أولاد بن الدين.

بقي الأمر على ذلك طيلة قرنيين من الزمن (**من 1616 م إلى 1875م**). إلى أن ظهر الشيخ بوعمامة في **1875م** فأنشأ زاوية شيخية ثالثة - بأم جرار- كان هو مؤسسها،

---

[115]محمد بوزيان بنعلي، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي ص 365.

إلا أن هذه الزاوية الجديدة لم تستطع أن تكتسب اعترافا من قُطبَيْ الشيخية، اللذين كانا يقتسمان تسيير الزاوية الشيخية منذ الأمد المذكور، وبقيت زاوية بوعمامة خارج النظام التقليدي للطريقة الشيخية بالأبيض، لا تشارك في تأطير أو تغيير أو تسيير، واكتفى هذا المجاهد بما استقطبه من أتباع ومريدين، واستطاع رغم استبعاده، تقديم الكثير- ولومن بعيد - للطريقة الشيخية، نشرا وتنظيما.

الحاج بحوص (أول شيوخ الطريقة بعد وفاة مؤسسها)

بعد وفاة مؤسس الطريقة الشيخية الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي **1025هـ/1616م** عاد أمر الزاوية إلى ابنه الحاج أبي حفص المتوفى سنة**1071هـ** والذي كانت له سابقة في القيام على أمر الزاوية إبان حياة أبيه، وهو ما جعله يكون مؤهلا لهذه المهمة قبل وفاة أبيه، ولم ينازعه فيها أحد بعد وفاته.

أخذ الحاج بحوص عن الشيخ الشريف أبو محمد التبلكوزي المتوفى سنة 1036 هـ.

ترك من الأولاد أربعة هم :

الحاج الدين والحاج عبد القادر والأزغم وأبا الأنوار

كان الحاج بحوص الإبن الأكبر لسيدي الشيخ - وبعض الروايات تجعل من الحاج ابن الشيخ هو البكر وتجعل منه الرابع- وقد تصدر بعد وفاة أبيه لتسيير الزاوية، وكان كثير الحج - عُدّت له ثلاث وثلاثون حجة - ويؤثر عنه أنه كان يقول:"عام عند النبي وعام عند أبي."

التقى به في إحدى رحلات الحج، الرحالةُ المغربي الشيخ أبي سالم العياشي وذكر أنه كان من أهل الفضل، كما ذكره ابن أبي محلي في عدة مقاطع من كتبه، وهو الذي رافقه - إلى نواحي الشلالة - في أول زيارة له، يلتقي فيها بسيدي الشيخ سنة **1008 هـ** .

آثره أبوه سيدي الشيخ بثلث الزاوية- دخلا وإنفاقا- قبل وفاته،لِمَا رأى من كرمه ومؤازرته له في الإنفاق على المريدين واهتمامه بالزاوية، إذ قال له ذات يوم: أأنت مساعد أم معاند؟ فأجابه:بل مساعد، فجعله شريكا بالثلث في هذا العمل الرباني.

ولما قرب أجله بعث في طلب أخيه الحاج عبد الحكم الذي كان في السياحة، وعند حضوره أوصى له بالقيام بأمر الزاوية من بعده.

الحاج عبد الحكم (الشيخ الثاني للطريقة الشيخية)

عادت مسؤولية الزاوية إلى الحاج عبد الحكم الذي أطلق عليه أبوه إسم عبد الحكم، وهو إسم أحد أجداده لأمه، إذ أمه هي خديجة بنت امحمد بن عبد الكريم بن عبد الحكم .

كان سيدي الشيخ يُكِنُّ لصهره امحمد بن عبد الكريم هذا أيما تقدير وتعظيم، إذ كانا متصاهريْن كل منهما تزوج بنت الآخر، كما كان من أخلص مريديه، وأقربهم إليه، وهو سليل بيت علم وأدب وشرف، كان قاضيا بگرارة، ولما حمي وطيس الصراع الذي أعلنه ابن أبي محلي ضد سيدي الشيخ وأتباعه، نال امحمد بن عبد الكريم النصيب الوافر من آثاره، وكان أكثر من اصطلى بناره، واتُهم في وظيفته بالرشوة والظلم، وكانت أقوال ابن أبي محلي وكتاباته وراء هاته الإشاعات وسبب تلك المتاعب، وهمَّ القاضي امحمد عبد الله بن عبد الكريم بالتخلي عن خطة القضاء، والتفرغ للتصوف، وخدمة شيخه، ضَيقا بما أصبح يُنعت به، فلم يُجَاره في ذلك شيخُه - سيدي الشيخ - ونصحه بمواصلة عمله، والصبر على البلاء، وكانت ردوده على ابن أبي محلي في غاية التحمل والحلم وكف الأذى.
(أوصاه - سيدي الشيخ - أن يقوم بغسله والصلاة عليه بعد وفاته) .
كان الحاج عبد الحكم (إبن سيدي الشيخ) ميالا للسياحة، ثم استقر بعد وفاة أخيه سيدي الحاج أبي حفص بالأبيض بالقصر الغربي، واستمر في السهر على سير الزاوية، إلى أن توفي ودفن بالأبيض وقبره به مشهور، بعد أن خلف من الأولاد ثمانية هم :
عبد القادر وعبد الكريم والأزغم ودحمان وزيان وسليمان وإبراهيم و**أبوحفص الحاج.**

بحوص الحاج بن عبد الحكم (الشيخ الثالث وتجديد الزاوية)

هو أبو حفص الحاج بن عبد الحكم بن عبد القادر(سيدي الشيخ) وأمه من شرفاء أهل توات من نسل الشيخ سيدي أبي محمد التبلكوزي، وهو أصغر أبناء سيدي عبد الحكم، وسمي بأبي حفص الحاج مع تأخير لقب الحاج عن الإسم الشخصي، لتمييزه عن عمه الحاج أبي حفص. فهما إذن الحاج أبوحفص (الأبن) وأبوحفص الحاج (الحفيد) ولكثرة استعمال هذا الإسم دخل عليه التغيير من إسم أبي حفص إلى " بَحّوص" فلا يُعرف إلا كذلك.
لتأكيد تأهله منذ البداية لوراثة جده، تحكي الرواية الشفوية أنه كان لعبد الحكم بن عبد القادرالسماحي ثمانية أولاد، وتاسعهم طفل يتيم كان يتبناه يقال له ابن اعْمَيّر، وذات يوم ولأمر ما غضب الحاج عبد الحكم على خادم له يُسمى بالمْكَـعْوَكْ، ولإرضائه اشترى- هذا الخادم – لأولاد الحاج عبد الحكم ثمانية قمصان وثمانية طواقي، وذهب إلى الكُتـَّاب حيث كانوا يتعلمون القرآن الكريم فألبس كل واحد قميصا ووضع على رأسه طاقية، ليذهبوا بذلك إلى أبيهم فيبتهج لذلك ويعفو عنه، فأخذ كل واحد من أولاد الحاج عبد الحكم كسوته، إلا بحوص الحاج، فإنه فطن لليتيم الذي يتبناه أبوه، فرآه بدون كسوة فأعطاه العباءة واحتفظ بالطاقية، ولما ذهبوا لأبيهم ورأى ذلك، لاحظ أن أصغر أبنائه- بحوص- تنقصه العباءة فسأله أين

عباءتك؟ فقال:اقتسمت كسوتي مع أخي ابن عمير، فقال الحاج عبد الحكم: (عامية)" الشحم في الربعي" أي ما معناه أن أصغر أولاده، بحوص الحاج قد حاز الرضى الأكبر. ثم قال: لقد رضيت عن صاحب هذه الهدية ولو كان بلمكعوك.

عاد أمر الزاوية إلى بحوص الحاج (الحفيد)، الذي كانت تبدو عليه النجابة والميل إلى النسك والعفة منذ نشأته، توفي أبوه وهو صغير، فكفله عمه الحاج أحمد.

"حفظ القرآن الكريم في صباه، وتمرس بالعلوم النقلية والعقلية، ورحل إلى توات وكان عمه قد أشار له بذلك بقوله: إن بلوغ حاجته في زيارته لرجال الحشان، فيمم تلك الأصقاع، وتتلمذ لبعض علمائها، شأنه في ذلك شأن بعض أسلافه وأعمامه (أبو سماحة، وجده عبد القادر السماحي، وعمه الحاج أبي حفص) ونزل منطقة أوقروت بقصر تاله، فتزوج بها وله بها آثار، وظهرت له بها كرامات.

ثم عاد إلى موطنه وموطن أسلافه، أي الأبيض، فنزل مكانا يدعى البنود قرب الأبيض، وشرع في تدريس وتربية المريدين، وله هناك خلوة تدعى المرفوعة.

أخذ عن **سيدي إبراهيم بن أحمد القادري** المتوفى أواسط ذي الحجة سنة 1107 هـ، وسيدي إبراهيم هذا من آل موسى بن مسعود، يرتفع بنسبه إلى الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره. أخذ الشيخ إبراهيم بن أحمد عن الشيخ الشهير سيدي أحمد الملياني."[116]

يبدو من الكتب - المخطوطة - التي خلفها بحوص الحاج أنه أخذ بالنصيب الوافر من العلم، وتلقى تكوينا رصينا، وحتى لو لم تتوفر لدينا ترجمة وافية عن شيوخه في العلوم الشرعية فلا شك أنه طلب العلم في مظانّه، وعلى يد أربابه.

لا شك أن الشيخ إبراهيم بن أحمد السابق ذكره كان عمدته في التصوف، إذ لم تغفل لنا الرواية الشفوية أنه لزم خدمته، وابتنى - بعيدا عنه - دارا اتخذها له سكنا ولا تزال آثار الطريق التي كان يسلكها ذهابا وإيابا، من زاوية شيخه وإليها، ماثلة للعيان، وبقي على تلك الحالة إلى أن أذن له شيخه بالرحيل.

فكان من الطبيعي أن تؤول إليه مشيخة الزاوية الشيخية، نظرا لتكوينه العلمي واستقامته وتقواه، وتقول الرواية الشفوية أن أغلبية أعمامه، الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة، أخذوا عنه فكان لذلك يُلقب بـ "شيخ أعمامه."

توافد عليه طالبو الطريق إلى حضرة الله، وأصبح بحق مجدد الطريقة بعد خمودها وفتورها، وأقبل عليه الناس من كل فج عميق، وكان من أقرب المقربين إليه ابن عمه ابن الدين بن الحاج الدين بن الحاج بحوص.

أخلص ابن الدين في خدمة شيخه بحوص الحاج، بنفسه وماله وجاهه، إلا أن غيره من أحفاد سيدي الشيخ وقد أصبحوا كثر، كانوا ينفسون على ابن عمهم بحوص الحاج استئثاره بالزاوية، وإقبال الناس عليه دونهم، ولا شك أن بوادر

---

[116] أبو حفص الحاج بن عبد الحكم، مفاتح الخيرات، ومواهب البركات، ص: 4.

الخلاف بدأت تظهر منذ ذلك الحين، وملامح الشقاق أصبحت لا تخطئها العين، وقبل أن تطفو آثارها السلبية على السطح، عنت لبحوص الحاج (الحفيد) الهجرة إلى المشرق، تجنبا لأعمال يأباها التصوف الحق، واختار بمصر مستقره الجديد ويروى أنه كان يقول :

النون النون والسر المكنون إذا ما كان يكون في مصر يكون

هكذا عندما أعلن عن رحلته المشرقية، أقبل عليه أتباعه ومريدوه وأقاربه لوداعه وفودا وفودا، ويُحكى أنه كان في حال عظيم، ونشاط كبير ساعة الرحيل .
وتسوق له الرواية الشفوية هذه الكرامة عندما طلب منه أحد مريديه أن يدعو له برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له طهر بيتك ليلة الجمعة، وأطلق البخور، وعطر مكانك بالروائح الطيبة، وسيزورك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الأمر كذلك -حسب الراوي- فكان يحتفل بتلك الليلة، كل سنة، وبقي الاحتفال بهذه الكرامة في عقبه إلى وقت قريب.
وجاء دور ابن عمه وتلميذه ابن الدين، لوداعه، وكان من أدب هذا التلميذ أن يقف خلف شيخه، فسأل الأتباعُ والمريدون شيخـَهم بحوص الحاج قائلين لمن ستتركنا بعد رحيلك؟ يريدون بذلك معرفة وارث سره، فأجابهم على الفور: (عامية):
" خليتكم للصافي الوافي الواقف بين أكتافي، الشيخ بن الدين"، فلقبَه بالشيخ لأول مرة تعبيرا عن الإذن له بالمشيخة، وكلام الشيوخ إشارات لا عبارات، ثم التفت إليه قائلا : (عامية)
"الله يكثر فحولتك ورحولتك، ويغرس في الماء سبولتك، وصلتك إلى المائة فحل وفحل، وغاب الحساب."
تحكي الرواية الشفوية أن خادمه ابن غضيفة (الجد الأعلى لفرقة من عشائر أولاد عزيز) حينما رآه يدعو لمريديه، ويطنب في الدعاء لتلميذه ابن الدين، ذهب مسرعا فأتاه بابنه قدور رضيعا في قماطه (وهو أصغر أولاد بحوص الحاج) فوضعه بين يديه، قائلا: لمن تترك هذا؟ كأنه يـُذكـّرُه بذريته لمّا رآه مستغرقا في الدعاء لمريديه وأتباعه وكأنه نسي ذويه. فنظر بحوص الحاج لابنه وقال مشيرا لأبنائه الثلاثة (وهم : بودواية والشيخ وقدور) (عامية) :
" بودواية لفع، والشيخ سبع، وقدورالمدفع ".
ثم أضاف قائلا (عامية):" خيمتنا مبنية ونارها مقدية، وما يبقاش قدامها من يفايش، قاع تمشي فـيّة فـيّة، وتولي قدام خيمتنا عشايش. (فية فية أي فئة فئة)
خيمتنا فايدة ومايدة، لوكان تبقى غير ثراية الخادم زايدة."
بعد ذهابه إلى الشرق، لم تورد الروايات الشفوية عنه شيئا، فربما أنه توفي في الإسماعلية بمصر في طريق عودته إلى بلاده، أو ربما أنه آثرالعزلة والخمول في

ناحية من نواحي مصر، أو انقطع للعبادة بجوار الكعبة، أو اختار الإقامة بالمدينة المنورة، حتى يتجنب أن يلح عليه قومـُه بالعودة إلى ديار رأى من الخير- له ولهم - الرحيل عنها. فلا نعلم - إذن- تاريخ وفاته ولا مكانها.

آثاره الفكرية:

(1) كتابه مفاتح الخيرات، ومناهل البركات[117].

جاء على غرار كتاب دلائل الخيرات، الواسع الإنتشار، للإمام سيدي محمد بن سليمان الجزولي المتوفى(سنة 870 هـ) يشبهه في المبنى والمعنى والعنوان إلا أنك تستروح- في مفاتح الخيرات - عبق الروح الصوفية، يتخلل فقراته، ويتضوّع من فصوله وكلماته، لكثرة المصطلحات الذوقية، التي يرصّع بها الكاتب صلواته: كالفناء والبقاء، والأنوار والأسرار، والملكوت والناسوت، والعشق والجمال والكمال....الخ.

لن ندع هذه الفرصة تمرّ دون أن نقطف ونشـمَّ من هذا الروض البهيج، روض الصلاة على النبي صلى الله علية وسلم بعض الزهرات العطرات .

يقول الشيخ أبو حفص بن عبد الحكم آل سيدي الشيخ :

اللهم صل وسلم وبارك على معدن الأسرار، و منبع الأنوار، مِلء ما غشيه ليل الأكدار، وتجلى عليه شعاع النهار، سيدنا ومولانا محمد تاج الكرام ومصباح الظلام، المخلوق من بهاء كمالك، وسنا جلالك، نوره قبل تكوين خلقك، تعظيما لحقك، وإلهاما منك إليه.

اللهم صل وسلم وبارك على نور البهاء، وغاية النهاء، روح الخلق، القائم بالعدل والإنصاف الصادق، صاحب الأنس والفراديس، ومقام التنزيه والتقديس، عقد السلوك، و تاج حضرة الملوك.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله، صلاة تدوم له من بحار عذب حبك، حتى يروى من خالص طيب كرمك، الناشيء من أنوار جمالك وصل وسلم وبارك على الذي تنبهر الأبصار في طلعة وجوده، و تبهت الأفكار في وصف شهوده، نور معارف الألوهية من غير كيف، وسر أحكام الربوبية في كل هيف.

اللهم صل وسلم وبارك على الذي خاضت العقـول في بحـر تعظيمك وتعظيمه وحارت دون إدراك صفاتك وكماله، وكلت مدائح المادحين لجلالك وجماله، سيدنا محمد تاج عروس غيب الملكوت، ومنتهى فخر الجبروت، صلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله ما غنى مغن في طلب مراده.

اللهم صل وسلم على الذوق العالي، الساطع من بروق جمالك وجلالك، الذي تغشاه سطوة الكبرياء والقهر من صفات كماله، فيبرز منه عرق السنا بفرحة نوني

---

[117] أبوحفص بن عبد الحكم، مفاتح الخيرات، تحقيق عبد الله طواهرية.

السنا والنصر والتأديب، قاتل المشركين بسيوف الانتقام، وقائد الغر المحجلين إلى دار السلام، السيد الكامل، والنور الأسنى الشامل، ذو المواهب الساطعة، طه أحمد التاج الأكرم وغاية البدور اللامعة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، زنة ثقل الكثائف المضمومة، وعدد خفة اللطائف المجسومة.

اللهم صل وسلم وبارك على الذي توجته بتاج العز والرضا والإكرام، وجعلته طاووس الراجعين لدار السلام، سيدنا ومولانا محمد، غاية العارفين، ورحمة العاصين، ونهاية الواصلين، صلى الله وسلم وباررك عليه وعلى آله، عدة العقول لكل تصريف، ووسيلتها لمن ليس له تكييف.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله ما تجردت كثائف من الأكدار، وما فتح لها من الأنوار.

اللهم صل وسلم وبارك على صاحب السر الأكبر، والقدس الأزهر، جوهرة الملك والملكوت، مقام العزة والجبروت، وعلى آله.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله سر الأنس، وحضرة القدس الفتحة الربانية، وبهجة الأسرار العرفانية.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله، ما سبح سابح في بحار بأذكار، وما تجوهر باطن من جولان أفكار...

(2) كتابه بهجة البهاج المشهودة، في تنزيه من لا يكيف أحد وجوده :

ونقتصر على مقدمة الكتاب التي جاء فيها:

" قال الشيخ الولي الصالح العارف بالله سيدي أبي حفص الحاج بن عبد الحاكم بن الغوث الهمام السيد عبد القادر بن محمد المكنى الشيخ أبوعمامة (كناية تطلق على الشيخ السماحي):

الحمد لله الموحد عن توحيده، العلي المتعالي عن تعاليه، في أزلي علو جلاله، القدوس المقدس عن تقديسه، السبوح المنزه عن تنزيهه، الذي لا افتتاح لكمالات وجوده، ولا سبيل لإدراك جلال شهوده، أحاط بكنه ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله نحمده حمد الوالهين السالكين، ونشكره شكر المجذوبين الواصلين، فله الحمد على ما حمد نفسه بنفسه، وله الشكر على ما شهد بكمال وجود أزلي ذاته، حمدا وشكرا يوافي ما تزايد من محض فيض نعمه، كما ينبغي لجلال وجه ربنا وعظيم سلطانه ونور قلوب العارفين بأنوار نبوءة نبيه، وأطلق ألسنتهم بعبارات أسرار إشاراته، سيدنا ومولانا محمد معدن الأسرار، ومنبع الأنوار، صلى الله عليه وسلم وعظم وعلى آله عدد جواهر الملك وأعراضه، وما تأين في الأين من كل جوانب قراره واعلم يا أخي أنه لا يجوز لأحد أن يخوض في الكنه إلا بعد معرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز، وها إنَّا إن شاء الله نتكلم عليه، ومعرفة الله تعالى قسمان حسي ومعنوي، رسمي وذوقي، أصلي وفرعي، كسبي ووهبي، فأما القسم

الظاهر الحسي الرسمي الأصلي الكسبي ينقسم على أربعة أقسام نفسي وسلبي ومعاني ومعنوي، فالنفسي صفة واحدة وهي الوجود بكل كمالات شهود، ومعنى الوجود هو الذي لا تعقل الذات إلا به... بل هو الموجود القائم بنفسه ولا تعرف الذات إلا به، ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف، ولا بعرض فالعرض باستحالات البقاء موصوف ، ولا بجسم فالجسم بالجهات محفوف، بل هو خالق الجواهر والأعراض والأجسام والأصوات والحروف ."

(3) المؤلفة في أسماء الله الحسنى.

(4) أشعاره (من الملحون):

نظرت للسين والعـــــين	والطا جـــاه مـــــزروب
لفعى كلات نجعيـــــن	ذا ميت ذاك مكبـــــوب
بين الصاد والخـــــا	ثمة تجيك الأخبـــــار
الميخوذ ما صاب صـــرخا	في الأطراف شعلت الـــنار
شفت بالحال شمـــــيت	هذا ضر من اكبايـــــر
من جنسي تعريـــــت	شعلت النار في الدزايـــر
هذا غيم هب من غـــرب	ورعود فيه قامـــــو
بسلاسل وسيوف للضـــرب	ذا ميت ذاك مقطوع لجامــو
هذا عام ضيقة الـــروح	بعض الناس مالو سلامـــة
ذا ميت ذاك مطـــروح	هذا باز كلا حمامـــــة
في ربع الأنصـــــاف	ثمة تشوف العلائـــــم
هذا باز خطـــــاف	كلا جميع البهائـــــم
ما خلينا من بعدنا خليفــــة	إلا من هو صافي ووافـــي
من لا صدق ما طلع بحـرفة	واضرب على جرته الساقي
منين غدا يظهر بكشفـــــة	و لا ينتهى بنظر خـافـــي
باقي بين كلفة وشظفـــــة	ونورصدره في الظلام طافي
طلعناكم درجة وغرفـــــة	ورفعنا الحجاب بصاع وافي
ومّنا في الوطا المخفـــــى	وعمرنا الخزاين برمزعرفـي
كن للخلق بأحســـــان	واكظم الغيض في ساعة الأهوال
لا تكون فيه بخـــشـــان	وفصيلات الحليم غاية الأفضـــال
اكرم الضيف في الهـــيف	واعط المعروف لصاحب الأمسال
لم صدرك فوض امـــرك	واعرض عن من فـــيك قـــال
عام ستة احرث القـــمح	وعام سبعة تبـــــيعو
عام ثمنية يخلق الرمـــح	وعام تسعة تريـــــعو

تهول الحال تـــــــــهوال والسلطان مالو زيــــــــادة
وارتج من كان يســـــال والحكم مالو إفــــــــــادة
الشمس على حال تغيــب والظلام قريب في الـــــداج
وارجح من كان ينبــــــا والريح هب رجــــــــراج
لو عرفت الناس لرمـــــاز كل واحد لخوه يـــــــغدا
اللي ياتي كثير وجــــــاز ما اعظمها يا الـــــناس شدا

علىّ نور هلال والتـــــــاح ونزل من كان عالــــــــي
وين النور اللي كان وضـــاح ويحك يا من تكون تالـــــي
من كان معزوز يرخـــــس ويبخس من كان غالـــــــي
الضو على حال يفـــــلس عذاب من ليس ليه والـــــي
لو ساعفتني الناس في الـــراي كل واحد يغدا لخوه عـجـــلان
أيام الهول في الحـــــــــي ويحك يامن لا تكون فـطـــان
في رايك توقع الندامـــــــة ويحك يا من بوه سلــــــطان
ويحك يا جامع الـــــــمال والمال كثرو شـــــــرورو
سال على جامع الحـــــــال والحال منصور نـــــــورو

ابن الدين: حفيد الحاج بحوص (الشيخ الرابع)

لا شك أن اختيار ابن الدين من طرف بحوص الحاج (الحفيد)، للقيام بعده بدور شيخ الطريقة الشيخية، كان اختيارا ربانيا، لا دخل فيه لأي اعتبار، ولا نستبعد أن تكون هذه المبادرة جاءت لكي تتناغم - تلقائيا - مع تهدئة وترضية أبناء عمه الحاج بحوص، حتى لا يستفحل الخلاف بعد رحيله.

كانت مسؤلية جليلة، وأمانة ينوء بحملها العارفون، وهكذا عادت مشيخة الزاوية إلى آل الحاج بحوص. وَوَاجَهَ بن الدين برباطة جأش، مصاعبَ تسيير الزاوية، وكابد خشونة وحزونة التواصل مع أبناء عمومته كما كابدها سلفه من قبل، وحافظ مدة حياته على السير وفق نهج أسلافه، برفق وتؤدة ولاقى اعتراضا كبيرا وعنتا كثيرا من لدن قرابته من آل بحوص الحاج، كان يقابل ذلك بالحلم والصبر وتحمل الأذى، ولما طفح الكيل، رحل عنهم إلى القليعة، التي أصبحت تسمى المنيعة (لامتناعه فيها عن الرجوع إلى الأبيض) حيث اعتزلهم، ولكنهم لم يَدَعُوه في عزلته، إذ ذهب أعيان أولاد سيدي الشيخ وسكان المنطقة يستعطفونه، للرجوع إلى الأبيض، والقيام على الزاوية، فامتثل وعاد إلى مهمته.

اضطر إلى بناء القصر الشرقي، وانتقل إليه تجنبا للإحتكاك بأبناء عمومته بالقصر الغربي. قدّم أعمالا جليلة تمثلت في انتشار صيت الطريقة الشيخية، وإنشاء الزاوية بالقصر الشرقي، و بناء أضرحة أسلافه، إذ بنى أربعة منها

بالأبيض، كما بنى ضريح محمد بن سليمان بالشلالة الظهرانية، وضريح معمر أبي العالية بِرْبَا، وبنى قبابا غيرها.

آثاره:

تروى له عدة قصائد منها هذه القصيدة الجفرية[118]:

باسم الله خالقـــي ربي مولاي … صلوا على النبي طه المعصــوم
ماذا من الهموم اللي راها جايـة … بين القرم والاسلام والـــــــروم
الثعلبي قال للمولد غايــــــــة … عيد لي اخبار الجيل المغشـــوم
نعم قال ليه إمام الصلايـــــة … نعيد لك ما قال الحي القيـــــوم
قرن ثلطاعش في القسمة الثانية … خمسين عام يراوها غير همـــوم
ثلاثين عام كامل الناس مداويـة … ستة وزد عشرة للترك حـــــكوم
تخرج النصارى من مصرالدوية … يرجع الى للوطنه سلطان الـــروم
من بعدها يفيضوا بعساكر قاوية … شرق وغرب يملكها في يـــــوم
يدخلوا الدزاير يلقوها ساهيـــا … تازة ويدخل للفاس المكـــــروم
يجوا على الحرشا بعساكر قويا … جردان من النصارى في التل تهوم
خبي مبنية ودواير ومطـــــأي … البكرا من النسا يهدوها للـــــروم
زوجتك احلالك تعطيها ليه فداي … بها تفك عمرك وانت مذمـــــوم
هو اللي في حكامه بلغو غايـــة … مائة والف راية جنده مخـــــدوم
في يوم السبت يحط جالوت هناي … دور وهران في قرن الـــــدوم
منا إلى الابيض والدنيا داويـــة … هذا السلام وهاذا يهدي للـــــروم
ثمة تقول وين اولادي ونســاي … الجوع والعطش في الصحرامقسوم
يا طالب سمعتك تقرا الآيــــة … ياك الجهاد فرض علينا معلـــوم
جيب الكتاب رواح هدر معاي … بحري عميق ما تقدر فيه تعـــوم
لسلام الكل لبست الكفر عبايــة … العباد كلـــــها ولت رجعت روم
الدرسة تخلطت ماصابت ذراية … بلاك تقول هذاالوعد يـــــــدوم
لباي بوحميدي عزي وهنـــأي … يحط فالسبا والقومان طمــــــوم
برحوبولد فاطمة في كل ثنايـة … لا قيس لاقدر نطقه بالمحـــــكوم
طـُغات في زمانه ما يسوساوية … والله لا كلاو ربيع مظلــــــــوم
الغرب لابسه ذا السلطان عباية … لحلاف جابها بعلامه مرقـــــوم
نهاراللي يخرج لها جيش الراية … تصفى يلحقها بتبنها مـــــردوم
الشريف سوسي ما فيه سعايـــة … يفتح باب مكة من ثم يقـــــــوم
راكب فوق ناقة بيضا جرايـــة … يسموها جبيلة هاذوك الـــــقوم

---

[118] الجفر: علم الحروف والمغيبات، يقول أصحابه أن سيدنا علي كرم الله وجهه هو أول من تكلم فيه، ثم الإمام جعفر الصادق .

من باب سوس جا عوج القْطاية	في سرب قايلين علامه مرقـــــوم
في راسها يقطع بيده مضايـــــة	وجنون من السما على الكفار تحـوم
يهداومدونها من اهلها خاليـــة	قال الكتاب في ليـــة والا يـــــوم
يا ويح تلمسان تروح سعايــــة	يمشوا ناسها في كرعين القـــــوم
حرام سبحتي واولادي وانساي	الا سمعتها من شفيع القــــــوم

إنقسام أولاد سيدي الشيخ إلى غرابة وشراقة

إن تصنيف أولاد سيدي الشيخ إلى غرابة وشراقة كان في بدايته- قبل أن يضع الإحتلال الفرنسي الحدود المغاربية - يعني بكل تلقائية ووضوح واختصار:
أن الشراقة يقطنون شرق قبة سيدي الشيخ، والغرابة يقطنون غربها

استُعمِل هذان المصطلحان للتمييز بينهما، نظرا للخلاف الحاد والمزمن الذي كان يفصل بين الفريقين، والذي كان يحدد بدقة الولاء والإنتماء لهذا الفريق أو ذاك زيادة على تموقعهما الغربي والشرقي بالنسبة لقبة جدهما، بعد ما ابتنى الشيخ بن الدين قصرا خاصا بالشراقة (شرق القبة) مقابلا للقصر الغربي الذي بناه سيدي الشيخ واختص به الغرابة.

نجد على غرار ذلك حميان الغرابة والشراقة والعمور الغرابة والشراقة ولا يعني ذلك أن الغرابة مغاربة والشراقة جزائريين، كما نجد في أي مكان آخر قبائل تنقسم إلى شرقية وغربية، تبعا لموقعها وانتشارها شرقا وغربا بالنسبة لمكان مشهور، أو موقع معلوم، أو مدينة معينة.

أصبح هذا التمييز المكاني العشائري - البسيط في أصله - هوية وطنية لم تكن في حسبان أولاد سيدي الشيخ، لأن معاهدة دولية (لالة مغنية 1845م) أضفت عليه صبغة القانون، بعدما تأولته تأويلا خاطئا بناء على سوء فهم، ودون أخذ رأي المعنيين بالأمر، وهو ما اعترف به - بعد فوات الأوان - جل المسؤولين الفرنسيين. وأصبح الشراقة جزائريون والغرابة مغاربة بموجب المعاهدة المذكورة[119].

أسس الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد زاويته الأولى بفجيج، بأمر من شيخه سيدي امحمد بن عبد الرحمان السهلي، وكان – وهو مستقرا بفجيج – لا ينقطع عن الإقامة المؤقتة بالأبيض التي كانت قرية أهله كما يورد ابن أبي محلي، متحدثا عن الزروقي (ابن سيدي الشيخ) أنه "كان بالأبيض وهي قريتهم". وسميت بالأبيض سيدي الشيخ بعد دفن هذا الأخير بها.

119 H-M-P .DE LA MARTNIERE et N. LACROIX, documents pour servir à l'étude du nord ouest Africain (D.P.S.E.N.O.A.) Page 46.

كانت أرض الأبيض ملكا للشيخ أبي دخيل بن الحسين القادري، وبعد وفاته أصبحت هذه الأرض نصيب ابنته كلثومة من إرث أبيها، والسيدة كلثومة كانت زوجة لأحمد المجذوب (عم سيدي الشيخ)، وكان سيدي الشيخ صهرًا لعمه بزواجه من ابنة عمه جويرية بنت أحمد المجدوب ، وربما عن طريق الإرث أو البيع أوالهبة أصبح سيدي الشيخ يمتلك أرض الأبيض.

انتقل سيدي أبو دخيل من الأبيض، وأسس قصر العين الصفراء الذي اشترى أرضه وما جاورها من أصحابها مقابل ألف رأس من الغنم[120].

عندما توفي سيدي الشيخ دفن شرق القصر الذي كانت به زاويته بالأبيض، فسمي- منذئذ- القصر الغربي، لكونه يوجد غرب القبة التي أصبحت بعد دفن سيدي الشيخ بها محورَ قرية الأبيض وقلبها النابض. وبقي الأمر على حاله حتى تولى الشيخ ابن الدين - الشيخ الخامس - شؤون الزاوية، فبنى قصرا شرق قبة سيدي الشيخ، ولتمييزه عن القصر الغربي أصبح يدعى القصر الشرقي، وتوالى بناء القصور بعد ذلك إلى أن بلغت ستة قصور سنة **1897**م .

اعترف الفرنسيون بجهلهم بسر تصنيف أولاد سيدي الشيخ إلى غرابة وشراقة، وفهموا– خطأ – في أول تعرف لهم عليهم أن الشراقة جزائريين ومن ثم تابعين للإيالة الفرنسية، والغرابة مغاربة تابعين للإيالة المغربية[121]، وهذا الخطأ هو الذي تكرس رسميا في البند الرابع من معاهدة لالة مغنية(**1845**) بين الدولتين الفرنسية والمغربية. والواقع أن أولاد سيدي الشيخ غرابة وشراقة، أرضا وسُكانا كانوا مغاربة بالولاء والتقليد لسلاطين المغرب سعديين ثم علويين.

والأبيض سيدي الشيخ هي قرية من جملة قراهم. وإذا كان لهم احتكاك مؤقت بالسلطة التركية (باي وهران) فلأن الأطراف الشمالية من أراضيهم كانت تمثل الحدود الشبه متعارف عليها بين الإيالتين التركية والمغربية[122].

واحة الأبيض سيدي الشيخ، عبارة عن حوض كبير- يُسمى الفرعة- يحيط به ارتفاع أرضي نسبي، يشبه هذا الحوض في شكله قصعة كبيرة، قد توسطته قبة سيدي الشيخ وأحاطت بها سبع قباب حيث يدفن بعض أولاده .

من المعلوم أنه بعد الجيل الأول بدأ أولاد سيدي الشيخ في التكاثر، وبدأت تتحدد معالم القبيلة وفروعها. فقد أنجب سيدي الشيخ ثمانية عشر ولدا مات سبعة منهم دون أن يُخَلفوا، وترك الباقون - وهم أحد عشر ولدا – ذرية تناسلت منها عدة فروع، وأصبح كل فرع يسمى باسم جده من هؤلاء الأحد عشر جدًا (أولاد الحاج

---

[120] O.Depont et X.Coppolani, Les confreries Religieuses Musulmanes, p 471.
et voir : Khalifa Benamara, la Saga des Boubekria, d'après la traduction de Dardour Samir (site Ain Sefra)

[121] De La Martiniere et Lacroix ,DPSENOA, p789.

[122] أحمد مزيان، فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي القرن التاسع عشر، ص 480.

بحوص، أولاد الحاج عبد الحكم،أولاد بنعيسى، أولاد التاج ..الخ) وهم على ذلك إلى الآن.

في حياة سيدي الشيخ تفرق أغلب أولاده في المناطق القريبة والبعيدة، ولم يشتهر منهم إلا الحاج بحوص، والحاج عبد الحكم، اللذان تسلما المشيخة تباعا، ومحمد الصديق والزروقي لمشاركتهم في حلق العلم بفجيج، ثم بن عيسى، أما الباقون فرغم خمولهم لم يكونوا أقل من إخوانهم فضلا وجودا وتقوى.

ثم جاءت الطبقة الثانية وهم أحفاد سيدي الشيخ، فشاع من بينهم ذكر بحوص الحاج، بن الدين، إبراهيم بن التاج، عبد القادر بن عيسى وأخيه علي بن عيسى، ومحمد بن زيان بن عبد الحكم.

بعد أن كانت الزاوية الشيخية موحدة في شخص ابن الدين(وقبله في الشيوخ الأربعة السابقين)، انقسمت - مباشرة- بعد وفاته الى زاوية شرقية وغربية (كما مر بنا وكما سيأتي تفصيله):

- أولاد سيدي الشيخ الغرابة (لـَغْرَابَه) (**O.S.C.Gheraba**) **أو كما يدعون اختصارا : الزْوَا الغرابه**: لاستقرارهم غرب قبة الشيخ السماحي في الحي المسمى القصر الغربي (بالأبيض). ثم أصبحت تـُقصد به مجموعة متعاطفة بينها، تضم بعضا من: أولاد الحاج عبد الحكم/أولاد الحاج بن الشيخ/أولاد الحاج ابراهيم/أولاد التاج/أولاد امحمد عبد الله/أولاد الحاج أحمد....وغيرهم.

- أولاد سيدي الشيخ الشراقة (الشْرَاقه) (**O.S.C.Cheraga**) **أوكما كانوا يدعون اختصارا : الزْوَا الشراقه** : لاستقرارهم شرق قبة سيدي الشيخ في الحي المسمى القصرالشرقي (بالأبيض) ثم أصبحت تقصد به مجموعة متعاطفة بينها، تضم بعضا من: أولاد الحاج بحوص/أولاد عبد الرحمن/أولاد المصطفى/ أولاد الحاج أحمد .... وغيرهم.

انحصر الخلاف الحاد والصراع الدموي الطويل بين فرعين اثنين، أما الباقون - من فروع أولاد سيدي الشيخ - فكانوا إما تـَبَعاً ومتحالفين مع هذا أو ذاك أو منعزلين تماما عن الخلاف، ومنهم قلة كانت مواقفها تتقلب مع الظروف والأحوال فتارة هم في هذا الصف وتارة في الصف المقابل[123] وابتعد بعض المحايدين عن بؤرة الصراع، ورفضوه جملة وتفصيلا، والتحقوا بالمناطق البعيدة شمالا وجنوبا وكانت لهم تجمعاتهم بقراها ومدنها[124].

أما طرفي الصراع فقد تزعمتهما الفرقتان التاليتان:

-1- أولاد **الحاج بحوص** الذين أصبحوا يُدعَون - بعد ذلك - أولاد **ابن الدين** ثم أخيرا صاروا يعرفون **بأولاد سيدي حمزة.**

[123] De La Martiniere et Lacroix, DPSENOA, page 783.

[124] لا تزال ذرياتهم توجد بنواحي وهران وتلمسان، وفي الواحات الجنوبية بتوات، وفي نواحي فاس بالمغرب.

-2- أولاد **الحاج عبد الحكم** الذين أصبحوا يُدعَون - بعد ذلك - أولاد **بحوص الحاج** (البحاحصة) ثم أخيرا صاروا يعرفون **بأولاد سيدي الطيب**.

كيفية تسيير الزاوية الشيخية بالأبيض

أرسى سيدي الشيخ - قبل وفاته وبوصية منه - نظاما خاصا، تسيرعليه الزاوية يضمن لها حسن الأداء، ويدرأ عن أبنائه وذريته مصائب الخلاف وعواقب الشنآن، فقد اختار لهذا الغرض عبيدا كانوا من مريديه، أعتقهم لوجه الله، وحمّلهم مسؤولية تطبيق النظام الذي حدده، وطوقهم أمانة جمع المال من المريدين والمحبين وإنفاقه على الزاوية وزوارها. وأوصى بأن تبقى هذه المهمة فيهم وفي ذرياتهم[125]ولا شك أن هؤلاء الأشخاص كانوا من خيار مريديه، إذ لا يُعقل أن يَمنع - سيدي الشيخ - أبناءَه من تسيير الزاوية وهم أكفاء، ويضع مصيرها في أيدي أشخاص غير مؤهلين، بل اختارهم لتقواهم وإخلاصهم وصدقهم، وقد كانوا- فعلا- أهلا لهذه الثقة الربانية، وبرهنوا عبر القرون عن جدارتهم بحمل هذه الأمانة.

يتلخص النظام الذي حدده لهم سيدي الشيخ في كون هؤلاء العبيد/الأحرار، يقومون مرة في كل سنة، بالطواف على أتباع الزاوية، ومحبيها، فيأخذون منهم، ما أصبح مع الزمن يطلق عليه (عامية): الغفارة، أو الغفر، أو القبض، أو الزيارة أوالهدية، وكلها حسب المناطق والجهات تعبر عن النذر، أو المساهمة المادية التي كان سيدي الشيخ يلزم بها أتباعه ومريديه[126]بتأديتها سنويا، لتغطية مصاريف الزاوية، وما تحتاجه لإستقبال ضيوفها والإنفاق على خدمها وطلبتها والمقيمين بها.

كان هذاالواجب (الغفر أو القبض) يتحدد حسب القبائل، فهو رأس من الإبل، أو شاة من الغنم - عن كل عائلة - عند البدو الرحل، وهو كمٌّ من التمر عند أهل الواحات، وقدر من الدراهم عند أهل المدن، وكلٌ ينفق حسب طاقته وعلى مقدار محبته لشيخه.

كما أن عبيد الزاوية - كما كانوا يُعرفون- مُلزمون كل سنة، بتقديم جمل وجارية وفراش(زربية)، للقيّم على زاوية ابن عبد الرحمان السهلي (شيخ سيدي الشيخ)[127].

لا شك أن سيدي الشيخ كان يتوخى من هذا النظام إبعاد أبنائه بالكلية، عن الإعتماد على مال الزاوية، الذي حبَّسه صاحبُه على الإنفاق على حاجاتها، وليصرف هِمَمَهُم إلى الأعمال التي تضمن لهم كرامة الدنيا والآخرة وعلى رأسها تقوى الله وعليه مدار الأمر كله.

---

[125] De La Martiniere et Lacroix, DPSENOA, p. 766.
[126] O.Depont et X. Coppolani, les confreries Religieuses Musulmanes , p 470.
[127] Ibid, p. 470.

احتُرم هذا النظام طيلة مشيخة ابني سيدي الشيخ (الحاج بحوص والحاج عبد الحكم) وطيلة مشيخة حفيديْه (بحوص الحاج وابن الدين).
فكانت الزعامة الروحية لشيخ الزاوية الشيخية، والتسيير المادي - تحت إشرافه- لعبيد الزاوية، إلا أنه بعد وفاة ابن الدين، ونظرا للثروة الهائلة التي أصبحت تتدفق على الزاوية، وللزعامة التي أصبحت قبلية/ سياسية أكثر منها مشيخة روحية كان بديهيا أن يستحوذ الطمع على النفوس، فتهفو إلى الزعامة والإشراف على حركة أموال الزاوية، ولا بدع - إذن - أن يشب النزاع، ويحتدم الخلاف، وكلٌ يريدها لنفسه، ويأبى أن يترك لغيره الفرصة لينفرد بها، كيف لا وهم فروع لأصل واحد، فكان هذا أول إخلال بالنظام الذي أرساه جدهم سيدي الشيخ، وسَيَجُر عليهم عواقب وخيمة لعدة عقود.
وإذا كان أولاد سيدي الشيخ قد انقسموا سياسيا إلى قسمين كما يُعَرّفُهُم المؤرخون :

أولاد سيدي الشيخ الغرابة وأولاد سيدي الشيخ الشراقة

فإن الزاوية الشيخية - من حيث تسييرها المادي - كانت تنقسم إلى ثلاثة :

-1- الزاوية الشيخية الغربية.
-2- الزاوية الشيخية الشرقية.
-3- زاوية الحاج بحوص.

وعلى هذا الغرار كان ينقسم العبيد الساهرين على التسيير إلى ثلاثة أقسام:
* **العبيد المسيرين للزاوية الغربية** وكانوا في 1897م تسعة أشخاص:
- بوحفص بن علال/ الشيخ بن علال/ عبد الرحمن بن الحاج محمد/ بن الدين بن أحمد/ العربي ولد بودواية/ الخثران بن أحمد/ بوحفص بن الشيخ/ بوحفص بن المحنوش/ الشيخ بن أحمد، وإخوانهم أولاد علال المسيرين للزاوية الشيخية الغربية المتنقلة.
* **العبيد المسيرين للزاوية الشرقية** وكان يتزعمهم في 1897م شخصان:
- محمد ولد الحاج الناصر/ الهواري بن أحمد. وإخوانهم مع الزاوية الشيخية الشرقية المتنقلة.
* **العبيد المسيرين لزاوية سيدي الحاج بحوص** وكان منهم واحد فقط في 1897م
- محمد بن الدين.
(ولا تزال بقية من ذرياتهم تتوارث بعض المهام في الزاوية، وأن كانت أقل مما كانت عليه بكثير).
أما المسؤلية العليا والإشراف على التسيير فكان لشيخين اثنين، شيخ الزاوية الشيخية الغربية، وشيخ الزاوية الشيخية الشرقية، والثاني منهما تحت نفوذه زاويتان: الزاوية الشرقية وزاوية سيدي الحاج بحوص.

<u>كيفية تسيير الزاوية من فترة حياة سيدي الشيخ إلى وفاة ابن الدين:</u>

في فترة مشيخة:	تسيير الزاوية:
- مؤسس الطريقة (سيدي الشيخ)	**ثلثان لسيدي الشيخ / ثلث للحاج بحوص.**
- الحاج بحوص (الابن)	**مسؤول عن الأقسام الثلاثة كلها**
- الحاج عبد الحكم	**ثلثان لعبد الحكم وثلث للدين**
- بحوص الحاج (الحفيد)	**ثلثان له وثلث لابن الدين**
- ابن الدين	**مسؤول عن الأقسام الثلاثة.**

<u>كيفية تسيير الزاوية بعد الاتفاق الذي أنهى المواجهة الأولى بين الغرابة والشراقة</u>

<table>
<tr><th colspan="2"><u>الزاوية الشرقية</u>
(شيخها من آل بن الدين)</th><th rowspan="2"><u>الزاوية الغربية</u>
(شيخها من آل بحوص الحاج)</th></tr>
<tr><th>زاوية الحاج بحوص</th><th>الزاوية الشرقية (ابن الدين)</th></tr>
<tr><td>لها ثلث الزاوية أعطاه سيدي الشيخ لابنه الحاج بحوص في حياته.</td><td>أخذت ثلثاً واحدا ، هو نصيبها من الزاوية الشيخية بالأبيض.</td><td>أخذت ثلثاً واحدا، هو نصيبها من الزاوية الشيخية بالأبيض. إذ لا حق لها في زاوية الحاج بحوص.</td></tr>
<tr><td>3/1</td><td>3/1</td><td>3/1</td></tr>
</table>

الصراع المسلح بين الغرابة والشراقة: (1765 م-1871 م)

التدافع بين الناس سنة فطرية من سنن خلق الله، والصراع على الزعامة والتملك والبقاء ظاهرة طبيعية يعرفها - كما يعرفها الإنسان - عالَمُ الحيوان والنبات. ولكن عندما تُفقَد السلطةُ الضابطةُ لهذا التدافع - بين البشر- بشرع سماوي أو قانون وضعي تصبح لغة الغاب سائدة، ولا مكان حينئذ للحديث عن المباديء والقيم.

بسبب غياب سلطة تَفرضُ قوة الشرع وسريان مفعوله، كانت قبائل الجنوب الوهراني - ككل القبائل في ذلك الوقت - تتحاكم لقوتها وعصبيتها، في كل خلافاتها التي غالبا ما تكون حول السيادة والماء والكلإ والثأر... الخ، إلا أن أغرب هذه الخلافات، كان خلاف أولاد سيدي الشيخ حول الزاوية، وأغرب ما فيه تحوله إلى معارك مسلحة طاحنة**!**

إذا كانت الزاوية مؤسسة تربوية تهدف إلى الوصول بروادها إلى مكارم الأخلاق فماذا دهى آل زاوية سيدي الشيخ، فدبُّوا للعداوة وهبُّوا للإقتتال؟

حتى لا نتسرع في الحكم عليهم، والإنتقاص من قدرهم وشأنهم، علينا أن لا ننسى أن ذاكرة التاريخ حُبلى بأخبارالحروب بين الأخوة في النسب، أوالعقيدة، أوالمذهب، أوالحزب،لا يُستثنى- على الإطلاق- مكان ولا زمان.

لا نشك أن من بين جيل أحفاد سيدي الشيخ، كان يوجد الصالحون والعارفون بالله - أمثال بحوص الحاج و ابن الدين وعبد القادر بن عيسى وأخيه علي و إبراهيم بن التاج وغيرهم **وهم قلة**- وكان يوجد مسعرو الفتن، ومثيرو القلاقل **وهم كثرة،** يؤكد هذا فِرَارُ بحوص الحاج منهم إلى مصر بدينه، واعتزال ابن الدين الفتنة بالمنيعة، ولما توفي هذان الشيخان خلا الجو لأهل المكائد والدسائس، فسمموا الأجواء، وأوغروا الصدور، وأشعلوها نارا كلما خبت وجدت من يزيدها سعيرا.

كان ابن الدين - وهو شيخ الزاوية الشيخية - يجد المضايقة من أبناء بحوص الحاج، وهم يتساكنون جميعا بالقصر الغربي وهو إذاك القصرالوحيد، ففكر - تجنبا للقرب المثير للإحن- أن يبتعد عنهم، فأنشأ القصر الشرقي.

لما توفي ابن الدين، طالب أولاد بحوص الحاج بعودة مسؤولية الزاوية إليهم، فامتنع أولاد ابن الدين بحجة أنهم ورثوها عن أبيهم (ابن الدين) فهم أولى بها من غيرهم، فما كان من أولاد بحوص الحاج إلا أن أنشأوا - كرد فعل - زاوية بالقصر الغربي.

استحوذ أولاد ابن الدين على موارد الزاوية بحكم وراثتهم للزاوية الشيخية، ورَفضوا الإعتراف بالزاوية الغربية التي كانوا يرونها غير شرعية.

بعد إحياء زاويتهم الغربية، طالب أولاد بحوص الحاج، بموارد الزاوية كلها على اعتبار أنهم القيّمون على الزاوية الشيخية الأصلية التي أنشأها مؤسسها سيدي الشيخ

(عبد القادر بن محمد) بالقصر الغربي، وأن الزاوية الشرقية لا أصل لها واعتبروها وليدة أحداث عابرة.

حاول أهل الفضل تقريب الهوة بين الفريقين، ولكن رغم ذلك، بعدت بينهما الشقة وكان الشراقة يرون أن تصرف الغرابة إعتداء على شرعية الوراثة، وكان الغرابة يرون أن تصرف الشراقة إستفراد إستعلائي بالزعامة وموارد الزاوية، وأن حقهم من الشراقة يؤخذ انتزاعا، لأن الحق يُؤخذ ولا يُعطى، حسب قولهم.

واندلع الصراع المسلح بين الغرابة والشراقة بمعركة "وادي سڤر" ، التي قاد فيها سليمان بن عبد القادر(حفيد أبي حفص الحاج) أولاد الحاج عبد الحكم مدعومين بحميان، ضد أولاد الحاج بحوص المدعومين بمواليهم، وكان يبلغ إذاك من العمر تسعة عشر سنة، ورد الشراقة بزعامة العربي بن الدين عليهم في معركة "الوادي الغربي"، وكانت الغلبة للغرابة[36] ، وتدخلت الأيدي الخيرة لرتق هذا الفتق، وتكررت محاولات البحث عن حل لهذا الخلاف، قبل أن تنتهي الوضعية إلى صلح سنة **1765م** يَترُكُ ثلثا لزاوية الحاج بحوص (وهو الثلث الذي أعطاه سيدي الشيخ لابنه الحاج بحوص حال حياته)، ثم يُقسم الثلثان الباقيين بين الشراقة والغرابة لكل فرقة ثلث.وشهد هذا الصلح زعيما الفريقين وهما:

- العربي بن ابن الدين زعيما للشراقة.
- سليمان بن عبد القادر بن بحوص الحاج زعيما للغرابة، الذي شرع بناء على هذا الصلح، في ترتيب أمر الزاوية الشيخية الغربية سنة **1766م**.

بعد هذا التمايز الحاد بين الشراقة والغرابة، أصبح التنافس في كل شيء، ومحاولات التفوق على الخصم في كل مناسبة، وسيبقى هذا العداء مستحكما في ذريتهما إلى سنة 1972م حيث تفتر حدته، وكان انبراءُ الشعراء لمدح هذا وذم ذاك يُغَذي هذه المظاهرالعدائية بينهما. وأفرزت هذه الفترة - رغم ارتكاسها في حمأة الصراع السياسي- شخصياتٍ لمعت في سماء التصوف، والسياسة، والأدب، سنعرض لها لاحقا.

بعد وفاة العربي بن الدين، خلفه ابنُه ابوبكرالمدعو "مولى الجامع" لبنائه مسجدا بالقصر الغربي، وكان رجلا صالحا تقيا، وكان له من الأبناء: الجديد والمعراج، والنعيمي، واختارهذا الأخيرَ من بينهم، ليُفوِّضَ له أمر الزاوية قبل وفاته سنة **1805م**.

كان لزعيم الغرابة سليمان بن عبد القادر ولدان : أحمادو ومحمد، مات محمد شاباً وترك ولداً واحداً إسمه الطيب، تربى في حضن جده سليمان حتى أصبح يدعى الطيب بن سليمان .

أغار - النعيمي - زعيمُ الشراقة، على الغرابة بالمكان المسمى "ڤور سيدي امحمد " وانتصر عليهم، وذلك للثأر للهزيمتين اللتين ألحقهما بهم الغرابة في وادي سڤر

[36] ibid, p. 472. et voir De La Martinière et Lacroix, DPSENOA, p. 784.

والـوادي الغربـي، واللتـان بموجبهمـا تنـازل الشـراقة للغرابـة عـن ثلـث الزاويـة، واعترفوا من ثمة بالزاوية الشيخية الغربية.

بعـد هـذه المعركـة، تصـالح الفريقـان مـن جديـد، وحـاولا تثبيـت هـذا الصـلح بالمصاهرة بينهمـا، فربمـا نتج عن الزواج جيلاً تجمعه وشائجُ الرحم، ومن ثمة تـَفتر بينهمـا عواصـف الحقد والقطيعـة، وهكذا خطـب النعيمـي لأخيـه الجديد ابنـة سليمان بـن عبد القـادر زعيم الغرابـة، وتزوجهـا بالفعل، وكـان زوجهـا- الجديد - معروفا في الوسط القريب والبعيد، بحدة الطبـع، وثقل الظـل ولتوضيح صـورته : دَعْنا نصفه بما وصف به امرؤُ القيس حصانـَهُ القوي في معلقته، إذ يقول عنه :

مِكـرٍّ مفـرٍّ مُقبل مُدبر معـــــاً كجلمود صخر حطه السيل من عل.

فكانت معاملته لزوجته بالعنف والإزدراء، مما جعلها تشكوه لأخيها أحمادو، الـذي زارهـا لمحاولـة الصـلح بينهمـا، ولكنـه استـُـقبل اسـتقبالا غيـر لائـق، وأهـين بـالكلام والمعاملـة، فأسـرَّها فـي نفسـه ولـم يبـدها لهـم، وقفـل راجعـا متوعـداً إيـاهم بالإنتقـام، وبعد أيـام أقبل صـحبة أفراد من عمومتـه (أولاد بودوايـة) وبعث للجديد وإخوته، ينذرهم بمجيئه، ويحثهم على الإستعداد للدفاع عن أنفسهم، وهذا مـا كانـت تفرضه شيم الفتـوة، والتقيـا فـي معركـة أسـفرت عـن مقـتل الجديد وأخيـه المعـراج، ورجـع أحمـادو إلـى أهلـه، ومـا لبـث الشـراقة أن اسـتعدوا للثـأر منـه، فانقضـوا عليـه بالمكان المسمى "شعبة الهربة"، فسقط من الشراقة عدة قتلى قبل أن تنتهي المعركة بسقوط أحمادو كذلك قتيلا.

ثم عرفت العلاقـة بـين الفريقين هـدوءاً نسـبياً، ومصـالحة بينهمـا، فـي فتـرة كـان زعيم الغرابة الطيب بن سليمان منصرفا إلى العبادة والإبتعاد عن سفاسف الأمـور، ومن أجل المحافظة على هذا الصلح زوج الطيب ابنه الشيخ من بنت النعيمـي زعيم الشـراقة، إلا أنـه بعد فتـرة اغتنم الشـراقة سلبية - الطيـب- ومسـالمته، فهـاجموه فـي معركة "القْليتة" وكبدوه و قومَه خسائر كبيرة. وبعد وفاته سـنة **1818م** تـولى زعامـة الغرابة ابنه الشيخ بن الطيب[128].

ليثأر لهزيمة أبيه في "القْليتة"، هاجم الشيخ بن الطيب- صـهره - بـوبكر الصـغير زعيم الشراقة، في"التواجر" (ناحية الشـلالة) وفـي "أم الفيـران" ثـم فـي"الشْـريعة" قرب الغاسول، وهزمه أخيرا في معركة "جبل سيدي العابد" شرق عين بني مطهر سنة **1833م**.[129]

كانت معاركهم تشبه أيـام العرب فـي الجاهليـة، فقد كـان لكل فريق شـاعره الـذي يخلد انتصـاراته، ويمجد أبطالـه، ويهجـو أعداءه، فكـان للشـراقة شـاعرهم جلـول (آل ابن الدين) الذي شبّبَ في إحدى قصائده بنساء الغرابة، للنكاية بهم وهـي قصـيدة لـم

---

[128] Le Capitaine Panssard " Arbre géanologique des O.S.Cheikh", De La Martinière et Lacroix, DPSENOA (Planchette).
[129] O.Depont et X. Coppolani; les confreries Religieuses Musulmanes,p.72.

نعثر عليها للأسف، ولكنها أثارت رد شاعرالغرابة الشلالي بن المازوزي، بقصيد لم تـُحفظ لنا منه إلا هذه الأبيات(ملحون)

قل للـــــــجلول واش ذا الشي تـــــقول مول الفم الـــــمحلول
عُرتـك في النجـــــوع

وليت أنت مخلب تسب في عـيال النسب ذاك دبلون مشــــــبّب
داير به سمّ اللفـــــــوع

من متـــــليلـــــي الى للباباعلـــــــــــي جاي بغوايـطك طللي
دافع بالفـــــــــــزوع

هاذوعَظـم الجـود مدمّرين الحســـــــود يوم البــــــــــارود
ما يعزوا اعمـــــــــار

بعد وفاة بوبكر بن النعيمي تولى زعامة الشراڤة حمزة بن بوبكر، الذي بتوليه، تقترب الجيوش الفرنسية الغازية من مواطن أولاد سيدي الشيخ، فيضطر زعيما الشـراڤة والغرابـة للإجتمـاع للتفكيـر فـي توحيـد موقفهمـا ضـد الخطـر الـداهم، والإحتلال القادم، ويحاولان من جديد رأب الصدع، وجمع اللحمة خصوصا أن الشيخ بن الطيب كان زوجا لعمة حمزة وهي ذهيبة بنت النعيمي التي أهديت أختـُها الياقوت لتكون زوجة لسلطان المغرب[130].

بدأ زعيما الشراڤة والغرابة التنسيق بينهما، لتوحيد المقاومة، ولكن معاهدة لالـة مغنيـة(بين المغرب وفرنسا) أتت لتجعل من الشـراڤة تـابعين للإيالـة الجزائريـة، والغرابة تابعين للإيالة المغربية، فانفرط العقد مرة أخرى وأصبح لكل فريق مواقفه ومواقعه، وهو ما سنعرض له لاحقا.

كانـت قـوات الإحـتلال لا تنفـك تحيـك المـؤامرات والدسـائس للوقيعـة بينهمـا، بواسطة عملائها المبثوثين وسط الغرابـة والشـراڤة، ولـم تكـن تـَخفى عنهـا مـواطن الضعف، ومكامن الخلل، فدقت بينهما إسفين الخلاف ليصطدما من جديد في معركة عڤلـة السـدرة يـوم **1871/8/3م** التـي سـقط فيهـا زعيمـا الغرابـة الحـاج العربـي وأخيـه سليمان قتيلين، على إثر الهجوم الذي شنه - ذلك الصباح - قدور بن حمزة زعيم الشراڤة على الغرابة.

تقلد معمر بن الشيخ زعامة الغرابة بعد مقتل أخويـه، وتوعد الشراڤة بالإنتقام، وهو ما وفـّى به في معركة الحمادة، حيث قتل من الشراڤة وأتباعهم مائـة وخمسين رجلا، وعاد إلى منطلقه بكل ممتلكات قدور بن حمزة فـي **1871/12/23م**. وكانـت هذه **آخر المعارك** المسلحة بين الغرابة والشراڤة.

[130] Si Hamza Boubekeur ; Un soufi ,Sidi Cheikh , p.143.

فترات التفاهم والوحدة - بين الشراقة والغرابة- أثناء المقاومة 1845-1883م

التاريخ	زعيم الغرابة / زعيم الشراقة	المعارك المشتركة ضد الاستعمار
1845	**الشيخ بن الطيب / حمزة بن بوبكر**	**أول معركة ضد فرنسا**
1867	**سليمان بن قدور / أحمد بن حمزة**	**عدة معارك مشتركة**
1869	**الحاج العربي / قدور بن حمزة**	**معركة القارة الغشوة**
1871	**معمر بن الشيخ / قدور بن حمزة**	**معركة ماقورة**
1873	**سليمان بن قدور / قدور بن حمزة**	**معارك ضد الاحتلال**
1882	**بوعمامة / سليمان بن قدور/ قدور بن حمزة**	**معركة زكّدو**

أحداث الصراع المسلح بين الشراقة والغرابة
(1765م/1871م)

زعماء الشراقة	الأحداث	زعماء الغرابة
العربي بن الدين	**هجرة أبي حفص الحاج إلى مصر واستخلافه لإبن عمه ابن الدين ، في مشيخة الزاوية الشيخية.** **وفاة ابن الدين أوائل القرن الثامن عشر الميلادي.** **الاختلاف** حول زعامة الزاوية الشيخية ، والتحاكم إلى السلاح	**قدوربن بحوص**
بوبكر بن العربي	**معركة** وادي سقر (**أول معاركهم**)، **ومعركة** الوادي الغربي، ثم **الاتفاق على اقتسام** الزاوية إلى ثلاث زوايا. محاولة الصلح بتأكيد ذلك بالمصاهرة ، التي لم تنجح.	**سليمان بن قدور**
النعيمي بن بوبكر	**معركة** قور سيدي امحمد عبد الله، سقوط الجديد و أخيه المعراج من الشراقة ، ثم الثأر بقتل احمادو بن سليمان من الغرابة في **معركة** شعبة الهربة.	**أحمادُو بن سليمان**
بوبكر الصغير	**معركة** القليتة	**الطيب بن محمد**
حمزة بن بوبكر	**معركة** التواجر و**معركة** أم الفيران **معركة** الشريعة قرب الغاسول **معركة** جبل تاندرارة **معركة** جبل سيدي العابد	**الشيخ بن الطيب**
قدور بن حمزة	**معركة** عقلة السدرة حيث قتل الحاج العربي وسليمان (الغرابة) عندما هاجمهم قدور بن حمزة زعيم الشراقة .	**الحاج العربي**
قدور بن حمزة	**معركة** المنقوب بالحمادة (**آخر المعارك** بين الشراقة والغرابة)	**معمر بن الشيخ**

الخلاف السلمي بين الشراقة والغرابة حول تسيير الزاوية (1972-1873)

رغم اقتطاع عدة مدن وقرى من الإيالة المغربية وإلحاقها بالإيالة الجزائرية من طرف الإحتلال الفرنسي (ومن بين هذه القرى الأبيض سيدي الشيخ، الشلالة، بوسمغون وتيوت وأم چرار...) ورغم اضطرارأولاد سيدي الشيخ الغرابة - في حالة الحرب - إلى إخلاء ديارهم والإنسحاب غربا، فإن نفوذهم على القصر الغربي بالأبيض سيدي الشيخ ظل على حاله، وبقي ولاء سكانه من أولاد سيدي الشيخ الغرابة وأولاد سيدي إبراهيم وعبيد الزاوية الغربية وأولاد العقبي وغيرهم لزعيم الغرابة (الشيخ بن الطيب) يأتمرون بأمره ولا يصدرون إلا عن استشارته في الصغيرة والكبيرة مما يهم الشأن العام المتعلق بالزاوية.

عندما استتب الأمر للإحتلال الفرنسي في الجزائر والمغرب، توقف الصراع القبلي المسلح الذي كانت القبائل عامة تتحاكم إليه عند نشوب الخلافات بينها، أما فيما يتعلق بأولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، فقد لبس الخلاف بينهما - حول الزاوية الشيخية - ثوبا جديدا، نستطيع أن نسميه خلافا سلميا.

فبعد خروجه من منفاه في حماية شيخ الزاوية الوزانية سنة 1887م، وبعد السجن الجماعي - بمكناس- الذي تعرض له أعيان الغرابة على يد المخزن المغربي التحق علال بن الشيخ بن الطيب، زعيم الغرابة، بالمنطقة الشرقية، حيث عينه- بعد ذلك - السلطان مولاي عبد العزيز، قائدا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وكان بالوراثة - في الوقت نفسه- شيخا للزاوية الشيخية الغربية، التي يوجد مركزها بالأبيض سيدي الشيخ بالقصر الغربي وأصبحت متنقلة، في عهد شيوخها الذين كانوا في حالة استنفار دائم ضد الإحتلال وقواته، مما أرغمهم على عدم الإستقرار بمكان معين.

في المقابل- أي لدى أولاد سيدي الشيخ الشراقة- بعد وفاة قدور بن حمزة، أصبح أخوه الدين بن حمزة شيخا للزاوية الشيخية الشرقية وبعد وفاته، تنافسها العربي بن قدور بن حمزة الذي طالب بها بحكم وصية من أبيه، كما طالب بها ابن عمهم حمزة بن بوبكر(الحفيد) وخلصت في الأخير لذرية الدين بن حمزة.

وبناء على كون الزاوية الشيخية تتكون من ثلاث فروع، فقد كان يُقسم ضيوف زاوية الأبيض إلى ثلاث، كل زاوية تأخذ ثلث الضيوف لإكرامه وإيوائه وهذا في المواسم التي يُعَد الوافدون عليها بالآلاف، أما في الأعداد القليلة فلا يَعْدمُ الضيوفُ من يستقبلهم سواء من الملتزمين بخدمة الزاوية أو من أولاد سيدي الشيخ القاطنين بالأبيض، أو من عامة أهله.

كان **عبيد الزاوية** يتمتعون بالمكانة المرموقة عند القبائل، فهم محل تقدير وتوقير أين ما حلوا وارتحلوا، ولم يكونوا يستنكفون عن هذا اللقب لأن ثقافة العصر يومئذ كانت لاترى في ذلك غضاضة، بل كان هذا الإسم عند خِيارهم

مدعاة للشعور بالشرف، إذ هم في الأصل أحرار، انقطعوا - بوصية من شيخهم - لخدمة مريديه ومحبيه وضيوفه، وقديما قال الشاعر(المقنع الكندي) في هذا المعنى:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

كانوا يتوسطون بين الأشخاص والقبائل لحل المعضلات فلا ترد لهم شفاعة، وكانت بيوتهم مقصد الزوار، ومستراح الضيفان.

لابد - رغم اتضاح معالم نظام التسيير ودقته- أن يوجد في القوم من يثير الغبار، ويزرع العواصف، للطمع الذي جُبلت عليه الطبائع، وعُجنت منه النفوس البشرية فتعددت الخلافات والنزاعات بين أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، وذهبت بهم الأهواء كل مذهب.

بعد استتباب الأمر لسلطات الإحتلال الفرنسي، وَكلَت أمر الزاوية لأهلها، فكانت تسير بالطريقة المتعارف عليها، وهي جمع الهدايا والتبرعات والهبات من طرف عبيد الزاوية، وإنفاق ذلك على التسيير والتجهيز، وإعطاء قدر متعارف عليه لأحفاد ابن عبد الرحمان السهلي (شيخ سيدي الشيخ)، وإكرام العلماء والأعيان وأهل الفضل الوافدين على الزاوية الشيخية.

في أوائل الأربعينات من القرن العشرين (حوالي **1942م**) ظهرت بعض الفئات من أولاد سيدي الشيخ تدعو إلى تنظيم الزاوية، وإعادة النظرفي كيفية صرف مداخلها، ومراجعة نظامها، وزيادة المرافق بها، كبناء معهد ديني - مثلا- يليق بشهرة سيدي الشيخ، أو إنشاء مكتبة، أو متحف أو غير ذلك، ومنهم من دعا إلى إقالة عبيد الزاوية وإعفائهم من جمع الهدايا والتبرعات والهبات التي يقدمها محبو الطريقة الشيخية ومريدوها للزاوية، وتعويضهم بغيرهم.

من هؤلاء من كان يتصرف بدافع الغيرة لما شاهده - أو أراد أن يدعي مشاهدته - من تراخ وإخلال بخدمة الزاوية، ومنهم من رأى ظهورالغنى الفائض والبذخ الكبير على بعض عبيد الزاوية، لِمَا كان يُدرّه عليهم الدخل المهم والمتراكم للزاوية ومنهم من كان بدافع الطمع ليحوز نصيبا ما من أموال الزاوية.

هكذا سيبدأ صراع طويل بين أولاد سيدي الشيخ الغرابة بزعامة محمد الطيب بن علال بن الشيخ بن الطيب، وأولاد سيدي الشيخ الشراقة بزعامة أبي بكر بن حمزة بن قدور بن حمزة، وهو الصراع التقليدي الذي لبس ثوبا جديدا يتمثل في خلاف سلمي حول زعامة الزاوية، وإدخال الإصلاحات اللازمة على نظامها.

كان أبوبكر حمزة أستاذا بجامعة الجزائر،ومديرا لجريدة السلام[131]وخوله مستواه الثقافي، وقربه من المحافل الإدارية التفكير في تكوين جمعية[132] رأى فيها السند القانوني الذي به يستطيع إعادة تنظيم الزاوية بطريقة قانونية، ومن ثم قطع

---

[131]As-Salam ,revue musulmane Nord Africaine,de culture et d'actualites, Directeur : Boubakeur Hamza –Alger 1942-

[132]وثيقة خاصة (منشور بإعلان ابتداء عمل اللجنة) في ملك المؤلف .

الطريق على أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة (لأنه كان على خلاف مع ابن عمه شيخ الزاوية الشيخية الشرقية كذلك)، وإقصاء عبيدالزاوية، وإبعادهم عن جمع المال والتصرف فيه، غير أن العربي بن الدين بن حمزة الذي كان يشغل منصب باش آغا (وهو منصب يوازي حاليا منصب والي ولاية) وكان في نفس الوقت شيخا للزاوية الشيخية الشرقية، عارض هذه الفكرة من أصلها.
بدأ النزاع حول كيفية صرف موارد الزاوية، وهي أموال ضخمة تـردُ عليها من كل النواحي (عينا، ومواشيا، ومواد غذائية، وألبسة، وأفرشة، وعقارا)، إلا أن الكيفية التقليدية التي سبق شرحها، كانت تجد من يدافع عنها من المحافظين على تراث سيدي الشيخ، أهمهم العربي بن الدين(الجزائر) ومحمد الطيب بن علال(المغرب)، ضد المجددين الذين أرادوا التغيير، بزعامة أبي بكر حمزة.
هكذا بدأ الصراع بتكوين جمعية أطلق عليها **"لجنة الإشراف والتنفيذ"** وعيّنوا لها ممثلين في المناطق التي يوجد بها أولاد سيدي الشيخ وأتباعهم ومريدو الطريقة الشيخية.

انطلقت شرارة المواجهة في شهر فبراير1947م عندما أمر- ممثل اللجنة المذكورة بتوات، وهو الحاج عبد القادر الدربالي بن محمد بن لعلى- بمنع عبد الزاوية الغربية أحمد بن الشيخ بن علال من جمع هدية الزاوية الشيخية الغربية، بل أخذ منه ما كان قد جمعه من قبيلة المحارزة وأعطاه لأحمد بن محمد بن الدين (من العبيد الشراقة) ليدفعه إلى اللجنة.

أتى الرد سريعا، حيث أمر محمد الطيب بن علال شيخ الزاوية الغربية بمنع الشراقة من جمع الهدية التي كانوا عادة يأخذونها من أهل أنجاد والمهاية بالمغرب، ولتهدئة الأجواء بعث العربي بن الدين رسالة[133] إلى محمدالطيب بن علال يطلب منه تسهيل مأمورية عبد الزاوية الشرقية، لأنه كان غير موافق أصلا على تكوين اللجنة المذكورة وتصرفاتها وليست له يد فيما وقع.

عقدت لجنة الإشراف والتنفيذ المذكورة اجتماعا مع شيخ الزاوية العربي بن الدين، ولفقوا محضرا أرغموه على توقيعه، حتى يتمكنوا من التصرف على أساسه وأخذ القرارات باسمه، فبادر العربي بالكتابة إلى كل أعيان أولاد سيدي الشيخ، بالجزائر والمغرب يتبرأ مما نسبوا إليه في المحضر[134].

في خضم هذه الأحداث، تكونت لجنة فرعية عن لجنة الإشراف والتنفيذ الرئيسية أطلق عليها **"لجنة وهران"**[135] كان يرأسها الحاج السماحي (آل الحاج أحمد) والمقدم قدور الرحماني (آل عبد الرحمن)، باشروا فيها مراسلة أعيان أولاد سيدي

---

[133] رسالة العربي بن الدين شيخ الزاوية الشرقية إلى محمد الطيب بن علال شيخ الزاوية الغربية.(في ملك المؤلف)
[134] رسالة العربي بن الدين يشرح الأحداث لشيخ الزاوية الغربية.(في ملك المؤلف)
[135] رسالة أعضاء اللجنة يطلبون الدعم المالي والمعنوي.(في ملك المؤلف)

الشيخ لحثهم على المساهمة في إعادة تنظيم الزاوية، وإعفاء عبيد الزاوية من التصرف في أموال الزاوية.

على إثر هذه التصرفات الطائشة، وقعت مواجهة عنيفة بين أبي بكر حمزة وابن عمه العربي بن الدين شيخ الزاوية الشرقية، أدت بهذا الأخير إلى الطلب من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة بالإجتماع الفوري للبحث عن حل نهائي، وكان اجتماع 5 غشت 1949 الذي حضره الشيخ الأعرج بن عبد الرحمان شيخ الزاوية القندوسية فهدأت النفوس إلى حين.

في سنة 1954 نسق أولاد سيدي الشيخ الغرابة (سكان المغرب) بينهم، واجتمعوا بكل فروعهم، ووقعوا عرائض يوكلون بموجبها، محمد الطيب (شيخ الزاوية الشيخية الغربية) باتخاذ ما يراه واجبا، وصالحا للزاوية الشيخية، وهكذا التحق بمحمد الطيب بن علال زعيم الغرابة، القائدُ الأخضر بن الطيب، وعمه الحاج أحمد بن بوعمامة عن أولاد التاج، وأولاد النعيمي بسايس وقـدِمَ الجميع إلى الأبيض سيدي الشيخ، لحضور جمع عام حول تنظيم الزاوية.

قبل اجتماع أعيان أولاد سيدي الشيخ، سعى بعض الأخيار في الصلح بين أبي بكر حمزة وابن عمه باشا آغا العربي بن الدين، فاجتمعا بغرداية وخرجا بوفاق هدأت بعده بينهما الأعاصير.

التقى أعيان أولاد سيدي الشيخ في اجتماع بالأبيض، و بعد أخذ و رد، لم يتفقوا على التغيير، وبقيت الزاوية تسيير سيرا متعثرا، متأثرة بهاته الخلافات والمشاكسات.

ثم اشتد أوار الصراع الذي نأت السلطة الفرنسية بنفسها عن التدخل فيه، ودُعي - مرة أخرى - أولاد سيدي الشيخ كافة إلى جمع عام بالأبيض سيدي الشيخ للخروج باتفاق لحل هذا المشكل، إلا أن تصلب المواقف أدى بهم إلى الفشل كالعادة ، ومع مرور الزمن تخلى الأستاذ أبوبكر حمزة عن الفكرة، وعادت الأمور إلى سالف عهدها ولكن بجذوة أقل اتقادا مما كانت عليه، نظرا لتسلل الطمع إلى عمل كان يُقصد به وجه الله، ثم أصبح محل صراع ونزاع .

استأنفت الزاوية سيرها التقليدي، فكان تسيير زاوية الحاج بحوص وزاوية القصر الشرقي على يد باش آغا العربي بن الدين، وتسيير الزاوية الغربية على يد محمد الطيب بن علال من داخل المغرب، إلا أن حالة الفتور والتآكل بدأت - مع مر السنين - تتسرب إلى الزاوية الشيخية، كما تسربت قبلها وبعدها إلى الزوايا التبركية، خصوصا مع بروز الحركة السلفية بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس[136]

[136] لم يكن علال الفاسي والشيخ عبد الحميد بن باديس يعترضان على أهل التصوف جملة وتفصيلا، وإنما كانا ينتقدان الممارسات غير الشرعية التي كان بعض أتباع الزوايا يلصقونها جهلا بالتصوف. وكانا يكنّان الإحترام للتصوف العرفاني، ويقدرون دوره في التربية والسلوك والجهاد. وقد كانت علاقة الشيخ ابن باديس بالشيخ أحمد العلاوي مؤسس الطريقة العلاوية مبنية على الإحترام المتبادل، كأفضل ما تكون علاقة العالم بالعارف. ويُحكى أن أحد الفضلاء نظم لقاء بين الشيخ ابن باديس والشيخ العلاوي، كما استضاف الشيخُ العلوي ابنَ باديس وكانت ليالي

بالجزائر، وزعامة علال الفاسي والشيخ تقي الدين الهلالي بالمغرب، وهي الحركة التي تجندت لمحاربة الممارسات الصوفية، وبَدّعَت علاقة المريدين بشيوخهم وزواياهم.

سارت الزاوية بخطى متعثرة يرافقها الصراع الدائم، و كان آخر جمع عام يلم أطراف النزاع يجري في يونيو1971 بمناسبة موسم سيدي الشيخ المسمى ركب ستيتن، حضره أولاد سيدي الشيخ الغرابة بزعامة الحاج بحوص بن علال وأولاد سيدي الشيخ الشراقة بزعامة الدين بن العربي بن قدوربن حمزة وأحمد بن الحاج بحوص مقدمي الطريقة الشيخية الشرقية، وبحضورأعيان أولاد سيدي الشيخ، الذين يمثلون كل فرقهم ،(كالحاج أحمد بن بوعمامة ، والحاج المختار بن الحاج محمد، والسماحي الحاج، وآل سيدي الشيخ محمود والحاج قدورالرحماني....) وانفض اللقاء عن تكوين لجنة تمثل مشيخة الزاوية الأم تتكون من شيخ وثلاثة نواب. وهي كالتالي:

- شيخ الزاوية: الحاج أحمد بن بحوص (فرع أولاد الحاج بحوص- شراقة- شيخ زاوية الحاج بحوص بمتليلي)

- النائب الأول: الحاج بحوص بن علال (أولاد الحاج عبد الحكم -غرابة- شيخ الزاوية الشيخية الغربية بعين بني مطهر)

- النائب الثاني: الحاج أحمد بن بوعمامة (أولاد سيدي التاج - غرابة- شيخ زاوية بوعمامة بالعين الصفراء)

- النائب الثالث: الحاج المختار بن الحاج محمد (أولاد الحاج بن الشيخ - غرابة- شيخ زاوية الحاج محمد بالسخونة)

رغم تكوين اللجنة المذكورة، التي لا يوجد أغلب أعضائها بعين المكان، فإن صراعا - من نوع آخر- اندلع بين ممثل هذه اللجنة، وهو صاحب حق تسيير مرافق الضريح، وعناصر تقول أنها رأت فيه عدم الكفاءة، وهكذا انتهى الأمر إلى السلطات الجزائرية المحلية، التي تدخلت لفض النزاع بتعيين أحد موظفيها مسؤولا عن الضريح، وأصبحت منذ مارس 1972م مشاكل الزاوية الشيخية من اهتمامات بلدية الأبيض سيدي الشيخ.

لم يعر الأستاذ أبوبكر حمزة هذه الإجتماعات وتلك اللجان أي اهتمام، وكان يعتبر نفسه شيخ الزاوية الشيخية بناء على الإجماع الذي وقع على رئاسته للجمعية التي أسسها، والتي كان هدفها توحيد الزاوية الشيخية، وإدخال الإصلاحات التي

من أحسن ما شهده أتباع الشيخين، وشهد به ابن باديس في كتاباته بعد ذلك منوها باخلاق الشيخ العلوي وأتباعه. (نور الدين أبولحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، وتاريخ العلاقة بينهما، ص 185)

لم تكن نظرة ابن باديس للتصوف كنظرة أصحابه البشير الإبراهيمي والطيب العقبي ومبارك الميلي اللذين كانوا أشد إنكارا وطعنا في التصوف، أما أشد القوم بأسا على التصوف في المغرب واعتراضا عليه جملة وتفصيلا، فكان تقي الدين الهلالي الذي كان عضوا في جمعية العلماءالمسلمين بالجزائر ثم استقر نهائيا بالمغرب بعد عودته من المشرق.

كان يراها ضرورية عليها، وتنظيمها تنظيما عصريا، وهي أهداف كان ينظر إليها بقية الأطراف نظرة ريبة.

مع نقص موارد الزاوية، انصرف أحفاد عبيد الزاوية - بالجزائر والمغرب- إلى الأعمال الحرة والوظائف في دوائر الدولة والشركات، ونفضوا أيديهم من أمر الزاوية، إلا القليل منهم ممن كان صاحب أريحية ولازال ينافح عن تراث مجيد، وشرف تليد .

كانوا مضرب الأمثال في الكرم، والجود والبرور بالضيف وعابر السبيل بفضل تربية الزاوية التي ترعرعوا في أحضانها أبا عن جد.

خلاصة القول أن الصراع بين الغرابة والشراقة عرف مواجهات مسلحة طيلة قرن من الزمن (من سنة1765م إلى سنة 1872م) ثم استمر خلافا سلميا طيلة قرن آخر(من سنة1872م إلى سنة 1972م) .

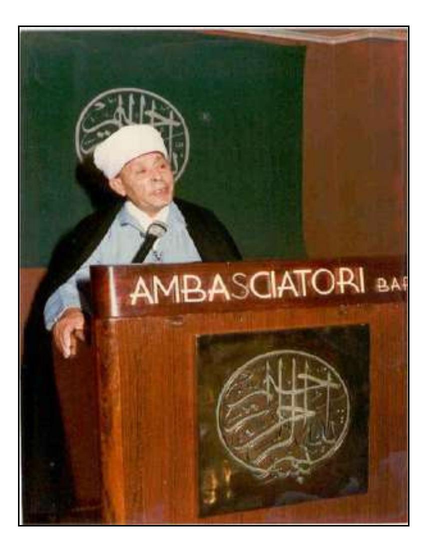
رغم ذلك، فقد كان هذا الصراع بينهما من دوافع التنافس على مكارم الأخلاق، وميدان سباق لإحراز الفضل والشرف، وكانوا في أغلب الأوقات - ما عدا فترات الصدام - يحترمون بعضهم بعضا، ولا يعرف أهل الفضل إلا ذووه .

وبينهما مراسلات تنم عن فتوّة لا تُنكر، وفحولة لا تُجحد، وكانوا في جل المواطن رجالا يُحسب لهم حسابهم، ويُعظّم جنابهم، وعن مثل أيامهم قال الشاعر:

رب يوم بكيتُ منه فلما   صرتُ في غيره بكيتُ عليه.



إعلان موجه إلى أولاد سيد الشيخ من طرف اللجنة التي عينها الأستاذ أبوبكر حمزة لتسيير الزاوية الشيخية وإصلاحها بدل عبيد الزاوية الذين كانوا قيمين عليها بوصية من سيدي الشيخ مؤسس الطريقة.



الشيخ الأستاذ أبوبكر بن حمزة بن قدور بن حمزة (1912-1995) سليل زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة مدير معهد مسجد باريز(1957-1982) عضو في عدة مجامع علمية عالمية مؤلف لعدة كتب ، مؤرخ .

مراحل في تاريخ الزاوية الشيخية

التاريخ	التأسيس/التسيير/التجديد/ الخلاف/ الصراع
1567 م	تأسيس أول زاوية من طرف الشيخ عبد القادر السماحي بفجيج بإذن من شيخه امحمد بن عبد الرحمن السهلي.
1616 م	وفاة مؤسس الشيخية(سيدي الشيخ) وانتقال مشيخة الزاوية إلى ابنه الحاج بوحفص.
من 1616م إلى 1765م	السيرالرتيب والإشعاع المتزايد ومشيخة واحدة تعاقب عليها أربعة شيوخ.
من1766م إلى 1871م	إنقسام الزاوية الى مشيختين مستقلتين شرقية وغربية. الخلاف المسلح الذي دام قرنا ونيفا بين الطرفين.
من 1871م إلى 1972م	الخلاف السلمي والسير المتعثرللمشيختين مع ظهور جمعيات وتكتلات تطالب بالإصلاح والتغييرحوالي 1940م. محاولات عديدة للتنظيم باءت بالفشل. بين 1875 م- 1908 م ظهور زاوية ثالثة أنشأها الشيخ بوعمامة بن العربي، سارت موازية لهما، وزادت عليهما بالتجديد الذي أدخله عليها، والإشعاع الذي استقطبت به الكثير من الأتباع، والإكتفاء الذاتي الذي ضمنه لها.
من 1972م إلى 2006م	سيرعادي للطريقةالشيخية بفروعها الثلاث(الشرقية والغربية والبوعمامية) مثلها مثل أغلبية الزوايا التبركية التقليدية التي تفتقد الشيخ المربي الحي، وتشتكي تناقص المنتسبين إليها والملتزمين بنهجها. إلا أنه هناك - في السنوات الأخيرة - ظهور بعض محاولة الإنتعاش، موازية للصحوة الإسلامية التي هزت كل التيارات والحركات والزوايا في مختلف بلدان العالم الاسلامي.

الزوايا الشيخية الفرعية التي أسسها أبناء وحفدة سيدي الشيخ

أسوة بأبيهم، أنشأ أغلب أولاد سيدي الشيخ الأحد عشر زوايا في المناطق التي اتخذوها مستقرا لهم، واقتصر جلها على إطعام الطعام، واستقبال الزوار والضيوف وعابري السبيل، وورثها عنهم أبناؤهم وأحفادهم، إلا أن الزوايا التي اكتست طابعها الطرقي، وتعدد فيها أهل الميولات الصوفية حتى اشتهرت بذلك، هي أربعة فروع: آل الحاج أبي حفص، وآل الحاج عبد الحكم، وآل التاج، وآل بنعيسى.

1- آل الحاج بحوص بن عبد القادر السماحي[137]

زاوية الحاج بحوص بالأبيض.

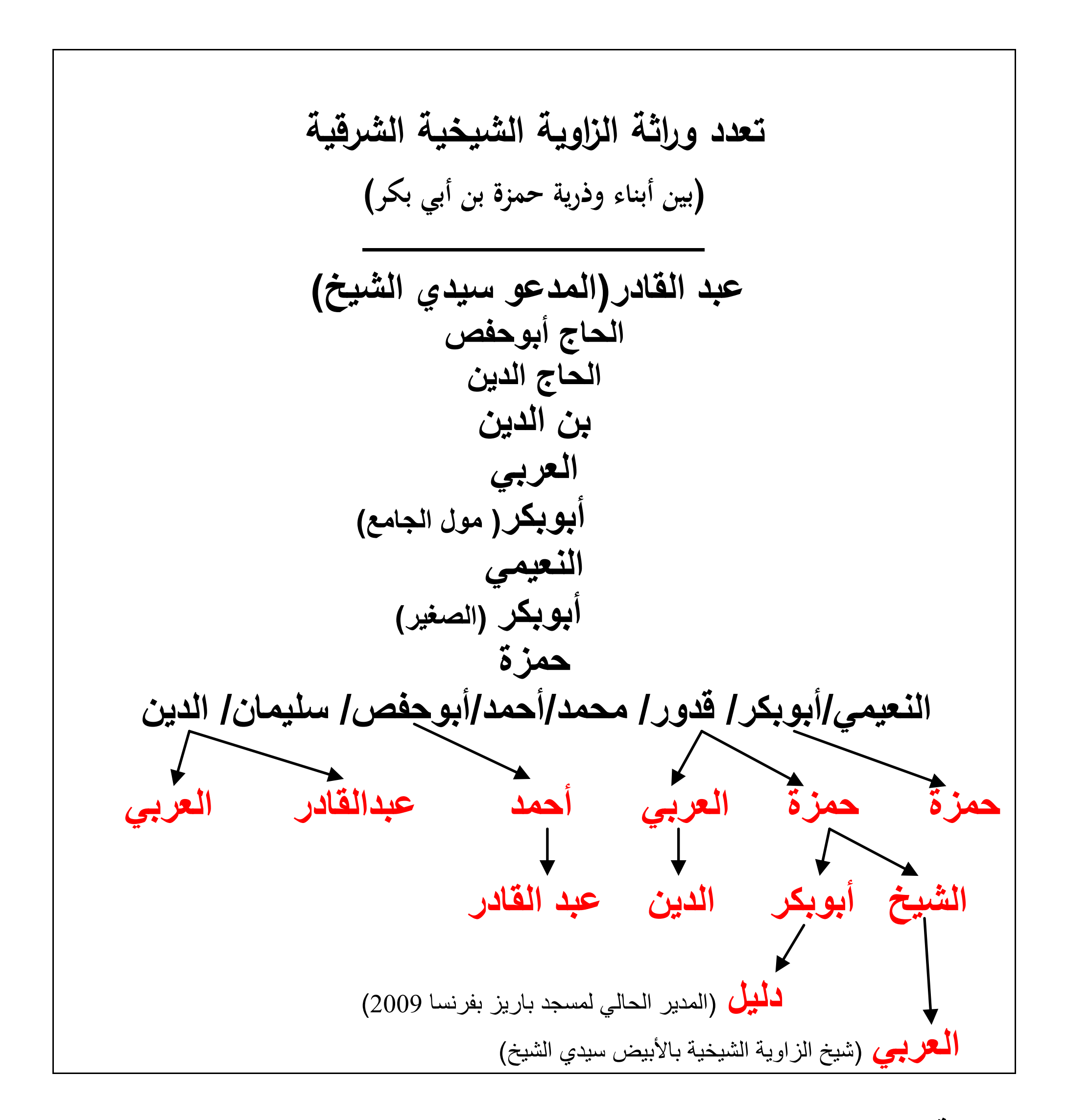
أنشئت منذ القرن الثاني عشر الهجري بالقصر الشرقي بالأبيض سيدي الشيخ، كانت تحت رعاية أبناء ابن الدين زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة، منذ ابنه العربي بن الدين، وكانوا يكلون خدمتها إلى عبيد الزاوية الشرقية ولها مرافق خاصة بها ولا تزال تؤدي مهمتها، خصوصا أيام الركب[138].

إذا كانت الزاوية الشيخية الغربية عرفت انضباطا في تسلسل المشيخة واحترام شرعية وارثيها، ولم تعرف أي انشقاق داخلها، فإن الزاوية الشرقية عرفت نفس التسلسل الموحد في شيوخها حتى وفاة حمزة بن أبي بكر سنة 1861م، ومنذئذ تعدد المُدّعون والمطالبون بمشيخة الزاوية الشرقية من أولاد حمزة وحفدته، إلى أن أصبحوا كثرة في أواسط القرن العشرين :

---

137 عبد الله طواهرية (رسالة خاصة).

138 ركب ستيتن: يطلق على الموكب الذي يأتي به أهل ستيتن لحضور الموسم الذي يقام سنويا على ذكرى سيدي الشيخ بداية كل فصل صيف بالأبيض سيدي الشيخ.



زاوية الحاج بحوص بوادي الناموس.

يشرف عليها بعض أحفاده الذين يقطنون وادي الناموس، ويظهر نشاطها أثناء موسمه رحمه الله، وتقرأ هناك سلكة كاملة من ظهر يوم الخميس إلى صبح يوم الجمعة، إضافة إلى الأذكار الشيخية، ويقام بها سوق يحضره عدد وفير، ويوجد بها الطبل النحاسي وهو تركة الحاج بحوص.

زاوية الحاج الدين بن الحاج بحوص:

أنشأها أحفاده بقرية الحاج الدين، ويشرف عليها خدام الزاوية ولها نشاط دائم.

زاوية ابن الدين بن الحاج الدين بن الحاج بحوص.

تقع بالأبيض سيدي الشيخ ويشرف عليها خدام الزاوية، لها مرافق تابعة لها ويظهر دورها في المساهمة في استقبال الزوار خاصة في أيام الركب، وانشئت بعد وفاة سيدي ابن الدين في أواخر القرن الثاني عشر.

زاوية أحمد بن الحاج بحوص بمتليلي:

أنشأها المرحوم الحاج أحمد بن الحاج بحوص(من آل الحاج بحوص) الذي اختير- شيخا للزاوية الشيخية الموحدة - بإجماع أولاد سيدي الشيخ في اتفاق **1971**م تشتمل الزاوية على عدة مرافق، وتم بناء مسجد جديد بها، وهي منذ وفاته، في ازدياد ونشاط، من طرف أبنائه.

زاوية محمد بن يمنة (آل الحاج عبد القادر بن الحاج بحوص)

تقع في أوقروت، وكان قد انتقل في حياته بين مواطن عديدة بقورارة، و بنى عدة مرافق، إضافة إلى مسجد الحاج بحوص، وإعادة ترميم ضريح الحاج إبراهيم بن الشيخ، وكان يقيم موسما سنويا إحياء لذكرى الحاج بحوص، ولم يعد هذا النشاط كما كان أثناء حياته.

زاوية آل الحاج أبي حفص بن عبد القادر السماحي بغدامس بليبيا[139]

في سنة **1835** م هاجرت **150** عائلة من أولاد الحاج ابي حفص بن الشيخ السماحي وبمعيتهم عائلات مرافقة لهم من توات، ونزلوا بالمحيجرة على بعد **8** كلم من غدامس، استقروا بها سنتين ثم في سنة **1902**م شدوا الرحال إلى ناحية سرت، ولحقت بهم مجموعة من أبناء عمومتهم من أولاد الحاج أبي حفص، من فقارة الزوى، وأقاموا جميعا بسرت إلى **1915**م .عند دخول الاحتلال الإطالي إلى ليبيا سنة **1911**م كان أولاد الحاج بحوص ضمن المجاهدين الذين تصدوا لقوات الاحتلال، وشاركوا في معركة القرضابية، واستشهد منهم في تلك المعركة الشيخ بن بوبكر بن علي آل الحاج أبي حفص، واسمه مدون في كتب الجهاد الليبي.

في **1916**م عادت هذه العائلات إلى غدامس، ورحل قسم منهم شرقا إلى منطقة مصراته.

حسب المراجع المكتوبة والشفوية المعتمدة في أنساب أولاد سيدي الشيخ فأن ذرية الحاج أبي حفص بن الشيخ السماحي محصورة في أربعة أبناء هم عبد القادر، والأزغم، والدين، وأبوالأنوار.

إلا أنه حسب أولاد سيدي الشيخ بغدامس فأن الحاج بحوص ترك ستة أبناء زيادة على الأربعة المذكورين أعلاه وهم الحاج امحمد، والحاج إبراهيم ويذكرون عنهم ما يلي :

ـ الحاج امحمد بن الحاج أبي حفص :

---

[139]معلومات توصلت بها من إبراهيم محمد الشيخ الزاوي آل الحاج بحوص بغدامس.
(توصلت بها عن طريق العربي بلخير آل بودواية البوشيخي الليبي في 11.6.2010)

أمه بربر بنت أكسوم ملك الحبشة تعرف عليها في الحج وتزوجها وسكنت السهلة مع ابنها وتوفيت ودفنت بها.
في بداية أمره كان امحمد بعين صالح بطلب من أهلها حيث كان يعلم القرآن ومباديء الدين، وبعد خلاف معهم رحل سيدي امحمد إلى السهلة حيث بنا مسجدا، وأهديت له أرض بها، فبقي بها إلى أن دفن جوار أمه.
توجد ذريته بالجنوب الجزائري والجنوب الغربي الليبي.
ـ الحاج إبراهيم بن الحاج أبي حفص
توجد ذريته في ورقلة والمنيعة.

2- آل الحاج عبد الحكم بن عبد القادر السماحي

خلف الحاج عبد الحكم أخاه الحاج بحوص على مشيخة زاوية أبيهم سيدي الشيخ، فكان المسؤول عنها بلا منازع، وفي كنفه ترعرع جل إخوته .
بعد وفاته تزعم أمر الزاوية ابنه أبوحفص الحاج، الذي تولى أمرها عن جدارة بما أدركه من علم شرعي ومعرفة لدُنية، شهد له بها أعمامه قبل غيرهم. وعاد بعده أمر الزاوية إلى ابن عمه ابن الدين، وبعد الخلافات التي نشبت بين الشراقة والغرابة أعلن هؤلاء إنشاء الزاوية الشيخية الغربية واستقلالها عن الشرقية.

زاوية أبي حفص الحاج (الحفيد)

بعد هجرة أبي حفص الحاج (الحفيد) إلى المشرق، تولى أمر الزاوية الشيخية ابن عمه ابن الدين بوصية منه، وقد خلف أبو حفص ثلاثة أولاد هم: محمد بودواية، والشيخ، وعبد القادر(المدعو قدور)، وقد صادف - هذا الأخير- ظهور شيخ عصره، ووحيد أوانه، الغني عن كل تعريف، العارف بالله سيدي أحمد التجاني، الذي اختار- طيلة سبع سنوات - جوارأولاد سيدي الشيخ ببلدهم الأبيض، وإلى عهد قريب كانت تعرف "بِدَار البخاري" الدار التي كان الشيخ أحمد التجاني يدرس فيها صحيح البخاري.
سارع عبد القادر بن أبي حفص الحاج إلى الأخذ عنه، وأصبح من خواص المقربين منه، يقول عنه أحمد سكيرج في كتابه رفع النقاب :

" ومنهم عبد القادر بن أبي حفص الحاكمي :

من آل الولي الصالح السيد عبد الحاكم من أولاد سيدي الشيخ، وهو من الآخذين عن سيدنا رضي الله عنه (أي سيدي أحمد التجاني) الفائزين بمحبته وصحبته وصدق خدمته، أقبل على الشيخ قدس سره فأقبل عليه، ولاحظه بعين القبول، وبلغه ما أمله من سول، وقد وقفت على رسالة بخط محمد بن بلقاسم الزواوي يقول فيها على لسانه (أي لسان قدور بن أبي حفص الحاج):

" بعد الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ما نصها : إلى سيدنا ووسيلتنا إلى الله القطب الرباني أبي العباس سيدنا أحمد بن محمد

التجاني ألف سلام عليك مع التحية والإكرام، وعلى جميع تعلقاتك من مُحبك وخديمك عبد القادر بن أبي حفص من آل السيد عبد الحاكم، وبعد فإني لازلت على المحبة و العهد ولا محيد لي عنك فزودني بدعاء الخير، ولا تنساني في هذه الدار وفي تلك الدار، إني متعلق بوصالك، وكل أحد يسأل عن حبيبه، وأنت حبيبي حقا وصدقا، من غير خلل، فادع الله لي أن ينجيني من أهوال الدنيا والآخرة، وأن يعصمني من الظـُلاّم، وجميع الأعداء، وأنا مُحبك بالدوام ولا أرجو إلا الله ثم عطفك، والسلام وألف ألف تحية من كاتبه محبك على الدوام خديمك محمد بن أبي القاسم الزواوي"[140].

يضيف المؤلف الشيخ سكيرج قائلا:"**وهذه الرسالة ذكرتها هنا حفظا وتبركا بالكاتب والمخاطب والمكتوبة له، فهي مثل غيرها مما أذكر نصه إن زعم من لا اعتقاد له أنه لا طائل تحتها، فنحن نرى ضمن ذلك أسرارا تنفع المعتقد، على رغم أنف المنتقد.** "

كان لقدور(عبد القادر) المذكور ولد واحد : سليمان، ولم يلبث هذا الإبن أن اقتفي أثر والده في الإنخراط في سلك الطريقة التجانية، وأصبح كأبيه من المقرّبين من شيخها، بل من كبار أصحابه، يقول عنه أحمد سكيرج :

" ومنهم سليمان بن عبد القادر بن الشيخ سيدي أبي حفص الحاج من أولاد سيدي الشيخ، وقفت على إجازة الشيخ رضي الله عنه له في قراءة الفاتحة وسورة الإخلاص واسم الجلالة والإذن له في التصريف بذلك، وعمل الخلوة الخاصة لتحصيل خواص ذلك، ثم نهاه الشيخ بعد ذلك عن تعاطي الخواص، وأمره بالذكر بإخلاص، ولقنه الذكر الخاص به، فكان له بذلك حسن اعتبار بين أصحاب الشيخ الكبار.[141]**"**

بتوجيه من شيخه سيدي أحمد التجاني، وبناء على الصلح الذي حاول به الغرابة والشراقة وقف النزاع بينهما، **أسس سليمان بن عبد القادر بن أبي حفص الحاج الزاوية الغربية سنة 1766م**، وخصص لها ثلث الموارد التي كانت تصل زاوية سيدي الشيخ الأم، طبقا لما اتفق عليه الطرفان، وكان سليمان أول شيوخها الفعليين وأول زعيم لأولاد سيدي الشيخ الغرابة .

لم ينجب سليمان من الذكور إلا ولدان : محمدا وأحمادو، قـُتل الأخير في معركة ضد الشراقة ولم يخلف ذرية، أما الأول فقد توفي في ريعان الشباب بعدما ترك ولدا واحدا إسمه الطيب. بعد وفاة سليمان عاد أمر الزاوية إلى حفيده الطيب المذكور،

---

[140] أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، ص 237 و238 و 239.

يشير سكيرج في الهامش إلى الكتب التي استقى منها ترجمة قدور بن بحوص وابنه سليمان إلى:

- نخبة الإتحاف في ذكر بعض من مُنحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 179 .
- يواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني، للعلامة سكيرج (مخطوط) .
- كناش الفقيه سيدي أحمد العبدلاوي 49 (مخطوط خاص)

[141] المرجع السابق.

وبعد وفاة هذا الأخير سنة 1818م تزعم القبيلة والزاوية بعده إبنه البكر الشيخ بن الطيب، وبعد وفاته 1870م تصدر زعامة القبيلة ومشيخة الزاوية الشيخية الغربية في فترة مقاومة الإحتلال الفرنسي ابنه البكر الحاج العربي الذي توفي شهيدا سنة 1871م بعقلة السدرة، ثم تسلم الأمر بعده أخوه معمر، الشهيد في معركة النفيش سنة 1874م، ثم عاد الأمر إلى أخيهما الأصغر علال المتوفى سنة 1922م وبعده اضطلع بأمر الزاوية والقبيلة ابنه البكر محمد الطيب إلى أن توفي سنة1961م ، فعاد أمرها إلى أخيه الحاج بحوص بن علال المتوفى سنة 1996م .

بناء على ما ذكر، وحسب رواية الغرابة، فإن زاوية (أبي حفص الحاج) السالفة الذكر هي وارثة الطريقة الشيخية التي أسسها الشيخ عبد القادر السماحي (بالقصر الغربي بالأبيض) وتوالى على مشيختها حفدته المذكورون آنفا، الذين تتلمذوا على أيدي شيوخ عصورهم، وحافظوا على جذوة الطريقة الشيخية مشتعلة، ثم في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي اضطرت الزاوية إلى حالة الترحال والإنتقال المستمر لظروف الحرب التي كانوا يخوضونها ضد الإحتلال الفرنسي، مع بقاء الزاوية الغربية الرسمية بالقصر الغربي بالأبيض واستمرار العبيد الغرابة قيّمين عليها، ساهرين على سيرها تحت إمرة شيوخ الغرابة. ولم تَعرف ـ كما عرفت الزاوية الشرقية ـ أي انشقاق أو خلاف حول وراثة المشيخة التي كان يتوارثها الإبن عن أبيه أو الأخ عن أخيه في ظروف عادية.

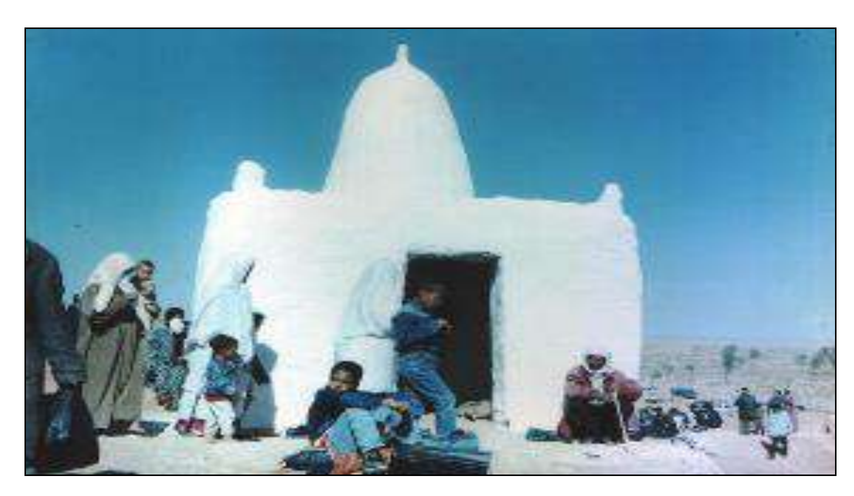
هكذا طوحت أحداث الحرب الطويلة بالزاوية الغربية شرقا وغربا منذ 1845م إلى أن استقرت في النهاية سنة 1972م عندما بناها الحاج بوحفص بن علال على الجانب الشمالي لوادي وزين على بعد ثمانية وثلاثين كلم (38 كلم) في الشمال الشرقي من عين بني مطهر، وهي تحتوي الآن على مسجد للصلاة وبيت لاستقبال الضيوف.



زاوية أبي حفص الحاج بن عبد الحكم
بالمكان المسمى "وزيان" شمال شرق عين بني مطهر

زاوية بحوص الحاج بالبنود:

يظهر نشاطها خاصة أثناء الموسم الذي تعرفه الجهة، وهوآخرالمواسم البكرية وقوعا، أسس سيدي أبوحفص الحاج هذه الزاوية عندما قدم من توات، وقبل أن يختاره ذووه لمشيخة الطريقة الشيخية بالأبيض.



مقام بحوص الحاج بن عبد الحكم السماحي
بالبنود جنوب الأبيض سيدي الشيخ.

زاوية أولاد سيدي الشيخ الغرابة بالسويهلة ناحية مراكش:

بعد ترحيلهم في 1876 م كانت لزعيمهم سليمان بن قدور زاوية يستقبل فيها الزوار والضيوف، وهي التي بُني – حديثا – مسجد في مكانها، ولا تزال بجانبه دار سيدي سليمان بن قدور ماثلة للعيان، وبعد رحيل سليمان إلى شرق المغرب تصدر لتسييرها ابن عمه وخليفته بوبكر بن بحوص، ثم توالى عليها أبناؤهم، ولكن لم يعد لها ذكر حاليا .



المسجد الذي بُني مكان زاوية أولاد سيدي الشيخ الغرابة التي أسسها سليمان بن قدور بعد ترحيلهم إلى السويهلة ناحية مراكش في 1876م.

لم تكن هذه العشيرة المُهَجّرة إلى مراكش عقيمة من الرجال فقد ظهر فيهم :

- بوبكر بن بحوص بن الطيب :

تولى تسيير زاوية أولاد سيدي الشيخ الغرابة بالسويهلة، بعد فرار سليمان بن قدور إلى الشرق، وقد عينه السلطان مولاي الحسن قائدا للقبيلة، ولا تزال آثار داره قائمة، عُرف مجاهدا ضد الغزو الفرنسي، سجن في جزيرة كورسيكا ثلاث سنوات.

- الحاج العربي بن بحوص بن الطيب، كان مُـقدمهم[142] وهو الرجل التقي الصالح الذي كان معظما عند الخواص والعوام من أهل مراكش، وكانت له مكانة مرموقة عند الباشا الطيب القُنْدافي. ويُحكى أن الشيخ الشهير سيدي الزوين وكان معاصرا للحاج العربي، كان عندما يمر بالسويهلة، في طريقه إلى مراكش، يمر حافيا أدبا وتعظيما للحاج العربي.

[142] أحمد الغزالي، تفاعل الشرف والولاية لدى بعض القبائل المغربية " نموذج آيت نظير – بني مطير- الامازيغية" ص 125.

اختاره الباشا القندافي ليرافقه في رحلته إلى أداء فريضة الحج، وأعطاه كمية مهمة من المال ليستعين بها في قضاء حاجاته أثناء الرحلة وفي الحج، ولكنه عند رجوعهم إلى مراكش أعادها للباشا كاملة غير منقوصة.

- " سيدي محمد بن عبد القادر الشيخي الصديقي - آل سيدي عبد الحكم الزيراينة (السعيدات)- رئيس(مقدم) الطريقة الكتانية بالجنوب، الشهم الهمام البطل الضرغام، العارف بالله، كان له فضل كبير في الدعوة إلى الله بالجنوب، سفرا وحضرا، وهدى الله على يديه آلافا من الناس إلى الصراط المستقيم.[143]"
- "عبد القادر الشيخي الصديقي الشهم الهمام البطل المغوار الولي الصالح[144]"ولعله والد محمد السابق الذكر، وهما من آل الحاج عبد الحكم الزيراينة (السعيدات)- المهجّرين مع إخوانهم آل سيدي الطيب - من الشرق إلى مراكش في 1876م .

زاوية (آل بحوص الحاج) بسايس:

" الشيخ بن النعيمي الصديقي البكري، قائد ناحية مكناس، البطل الهمام، المؤمن الكامل الإيمان[145]"بهذا يَصفُه باقر الكتاني في ترجمة مريدي الطريقة الكتانية، إذ كان من أتباعها ومن المقربين من شيخ الزاوية الكتانية الشيخ العارف بالله سيدي محمد الكتاني، وبقي وفيا لها رغم ما تعرضت له الزاوية الكتانية من محن ونكبات تنهد لها الجبال.

كانت دار الشيخ بن النعيمي زاوية يحج إليها العلماء والفضلاء والأخيار من حاضرتيْ فاس ومكناس، ومن غيرهما من الأماكن القريبة والبعيدة فيجدون حفاوة الإستقبال، وكرم الوفادة، وكانت لآل البيت عنده المكانة الخاصة، والتعظيم اللائق بجنابهم، ولم يكن ينقطع عن زيارته وإنزال الحاجات به أهله وذووه من أولاد سيدي الشيخ ومن والاهم ومن غيرهم من القاطنين بالمغرب والجزائر على السواء، فيقضي حاجاتهم، ويعينهم على نوائب الدهر، ويسعى في تفريج كربهم، وكانت صِلاته السّنية لا تفرق بين الصغير والكبير، والشريف والوضيع.

عيّن السلطان مولاي يوسف العلوي عبد السلام بن الطيب قائد لعرب سايس، ولكنه تنازل عن هذه المهمة لصالح ابن عمه الشيخ بن النعيمي الذي تقلدها سنة 1914م، فقام بأعبائها على أحسن وجه، وعُرف - في مزاولة مهامه- بالحزم والجد، والهمة العالية، والكرم الزائد إلى أن توفي سنة1950م.

[143]محمد باقر الكتاني، الشيخ محمد الكتاني الشهيد، ص 170.
[144] المرجع السابق ص 173.
[145] المرجع السابق ص 117.

زاوية آل أبي حفص الحاج ـ أولاد بودواية ـ بليبيا[146]

كان من المتداول عند أولاد الحاج عبد الحكم والمحفوظ شفويا لديهم بالتواتر أن المسمى الغماري بن عبد الحكم هاجر نحو الجنوب المغربي، وكان يشاع أنه من هناك ذهب إلى أمريكا، إذ كانت تلك الفترة بالذات تعرف موجات الهجرات من أوروبا وإفريقيا إلى القارة الأمريكية.

لكن بعد التعرف على أولاد سيدي الشيخ بليبيا، وبعد مراجعة للأحداث المذكورة، تبين أن الغماري هو إبن محمد أبي دواية بن أبي حفص الحاج بن عبد الحكم، فهو إذن إبن حفيده، وقد كان أبودواية أكبر أبناء أبي حفص الحاج وكان من المنطقي أن يخلف أباه عندما رحل إلى مصر، إلا أن خلافا نشب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي بين ذرية الحاج أبي حفص من جهة وذرية أخيه الحاج عبد الحكم من جهة أخرى حول وراثة الزاوية، ولا شك أن هذا الصراع الذي اتخذ شكلا دمويا في كثير من الأحيان هو الذي كان وراء هجرة عدة أفراد وعشائر من بلد الأبيض إلى مناطق قريبة أوبعيدة، ولا شك أنها كانت وراء رحلة الغماري الذي كان يرى نفسه أو يرى- من باب أولى - أباه أهلا لمشيخة الزاوية، وعدم حصوله على مبتغاه جعله يفضل الانسحاب .

تعددت الروايات حول هجرة الغماري إلى ليبيا، ومن بين الروايات أنه هاجر من بلدة الأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الجزائري متجها إلى ناحية العيون بمنطقة الساقية الحمراء بالجنوب المغربي حوالي **1765**م وهي نفس السنة التي وقعت فيها الخلافات حول الزاوية الشيخية، وبعد فترة من الزمن لا نستطيع تحديدها إتجه شرقا إلى عين صالح وفقارة الزوا، ومنها إلى ليبيا.

أنجب الغماري إبنَه يونس ويونس خلف سيدي الصالحين دفين قراقرة وأخيه السعيدي دفين توَش، ومن هذين الرجليْن الصالِحَيْن إنحدر أولاد سيدي الشيخ آل أبي حفص الحاج، فرع أولاد محمد بودواية بالجنوب الليبي.

في رواية أخرى أن من هاجر إلى ليبيا هما السيدان: **الصالحين** وأخيه **السعيدي** إبني يونس بن الغماري، فهما من نزلا عند رجوعهما من الحج ضيفين على الشيخ أحمد البدوي في منطقة سوكنة بالجفرة بليبيا (وللتنبيه أحمد البدوي- المعني بالأمر- هو غير الشيخ أحمد البدوي الشهير دفين طنطا جنوب مصر) وعندما تعرف عليهما هذا الشيخ وجد عليهما علامة الصلاح ووجد لديهما من العلم ما لم يجده عند

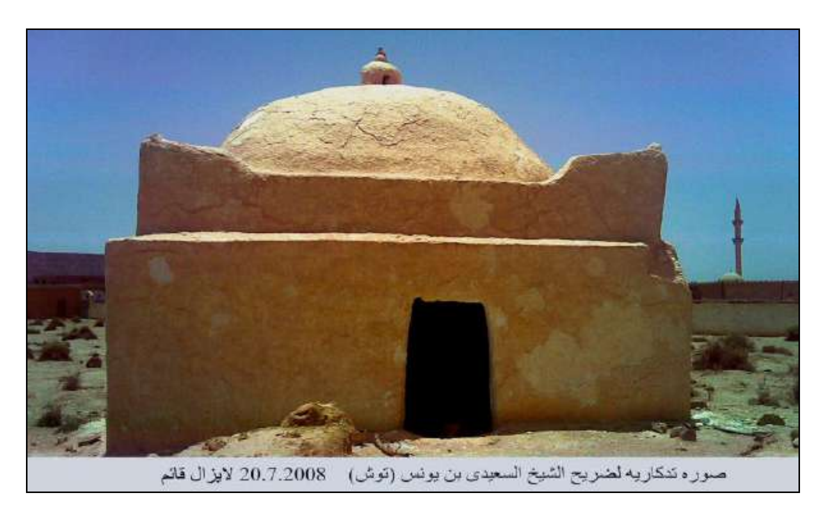
---

[146] هذه المعلومات منقولة عن العربي أبي الخير من ذرية الغماري بن أبي دواية آل أبي حفص الحاج، وقد بعث لي بكم هائل من المعلومات والصور التي أتمنى أن يجمعها فتكون نواة كتاب مستقل عن أولاد سيدي الشيخ بليبيا.
كما قمت بإصلاح بعض المعلومات الخاطئة في الطبعة الأولى من الكتاب، وردت عن أولاد سيدي الشيخ بليبيا وذلك بفضل المعلومات القيمة التي أخذتها عن أحمد التجاني وفرج أحمد ميهوب وإبراهيم العربي وخالد العربي وهم من ذرية الغماري بن أبي دواية آل أبي حفص الحاج، وذلك أثناء زيارتهم لأهلهم بالمغرب، وزيارتهم التي خصصوها لنا بالنعيمة ناحية وجدة التي وصلوها في 6 أكتوبر 2012.

غيرهما، فأشار عليهما أن يذهبا إلى جنوب ليبيا رفقة بعض مريديه وينزلا بمنطقة فزان وذلك لتعليم القرآن ونشر مبادئ التصوف.
إستقر الأخـوَان في بادئ الأمر معاً في قراقرة، وبعد فترة طالت أو قصرت اقتضى الحال أن يرحل السعيدي من قراقرة ويستقر بتوش حيث أسس زاويته التي أصبحت كزاوية أخيه الصالحين وجهة طلاب العلم، ومقصد عابري السبيل وملجأ الفقراء والمحتاجين، وشاع وذاع صيت هذين الشيخيْن الجليليْن فقُدمت لهما الهبات، وأهديت لهما الهدايا، وكانا في حياتهما وبعد مماتهما محل الاحترام والتبجيل، وورثت عنهما ذرياتهما ذلك الشرف الكبير والقدر المنيف وتـُوِّجَ هذا كله بأن لـُقِّبُوا بالمرابطين.
خلف الشيخ الصالحين بن يونس من الأولاد: محمد، أحمد، العياشي (توفي صغيرا) ومن البنات ميمونة، المانعة، الزهرة الملقبة كنداك وكانت حاملة لكتاب الله وسيرتها عطرة.
خلف الشيخ السعيدي بن يونس من الأبناء : محمد، عبد الجليل، المكي.
يستقر جل أولاد الغماري في منطقة وادي الآجال بالجنوب الغربي الليبي، ناحية أوباري، وتعتبر توش وقراقرة هما أهم مركزين للتجمع ذرية الغماري بن محمد بن أبي حفص الحاج بن عبد الحكم بن الشيخ عبد القادر السماحي.



ضريح و مسجد الشيخ الصالحين بن يونس آل أبي حفص الحاج
فرع أولاد بودواية (بمنطقة قراقرة، بلدية أوباري، أقليم فزان – ليبيا-).
(صورة مهداة من طرف العربي أبي الخيرمن العشيرة نفسها)



ضريح الشيخ السعيدي بن يونس.
توش (ليبيا)

زاوية الحاج عبد الحكم

تنسب هذه الزاوية/ الجامع للحاج عبد الحكم، وكان يقوم عليها بالتناوب أولاد عبد القادر بن عبد الحكم، وأولاد زيان بن عبد الحكم(السعيدات) وأولاد سليمان بن عبد الحكم، وأولاد عبد الكريم بن عبد الحكم.

بقيت كذلك حتى بداية القرن العشرين، حيث توالت سنوات الجدب على المنطقة فانفرط عقد العشيرة التي كانت تقوم - بالتناوب - على الزاوية، فانتقلت من بحوص بن قدور(زعيم السعيدات)، إلى أحمد بن حكوم آل عبد القادر بن عبد الحكم، ومنه انتقلت إلى ابن أخيه المقدم أحمد بن الشيخ وكان رجلا تقيا ورعا، فشمر للقيام عليها، وتحمّل وحده أعباءها، وبقيت في عقبه بعد وفاته.

ازداد سيدي أحمد بن الشيخ بفجيج سنة 1870م وأخذ الطريقة عن الشيخ بوعمامة بعد إلحاح من هذا الأخير، لأن المعني بالأمر كان ميالا لأخذ الطريقة القادرية .

شهد أحداث المغرب الشرقي التي أثارها بوحمارة ضمن جيش بوعمامة، حيث شارك في معركة الزكارة[147] وبعد انتهاء الأحداث عادت فرق الجيوش إلى منطلقاتها، وعاد أحمد بن الشيخ مع فرقة القوادرإلى قبيلة أولاد الحاج عبد الحكم المتنقلة بنواحي عين بني مطهر.

---

[147] الرواية الشفوية.



مسجد وزاوية الحاج عبد الحكم بالمكامن
(الصورة من موقع سيدي أحمد بن الشيخ بالأنترنيت)

عاش- أحمد بن الشيخ - بقية أيامه مقدما للطريقة الشيخية، وعُرف بالسخاء الزائد، والكرم الفائض، إلا أنه- حسب الثقاة الذين عرفوه- كان ميالا إلى الخمول والمسكنة، ولم يؤثر عنه أنه ادّعى مقاما أو تصدّر أتباعا.
توفي رحمه الله في 1948/09/29 ودفن بالمّـاطر شرق مدينة جرادة حيث ضريحه مشهور، ويقام عليه موسم سنوي تحضره القبائل المجاورة.
كانت هذه الزاوية/ الجامع كأغلبية زوايا أولاد سيدي الشيخ متنقلة، ثم استقرت جنوب عين بني مطهر، على بعد 28 كلم - بموضع يسمى"المكامن"- وقد بنيت الزاوية في شكل مسجد دائري جميل، وحوله المرافق الضرورية، تـُحيَى به المناسبات الدينية، وتزوره العشائرالمجاورة جماعات وفرادى.
و الفرق الثلاث التي كانت قيِّمة على زاوية الحاج عبد الحكم بن الشيخ عبد القادر السماحي هي كالتالي:
* القوادر يتوزعون بين عين بني مطهر، جرادة، العيون الشرقية، وجدة، بركان عين الصفا، ومكناس.
* السعيدات ويوجد أغلبهم (أولاد بحوص بن قدور، أولاد البشير، الزياينة، الجرابعة وغيرهم) بعين بني مطهر، وتوجد قلة منهم بوجدة، مراكش، والدار البيضاء، كما يوجد بعضهم بولاية سعيدة وولاية النعامة بالجزائر.
* الكرارمة يوجد أغلبهم بعين بني مطهر، وقلة منهم بمراكش والدار البيضاء.

3- آل التاج بن عبد القادر السماحي

زاوية إبراهيم بن التاج (حفيد سيدي الشيخ من ابنه التاج) بأم ڤرار:

أنشأها أحفاده بأم ڤرار، ويتمثل دورها في استقبال الزوار خاصة أثناء موسمه بها.
" ويعتبر إبراهيم هذا من ضمن أولاد سيدي التاج الذين لمعوا بفضل إقدامه وبسالته اللتين أكسبتاه نفوذا لدى القبائل العربية، ومكنتاه من ثروة طائلة، ومجد تليد امتد صداهما حتى بلغ بلاط مولاي رشيد (السلطان العلوي)..."[148].

زاوية إبراهيم بن الحرمة بقرية أولاد الميمون:

ولرفع الإلتباس، فهو إبراهيم بن الحرمة بن محمد بن **إبراهيم** (فهو حفيد إبراهيم المذكور أعلاه).
" تذكر الوثائق ابتعاد أولاد الحرمة عن أبناء عمومتهم الذين بقوا يعرفون بأولاد سيدي التاج، ويقطنون منطقة العين الصفراء، وذلك إثر خلاف، وسوء تفاهم وقع بينهم في أواخر القرن الثامن عشر، أدى إلى هجرة "الشيخ" جد بوعمامة، وأخيه إبراهيم بن الحرمة إلى مدينة فجيج، واستقرارهما بقصر الحمام الفوقاني، لكن إبراهيم ما لبث أن غادرها نحو الشمال عند بني صميل(أولاد الميمون) **Lamoricière** (كما كانت تسمى في فترة الإحتلال) وهناك توفي ودفن تحت قبة أقيمت له خصيصا، لا تزال إلى يومنا هذا قائمة بمكان يسمى (بإسمه) سيدي إبراهيم.
لكن على الرغم من استقرارأغلبية أولاد الحرمة بفجيج فإن روابط القرابة كانت تشدهم على الدوام بأبناء عمومتهم في منطقة العين الصفراء (أولاد سيدي التاج) وبأولاد الميمون(أولاد سيدي إبراهيم بن الحرمة)[149]."

زاوية الشيخ بن الحرمة (آل سيدي التاج) بالحمام الفوقاني بفجيج

كان الشيخ بالحرمة (وهو أخ إبراهيم السابق الذكر) تلميذا للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ومقدمه بقصرالحمام الفوقاني بفجيج، وكان من المواظبين على زيارة شيخه بزاويته بباب الريح (بوبريح) الواقعة في قبيلة بني زروال ناحية فاس، وكانت الزاوية الدرقاوية إذاك قد غطت بإشعاعها كافة المناطق المغاربية.
وسمعتُ من حفيد حفيده الفقيه الأجل، القائد الحاج لخضر بن الطيب[150] القصة التالية:

---

[148] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص 38.
[149] المرجع السابق، ص 38.
[150] الحاج لخضر بن الطيب حفيد بوعمامة، تقلد قيادة أولاد سيدي الشيخ القاطنين بالعيون ونواحيها في 11 غشت 1924 بظهير من السلطان مولاي يوسف العلوي، خلفا لإبن عمه أحمد بن المنور، ثم أضافه السلطان قيادة قبيلتيْ

" ذات مرة همّ سيدي الشيخ أبي الحرمة بزيارة شيخه مولاي العربي الدرقاوي ولكن عندما تفقد القافلة الذاهبة من فجيج إلى فاس تبين له أنها ذهبت منذ أيام، ولا يمكن اللحاق بها، فتألم لذلك كثيرا، وحركه الشوق إلى خارج المدينة، هائما على وجهه يتتبع آثار القافلة، متمنيا لو كان له جناح طائر للحِقَ بها، ولم يشعرإلا وهو بباب الزاوية الدرقاوية، ودخل على شيخه زائرا، فقال شيخه على الفورللحاضرين - مُعَرّضا بحالة القادم عليه -: لا بد للفقير من التعب في السفر والسير بسير القافلة إن هو أراد نيل ثواب الزيارة كاملا.

ورجع سيدي الشيخ مع القافلة، ثم حان حين الزيارة التالية، فآلى على نفسه أن يذهب- مع القافلة - راجلا حافيا من فجيج إلى فاس، وبينما كان مولاي العربي الدرقاوي في خاصته، لاحظوا عليه تأوها وتألما فسأله أحدهم عما يشكوه، فقال إني أتألم لسيدي الشيخ بالحرمة فهو قادم عليّ حافيا".

قبل وفاته أوصى الشيخ بالحرمة أهل قصر الحمام الفوقاني أن يدفنوه في الجهة التي يخافون منها مباغتة العدو لهم، وأن لا يحرسوها، وكان فعلا محل دفنه موضع أمن وأمان، رغم أنها كانت سابقا منفذا للإعتداءات المتكررة على أهل القصر، وهذه من كرامته رحمه الله.

خلف من الأبناء:المنور، محمد، الحرمة، بوسماحة، و**العربي** (والد الشيخ بوعمامة) الذي اختار له إسم شيخه مولاي العربي الدرقاوي.

لا زالت زاوية الشيخ بالحرمة قائمة، بمسجدها الذي جدده أحد المحسنين، ويحافظ عليها أحد القائمين عليها من ذريته، وإن أصبح زوارها قليلين، وضريحه في ركن من مسجده المذكور، وقد أنشأ الشيخ بوعمامة (حفيده) زاويته بجوار هذا المسجد، ولا تزال معالمها ماثلة للعيان، وإن امتدت إليها يد الإهمال.

تقف بالجانب الشمالي من الزاوية قبة بيضاء لأحد أبنائه، وهو المنور بن الشيخ بلحرمة، الذي اغتاله قطاع الطرق (من آيت سغروشن وأولاد الناصر) بالمكان المسمى:"حجرة السن"، وهو في طريقه إلى فجيج ، قادما من إحدى قبائل بني جيل، في يونيو 1888م[151].

الشجع وبني وكيل سنة 1944. وبقي في منصبه إلى سنة 1957 إزداد سنة 1890 وتوفي في 2006/2/21 بتاوريرت ودفن داخل ضريح جده الشيخ بوعمامة بعيون سيدي ملوك بالمغرب الشرقي، كان رحمه الله فقيها ورعا، عارفا بالقبائل وأنسابها، أديبا لبقا كريما، محبا لآل البيت وأهل العلم والفضل، ومما سمعت منه أنه أقام في بداية الثلاثينات من القرن الماضي حفلا دينيا كبيرا لشيخ الطريقة العلاوية المستغانمية، العارف بالله الشيخ أحمد العلاوي، عندما قدم من مستغانم مع أتباعه في طريقه إلى فاس.

كان الحاج لخضر من فرسان المنطقة، محبا للخيل، وكان الصيد هوايته المفضلة، عندما كانت النجود العليا وجبال الصحراء الجنوبية الشرقية تعج بأنواع الوحيش أغلبها الغزال والأروى والأرنب والحبارى والحجل والقطا.

[151] - De La Martiniere et La Croix, DPSENOA, p..381



زاوية ومسجد الشيخ بالحرمة
بالحمام الفوقاني بفجيج



قبة المنور بن الشيخ بن الحرمة
بالحمام الفوقاني بفجيج.

زاوية بوعمامة آل سيدي التاج بعين بني مطهر

بوعمامة بن العربي بن الشيخ بن الحرمة من آل سيدي التاج وهذا الأخير أصغر أولاد الشيخ السماحي[152]، (وربما يكون الحاج أحمد هو أصغر أولاده، لأنه كان يلقب بالمازوزي، والمازوزي في لهجتهم هو الأصغر).
إزداد بفجيج بالحمام الفوقاني سنة 1840 م حيث ضريح جده الشيخ بالحرمة السابق الذكر.

شب بوعمامة وملامح الإجتباء تلوح عليه، وروائح الولاية تتضوع منه، وأحوال القرب والجذب تأخذه بين الفينة والأخرى، عزاها المؤرخون الفرنسيون - جهلا - إلى مرض عقلي، زعموا أنه كان ينتابه، وتزوج ربيعة إبنة عمه المنورالسابق الذكر، ثم انتقل إلى بني ونيف حيث كان الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن زيان آل سيدي ابن عيسى، مقدما لزاوية سليمان بن أبي سماحة فانقطع لخدمته، ومما يُحكى عن أنواع خدمته، أنه كان يذهب ليلا رفقة زوجته ربيعة، فيجمعان من الحطب ما يكفي حاجة الزاوية، ويضعان الحطب سرا حيث يحتاج إليه زوّارُ الزاوية وأهلـُها، ويذهبان خفية إلى مقرهما، وبقي في خدمة الشيخ محمد بن عبد الرحمان حتى أذن له في الرحيل إلى أم قرار، ناحية العين الصفراء، حيث أنشأ أول زاوية له سنة **1875**م ، وبها يوجد ضريح أحد أجداده إبراهيم بن التاج. ومنها كان منطلق جهاده.

ذات يوم، قيل للشيخ محمد بن عبد الرحمان بعد ظهور بوعمامة وانتشار صيته:" يُشاع أن سيدي بوعمامة أخذ جميع ما لديك من البركة والسر**!** " فأجابهم بما يؤكد علو كعبه في الطريق، وطول باعه في التصوف:"البحر لا تكدِّره الدلاء".
كان محمد بن عبد الرحمان من تلامذة سيدي الغازي بن العربي شيخ الطريقة الغازية بتافلالت المتوفى سنة 1254 هـ .
أما الشيخ محمد بن عبد الرحمان فقد توفي سنة **1918**م عن عمر يناهز **114** سنة.

قبيل انتهاء مرحلة الجهاد بالجزائر، وعند اضطراره إلى اللجوء إلى المغرب ذهب الشيخ بوعمامة إلى مدغرة (جنوب الراشدية) حيث أخذ عن شيخ عصره، العارف بالله، الشيخ سيدي محمد العربي المدغري ، شيخ الطريقة الدرقاوية ووارث سرها، وبذلك تـُعَد طريقة بوعمامة (البوعمامية) امتدادا للطريقتين الغازية والدرقاوية. ولبوعمامة مراسلات مع شيخ الدرقاوية. وقد كان هذا الأخير من الداعين إلى مقاومة الإحتلال الفرنسي ومن المشاركين فيها بأتباعه، وبعد وفاته كان يُنظر إلى بوعمامة كوارث سره تصوفا وجهاد[153].

[152] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة ص 40.

[153] De La Martinière et Lacroix ; DPSENOA.p.152.

بلغ بوعمامة شأوا في التصوف، وكان يُنكِرُعلى من يقول بوراثة السر بالنسب فقط، وكان يشترط كباقي العارفين الأهلية والإذن[154].
يعدّه بعض المؤرخين من شيوخ الدرقاوية[155] التي تفرعت عنها عدة طرق كالحراقية، والعلاوية، والمدغرية، والهبرية وغيرها.
أسس بوعمامة فرعا ثالثا للطريقة الشيخية، مع كون مشربه من غيرها، كما كان زعماء الغرابة والشراقة شيوخا للطريقة الشيخية مع انتسابهم لطرق تربوية أخرى.
رغم اشتهار زاوية بوعمامة، وكثرة أتباعها، واتساع إشعاعها، بقيت الزاوية الشيخية الأصلية بالأبيض مقسمة التقسيم التقليدي بين الشراقة والغرابة، ولم يخطر ببال بوعمامة أن يكون طرفا ثالثا، وإنما اكتفى بالأتباع الذين استقطبهم لصالحه، وكانت أعدادهم تتزايد مع إعلان الجهاد.
كانت زاوية بوعمامة متنقلة إلى أن استقرت بعد وفاته، في فترة ابنه الطيب بن بوعمامة الذي أقامها سنة 1911 م على بعد ستة عشر كلم شمال غرب عين بني مطهر.
أخذ الطيب بن بوعمامة في بدايته عن أبيه ثم في النهاية عن الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي بمستغانم، وقد أخبرني سنة **1979**م الحاج اليمني بن أحمد بن إدريس القادري البودشيشي - المتوفى بعد ذلك عن عمر يناهز 90 سنة - أنه إجتمع بالحاج الطيب بن بوعمامة عند الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي بمستغانم، كما تؤكد ذلك المراسلات التي كانت تجري بينهما (أنظر صورة إحدى رسائله أسفل الفقرة عن أولاد سيدي التاج).
توفي الحاج الطيب - رحمه الله - في 1935/5/7 بعد رجوعه من الحج، وضريحه مشهور بزاويته بناحية عين بني مطهر.
خلفه بعد وفاته الحاج عبد الحكم وبعد وفاة هذا الأخيرأصبح شيخ الزاوية (البوعمامية) حمزة بن عبد الحكم، وقد اتسعت مرافقها، وبنيت بها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومسجد ونواة لمتحف، وتُحيَى بها كل سنة ليلة المولد النبوي الشريف، كما يقام بها موسم سنوي في جمع كبير من أولاد سيدي الشيخ وأتباع الطريقة الشيخية الشاذلية (البوعمامية)، ولا ينقطع زوارها في المناسبات الأخرى.

زاوية بوعمامة بالعيون

كما توجد بضريح بوعمامة بعيون سيدي ملوك، زاوية ومسجد للصلاة، كانت عمورة إحدى بنات الشيخ بوعمامة اتخذتها مكانا لإطعام الزائرين، بجانب الضريح، وكانت تحيي فيها المناسبات الدينية ومن بينها ليلة المولد النبوي الشريف

---

[154] - De La Martinière et La Croix, DPSENOA, p.771

[155] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي مادة " بوعمامة ".

وبعد وفاة هذه المرأة الصالحة لم تعد تقام بها الليالي الدينية أو المواسم كسالف عهدها.

زاوية الطيب بن بوعمامة بتاوريرت

أنشأ الطيب بن بوعمامة زاوية بتاوريرت، على الضفة الشرقية من وادي زا، عندما كانت زاوية بوعمامة المتنقلة تجوب تلك النواحي، وقام بعمارتها بعده الحاج الأخضر، توقف نشاطها وإن كانت البناية لا تزال ماثلة للعيان.

زاوية التاج بن المنور بماجنطة:

أسسها التاج بن المنور، وهو إبن عم بوعمامة السالف الذكر، تقع بولاية سيدي بلعباس، بالجزائر، وكانت لها مكانتها لدى أهل المنطقة، يقصد صاحبها لكرمه، ولإرشاد المريدين، والإصلاح بين أهل الخصومات في حياته، وتولى المهمة بعد وفاته بنوه، فلعبت دورا مهما أثناء الحرب التحريرية[156].

كان التاج بن المنور كريما صالحا مستجاب الدعوة، وكان صاحب دُعابة ومزاح، رغم الهيبة التي كانت عليه، والتعظيم الذي كان له عند الخاص والعام، سمعت من تلميذه الحاج بحوص بن علال آل الطيب(الذي خدمه وكان لا ينقطع عن زيارته طيلة حياته ومات وهو راض عنه كتابة ومشافهة) يقول هذا الأخير:

قال لي سيدي التاج بن المنور: (عامية) أحنا ما نخزنوا ما نحزنوا .

وقال لي ذات يوم يوصيني: عليك بالصاد والصاد (أي الصلاة والصدق)"

ودعا مرة على ظالم فأصيب في الحين فقيل له: ألا تخاف - من الدعاء على هؤلاء- أن تُحاسَب بأرواحهم فأجاب: وهل يُحَاسَب البحر على دابة سقطت فيه؟

أخذ الطريقة عن علال بن الشيخ بن الطيب (الذي أخذ بدوره عن مولاي العربي الوزاني وعن محمد العربي المدغري الدرقاوي) ويروي لي الحاج بحوص بن علال عن شيخه التاج بن المنور أن هذا الأخير قال له :

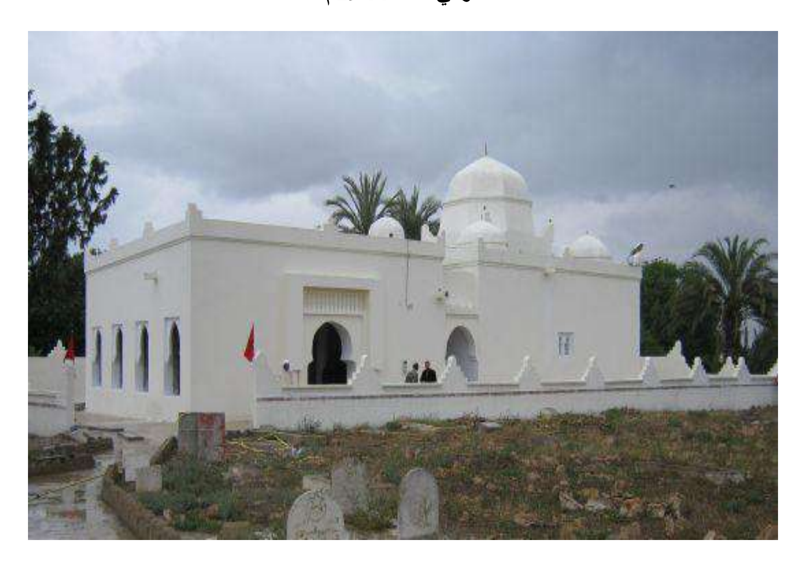
" خدمت سيدي بوعمامة طويلا، وزرته مرارا، وأهديته الحصان تلو الحصان، وذات يوم لما رأى من إلحاحي عليه، خلا بي وقال لي: إنني أعرف ماذا تريد، ولبلوغ مرادك، إذهب الى سيدي علال بن الشيخ، وتودد إليه، فقد حباه الله مقاما عاليا لا يعرفه له أحد، وسوف تنال بغيتك، فقصدت على الفور مقر سيدي علال بن الشيخ الذي كان يتواجد إذاك "بالظهرا"، ونزلت بجامع آل سيدي بحوص الحاج، فعلم بقدومي، ولكنه تجاهلني، ولم يعرني انتباها على غير عادته مع ضيوفه، ففطنت إلى أنه يمتحنني، ويختبر عزيمتي، ونمت ليلتي، فرأيت في المنام أن في وسط حي سيدي علال مصبغة، تصبغ كُوَم الغزل، فتقدمت بنصيبي من الغزل فصبغته بها، فأوَّلت ذلك بأن الله قضى حاجتي من سيدي علال وكان الأمر كذلك. ففي صباح اليوم التالي أقبل علي وأنزلني أليق المنازل وأكرمني أيما إكرام وأخذت عنه، ونلت منه ما كنت أرجوه."

---

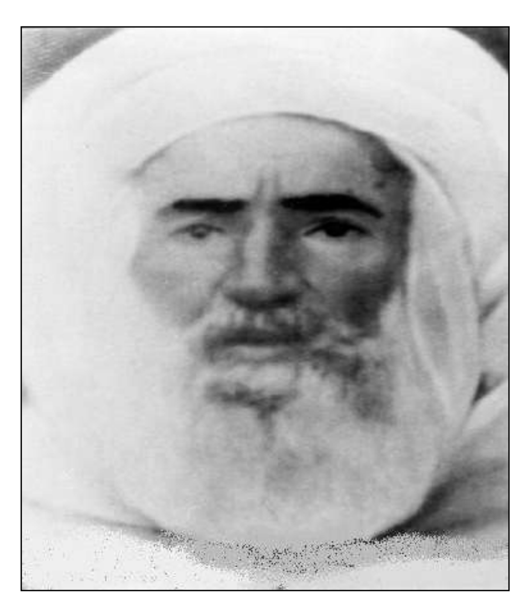
[156] عبد الله طواهرية، رسالة خاصة.



التاج بن المنور بالحرمة آل سيدي التاج
شيخ زاوية ماجنطة
توفي سنة 1944م



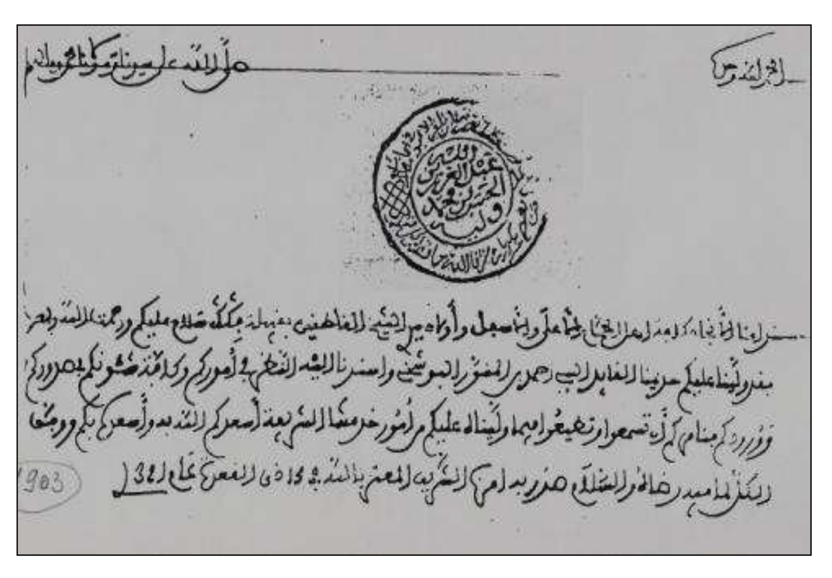
ضريح الشيخ أبي عمامة بن العربي ، بعيون سيدي ملوك(المغرب)
أحد شيوخ الطريقة الشيخية، وزعيم ثورة 1881م ضد الإحتلال الفرنسي.
التقطت هذه الصورة بعد تجديد الضريح والمسجد الملحق به بأمر من جلالة الملك محمد السادس.
وتم افتتاحه يوم الجمعة 11 ماي 2011 م.



الطيب بن بوعمامة
أخذ الطريق عن أبيه الشيخ بوعمامة
وعن الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي



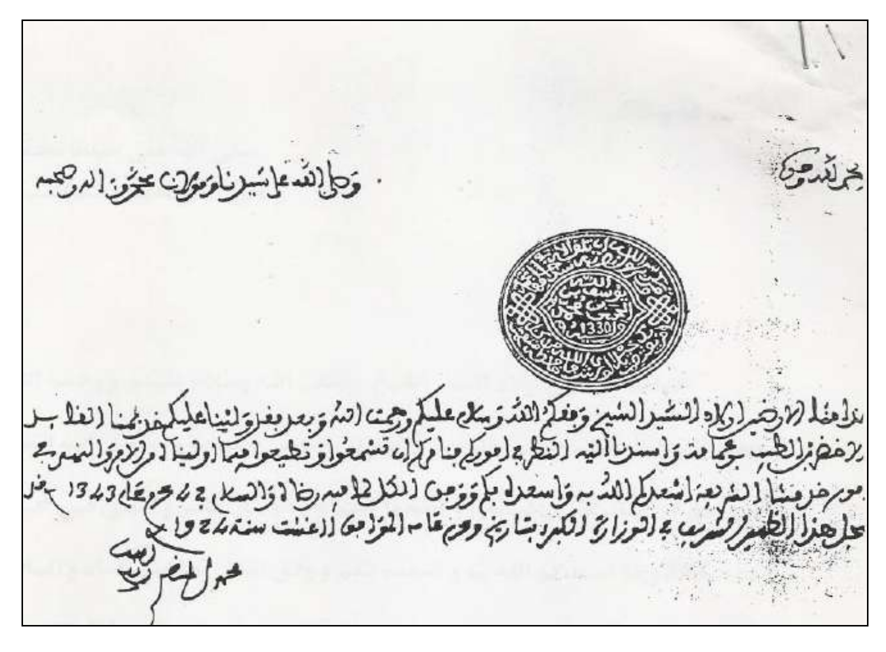
رسالة الطيب بن أبي عمامة إلى الشيخ
أحمد العلاوي (شيخ الطريقة العلاوية بمستغانم بالجزائر)



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خدامنا الأنجاب أولاد سيدي الشيخ القاطنين بفجيج وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد
فقد ولينا عليكم خديمنا القائد أحمد بن المنور البوشيخي وأسندنا إليه النظر في أموركم وكافة شؤونكم [illegible]
وأمرناكم أن تسمعوا وتطيعوا فيما ولي عليكم من أمور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم [illegible]
[illegible] صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في [illegible] ذي القعدة عام 132[illegible]

ظهير شريف للسلطان مولاي عبد العزيز يعين بموجبه أحمد بن المنور قائدا لأولاد سيدي الشيخ القاطنين بفجيج .



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

[illegible] أولاد سيدي الشيخ وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا القائد
لخضر بن الطيب بوعمامة وأسندنا إليه النظر في أموركم [illegible] فتسمعوا وتطيعوا فيما [illegible]
[illegible] خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم [illegible] والسلام [illegible] محرم عام 1343
سجل هذا الظهير الشريف بالوزارة الكبرى بتاريخه [illegible] سنة [illegible]

ظهير شريف للسلطان مولاي يوسف بن الحسن يعين
بموجبه لخضر بن الطيب بن بوعمامة قائدا
لأولاد سيدي الشيخ، خلفا لابن عمه أحمد بن المنور(سنة 1924)



زاوية ومسجد الطيب بن بوعمامة
تقع شمال غرب عين بني مطهر(16كلم)

4- آل بنعيسى الأعرج بن عبد القادر السماحي

سبق الحديث عن آل بنعيسى عندما تعرضنا لذكر زاوية سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف، فهم الذين توارثوا القيام عليها ولا يزالون، كما لا أستبعد أن يكون جدهم بنعيسى بن عبد القادر السماحي قد استفرد بالقيام على زاويتي العباد وآجدل بفجيج بعد وفاة أبيه سيدي الشيخ وذلك للأسباب التالية:

- فقد تكرر ذكر إسمه في كتاب السكوني "تقوية إيمان المحبين" كأحد المراجع التي استقى منها السكوني بعض مناقب سيدي الشيخ، مما يدل على وجوده المستمربفجيج خلافا لأخيه الحاج بحوص(الذي تردد إسمه كذلك في الكتاب المذكور) والذي كان لا يأتي إلى فجيج إلا زائرا لإستقراره بالأبيض، أما إخوته الآخرون فقد تفرقوا في المناطق المجاورة والنائية في فترة حياة أبيهم.

- كما أن نسبه الفجيجي من جهة أمه - لالة فاطمة تامقرانت وهي من حفدة العلامة سيدي عبد الجبار- يربطه أكثربفجيج .

وهذا ما خوله القيام على الزوايا الثلاث :

- زاوية سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف التي لا تبعد عن فجيج إلا بأقل من عشر كيلومترات.

- زاويتي العباد وآجدل بفجيج، ولا أستبعد أيضا أنه كان مستقرا بزاوية العباد التي دفن بعد وفاته بجانبها الشرقي، حيث ضريحه. وورث أبناؤه وحفدته القيام على الزاويتين، إلى أن اندثرت زاوية العباد التي لا نعرف أسباب وتاريخ اضمحلالها، وبقيت زاوية آجدل قائمة، ولا يزال البعض من ذريته قيّمين عليها. وهذا - حسب رأيي- ما شغلهم عن إنشاء زاوية ينسبونها إلى جدهم بنعيسى كأبناء عمومتهم الآخرين.

واشتهر بالصلاح - من بينهم - عبد القادر بن عيسى وأخوه علي بن عيسى، دفين مقبرة سيدي يحيى بن يونس بوجدة .

شارك أولاد سيدي بن عيسى في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وكانوا في طليعة جيش سليمان بن قدور، وهم أول من استقبله وآواه بعد فراره من بلاط السلطان مولاي الحسن بفاس.

- ومنهم الشهيد الشيخ بولنوار الذي كان يقيم منذ 1882 بالعباد بجانب ضريح سيدي بنعيسى وكان له أتباع يخدمونه، شارك في معركة زناقة 1903 وتوفي في 1906ودفن داخل ضريح سيدي بنعيسى[157].



هذا ما كتب على قبر الشيخ بولنوار:
"الله أكبر
الشهيد الشيخ بلنوار بلغ من عمره 60 عام توفي عام 1906
رحمه الله".

[157] " **الشهيد الشيخ بلنوار بلغ 60 سنة من عمره وتوفي عام 1906**" هذا ما وقفت عليه مكتوبا على قبره الموجود داخل قبة سيدي بنعيسى المشرفة من الوداغير على قصر زناقة بفجيج، شهد معركة الخناق بفجيج وربما جرح فيها وتوفي بعد ذلك فلقب بالشهيد. كان يقطن حيث دفن أي بالعباد، وكان له بها أتباع.(قد يكون من فرقة أولاد بولنوار آل سيدي الشيخ وهم قلة مندمجة مع أولاد سيدي بنعيسى) DPSENOA, p.466

لم يبرح أغلب آل سيدي بن عيسى فجيج ومحيطه (بني ونيف والظهرا) وعندما دعى الشيخ بوعمامة إلى الجهاد، انضم إليه البعض من أولاد بن عيسى وإخوانهم أولاد محمد(الذين هم فرع من أولاد بن عيسى)، بزعامة العربي بن المعزوز، وعُرفوا بالشجاعة والثبات إلى أن وضعت الحرب أوزارها، فتوزعتهم مناطق الجهة الشرقية ووسط المغرب، حيث ذرياتهم .

فمنهم من استوطن العيون الشرقية وتاوريرت، ومنهم من نزح إلى نواحي فاس وقرية أبا محمد، واستقرت قلة منهم بالرباط.

من أعيانهم الذين امتازوا في السلم والحرب:

- عبد الرحمان بوجدع الذي عرف بالشجاعة والفتوة.

- الحاج بوعلام بن الهواري: إزداد سنة **1875**م بالنعيمة في قبيلة المهاية، فرقة أولاد عمران، وتوفي سنة **1943**م بوجدة ودفن بمقبرة سيدي المختار. كان ضمن قادة جيش المخزن الذي كان يحارب أتباع بوحمارة، ثم التحق- بأمر من السلطان مولاي عبد العزيز- بنواحي تازة حيث واصل مع مرافقيه ملاحقة فلول مناصري بوحمارة من قبائل غياثة والحياينة.

في سنة **1920**م بعد استتباب الأمن تم تعيينه قائدا بسيدي عبد الجليل بمنطقة مطماطة، ثم استقر - في آخر المطاف - بأهله بمدينة تازة.

آستقينا هذه المعلومات من حفيده محمد بن عبد القادر بن بوعلام البوشيخي، العامل السابق لإقليم تاوريرت، الذي بدأ مشواره الإداري في مارس **1956**م وعين قائدا سنة **1966**م بتطوان، ثم رئيس دائرة بالشاون سنة **1973**م، وانتقل كاتبا عاما من عمالة تزنيت إلى عمالة بني ملال ثم الناضور، وعين في سنة **1997**م عاملا لعمالة تاوريرت، وبقي كذلك إلى أن تقاعد سنة **2004**م.

كان من أطر وزارة الداخلية الذين رتبوا للمسيرة الخضراء التي أمر بتنظيمها الملك الحسن الثاني لاسترجاع الصحراء المغربية بطريقة سلمية. كان محمد البوشيخي في القيادة المتقدمة بطرفاية وفي مقدمة مسيرة إقليم ورزازات الذي حصل له شرف أول مخترق للحدود الوهمية التي إختلقتها السلطات الإسبانية. كما كان ضمن المسؤولين الذين سهروا على تنظيم عودة المسيرة إلى أماكن انطلاقها.

حصل على عدة أوسمة كان أرفعها وسام العرش من درجة فارس .



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

م، 1.97.158 رعايانا الأوفياء المخلصين سكان إقليم تاوريرت.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فرعيا لما نوليه لإقليمكم من كبير عناية وشديد اهتمام ولما أحطناه به دائما من متوالي الرعاية فقد اقتضى نظرنا السديد أن نولي عاملا عليكم خديمنا الأرضى السيد محمد البوشيخي لما نعلمه فيه من ولاء لشخصنا وتعلق بعرشنا وعرش أسلافنا ولما نعرف فيه من قدرة على الاضطلاع بالمهام التي أسندناها إليه وأنطناها بعهدته فنأمره أن يسعى السعي الذي لا يعتريه فتور لتنفيذ ما نرسمه من خطط ونتخذه من تدابير لفائدة إقليم تاوريرت وتحقيق أهدافنا ومقاصدنا لصالح سكانه كما نأمره أن يرقب أحوالكم عن كثب ويعنى بصغيرها وكبيرها ويسهر على شؤونكم سهرا تتوالى به ما نريده لكم من نعم سابغة وسعادة شاملة في الحال والمآل.

وفقه الله وأعانه وسدد خطاه وسلك بكم جميعا أجمل المسالك وهداكم كافة لأقوم السبل وأحسن الطرق والسلام.

وحرر بالرباط في 29 ذي الحجة 1417
الموافق لـ 7 مايو 1997

وقعه بالعطف
الوزير الأول

صورة للظهير الشريف الذي عَيَّنَ به الملك الحسن الثاني ،
محمد البوشيخي عاملا على إقليم تاوريرت بتاريخ 7 مايو 1997م.



الحاج بوعلام بن الهواري البوشيخي الصديقي آل بنعيسى





ضريح سيدي بن عيسى الأعرج (إبن الشيخ عبد القادر السماحي)
يقع على الهضبة المطلة من قصرالوداغير على قصر زناقة بفجيج
ويقع الضريح في المكان الذي كانت فيه أول زوايا سيدي الشيخ
وهي زاوية العباد التي لم يبق منها إلا الأطلال.



رسالة السلطان مولاي الحسن الأول إلى أولاد سيدي بنعيسى
وأهل زاوية سيدي الحاج ابراهيم.

5- آل الحاج إبراهيم بن عبد القادر السماحي

جامع الحاج إبراهيم بضواحي عين بني مطهر:

الحاج إبراهيم بن عبد القادر بن محمد، توفي ودفن بأوڤروت، بجانب مسجد لأخيه الحاج بحوص. وذريته إحدى الفرق المكونة لأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

في سنة 1876 م عندما استجاب سليمان بن قدور لأمر السلطان مولاي الحسن - بضمانة شيخ الطريقة الوزانية مولاي عبد السلام بن العربي - استـُقبل سليمان وبمعيته بعض أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة من طرف السلطان حيث قدموا له فروض الطاعة عنهم ونيابة عن ذويهم، وعلى إثر هذه الزيارة بعث السلطان رسالة إلى من لم يحضر المقابلة، وهم أولاد سيدي بنعيسى وأولاد سيدي الحاج إبراهيم، تقول الرسالة الملكية :

" خدامنا المرابطين الأخيار، أولاد سيدي الشيخ، آل سيدي بنعيسى، وأهل زاوية سيدي الحاج إبراهيم، وفقكم الله لما فيه رشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد،

فقد وصل إلى حضرتنا العالية بالله إخوانكم وأدوا واجب السمع والطاعة، وشافهوا جنابنا العالي بالله بما أنتم عليه من الهدنة والمسكنة واشتغالكم بما يعنيكم، وخروجكم من الفضول

وما لا يعنيكم، فقد تحملتم على أنفسكم ولا يعود عليكم ذلك إلا بالخير في دينكم ودنياكم، وعلمنا ما ذكرتم في شأن جيرانكم بني جيل، وما طلبتم من تجديد الوصية عليكم، فقدجددنا لهم الوصية عليكم، وأكدنا عليهم في زيادة احترامكم ومراعاتكم، وكونوا ترفعوا ما أوجبه الله عليكم من الزكاة والأعشار إلى يد المتولي عليكم حيث كان نزولكم معهم ونطلب الله أن يوفقكم ويصلحكم ويحفظ عليكم دينكم ودنياكم والسلام .

في 27 شعبان عام 1293هـ.[158] "

والذي يعنينا في الرسالة هو التأكيد على أن أولاد الحاج ابراهيم كانوا في 1876م أهل زاوية متنقلة، كما تخبرنا الرسالة بأنهم في جوار قبيلة بني چيل، وأن مجال انتجاعهم وترحالهم يمتد من شمال فجيج إلى جنوب عين بني مطهر. وقد تزامنت الرسالة مع ذهاب سليمان إلى فاس مع شيخ الطريقة مولاي عبد السلام، ولا شك أن بعض أولاد الحاج ابراهيم الذين كانوا صحبة سليمان هم الذين أدوا واجب البيعة عن إخوانهم المستقرين ببني چيل، كما تأكد الرسالة أعلاه.

استقر آل الحاج إبراهيم ببني ونيف سنة 1869، وكانت لهم بها أملاك تتمثل في دور ونخيل.[159]

توجد أغلبيتهم بالمغرب الشرقي، ومجموعة منهم بقلعة السراغنة ناحية مراكش .

♦ كانت زاوية الحاج إبراهيم متنقلة تجتمع حولها ذريته، إلا أن ظروف العيش وتوالي سنين الجفاف ألجأت الكثير منهم الى الهجرة إلى مناطق متفرقة في المغرب قد تضمن لهم بعض الشغل، أو تيسر لهم الهجرة الى أوروبا. كانت زاوية أو جامع الحاج إبراهيم عبارة عن خيمة، تمارس فيها العبادة والذكر الجماعي، والإجتماع في المناسبات، واستقبال الضيوف والزوار.

في 2007/5/26 تم افتتاح مسجد باسم "جامع سيدي الحاج إبراهيم" في المكان المسمى قْعيدة هلال، شرق عين بني مطهر (يبعد عنها بحولي 30كلم) تم ذلك في حفل بهيج، حضره أعيان أولاد سيدي الشيخ من الجهة الشرقية، وبعض أعيان القبائل المجاورة، وأئمة مساجد عين بني مطهر.وبنيت بجانبه المرافق الضرورية له، وعُيِّنَ له قيماً دوريا بين فرق آل الحاج إبراهيم.

توارث تسييرَ هذه الزاوية كبارُهم، منذ استقرارها بقبيلة أولاد سيدي عبد الحكم في عهد حمو سيدي في بداية القرن العشرين وهو من أعيان أولاد الحاج إبراهيم وزعمائهم إبان مقاومة الشيخ بوعمامة.

[158] رسالة السلطان مولاي الحسن الاول (في ملك المؤلف) .

[159] De La Martiniere et La Croix .DPSENOA. p. 501

♦ آل الحاج إبراهيم بناحية قلعة السراغنة[160]

على بعد عشرين كلم شمال قلعة السراغنة، بقيادة العوامر جماعة الروافع، توجد قبيلة "أولاد الشيخ" كما يطلق عليهم، ويُقصد بهم أولاد الحاج إبراهيم الذين لم نستطع تحديد تاريخ وصولهم إلى هذه المنطقة.

جدهم الحاج إبراهيم بن عبد القادر السماحي السابق الذكر، أمه خديجة بنت القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الحكم من أولاد المسعود الجراري الوطاسي المريني، وله أخوان شقيقان هما الحاج عبد الحكم وامحمد عبد الله، وكان أصغرهما،لأن الشيخ محمد بن سليمان الصائم التلمساني التقاه بتلمسان بعد وفاة سيدي الشيخ، ووصفه بأنه كان شابا، تحدث عنه في الجزء الأول من كتابه "كعبة الطائفين" الذي تسنى لنا الاطلاع عليه، وقد يكون تحدث عنه في باقي الأجزاء، لأن صداقة حميمية وأخوة في الله كانت تجمع بينهما، وذكر المؤلف أن الحاج إبراهيم أخذ الطريقة الجزولية عن الشيخ الحسن بن عبد العزيز بن سيدي رحال البدالي الكوش[161]. عندما التقى به بيت الله الحرام بمكة، وبشره بالفتح القريب، وقد كان الأمر كذلك، كما حكى الحاج إبراهيم لصديقه الصائم التلمساني. ثم يحكي لنا هذا الأخير أن الحاج إبراهيم مات شهيدا دون أن يعطينا تفاصيل أكثر، وبما أنه دفن في أوقروت ـ أدرار- فالمحتمل جدا أنه كان يشارك في الجهاد وجرح على أبواب وهران، حيث كان الصراع بين المجاهدين والمحتلين الإسبان، ثم نقل جريحا حيث توفي ودفن بالمكان المذكور، كما توفي قبل ذلك أبوه الشيخ عبد القادر السماحي متأثرا بجروح أصيب بها في معركة ضد الإسبان في نواحي وهران وقد سبق بيان ذلك في ترجمة الشيخ السماحي.

وزاوية سيدي رحال مشهورة شمال مراكش وجنوب قلعة السراغنة، ووجود فرقة من أولاد الحاج إبراهيم قريبا جدا من الزاوية الرحالية، واستقرارهم في هذه المنطقة دون غيرها، مع صعوبة تصور الأسباب التي تجعلهم ينتقلون من واوڤروت ـ مستقر جدهم- بالصحراء الشرقية إلى مراكش، كل هذا يجعلنا نميل إلى الفكرة التالية: وهي أن العلاقة الربانية التي جمعت بين الحاج إبراهيم وشيخه الرحالي كانت السبب والدافع وراء وجود بعض ذريته بهذه الناحية، فقد يكون هذا الاستقرار بدأه بعضُ الافراد بزيارات متتالية ومتكررة للتواصل مع شيخ أبيهم أو الأخذ عنه واستمر ذلك مع أبنائه من بعده، ثم كان الاستقرار النهائي لأسباب كثيرة،

---

[160] رواية شفوية تلقيتها من الصديقي عبد المجيد بن الحاج إبراهيم (آل الحاج ابراهيم) موظف سابق بعمالة قلعة السراغنة، كان أبوه الحاج ابراهيم من أعيان المنطقة. نقلت هذه المعلومات بتاريخ .2008/10/22 بقلعة السراغنة.

[161] محمد الصائم التلمساني، كعبة الطائفين، ص 226.

كطلب العلم، أو المصاهرة مع أهالي المنطقة، أو الانخراط في عمل ما، ومع مرور الزمان تكونت من هؤلاء الأفراد المستقرين عشيرة ثم أصبحت قبيلة.
ترتفع في وسط أراضيهم قبة شيدوها باسم مقام جدهم الحاج إبراهيم بن الشيخ لربط الصلة به، أما جدهم المذكور فهو دفين أوقروت (توات/الجزائر)، تنازل لهم السكانُ الأصليون عن الأراضي التي يقطنون بها، ولا يزال جنابهم محترما بينهم.
ينقسمون إلى أربعة فروع :

- الرزازقة
- آيت الفقيه (ذرية سيدي بن يوسف)
- آيت بن التهامي
- آيت ابّيهْ (إبراهيم)

يحملون من الأسماء العائلية إسم الصديقي، البوشيخي، المعطاوي، اليوسفي.
من أعيانهم :

▪ أحمد بن يوسف بن أحمد بن حمادي :

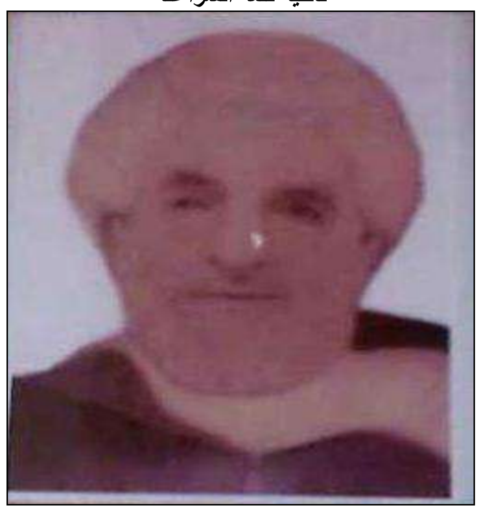
درَس بفاس وبها درَّس، وأفتى في نهاية عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وولاية إبنه مولاي الحسن الأول، وكانت له مكانة عند السلطانيْن الذيْن قلداه ظهائر التوقير والاحترام، وكان من فحول الحفـّاظ بالقراءات العشر، وشرع في كتابة مصحف على هامشه القراءات العشر كل قراءة بلون معين ولم يتمه .
كما كتب قصيدة يسجل فيها مَنْ جَمَعُوا - من أهل المنطقة - بين الولاية وحفظ القرآن بالقراءات السبع، وبدأها بسيدي رحال البدالي الكوش، وختمها بنفسه، وفي أثناء كتابة هذه القصيدة، كان يأتيه - وهو نائم - من توفرت فيه هذه الشروط فيطلب منه إضافته إلى قصيدته، فيوقظ خادمته لإشعال الشمعة حتى يضيف إسم الوارد عليه، وعندما قيل له: لِمَ أضفت نفسك إلى هؤلاء؟ أجاب: لو لم أكن منهم لما أتوني يطلبون مني إدخالهم في قائمة أهل هذا المقام.
عندما عاد من فاس إلى أولاد الشيخ صحب معه صديقه الشياظمي وهو أحد الثلاثة الذين كانوا يتقنون القراءات بالعَشرَيْن بالمغرب إذاك، ويقال أنه كان من الأبدال.
أنشأ سيدي أحمد بن يوسف مدرسة علمية بأولاد الشيخ لم تلبث أن جذبت إليها طلبة العلم من كل حدب وصوب، وأصبحت "تاسَّاوت" محجا لطالبي العلم طيلة حياته ولا تزال آثار مدرسته ماثلة للعيان، وبها قبره، توفي سيدي أحمد بن يوسف سنة 1898م وخلف ستة أولاد حصلوا كلهم على نصيب وافر من العلم، وكان أفقههم الحاج أبوبكر المتوفى يوم 1991/7/15م .

▪ محمد بن بُو امْحمد: أول من درس اللغة العربية وعلومها في التعليم النظامي بالمنطقة .

▪الحاج إبراهيم الصديقي : كان من أعيان قلعة السراغنة، ومن أهل الحل والعقد بها وكانت له مكانة محترمة عند أولاد سيدي الشيخ في غرب وشرق المغرب وفي الجزائر التي كان يزورها في عدة مناسبات.



مقام الحاج ابراهيم
بقيادة العوامر جماعة الروافع
ناحية قلعة السراغنة



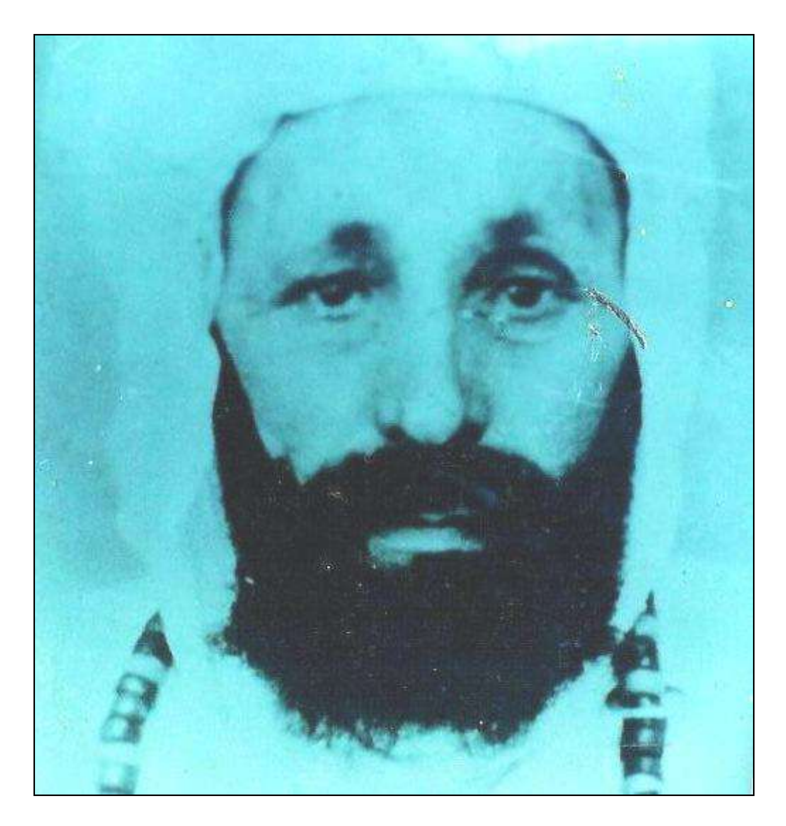
الفقيه العالم الحاج بوبكربن أحمد
بن يوسف آل سيدي الحاج إبراهيم
المتوفى 1991/7/15م

6- آل الحاج بن الشيخ (بن عبد القادر السماحي)

من أعيانهم وأهل الصلاح فيهم **محمد بن معمر** الذي كان يقطن بتلمسان في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ثم ارتحل إلى وجدة واستقر بها وخلف بها ذريته، ومن أحفاده من يحمل إسم **بنتاج** ومنهم من يحمل إسم **معمر**. صحب محمد بن معمر العارفَ بالله الشهير سيدي أحمد التجاني، وكان من المقربين إليه، ويحتمل أنه تعرف عليه في بوسمغون، وعندما وصل سيدي أحمد التجاني إلى وجدة في طريقه إلى فاس استضافه محمد بن معمر في داره بوجدة. وقد ترك الشيخ التجاني لمحمد بن معمر (بلغته) أي حذاءه الذي توارثه أبناؤه من بعده.
(وقد ذكره الشيخ أحمد سكيرج في كتابه رفع النقاب).

زاوية السخونة:

من أعيانهم كذلك الحاج محمد الزاوي (أو الزوي) من آل الحاج بن الشيخ، ازداد سنة 1891 بنواحي الأبيض سيدي الشيخ، أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ الحاج محمد بن عبد القادر التاجروني، ثم جددها عن الشيخ مولاي عبد الله آل الحاج بن عامر، كما أخذ الطريقة الوزانية والتجانية عن الشريف مولاي التهامي بن مولاي الطيب شيخ زاوية وزان بالمغرب، ثم قَدِمَ في الثلاثين من عمره على الشيخ الطيب بن بوعمامة بزاويته بعين بني مطهر، فأخذ عنه الطريقة الشيخية، ولزمه حتى أذن له في العودة إلى مسقط رأسه وتأسيس زاويته والدعوة إلى الله، أسس زاوية الموحدين وهي زاويته الأولى بدائرة الرقاصة ناحية البيض سنة 1933، ثم أسس بعدها زاويته الثانية بعين السخونة سنة 1946.
ترك الحاج محمد بن الحاج بحوص أتباعا، ومن بين مريديه الحاج أحمد بن بحوص مؤسس زاوية متليلي، وكان الحاج محمد شاعرا مُجيدا، تظهر قوة ملكته الشعرية في كل المواضيع التي طرقها. توفي في 1954/7/7. بزاويته السخونة ودفن بها.
أشرف على تسيير الزاوية – بعد وفاته- ولده الحاج المختار بن الحاج محمد، وبعد وفاة هذا الأخيرعاد أمرها إلى إبنه الحاج حمو الطيب بن المختار.
وتوجد بعض الفرق والتجمعات من آل الحاج بن الشيخ في وجدة ووادي الحيمر بناحية وجدة وكذلك بسايس ناحية فاس.



الحاج محمد (الزوي) بن الحاج أبي حفص
صاحب زاوية السخونة نواحي تيارت
أخذ عن الطيب بن أبي عمامة.
توفي سنة 1954م

7- آل عبد الرحمان بن عبد القادر السماحي

كان ولاء أولاد عبد الرحمان (أو الرحامنة) لأبناء عمهم أولاد الحاج بحوص، إذ هم معدودون من أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ولا شك أن الحرب التي شنها أولاد حمزة في 1864 ضد الاحتلال كانت وراء هجرة الرحامنة، إلى شمال/غرب الجزائر حيث أهم تجمع لهم، وإلى المغرب حيث استقروا نهائيا بعدة نواحي.

♦ أبن باديس (سابقا: Descartes): قرية من نواحي بلعباس بالجزائر يوجد بها تجمع مهم للرحامنة، كما لا تخلو ولايات الجنوب الغربي الجزائري من عائلات قلّت أو كثرت من الرحامنة، خصوصا بولاية البيض .

♦ عين الله: من نواحي فاس بالمغرب: توجد بعين الله القريبة من مولاي يعقوب ناحية فاس عدة عائلات من آل عبد الرحمان بن عبد القادر، وقد كانت مقاومة أولاد سيدي الشيخ للمد الاستعماري الفرنسي وراء هجرتهم كبقية أبناء عمومتهم.
كما تستقر بعض عائلاتهم بتاوريرت (ناحية وجدة).

8- آل آمحمد عبد الله بن عبد القادر السماحي

جامع آمحمد عبد الله بناحية جرادة

كان أولاد آمحمد عبد الله ضمن أولاد سيدي الشيخ الغرابة بزعامة الشيخ بن الطيب، مثلهم مثل فروع الغرابة الآخرين، ولم يُعرف لهم انفراد بزاوية ما إلى أن انفرط عقد الغرابة كقبيلة - بعد استتباب الأمر للإحتلال الفرنسي بالمغرب والجزائر- فاجتمع أولاد امحمد عبد الله حوالي سنة 1945م حول جامع نسبوه إلى جدهم، كان الشيخ بن لخضر قيّما عليه، ثم انتقل حوالي 1950م إلى بالخلوات، ومنه انتقل الى بحوص بن بوعمامة بالمعزوز، وبعد الترحال في نواحي جرادة و"الظهرا"، إستقر جامع امحمد عبد الله في المكان المسمى بالحاسي الأبيض بين جرادة وعين بني مطهر، حيث بنيت في عين المكان مرافق تابعة للجامع، لاستقبال الزوار والضيوف، و بعد وفاة بحوص بن بوعمامة، توارث أبناؤه القيام على هذه الزاوية.
من أعيانهم الحاج محمد النميلي الذي كان مضرب الأمثال في الشجاعة والإقدام.

9- آل الحاج أحمد بن عبد القادرالسماحي

♦ **زاوية الحاج أحمد بالعيون الشرقية**:
انشأها اولاد الحاج أحمد القادمين مع الشيخ بوعمامة بزعامة إسماعيل بن قدور ولكنها لم تعمر طويلا.
كما اشتهرقدور بن محمد بن قدورالبوشيخي بالكرم، ومنعة الجانب وكانت له حظوة كبيرة عند سكان القُربوس، حيث كان يقيم بين أحفير وبني درار، ولم يشتهر بإقامة زاوية.
توجد تجمعاتهم بوجدة والعيون وجرادة وسايس ولالة ميمونة.

♦ **آل الحاج أحمد بلالة ميمونة (ناحية سوق الأربعاء الغرب)**[162]

يصعب تحديد تاريخ انتقال أولاد الحاج أحمد إلى لالة ميمونة تاڤناوت، إلا أن المحتمل جدا هو أن رحلتهم كانت في أواسط القرن التاسع عشر، حيث دفعت -

[162] معلومات استقيتها من شيخ قبيلة أولاد سيدي الشيخ بالمهاية(سايس) المسمى الشيخ بوشتا من آل المصطفى، يوم 2008/7/16.

الحرب الدائرة بين أولاد سيدي الشيخ والاحتلال الفرنسي على أراضيهم - بعض أولاد سيدي الشيخ إلى الهجرة إلى المغرب حيث كانوا ينشدون الإستقرار، وقد كانت سبقتهم فلول إخوانهم إلى نواحي فاس ومكناس، فلا يستبعد أن تكون هذه الأسباب مادية ومعنوية قد طوحت بهم غربا حيث حطوا الرحال.

♦ كان زعيمهم قدور بن بوبكر قائدا للأبيض سيدي الشيخ في 1844م ولعب دورا رياديا في الأحداث التي دارت في الجنوب الغربي قبل وبعد احتلاله من طرف القوات الفرنسية الغازية (ونسبه هو كالآتي : قدور بن بوبكر بن الحاج الشيخ بن يوسف بن عبد الحكم بن أحمد بن محمد بن الحاج أحمد بن عبد القادر- سيدي الشيخ-).

10- آل المصطفى بن عبد القادر السماحي

♦ توجد أكبر تجمعاتهم بالمعازيز بولاية تلمسان بغرب الجزائر، كما يوجدون جماعات ووحدانا مع أبناء عمومتهم أولاد الحاج بحوص بالجنوب الجزائري أما داخل المغرب فلهم مجموعتان :

♦ أولاد المصطفى ببركان ونواحيه : كان أول وافد على هذه المنطقة هو قدور بن محمد بن امحمد بن مصطفى بن عبد القادر(المدعو سيدي الشيخ). استقر أول أمره بواوزغت/تنزارت غرب تافوغالت، وبعد مدة انتقل أحفاده إلى الشويحية. كان من أعيانهم امحمد بن أحمد المتوفى سنة 1987م ، الذي التقى في شبابه بالشيخ سيدي أحمد العلاوي شيخ الطريقة العلاوية بمستغانم. كما كان من أعيانهم الحاج محمد بن أحمد الذي أخذ عن الشيخ العارف بالله سيدي بومدين القادري البودشيشي.
يقطن أغلبهم اليوم ببركان والشويحية وغيرهما[163].

♦ أولاد المصطفى بسايس (فاس/مكناس): يوجدون بسهل سايس، أغلبهم استوطنها في الهجرات التي تلت الحروب التي كان يخوضها أولاد سيدي الشيخ ضد الاحتلال الفرنسي لبلادهم.

11- آل بولنوار بن عبد القادر السماحي

هم قلة، يوجد بعضهم بالمغرب مع أبناء عمومتهم أولاد سيدي بنعيسى بفجيج، كما يوجد بعضهم مع أولاد الحاج بحوص بالجزائر، ولم تعرف لهم زاوية خاصة بهم كما في علمنا .

[163] معلومات استقيتها من الحاج عبد السلام عيادة، القاطن ببركان. من ذرية قدور بن محمد أول قادم إلى المنطقة. وهم من آل المصطفى بن الشيخ السماحي.

آيت بوسماحة

تبعد هذه الفرقة عن الخميسات بـعشرين كلم تقريبا، تقع في الشمال الشرقي منها والراجح أن هذه الفرقة تنتمي إلى عشيرة أولاد الحاج أحمد أحدى فروع أولاد سيدي الشيخ، فهم الأكثر توزعا في مناطق المغرب والجزائر. من أسماء عائلاتهم البوشيخي، الزغاري، أفزاز. كانت لأعيانهم علاقة، وصلة رحم مع أولاد سيدي الشيخ بساي

المــــواسـم

تـُقام عدة مواسم - بـالجزائر والمغرب - علـى ذكرى سيدي الشيخ (عبد القـادر بـن محمد السماحي)، كمـا تقـام عـدة مواسم أخـرى علـى ذكـرى جده وأبيـه وعمـه وأبنائـه وبعض حفدتـه، تختلـف أهميتهـا وحجمهـا، حسب المحتفَـل بـذكراه، وحسب القبائل والأماكن والأوقات. من هذه المواسم من توقفت إقامتها نهائيا، ومنها من فترت جذوتها، وأغلبها يقام إلى الآن، وكمـا يسمى **الموسم** موسما فـي بعض الأماكن يسمى فـي بعضـها **بالوعدة** (لأن الموسم يصبح وعدا يقطع الأهالي علـى أنفسهم إقامته سنويا) كما يسمى **اللمة** (لإلتمام الناس حوله) ويطلق عليه كذلك إسم **الركب** ويقصد به في الغالب ركب ستيتن الذين كـانوا يـأتون علـى ظهور إبلهم فـي شكل قوافل تحملهم وتحمل ما يكفيهم للإقامة ثلاثة أيام أو سبعة أيام بالأبيض سيدي الشيخ.

وهذه المواسم كالتالي :

موسم بوسماحة بتبو:

عاش بوسماحة في قرارة، واكتُشِفَ أخيرا قبرُه بناحية تيميمون بتوات أنتيبو على بعد 16 كم من شروين حيث شُهِر مزاره[164].

موسم سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف

موسم محمد بن سليمان بالشلالةالظهرانية

موسم أحمد المجذوب بعسلة

أحمد المجذوب بن سليمان المتوفى في عام **978 هـ** هو عم سيدي الشيخ أخذ عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي، وأطنب الفقيه أحمد بن أبي محلي في ذكر مناقبه، ونسب إليه بعض الاعتراض على تصرفات إبن أخيه سيدي الشيخ، يوجد ضريحه بعسلة شمال العين الصفراء، ويقام على ذكراه موسم من أكبر

[164] Milad Aissa, Al Yaqouta, Poême mystique de sidi cheikh , Page 1.

المواسم، يكون حافلا بحلقات ذكر الله، وفرصة للتزاور والتعارف وإطعام الطعام، ومناسبة للشعراء لإلقاء قصائدهم، ولهواة الفروسية، ورقصات البارود .

موسم الأغواط (ستيتن) بالأبيض سيدي الشيخ ويطلق عليه إسم الركب:

هو أقدم موسم يقام على ذكرى سيدي الشيخ، وهو حفل كبير وسوق سنوي مهم يحضره الزوار بالآلاف من الجزائر والمغرب، يقع في شهريونيو من كل سنة يدوم ثلاثة أيام فأكثر، كان أولاد سيدي الشيخ ينتظرونه لإقامة مؤتمرهم السنوي الذي يحرصون أشد الحرص على حضوره، فيجتمع الشمل وتتواصل الأرحام، وفيه تُدرس مشاكل الزاوية، ويجري تقييم عملها، وتتجدد الصلة بالقيّمين عليها، وتـُجدَدُ الثقة في المسؤولين عن الزاوية، أو يُعيَن غيرهم إن اقتضى الأمر ذلك.

موسم قبيلة المهاية غرب مدينة وجدة (المغرب) ويسمى وعدة سيدي الشيخ :

جاء في تاريخ إبن خلدون: "أن قبيلة معقل القادمة من الشرق تنقسم إلى ثلاث فرق هي ذوي منصور المستقرة وسط المغرب، وذوي حسان الموجودة بسوس، وذوي عبيد الله التي تنتشر بين تلمسان وتاوريرت، ومعهم ناجعة يسمون **المهاية**، ينسبون تارة إلى مهاية بن عياض، وتارة إلى مهاية بن مطرف"[165]. كما كانت تجاور ذوي عبيد الله - من الشرق- قبيلة بني عامر، التي كان المهاية يختلطون بهم أحيانا – بحكم الجوار– وأصبحوا ينتسبون إليها، ومع مرور الزمن أصبح المهاية قبيلة مستقلة بذاتها، رغم تعدد وتنوع أصولها.

تقيم هذه القبيلة- التي تربطها بسيدي الشيخ روابط قديمة - موسمًا سنويًا بسيدي موسى (13 كلم) غرب مدينة وجدة، على طريق فجيج، حول ضريح دفن به أحد أعيان أولاد سيدي الشيخ (وهومن أحفاد محمد بن زيان دفين وجدة)

يُقام الموسم لمدة ثلاثة أيام، في شهرغشت من كل سنة، وقبل الموسم تجتمع لجنة من أعيان المهاية لتعيين تاريخ الموسم، وتنظيم أنشطته، وتحديد أماكن مرافقه.

تَحكي الرواية الشفوية عن مهاية - وهوإسم سيدة من قبيلة بني عامر(بطن من بطون بني هلال) - ومهاية، في العامية، هي مؤنث مَهَا، على غير قياس لغوي، أما لغة فمَهَا تـُذكر وتـُؤنث ويُسمى مذكرها أيضا اليعفور، ويقصد به نوع من بقر الوحش، كان العرب يتغنون بجماله وسَعَة عيونه وسوادها، وتوصف به أجمل النساء، قال شاعرهم :

عيون **المها** بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا ادري

كانت مهاية سيدة في قومها، وكان لها ولد يشارك في حملات الجهاد التي كان يقوم بها المجاهدون من القبائل المتاخمة لوهران، إذ كان الإسبان يحتلون هذه

[165] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ذوي عبيد الله (موقع الصفحة):
(http://khatab38.blogspot.com/2010/30/blog-post-3287.html?m=1)

المدينة بعد طرد المسلمين من الأندلس، وفي إحدى الحملات ألقي عليه القبض واقتيد أسيرا إلى إسبانيا.

كان صيت سيدي الشيخ - إذاك - يملأ شرق المغرب وغرب الجزائر، وكان أعيان قبيلة بني عامر من مريديه، يعظمونه ويتتلمذون على يده، وفي إحدى زيارات وفود بني عامر لسيدي الشيخ، صَحِبَتهم مهاية الى زاويته، وشكت لسيدي الشيخ ما حل بولدها، وكيف أصبح أسيرا، وطلبت منه أن يدعو الله لها في خلاص إبنها، فدعا لها.

واستُجيب الدعاء وعاد إليها إبنها، وبارك الله فيه، وأصبح من أعيان القبيلة مكانة وثراء، وتكاثرت ذرياته، وبقيت تلك العلاقة الربانية التي تربط بين أولاد سيدي الشيخ و ذرية ابن مهاية متصلة متواصلة.

تحكي الرواية الشفوية عن كيفية إطلاق سراح إبن مهاية :

" عندما أُخِذَ - هذا الإبن - أسيرا أُعْطِيَ لأحد رؤساء الإسبان للخدمة في قصره، فاستعمله طباخا عنده، وذات يوم وهو يهيئ الطعام لسيده، ظهرت فجأة أمامه كلبة صيد، فاختطفت من أمامه قطعة اللحم التي كان ينوي طهيها، فأسرع خلفها يريد استرجاعها منها، فجرت وجرى خلفها، لا يلتفت إلى شيء، خوفا من سيده، ولم ينتبه إلا وهو في حي بني عامر، واختفت الكلبة من أمامه، فكان فرح أمه وأهله لا يُقدّر، واحتسبوها من كرامات سيدي الشيخ، والتزمت مهاية كباقي بني عامر بتقديم هدية سنوية لدعم زاوية سيدي الشيخ في نشر نشاطها الديني.

وفي ذلك يقول الشاعر المجاهد محمد بن بلخير الأغواطي:(ملحون)

بكري جَاتْ عجوزْ ليكْ مْهَايَةْ	عند الرومْ وليدها يتمرمـــــــدْ
جابت عشر جمال ليك هديـــة	كل جمل مليــــان قمح مــزرد
وتنوح بدموعها ذرايـــــــــةْ	غي عشي واللي طلبته يُوجــــدْ
ولدك في ساعة يكون هنايـــةْ	خَفْ من العيطــــــة ولمح الثامدْ

<u>موسم قبيلة المهاية بمنطقة سايس(بين فاس ومكناس)</u>

عرب سايس هم خليط من قبائل ذات أصول مختلفة منهم من هاجر إلى المغرب على إثر احتلال الجزائر من طرف الإستعمار الفرنسي، ومنها من وفد - قبل ذلك- من المناطق الشرقية على منطقة سايس، في صدر نشوء الدولة العلوية، بطلب من ملوكها، لتأمين الطريق بين فاس ومكناس، واقطعت لهم - مقابل ذلك - أراضي الدولة لتثبيتهم بها، وقد كان يطلق عليهم جيش عرب سايس.

- الأغواط: قبيلة عربية، منطلقها القريب من التل الصحراوي بالمغرب الأوسط، حيث لاتزال أصولها بمنطقة البيّض حاليا (الجزائر) ولا يزالون يحملون نفس الأسماء، ومنه هاجرت إلى المغرب " يعتبر البعض أن سبب تركهم لمواطنهم الأولى - وحصل ذلك سنة 1832 - كانت ترجع لأسباب عقائدية، أي أنهم يربطونها

بدخول الإستعمارالفرنسي إلى الجزائر"[166]ويتكونون من عدة فرق، هي أولاد مومن وهي ذؤابتهم، والرزيڤات، أولاد الڤرعة، الڤراريج وغيرهم.
كما ينضاف إليهم البعض من أولاد سيدي يحيى، وأولاد زياد، وأولاد سيدي الشيخ وهاته الفرق لها أصول مستقلة - بالشرق - عن الأغواط، ولقلتها أصبحت تحسب عليها.
- المهاية " حسب الرواية الشفوية فإن أصل قبائل المهاية من وجدة وأقدم فخذة استقرت بالمنطقة هي أولاد سليم ومن الفروع التي تضمها قبيلة المهاية بسايس نذكر:
أولاد سليم، لخراريب، أولاد براز، الحرميين، الزوالة، بني مطهر، الرحامنة.
وترتبط قبيلة المهاية بضريح سيدي الشيخ المدفون بالقبيلة، وبضريح سيدي الشيخ هذا الموجود بين ظهراني القبيلة، يقيم الشرفاء، وتتكلف القبيلة بإطعامهم، كما تخصص كل دار بالقبيلة شجرة زيتون أضافة الى الخضر والحبوب لهذا الضريح/ الزاوية، كما يقام بالضريح نفسه موسم تطعم خلاله القبيلة كل الوافدين عليه"[167].

<u>موسم قبيلة العمور (جماعة عبو لكحل - بين بوعرفة وفجيج -)</u>



"عبو لكحل" مركز جماعة العمور.

[166]حليمة بن كرعي، قبائل جيش عرب سايس، ص 18.
[167] نفس المرجع السابق ص 30.(تذكر المؤلفة – سهوا أو خطأ - أن الضريح لسيدي الشيخ والصحيح أن سيدي الشيخ قبره بالأبيض بالجزائر، أما الضريح المذكور فقد بني كرمز لذكرى سيدي الشيخ من طرف مريديه من المهاية وأولاد سيدي الشيخ بعد ترحيلهم إلى المنطقة، توجد في الضريح المذكور ثلاثة قبور، أحدها لعلال بن الشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة وشيخ الزاوية الشيخية الذي قدم من عين بني مطهر لزيارة ذويه، وتوفي ودفن بالضريح سنة 1922م. والقبر الثاني لأحد الشرفاء، والثالث لأحد أولاد سيدي عبد الحكم فرقة الزيانية.

قبيلة العمور من القبائل الهلالية القادمة من الشرق إلى المغرب العربي بين القرنين الثامن والتاسع الهجرييْن، استقرت باديء أمرها بآفلو، ولا يزال جبل العمور - الكائن بين تيارت والأغواط - يحمل إسمها. ثم لأسباب ما - كصراع القبائل أو توالي سنوات الجفاف - نزحت غربا واستقرت بنواحي العين الصفراء[168].

في مطلع القرن الثاني عشرالهجري، كان زعيمهم عَبـُّو لَكْحَل وهو جد إحدى فرقهم، يشتهر بشجاعته، وقوته البدنية، التي كانت مضرب الأمثال، ومما يُظهر قوة وضخامة أعضائه المكسوة بالشعر، أنه كان - كما يُحكى- يُدخِل يده إلى المرفق في قربة العسل فيخرجها وقد علق بها كل ما في القربة، ثم يُدخلها ويعصر ما بها فتعود القربة ملئ كما كانت.

خاض عبو لكحل عدة حروب منها اصطدامه بقبيلة المهاية، التي اضطرها الجفاف إلى ارتياد أراضي العمور، فاعترضهم عبو لكحل لمنعهم من الإنتجاع، فلجأ المهاية الى عبد القادر بن عيسى (حفيد سيدي الشيخ) للوساطة بينهما، كان سيدي عبد القادر رجلا صالحا، فذهب إلى عبو لكحل يعرض عليه السماح للمهاية بالمرور، فامتنع قائلا بسخرية:(عامية)"خديمك راه هايج"، فغضب عبد القادر ورد عليه قائلا: (عامية) أنت هايج وأنا هايج، ونتلاقو في الفوايج"، والفوايج مكان اصطدم فيه المهاية مع العمور، في معركة دارت الدائرة فيها على العمور- حسب الرواية الشفوية - وقـُتل عبو لكحل ودُفن بالمكان الذي حمل اسمه منذئذ.

من بعض فصائل العمور من لا تزال تحتفظ بعمود نسبها الذي يصلها بعبو لكحل.

كان أعيان قبيلة العمور من مريدي الطريقة الشيخية، منذ تأسيسها في القرن العاشر الهجري، وربطوا مصيرهم بأولاد سيدي الشيخ إبان الحرب التي شنوها على الإستعمارالفرنسي الدخيل منذ 1845م، وعانَوا مثلهم مثل أولاد سيدي الشيخ تهجيرا وتشريدا وسجنا واستشهادا، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

أكدت معاهدة لالة مغنية (المبرمة بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر في 1845/3/18م) مغربية العمور في بندها الرابع، إلا أن اكتساح الإحتلال الفرنسي لأراضيهم المغربية جعلهم - مثل أولاد سيدي الشيخ الغرابة - في وضع ممزق بين ولائهم لهويتهم الوطنية، وبين تشبثهم بأرضهم المغتصبة التي ضمها الإحتلال للجزائر، كما تفرق رأيهم بين إغراءاتِ الإحتلال لاستمالتهم إليه، وحثِّ المخزن لهم على التمسك بوطنيتهم، ووقع شرخ كبير بين مصالحهم ومبادئهم، فقد استحوذ الإحتلال الفرنسي - من جهة - على أسواقهم وقراهم ومجالهم الرعوي وعطل بذلك جميع مصالحهم الضرورية، ورفضوا هم - من جهة أخرى- كل مساومة على حريتهم وإسلامهم ووطنيتهم (في فترة كان فيها مصطلح الجنسية والوطن غير معروفين ولا متداولين). وهذا ما يفسرحالة المد والجزر الذيْن عرفتهما قبيلة

[168] De Lamartinière et Lacroix, DPSENOA p. 250.

العمور ذهابا وإيابا بين العين الصفراء وشمال فجيج من 1847م إلى 1893م[169] أي بين الجزء الأكبرمن أرضهم الذي أصبح جزائريا بقوة الإحتلال، والجزء الأصغر الذي بقي مغربيا والذي لا يفي بحاجياتهم المعيشية. ولم تستقر نسبيا هذه القبيلة إلا عندما بسط التوسع الفرنسي نفوذه على جميع أراضيها - باحتلاله للمغرب - وأرغمها على الإستسلام.

تعرض العمور بين 1847م-1894م إلى تعسفات كثيرة، وقدموا تضحيات كبيرة، وفي محاولة احتوائهم عمدت السلطات الفرنسية إلى تغيير إسم"**العمور**" بإسم بعض عشائرهم، لتبديل هويتهم التي كانوا يعرفون بها، والإلتفاف- من ثم - على معاهدة لالة مغنية التي أكدت مغربيتهم، ولما رفضوا ذلك تعرضت طائفة منهم للتهجير القسري، حيث رُحّلوا إلى آفلو ثم إلى سعيدة، كما تمت محاكمة بعضهم - بتهم مختلفة - حضوريا وغيابيا.[170]

عندما أعلن الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة ثورته ضد الإحتلال في 1845م كان العمور إلى جانبه حيث برهنوا على مغربيتهم ورفضهم للغزو الفرنسي[171].

وعندما ثار بوعمامة في 1881م كان العمور في موعدهم مع ثورته، وواصلوا جهادهم في صفوف جيشه من بداية المقاومة إلى نهايتها[172].

ظهر فيهم عدة زعماء وقفوا بشمَم وعناد ضد الإحتلال الفرنسي، حاربوه ورفضوا إغراءاته ومساوماته، وأحبطوا مناوراته، على رأسهم محمد ولد علي الذي كان يلقب بـ "**سلطان الجبل**" وبوفلجة ولد مبارك الذي عينه السلطان مولاي الحسن قائدا للعمور سنة 1884م، والزعيمان المذكوران هما من فرقة أولاد عبد الله ثم من عشيرة أولاد الأعور[173].

في سنة 1879م اشترطت السلطات الفرنسية على العمور- مقابل السماح لهم بدخول أسواق الجزائر-أن يمدوها بأخبار تحركات زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة (علال بن الشيخ) وزعيم الشراڤة (قدور بن حمزة) وارتاد العمور أسواق الجزائر ولكنهم أنفوا ورفضوا أن يُبَلغوا أي خبر عن مقاومة أولاد سيدي الشيخ[174].

عن قبيلة العمور تقول السلطة الفرنسية في تقارير ضباطها وساستها :

" إن خضوع العمور لنا لم يكن إلا تحت القوة أو عند الحاجة، ولا يستسلمون لنا إلا وهم يُضمرون العصيان، فلا يترددون عن إعلانه عندما يجدون إليه سبيلا، ولذا لا يمكننا السيطرة عليهم إلا بضم كامل أراضيهم إلينا، ومنها جبل بن سمير

[169] De Lamartiniere et Lacroix, DPSENOA, p. 317 ;
et voir également : Ross E. Dunn, Resistance in the Desert 1881-1912, p. 171.
[170] De Lamartiniere et Lacroix, DPSENOA, p.308.
[171] ibid, p.260.
[172] ibid, p.273.
[173] ibid, p.287.
[174] ibid, p.269.

(معقل عُصَاتهم) فيصعب عليهم إذاك الإنتجاع في أراضي غيرهم، وسوف تطاردهم قبائل بني چيل وأولاد جرير، ويضطرون في النهاية إلى قبول الدخول تحت طاعتنا[175]".وإلى هذا المآل المحتوم انتهى أمر قبيلة العمورفي 1894م.

توجد حاليا قبيلة العمور- بالمغرب - في مجموعات مختلفة العدد، بفجيج (حيث مركز جماعتهم القروية بعبو لكحل الواقع شمال\غرب فجيج ب 25 كلم) وبوعرفة، ونواحي سايس، وفي أقليات بعين بني مطهر، والعيون الشرقية.

والعمور فرق كثيرة منهم: أولاد عبد الله، المرينات، أولاد قطيب، الصوالة، الشوارب، أولاد الشحمي، المذابيح .

تقيم قبيلة العمور موسما سنويا أحياء لذكرى سيدي الشيخ يوم 10 أكتوبرمن كل سنة بضريحه بفجيج، كان الموسم يقام لمدة ثلاث أيام، يذكر فيه الله، ويقرأ فيه القرآن، ويطعم فيه الطعام، كما يشارك فيه أعيان قصور فجيج، ويُستدعى له أعيان قبائل بني چيل وأولاد سيدي الشيخ القريبين والبعيدين. ولا زال الموسم يقام ولكن بحضورأدنى واهتمام أقل، واقتُصر فيه على يوم واحد هو: 10 أكتوبر(بالتقويم الفلاحي).

هناك مواسم أخرى تابعة لما سبق ذكره من الزوايا والمزارات، يقام أغلبها بين شهر يونيو وسبتمبر من كل سنة، ومن المواسم التي تقام بالجزائر:

موسم السخونة بناحية تيارت
موسم سيدي الشيخ بأم چرار ناحية العين الصفراء
موسم سيدي الشيخ فقّارة الزوا بعين صالح
موسم سيدي الشيخ بفاتيس
موسم الحاج بحوص بوادي الناموس وقصور ڤورارة
موسم بحوص الحاج بالبنود
موسم إبراهيم بن التاج بأم چرار
موسم إبن الدين بڤورارة
موسم الحاج امحمد عبد الله بالساهلة (عين صالح)
موسم سيدي الشيخ بمتليلي
موسم تيميمون

[175] ibid, p.317.

ا لمــــزارات بالمغرب (ويوجد مثلها أو أكثر منها بالجزائر)

مزار سيدي الشيخ بقرية سيدي موسى ناحية وجدة :

هو المكان الذي تقيم فيه قبيلة المهاية بناحية وجدة، موسمها السنوي، ولا شك أن سيدي الشيخ نزل بزاويته هناك، فقد أشار إبن أبي محلي في كتبه إلى نزول الشيخ السماحي قرب قبيلة الزكارة، ولا أرى مكانا أليق بهذا الوصف من المكان الذي يقام به الموسم الحالي. فهو محاذي لأرض الزكارة، ولا أستبعد أن يكون قد أصبح مزارا بعد رحيل سيدي الشيخ عنه، وكان منذ ذلك الحين معروفا محدد المكان من لدن أسلاف المهاية، إذ لا يمكن أن يكون اختياره جزافا، أما دفن أحد أولاد سيدي الشيخ بهذا المكان فقد جاء متأخرا في العقود القريبة.

مزار الحاج بحوص بالحلوف ناحية فجيج

لا شك أنه مُصلى أومكان إقامة مؤقت الحاج أبي حفص بن عبد القادر السماحي، الذي كان يعرف بكثرة تنقلاته، واتخذه أحباؤه مزارا بعد وفاته، فهاذا المزار يقع بالمكان المسمى الحلوف، في طريق القادم من فجيج، الذاهب الى إيش فتلمسان أو وجدة.

مزار أبي حفص الحاج بالفقرا (الضاحية الغربية لعين بني مطهر)

يقع غرب عين بني مطهر، يبعد عنها بأربع كلومترات، يقال إن أبا حفص الحاج الحفيد، كان ينزل به وهو في طريقه إلى مكناس لزيارة السلطان مولاي إسماعيل بن علي[176]، الذي تجعل منه الذاكرة الشعبية أحد شيوخ أبي حفص الحاج في التصوف، وبناء على ما تحكيه الرواية الشفوية :

" أن المسمى السكّوم كان قائدا من قبل المولى إسماعيل لقبيلة أولاد عبد الكريم (نواحي البيّض) وذات مرة أغار القائد المذكورعلى إحدى القبائل التي كان أغلب أهلها من مريدي أبي حفص الحاج، فأخذ أموالهم. إستغاث القوم بشيخهم، فذهب أبو حفص الحاج في وساطة لرد المظلمة، ولكن السكّوم رفض الوساطة. غضب أبوحفص الحاج غضبا شديدا لرفض طلبه، وهمّ بمغادرة الحي، فاعترض طريقه أحمد بن علي، وهو أحد عوام قبيلة السكوم، وألح عليه أن يستضيفه. كان أحمد بن علي ضمن جيش السكوم ساعة الإغارة على القبيلة المنكوبة، وأخذ كغيره نصيبه من الغنيمة.

أكرم أحمد بن علي أبا حفص الحاج، وحاول تطييب خاطره، فأرجع له نصيبه الذي اعْطِيَ له من الإبل المغصوبة، إنبسط بحوص الحاج لمعاملة أحمد بن علي، وهزه حال الطرب فقال:(عامية)

---

[176] أخذ السلطان مولاي إسماعيل الطريقة الناصرية عن الشيخ سيدي أحمد بن امحمد بناصر الدرعي الملقب بالخليفة.

" السكومْ تـنقصْ وتـنكسْ، وأهل الله كسروا علامَهْ!
وأحمد بن علي تسيسْ وتريسْ، وأهل الله نصروا علامَهْ!
والله يا مولاي إسماعيل بن علي حتى ترضى على أحمد بن علي! "

تحكي الرواية الشفوية أن السلطان مولاي إسماعيل العلوي، كان في مجلس خاصته بعاصمة ملكه مكناس، فضحك وقال: إني رضيت عن أحمد بن علي، فسأله أحد المقربين منه عن الكلام الذي بدر منه، بغير سياق، فقال له : لقد أقسم علي أحد تلاميذي بالبنود (مكان جنوب البيّض) بأن أرضى عن أحد محبيه فاستجبت له.

يقول الراوي أن أمنية بحوص الحاج تحققت، إذ أن قبيلة أولاد عبد الكريم اختلفت حول زعامة السكوم، وفي إحدى زياراتها للبلاط العلوي، اقترحت القبيلة أحمد بن علي قائدا لها بدل السكوم، فلبّى السلطان طلبها، وأصبح أحمد بن علي زعيما، وبقيت الزعامة في ذريته حتى إحتلال الجزائر، وكانوا يلقبون بـ " خيمة مولاي إسماعيل" ومن ذريته القائد الشريف قائد قبيلة أولاد عبد الكريم"[177].



مزار يعرف بمقام بحوص الحاج، يقع بجوار دوار أولاد الغزواني فرقة الفقرا، على بعد 6 كلم من عين بني مطهر على الطريق الذاهبة إلى المريجة. وتقول الرواية الشفوية أنه كان مكانا ينزل به بحوص الحاج،عند قدومه من البنود في طريقه إلى مكناس، لزيارة شيخه السلطان مولاي إسماعيل بن علي.

[177] رواية شفوية عن الحاج بحوص بن علال المتوفى سنة 1996م، ورسالة القائد الشريف زعيم قبيلة أولاد عبد الكريم بالبيض بعث بها الى الراوي (أنظرها في آخر الكتاب).

مزار علي بن بنعيسى (حفيد سيدي الشيخ - عبد القادر بن محمد-) بوجدة

" وُريَ هذا الولي التراب في حوش قرب العين (بجانب ضريح سيدي يحي بن يونس بوجدة) ويسميه البعض خطأ بسيدي يحي. ويقع الحوش وسط شجر البطم وترتفع أسواره مترين، وأعاليها ذات شكل مسنن، وبمدخله يوجد مصلى، وعلى الجهة الشمالية فتحت نافذة مسيجة، وبداخله يوجد ركام من تراب على قبر، وقد زود الحوش بصندوق للصدقات يغلق بالمفتاح.

يعتبر سيدي علي ولد سيدي بن عيسى من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، كان حفيدا لسيدي الشيخ الأكبر، الذي عاش على ما يبدو في نهاية القرن السابع عشر. وكان قد توفي بسيدي يحي ودفن قرب العين ثم بنيت على قبره حويطة من حجر متراكب، واعتقد البعض بعد ذلك أن هذا القبرهو قبر سيدي يحي لاتفاق مكانه والموقع الذي جاء في الروايات. وفي يوم من الأيام أعلن أحد الأهالي أنه رأى في منامه طيف الولي الأكبر الذي يرقد هناك، ففسر هذا الشك لصالح سيدي علي، لأن العامل عبد الرحمان بن عبد الصادق بنى على قبره، سنة1891م الحوش الحالي أملا في تكريم سيدي يحي[178]."

ضريح سيدي محمد بن زيان ببلدية وجدة

"أصله من أولاد سيدي عبد الحكم (أولاد سيدي الشيخ الغرابة) توفي سنة **1780** م وقد أقام البناء على حويطته الشيخ بوعمامة على نسق قبة سيدي سليمان بن بوسماحة، وضريحه بجوارحويطة سيدي عاصم، وقد لقب بصاحب البر والبحر"[179].

بناء على تاريخ وفاته يكون هو: سيدي محمد بن زيان بن عبد الحكم، فهو إذن حفيد سيدي عبد الحكم. وحسب العقيد فوانو**Le colonnel Voinot** في كتابه : وجدة العمالة، لا توجد علاقة نسب بين سيدي محمد بن زيان وسيدي زيان الموجود ضريحه بالقصبة القديمة بوجدة، وهو دفين القبة التي هي أول ما يصادف الداخل من الباب الغربي(أحد البابين المشهوريْن بوجدة، أما الباب الثاني فهوباب سيدي عبد الوهاب- شرق المدينة القديمة-). وسيدي زيان هذا قدم إلى وجدة في عصر المولى اسماعيل واستقر عند أهل أنجاد حيث توفي، وهو حفيد جده سيدي زيان دفين الحيرش ناحية بوعنان.[180]"

أما سيدي محمد بن زيان فتقول الرواية الشفوية عن كراماته:" ضربت سنة جدباء (1780م) أنجادَ (السهل الذي تقع فيه وجدة)، وفي هذه الفترة جاء محمد بن زيان قادما من نواحي الشلالة (ولاية العين الصفراء حاليا) حيث كان مقره، في قافلة قاصدة فاس للتجارة، وكانت شهرته الصوفية تسبقه، فما سمع به سكان وجدة حتى هرعوا

[178] العقيد فوانو، وجدة العمالة لمؤلفه العقيد فوانو (ترجمة محمد الغرايب) ص 161.
[179] Louis Voinot , Oujda Amalat , T II p. 19.
[180] Ibid, p.20.

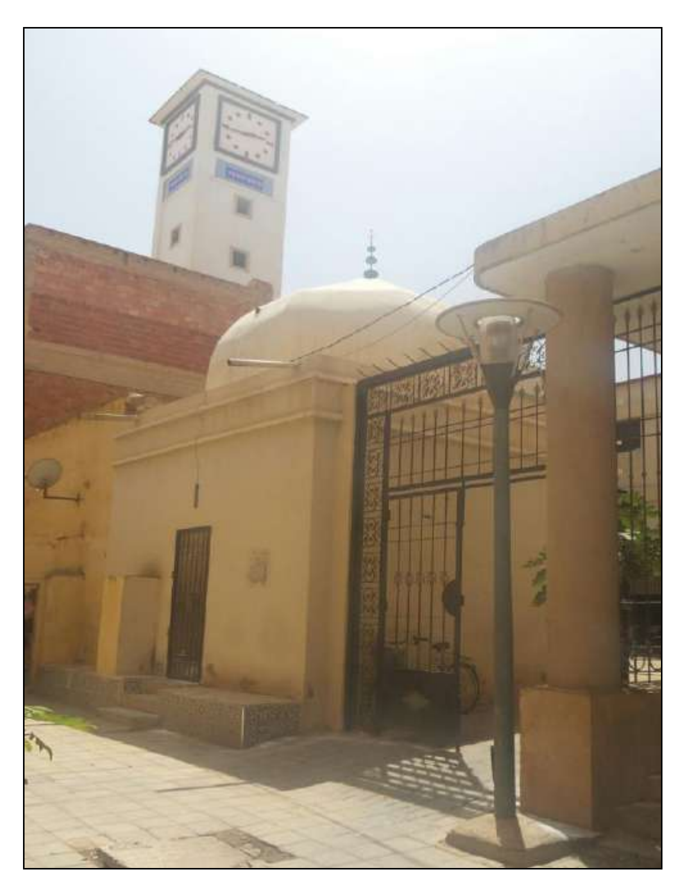
إليه، يتقدمهم الصبية، طلبة القرآن الكريم، يرجونه الدعاء لهم ليرفع الله عنهم القحط، فاستقبلهم، وقال لهم إن هذا القحط لا يرفع إلا بفدية كبيرة، وسيُرفع - إن شاء الله - عندما أعود من السفر، وعند عودته مع القافلة مرض بوجدة وتوفي بها، وكان هو فداء لذلك القحط، حسب ما يستشف من كلامه، وهطلت أمطار الخير وعم الخصب والرخاء، دفن سيدي محمد بن زيان في مقبرة خارج الصور الذي كان يحيط بالمدينة، ولا زال ضريحه ملحق ببلدية سيدي زيان بوجدة في جانبها الشرقي.[181]"

يقول عنه فوانو :" له ضريح تعلوه قبة، ويوجد بجوار حويطة سيدي عاصم، وينتمي إلى أولاد سيدي عبد الحكم، وهم فخذة من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وكان يترحل بمنطقة وجدة، إلى أن توفي سنة 1780م ودفن قريبا من المدينة، وخص في البداية بحويطة حقيرة من حجارة متراكبة، لكن القبة الحالية هي من عمل بوعمامة بناها عندما كان في بني ونيف، وشرع في تشييد قبة سيدي سليمان بوسماحة. ويجمع مقدم الضريح، وهو يسكن وجدة، هبات الزوار. وإلى هذا الولي تنسب عدة خوارق، إذ يحكى أن سفينة كانت عائدة من الحج، وعلى متنها حجاجا، فانشقت نصفين في البحر، وكان ركابها التعساء يرون الموت عيانا ويتلفظون بالشهادة، فظهر لهم سيدي محمد فجأة يمشي على الماء، ثم أخذ نصفي السفينة بيديه وقرنهما في الحال. وكم كانت دهشة الحجاج عظيمة عندما علموا أن صانع هذه المعجزة كان مقيما وقتها بـ"ظهر القاعد" من ضواحي بركَنت حيث رآه عدة أشخاص. واتفق أن دخل وجدة في قافلة وكان سكانها في شدة من حالهم بسبب انقطاع الأمطار مدة سنين، وكان الجفاف يهددهم بالجوع، فذهبوا إليه جزعين وعقروا أمامه ثورا، وتوسلوا إليه أن يدعوا الله لهم، فشرع في صلواته فأمطرت من ساعتها. لكن الله ولا شك أراد مقابل معروفه هذا ضحية جليلة، لهذا أخذ حياة سيدي محمد مع بداية انتشار الأمطار على الأرض. ولقب هذا الولي بصاحب البر والبحر كذكرى لمعجزته في السفينة[182].

---

[181] الحاج بحوص بن علال، حفيد سيدي الشيخ بن الطيب (رواية شفوية).

[182] لويس فوانو، وجدة العمالة (ترجمة محمد الغرايب) ص 148.



ضريح سيدي محمد بن زيان، يوجد ملاسقا لمبنى بلدية سيدي زيان بوجدة.
يوجد داخل القبة قبر سيدي محمد بن زيان ويوجد أمامه قبر
الشيخ بن سليمان بن قدور الذي أتى به القائد بوبكر (قائد المهاية)
جريحا إثر معركة بالجنوب وبعد وفاته دفن بجوار صاحب القبة.

<u>مزار الشيخ بن الطيب بوزدات</u>

وهومكان يقع جنوب غرب عين بني مطهر ويبعد عنها بسبعين كلم تقريبا وبه كانت وفاته ومغسله، بعد ذلك حمل إلى فجيج حيث دفن داخل قبة جده سيدي الشيخ بآجدل بفجيج سنة 1870 م

<u>قبر الشهيد سليمان بن قدور ناحية أنوال</u>

وهو مكان دفنه بعد اغتياله في غشت سنة 1883م، وقد بني عليه حائط وبه مقبرة.

<u>قبر الشهيدين الحاج العربي وسليمان بعقلة السدرة</u>

وهما اللذان استشهدا في معركة عقلة السدرة، ضد أولاد سيدي الشيخ الشراقة في معركة خططت لها المخابرات الفرنسية، للوقيعة بين الفصيلين، ولتشتيت قوتهما، وذلك في 1873/8/3.

<u>قبر الشهيد مولى الفرعة بن الشيخ بن الطيب بالمعذر الأحمر</u>

جرح في معركة ضد القوات الفرنسية بقيادة الضابط : دو لاجاي **De la jaille** في مكان يسمى معذر المصارين على سفح جبل غلس يوم **1870/3/30 م** ومات متأثرا بجراحه. بنى الحاج عبد الكريم بن الطيب، على قبره قبة، وذلك عندما كان قائدا لملحقة بوعرفة سنة 1972 م كما حضر- في وفد رسمي- موسما أقامته قبيلة العمور المجاورة له في نفس السنة.



ضريح الشهيد مول الفرعة بن الشيخ بن الطيب
على ضفة وادي سفكسر بين بوعرفة و أيش.

ضريح أحمد بن الشيخ بجرادة

في 1948 عندما كان في زيارة لأقاربه بجرادة، مرض أحمد بن الشيخ (آل عبد القادر بن عبد الحكم)، ووافاه الأجل بها، فرغب أولاد سيدي الشيخ ومن والاهم من سكان جرادة، إلى ذويه، أن يدفن عندهم، تبركا به، فنزل آله عند رغبتهم، ودفن شرق مدينة جرادة، بالمكان الذي أصبح يحمل اسمه، ويقام بضريحه موسم سنوي تحضره القبائل المجاورة.

أسباب الهجرات المتتالية لأولاد سيدى الشيخ

هذه العشائر من آل سيدي الشيخ المتناثرة هنا وهناك، والزوايا الشيخية الفرعية الناشئة معها والتابعة لها، والمواسم التي تقام - على ذكرى سيدي الشيخ - شرقا وغربا، هذه الحضور البارز من غرب ليبيا إلى غرب المغرب، يدل على تحركات وتنقلات - ملفتة للنظر- لأولاد سيدي الشيخ وأتباعهم عبر أراضي المغرب العربي.

فما هي العوامل التي كانت وراء هجرة أو هجرات أولاد سيدي الشيخ ؟ ومتى كانت ؟

في سنة 1616 م عندما شعر الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي بقرب أجله، بعث في طلب أبنائه الذين كانوا متفرقين في مناطق متعددة بين فجيج وتوات والقصور والواحات القريبة والبعيدة من الأبيض، فجمعهم وأوصاهم باتباع نهجه الذي هو الكتاب والسنة، والتزام التصوف. والقصد من هذا الخبر- الذي أورده غير واحد ممن تعرضوا لحياة سيدي الشيخ أجانبا وعربا- هوأن تفرق أولاد سيدي الشيخ في الأصقاع بدأ في فترة حياة والدهم، حيث يمّموا عدة أماكن وكوّنوا لأنفسهم - أينما حلوا - فروع زوايا تابعة لزاوية أبيهم، ثم توالى التنقل والإرتحال مع أبنائهم وأحفادهم. إلا أن الهجرات المعتبرة التي طوحت بهم جماعات وعشائر بعيدا عن مسقط الراس كانت بعد احتلال الجزائر من طرف القوات الفرنسية، ولهذا كانت هجراتهم منذ هذا الحدث سياسية ودينية (حيث اعتبروا انتقالهم من الجزائر المحكومة من طرف الكفارإلى بلدان المغرب العربي الأخرى التي كانت لا تزال - إذاك - تحت راية الإسلام، اعتبروا ذلك هجرة لله ورسوله من دار الكفر إلى دار الإسلام)[183].

كانت أول الهجرات في سنة 1765م بسبب الخلاف المسلح بين أعيان الغرابة والشراقة حول زعامة الزاوية، وعندها اختار المحايدون- من الفروع الأخرى- والكارهون لهذا الصراع المعيب، الإبتعادَ عنه حتى لا يصبحون طرفا فيه[184].

ثم في سنة 1832 م أعلن الأمير عبد القادر بن محي الدين الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي الداهم، فشارك أولاد سيدي الشيخ في طلائع المجاهدين، ولما استمرت الحرب وانتشرت رقعتها كانت وراء هجرات كثيرة نحو المغرب جرفت بعض عشائر أولاد سيدي الشيخ في تيارها[185].

كانت معركة الشريعة شمال البيّض في 1845/5/2م أول مواجهة مسلحة يفتتح بها الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، ثورات أولاد سيدي الشيخ المتلاحقة، ضد الغزو الفرنسي، وكانت هذه المواجهة سببا لهجرة الغرابة من أراضيهم وقراهم، التي انتقم

---

[183] Michaux Bellaire, Archives Marocaines, p.340.

[184] Delamartiniere et Lacroix , DPSENOA, p. 788 .

[185] بولنوار العربي، معاهدة لالة مغنية، ص 32

منهم الإستعمار بتخريبها، وحرق نخيلها ومزارعها، فانسحب الغرابة إلى نواحي فجيج وعين بني مطهر في هجرة كثيفة.

لما أعلن أولاد سيدي الشيخ الشراقة الثورة على الإستعمار الفرنسي في 1864م هاجرت عشائر أخرى من أولاد سيدي الشيخ إلى المغرب وليبيا هروبا من آثار الحرب، ومن انتقام الإستعمار وتتبعه آثار المشاركين في الثورة .

لهذه الأسباب نجد فرقا من أولاد سيدي الشيخ الشراقة بالأماكن التالية:

- فاس ونواحيها: أولاد الحاج أبي حفص، وأولاد عبد الرحمان، وأولاد المصطفى.
- ببركان ونواحيها : أولاد المصطفى.

كما نجد فرقا من أولاد سيدي الشيخ الغرابة بالأماكن التالية :

- أوباري بليبيا: أولاد أبي حفص الحاج فرع أولاد بودواية.
- بنواحي وجدة وبركان وسوق الأربعاء: أولاد الحاج أحمد[186].
- بنواحي قلعة السراغنة: أولاد الحاج إبراهيم.

في سنة 1876م تم ترحيل بعض عشائر أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى- السويهلة- غرب مراكش لوقف مقاومتهم، وذلك باتفاق بين السلطات الفرنسية والمخزن المغربي، وأغلبهم أولاد سيدي عبد الحكم (ومن والاهم من معابدة،أولاد عزيز رزاينة، حميان)[187].

في سنة 1885م عندما اقتيد العشرات من زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى سجن مكناس- بأمر من السلطان الحسن الأول- تبعتهم فلول عائلاتهم نساء ورجالا لمساعدتهم وزياراتهم، وبعد إطلاق سراحهم سنة 1894م، إستوطن أغلبهم بين فاس ومكناس حيث لا تزال ذرياتهم.

ثم جاءت ثورة بوعمامة التي انطلقت سنة 1881م بنواحي الشلالة، وانتهت - في 1908 م - بضواحي وجدة، وكانت وراء هجرات أخرى أتت بعدة عشائر من أولاد سيدي الشيخ، غرابة وشراقة، تناثرت بقاياهم في المغرب الشرقي بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

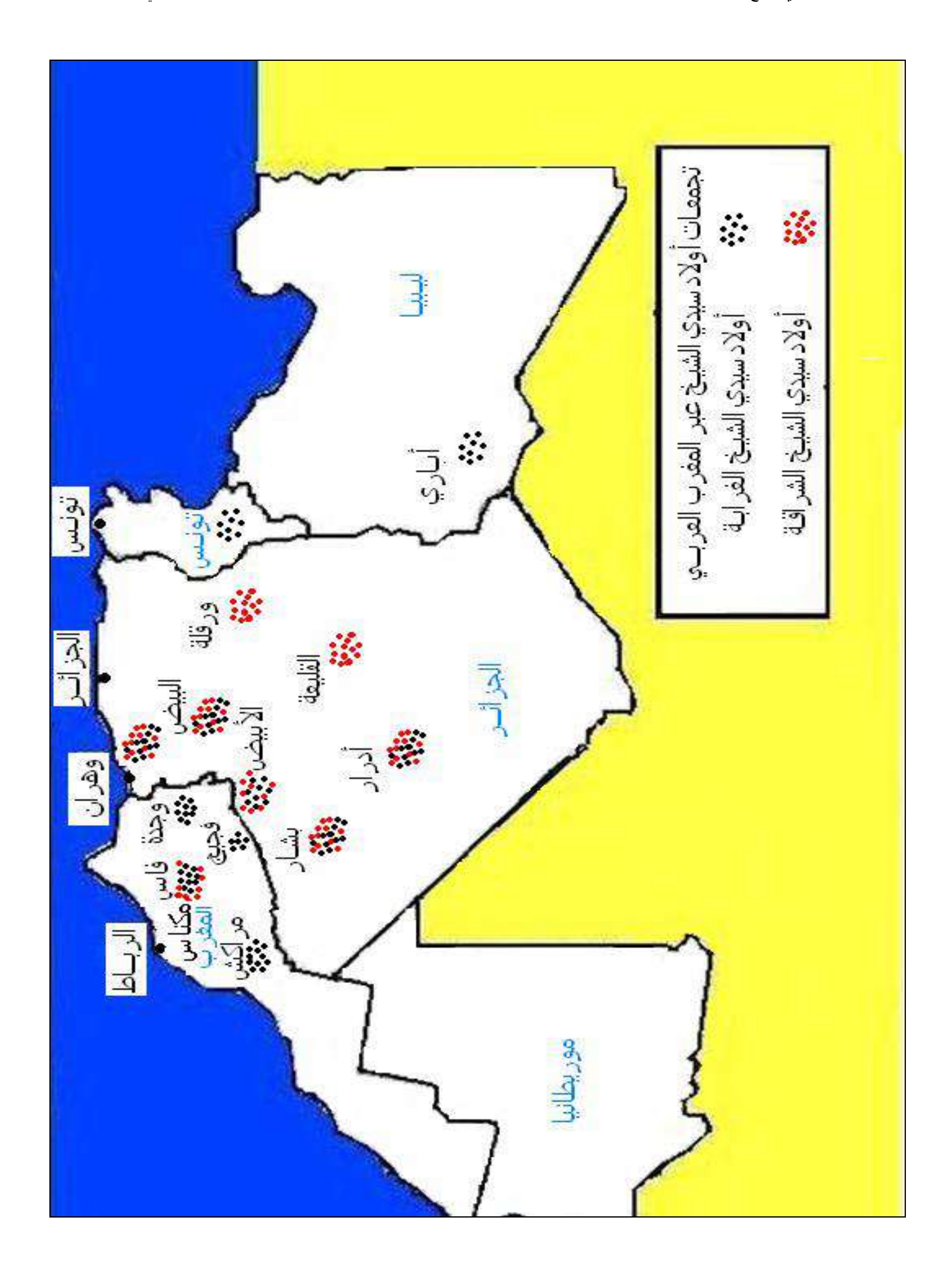
وللأسباب المذكورة أعلاه نجد آثار أولاد سيدي الشيخ موزعا على رقعة جغرافية تمتد من غرب ليبيا إلى غرب المغرب.

توجد بعض عشائر أولاد سيدي الشيخ خارج المغرب العربي، و ذلك شمال جمهورية مالي بالمنطقة المعروفة بالأزواد، وهم خليط من أبناء الحاج بحوص وإبن أخيه بحوص الحاج، ولا شك أنهم اتخذوا هذه المناطق النائية سكنا لهم فرارا من ملاحقات سلطات الإحتلال الفرنسي لهم، على خلفيات المقاومة الشرسة التي واجهوها بها.

---

[186] Delamartiniere et Lacroix , DPSENOA, p.385.

[187] Michaux Bellaire, Archives Marocaines, p. 340


تجمعات أولاد سيدي الشيخ عبر المغرب العربي
أولاد سيدي الشيخ الغرابة
أولاد سيدي الشيخ الشراقة
ليبيا
أباري
تونس
تونس
الجزائر
الجزائر
وهران
الرباط
ورقلة
القليعة
البيض
الأبيض
أدرار
بشار
وجدة
فجيج
فاس
مكناس
المغرب
مراكش
موريطانيا

مراحل هجرة أولاد سيدي الشيخ

التاريخ	المنطلق	القبيلة/العشيرة	المستقر	أسباب الهجرة
1766	الأبيض سيدي الشيخ	- أولاد التاج - أولاد عبد الرحمان -أولاد الحاج أحمد -أولاد بودواية بحاحصة	التل الوهراني توات التل الوهراني أوباري ليبيا	اندلاع المواجهة المسلحة بين الشراقة والغرابة حول وراثة الزاوية
1849	الأبيض سيدي الشيخ ونواحيه	-أولاد الحاج عبد الحكم -أولاد الحاج احمد -أولاد عبد الرحمان -أولاد الحاج بحوص -أولاد الحاج ابراهيم	-المغرب الشرقي - سهل أربعاء الغرب - سهل سايس فاس - سهل سايس فاس - قلعة السراغنة[188]	المشاركة في جيش الأمير عبد القادر وأول المواجهة بين الأستعمار وأولاد سيدي الشيخ
1864	الجنوب الوهراني الواحات الجنوبية	- أولاد الحاج عبد الحكم - أولاد الحاج بحوص -أولاد عبد الرحمان - أولاد المصطفى	المغرب الشرقي - توات - فاس (سايس) - تافوغالت (بركان)	ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة
1876	نواحي عين بني مطهر وشمال فجيجح	-أولاد الحاج عبد الحكم ومعهم أخلاط القبائل التي كانت عصب جيش سليمان بن قدور.	- فاس سايس - سويهلة (مراكش)	الترحيل القسري لأولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى فاس ومراكش
1881	الجنوب الوهراني والواحات الجنوبية(أم جرار،الشلالة،بوسمغون الأبيض،العين الصفراء، فجيج ، بني ونيف)	-أولاد الحاج عبد الحكم - أولاد الحاج أحمد -أولاد بنعيسى - أولاد الحاج ابراهيم - اولاد الحاج بحوص	المغرب الشرقي توات نواحي وجدة فجيج	ثورة بوعمامة
1885	من ذراع عيسى في الطريق بين عين بني مطهر وجرادة(المغرب الشرقي)	-أولاد الحاج عبد الحكم (- البحاحصة: أولاد الطيب زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة)	مكناس ثم سهل سايس بين فاس ومكناس ، ورجوع بعضهم إلى عين بني مطهر و نواحيها.	سجن زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة، بسجن قارة بمكناس على خلفية مواصلة مقاومة الاحتلال.
1908	مخيم الشيخ بوعمامة بنواحي العيون.	-أولاد التاج -أولاد بنعيسى -أولاد الحاج ابراهيم - أولاد الحاج أحمد -أولاد سيدي امحمد (و كل القبائل التي كان يتركب منها جيشه من شرفاء ، شعامبة، حميان ،عمور، أمازيغ الأطلس ، بني مطهر، مجادبة، ذوي منيع ،بني كيل وغيرهم ......)	(فجيج، عين بني مطهر،وجدة ، العيون،وطاط الحاج،الناظور،بركان زايو، تازة)	لجوء بوعمامة إلى المغرب الشرقي وبعد وفاته تفرق أتباعه في المغرب الشرقي وغيره.

[188] قد يكون أولاد الحاج إبراهيم وفدوا على ناحية قلعة السراغنة قبل هذا التاريخ، ولا نستبعد أن وجودهم هناك كان بسبب علاقة جدهم الحاج إبراهيم بشيخه الحسن بن عبد العزيزحفيد سيدي رحال البدالي صاحب الزاوية الشهيرة قرب قلعة السراغنة ناحية مراكش.

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية

إن ثقافة المنطقة التي نحن بصدد الحديث عنها واحدة في مجملها، ولكنها تتغير تغيرا قليلا أو كثيرا، حسب الأماكن، وتتنوع شكلا ومضمونا حسب القبائل، ونعرض هنا لما اختص به أولاد سيدي الشيخ الغرابة وميزهم عن سواهم في بعض مظاهر الحياة، وإن كانوا لا يختلفون في كثير عن أولاد سيدي الشيخ الشراڤة وعن مجمل قبائل الجنوب الشرقي والغربي عامة، وإنما كان الإستشهاد بالغرابة -خصوصا- لوفرة المراجع لدينا، وكثرة الروايات الشفوية القريبة المأخذ.

أ- الزاوية أو الجامع واستقبال الزوار والضيوف



نموذج الجامع/الزاوية المتنقلة لأولاد سيدي الشيخ الغرابة
(جامع سيدي امحمد عبد الله ناحية جرادة المغرب)



نموذج الخيمة التي يقتسمها العيال.
خيمة الحاج بحوص بن علال (التقطت الصورة سنة 1966)

كانت القبائل الرحل تتخذ الخيمة مسجدا، تضربها غالبا شرق الحي أو الدوار، حتى لكأن مخيم الحي يأتم بهذه الخيمة\المسجد، وتُنْذرُ هذه الخيمة للصلاة، وتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم.

يُطلق على هذه الخيمة إسم "الجامع" ويأخذ هذا الجامع أهميته أولا من القبيلة التي أنشأته، ومدى تدينها، وشهرتها بالكرم، أما إذا كان في القبيلة من يتصدر لجمع الناس على الذكر، والدعوة إلى الله، منتسبا إلى طريقة ما، فإن الجامع يسمى إذاك "زاوية"، وينطبق عليها ما ينطبق على زوايا القرى والمدن. والزاوية عند الرحل كانت عبارة عن خيمة من صوف وشعر أو وبر وشعر، كانت الخيمة المخصصة لسكنى الأسرة تنقسم إلى ثلاثة أو أربعة أقسام (القسم الأول لرب الأسرة والثاني للعيال والثالث/الرابع يستعمل كمطبخ أو مطبخين) أما الزاوية فكانت عبارة عن خيمة بدون تقسيم، فهي مساحة واحدة فارغة بدون محل للطبخ، يُستعمل الفراغ كله للصلاة، ولتعليم للصبيان في أوقات خاصة، ولاستقبال الضيوف، وإقامة أوراد الطريقة المعتمدة في الحي. وبالنسبة لزوايا أولاد سيدي الشيخ الغرابة الرحل، وبناء على نظام الطريقة الشيخية، فقد كان السير كالتالي :

بعد صلاة الصبح يَفتتح مُقدم الطريقة حزب الفلاح (وهو حزب الإمام الجزولي، وهوالمعتمد في الطريقة الشيخية) في جماعة يقل أو يكثر عددها حسب الحضور والظروف والزمان، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (25مرة) بصيغة جماعية، ثم ترديد لاإله إلا الله 200 مرة ثم الدعاء فالختم، ثم تكرر الكيفية نفسها بعد صلاة المغرب، غير أن الأهمية تتغير في فصل الشتاء .

ففي اليوم الأول من فصل الشتاء يجتمع الفقراء/المريدون، لشراء شاة وقد يتصدق بها عليهم أحدهم، لِمَا يُسمى بدخول "**الشتاء**" أو دخول "**الحضرة** ". يجتمع أعيان القبيلة، ويهيئ طعام العشاء، ليُقدم في الزاوية/الجامع، وبعد صلاة المغرب يفتتح المقدم حزب الفلاح وحضرة الشتاء وهي قصيدة في التصوف (متنها بين مُعرب وملحون) تُقطع بعد كل بيت بترديد اسم الله ست مرات، وبعدها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الهيللة بصيغتها السابقة الذكر.

يتناول القومُ العشاءَ جماعة، ثم تُعاد الكرة آخر يوم من أيام الشتاء بأن يولم بذبح شاة، وإطعام الطعام، والإجتماع على تلاوة الأوراد والأذكار، وهو ما يعبرعنه بخروج **الشتاء** أو خروج **الحضرة**.

ويطلق أولاد سيدي الشيخ على هذه الخيمة إسم:**الزاوية** أو **الجامع**.وغالبا ما تتصدق بصناعة أجزائها نساء متطوعات من مريدات الطريقة الشيخية، أو محباتها كما يقمن على صيانتها بالتداول بينهن.

ويُستقبل ضيوف الزاوية ويُكرمون بالتناوب بين أهالي الحي، ويسهر على احترام وترتيب هذا التناوب رجل مختار بدقة من طرف أعيان القبيلة كان يسمى في لغتهم " مَازّرْ" ويقصدون به الخادم أو القيّم .

عندما ينزل ضيف بالزاوية يذهب " مازر" إلى مَن كان يجب عليه تهيء قِرى الضيف، إن كان الضيف راجلا، وإحضار علف الدابة ورباطها إن كان فارسا، مزمعا على الإقامة، وإحضار أدوات الشاي، والإسراع بذلك، ويَنظر"مازر" في حالة الضيف بعد القرى، فيقرر نوع الطعام الذي يأمرله به، وذلك حسب الوضع الإجتماعي للضيف. فربما أناب "مازر" عنه من يقوم بواجب الضيف أكلا وشربا ومبيتا، ثم يصرفه أو لربما كان هذا الضيف ذا مقام اجتماعي محترم، يستدعي إشعار أعيان القبيلة، ومن ثم إقامة مأدبة على شرفه، والإجتماع به، وإعطائه ما يستحق من الإهتمام.

يكون التعبير عن هذا الإهتمام ، بذبح شاة من أجود الأغنام، وتقديم نصفها الأعلى مشويا، يسبقه تقديم أعواد قد صفت عليها قطع كبد الشاة ملفوفة في الشحم، مشوية تسمى "الملفوف"، ثم يُقدم أمام الضيف أو الضيوف الشواء ويتقدم أحد المتطوعين من الحاضرين - من غير الضيوف - فيقسم الشواء أجزاء، بعد أن يكون قد عَدّدَ الحاضرين، بسرية فائقة، دون أن يشعرهم بذلك، ثم يعطى لكل شخص نصيبه، ويؤثرالضيوف بأجود الأسهم وأحسنها.

ثم تقدم باقي المأدبة، وهو نصف الشاة الأسفل بعد تقسيمه قطعا، يقدم مطهيا وموضوعا فوق الكسكس، أو مطهيا مع المرق، مغطى بما حضر من الخضار - غالبا ما تكون جافة - مع أرغفة الخبز.

بعد ذلك، وقبل ذلك، لا ينقطع القوم عن شرب الشاي، وتناول أطراف الحديث. وعلى نفس المنوال، يكون استقبال أعداد الضيوف، كثروا أم قلوا.

إن الكرم هو الميزة البارزة عند العرب، منذ فجر تاريخهم، يطفح بها كلامهم شعرا ونثرا، وكانت ولا تزال القبائل العربية الأصيلة تتمسك بهذه المنقبة وتذود عنها ذودها عن دينها، وفي مقدمتهم أهل الزوايا عشائرا وأفرادا، ومن بين هؤلاء أولاد سيدي الشيخ ومن والاهم، ولولا خوف الإطالة لأوردنا نوادر عن كرم بعضهم، من الذين سارت بأخبار جودهم الركبان، وانفقوا بلا منّ ولا حساب. وعندهم أن الكرم غرة المزايا، ودرة السجايا، ويرون أن الإنفاق مع الإملاق هو سيد الأخلاق على الإطلاق، ويؤمنون - غير خاطئين - أنه يُنالُ بالجود ما لا يُنالُ بالسجود.

لم يعد حاليا معروف اسم "مازر" ولا مهمته، وأصبح يقوم بنفس العمل أو ما يشبهه المتطوعون، في القلة القليلة من الزوايا التي لا زالت تصارع تحولات العصرالمباغتة التي أخذت - من عادات الناس وتقاليدهم - الكثير.

من أبرز أنواع الأطعمة التي كان يخص بها سيدي الشيخ (عبد القادر السماحي) ضيوفه طعام يسمى" الرزقان" والذي لايزال يهيأ بنفس الطريقة المتوارثة، وهو معروف بهذا الإسم عند أولاد سيدي الشيخ الشراقة، بينما أصبح يطلق عليه عند الغرابة (خصوصا أولاد سيدي عبد الحكم) "الرفيس" أو" رفسة

سيدي الحاج عبد الحكم"، ويتكون من خبز القمح الذي يُهشم - بعد طهيه - إلى قطع صغيرة، يضاف إليها التمر(وخاصة النوع المعروف بالحميرة) بعد تنقيته، ويُعجَن الجميع بسمن الغنم، ولا يزال يُقدم هذا الطعام صدقة لله يقصد بها دفع ملمة أو رفع بلاء، أوجلب منفعة وخير. ولا شك أنه اكتسب - عند أولاد سيدي الشيخ - هذه القدسية من انتمائه لجدهم الأعلى سيدي الشيخ[189] .

كانت حياة البدو تعرف شظف العيش وخشونته في حالات الجفاف والحروب والكوارث الطبيعية - مثل الأوبئة وهجوم الجراد وغير ذلك - ولكنها كانت تعرف كذالك رغد العيش ورفاهيته، وبذخ الحياة وبهجتها، في سنوات السلم والخصب، وقد تغنى - بهاته المعاني والمغاني - شعراء كُثر، زخرفوا فيها القريض فصيحا وملحونا، وزركشوا فيها الصور البديعة ألوانا وأنواعا، نختار منها على سبيل المثال قصيدة للأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري (المشهور بصفته زعيما ثائرا وقائدا سياسيا، وقد لا يعرف الكثير أنه شاعر مُجيد له ديوان شعر، وأحد شيوخ التصوف وقد احتل مكانة مرموقة بكتابه "**المواقف**" في التصوف) يقول الأميرفي وصف البدو :

ياعاذرا لامرئ قد هام في الحـــضر وعاذلا لمحب البـدو والقفـــــر
لا تذممنَّ بيوتا خف محملهـــــا وتمدحن بيوت الطين والحجـــــر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرنـــي لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا بساط رمل به الحصباء كالـــدرر
أو جلت في روضة قد راق منـظرها بكل لون جميل شيــق عطـــــر
تستنشقن نسيما طاب منتشــــقا يزيد في الروح لم يمرر على قـــذر
أو كنت في صبح ليل هـــاج هاتنـه علوت في مرقب أو جلت بالنـــظر

---

[189] كانت هذه الأكلة معروفة قبل الإسلام، وكانت من الأكلات المفضلة عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وتُسمى **الحَيْسُ**، وورد في تعريفه أنه الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يُجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت، وقد ورد ذكرها في صحيح البخاري في الحديث رقم 5109 عند بنائه صلى الله عليه وسلم بسيدتنا صفية بنت حُيي، أثناء رجوعه من فتح خيبر، حيث أولم لمن معه **بحيس**. أما في زمن الشيخ السماحي فقد كان يطلق على هذا الطعام "الرزڤان" وورد ذكره بهذا الإسم في المنقبة 134 من كتاب تقوية إيمان المحبين لمؤلفه: أحمد بن أبي بكر السكوني الشريف الفجيجي ص 154. وجاء فيها:"... يفطرني بخبز معجون بالتمر والسمن، وهي التي يقال لها عند العرب "الرزقان". وعلق على الموضوع عبد الله طواهرية محقق الكتاب بقوله: " وتعرف اليوم ببلد الأبيض باسم "الفتات" كما علق عليه محمد بنعلي بوزيان في كتابه: فجيج في عهد السعديين بقوله : " وهذا النوع لم يعد له وجود في وقتنا". ولعله يقصد بذلك فجيج حيث كان هذا النوع من الطعام يُصنع بها سابقا ولم يعد له اليوم وجود. أماعند أولاد سيدي الشيخ الغرابة (أولاد سيدي عبد الحكم) فلا يزال إلى الآن يصنع بالكيفية نفسها، ويقدم في بعض المناسبات، ويسمى عندهم "الرفيس".

يُعرف لهذا الطعام في الجنوب الشرقي المغربي والجنوب الغربي الجزائري ثلاثة أنواع بثلاثة أسماء وهي كالتالي:
- فتيت الخبز+التمر+السمن: يسمى الرفيس.
- الأقط (الكليلة)+التمر+السمن: يسمى الزِّريزة أو الزريزري.
- السميدة+التمر+السمن: يسمى المعكرة.

رأيت في كل وجه من بسائطـــــها سربا من الوحش يرعى أطيب الشجر
فيا لها وقفة لم تُبق من حَـــــزن في قلب مضنى ولا كد لـذي ضـجر
نباكر الصيد أحيانا فنبــــغته فالصيد منا- مدى الأوقات - في ذعـر
فكم ظلمنا ظليمـــا في نـعامتــه وإن يكن طائرا في الجـــو كالصقر
يوم الرحيل إذا شــدت هـوادجنــا شقائق عمّها مـــزن مـن المطــر
فيها العذارى وفيها قد جعلـن كوى مرقعات بأحــداق من الحـــور
تمشي الـحداة لها مـن خلفها زجـل أشهى من النــاي والسنـطير والوتر
ونحن فـوق جيـاد الخيل نركضها شليلها زيـــنة الأكفـــال والخـصر
نطــارد الوحش والغــزلان نلحقها على البعـــاد وما تنجو من الــضمر
نروح للـــحي ليـــلا بعدما نـــزلوا مـنازلا ما بها لـطخ مـن الــوضر
ترابها المسك بـل أنـقى وجــاد بها صوب الغمــائم بالآصـال والــبكر
نلقى الخــيام وقد صُفت بها فغدت مثـل السماء زهـت بالأنـجم الزهـر
قال الألى قد مـضوا قولا يصدقـه نقـل وعقـل وما للـحق مـن غيـر:
"الحسن يظهر في البيتن رونـــقه بيت من الشعْـر أو بيـت من الشعَر"
أنعامنا إن أتت عند العشي تخـــل أصواتها كـدوي الرعــد بالســحر
سفائـــن الـبر بل أنـجى لراكبهـا سفائن البـحر كم فـيها من الـخطر
لنا المهــارى ومـا للريم سـرعتها بها وبالــخيل نـلنا كـل مفتخــر
فخيلنا دائـــما للــحرب مسرجــة من استغاث بـــنا بشـره بالظفــر
نحن الملوك فلا تـــعدل بـنا أحدا وأي عــيش لـمن بـــات في خفـر ؟
لا نـحمل الـضيم ممن جار نتركه وأرضه وجـميع الـعز في السفـــر
وإن أســاء علينا الــجار عـشرته نبين عـنه بـلا ضـر ولا ضــرر
نـبيت نـار الـقرى تبدو لـطارقنا فـيها الـمداواة من جوع ومن خصـر
عـدونا مـا لـه مـــلجا ولا وزر وعنـدنا عــــاديات السبق والظفـر
شرابها مـن حليب مـــا يخالطه مـــاء وليس حـليب الــنوق كالبقـر
أمـــوال أعدائنا فـي كــل آونة نـــقضي بقسمتها بالــعدل والـــقدر
مـا فـي الـبداوة من عيب تذم به إلا الـمروءة والإحـــسان بالـــبدر[190]

ولي في مثل هذا الموضوع قصيدة منشورة على العديد من صفحات المواقع الرقمية الأدبية بعنوان "خيمة الشَّعَر" مُوَقعة باسم: محمد أبوحفص السماحي، أصف فيها الخيمة والبدو:

---

[190] الأمير عبد القادر الجزائري،الديوان، تحقيق ممدوح حقي، ص : 44.
وقد قارن شاعر العربية أبو الطيب المتنبي بين الحاضرة والبادية، وفضل البادية في قصيدته الشهيرة:
من الجآذر في زي الأعـــاريب حمر الحــلى والمطايا والجلابيب ...
إلى أن يقول حسن الحضارة مجلوب بتطريــة وللبداوة حسن غير مجــــلوب.

خيمة الشَّعَر

رَمْزَ البَـدَاوَةِ.. وَ السُّمـَّارِ.. وَ القَمَرِ   بَيْتَ النَّدَى وَ القِرَى.. يَا خَيْمَةَ الشَّـــعَرِ
كُنَّا .. وَكَانَتْ.. وَكَانَ الدَّهْرُ يَجْمَعُنَــا   فِي المُلْتَقَى المُنْتَقَى.. فِي أَنْبَـــلِ الأُسَرِ
بِالأَمْسِ أَسْكُنُهَا .. وَاليَوْمَ تَسْكُنُـنِـي   ذِكْرَى تُؤَرِّقُنِي .... فِـــي آخِـــرِ العُمُرِ
عَدَتْ عَلَيْهَا رِيَاحُ العَصْرِ فَانْدَثَــرَتْ   وَ أَصْبَحَتْ أَثَـــراً... مِنْ جُمْلَـــةِ الأَثَرِ

*

إِنِّي أَرَاهَا - بِعَيْنِ الوَهْمِ – شَاخِصَـةً   شَمْطَـاءَ بَيْنَ الرَّوَابِي ... قُرْبَ مُنْحَــدَرِ
فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الشِّيحِ هَيَّجَهَا   فَصْلُ الرَّبِيــعِ بِزَخَّـــــاتٍ مِنَ المَطَرِ
هَبَّتْ عَلَيْهَا مِنَ الجِرْجِيرِ رَائِحَـــــةٌ   مَمْزُوجَــةٌ بِشَذَا نُعْمَانِهَـــــا العَطِرِ
كَالقُبَّةِ انتصَبَتْ .. صُوفٌ فَلاَئِجُهَــا   أَطْنَابُهَــا فُتِلَتْ مِنْ خَــــالِصِ الوَبَرِ
أَثَاثُهَا مِنْ تُرَاثٍ بَاذِخٍ .. وَزَهَــــا   فِيهَــا فِرَاشٌ بِلَـوْنٍ أَحْمَـــرٍ نَضِرِ
إِنِّي أَرَاهَا.. وَلَيْتَ الوَهْمَ يَحْمِلُنِــــي   حَمْلاً إِلَيْهَا.. فَتُقْضَـــى غَايَةُ الوَطَرِ

*

مَا أَجْمَلَ الصُّبْحَ. مَا أَبْهَى المَسَاء معاً   فِي بَيْئَةٍ زَخرفتهَــــا رَوْعَةُ الصُّوَرِ
تَرَى المُرُوجَ وَفِي أَرْجَائِهَا غَنَــــمٌ   قُطْعَانُهَــا مِثْلَ مَنْثُـــورٍ مِنَ الــدُّرَرِ
وَلِلرُّعَاةِ حُضُورٌ فِي جَوَانِبِهَـــــا   حُرَّاسُهَــا مِنْ دَبِيبِ الرَّوْعِ وَالضَّــرَرِ

*

أَيْنَ الأَحِبَّةُ وَالكَانُونُ مُتَّقِـــــدٌ   وَنَحْنُ حَـــــوْلَهُ سُبَّــاقٌ إِلَى السَّمَرِ
وَ اللَّيْلُ إِنْ كَانَ بِالأَحْبَابِ يَجْمَعُنَــا   مَهْمَا يَطُولُ، فَمَحْسُوبٌ عَلَـــى القِصَرِ
لاَ صَوْتَ.. إِلاَّ نُبَاحَ الكَلْبِ فِي كَسَلٍ   أَوْ صَوْتَ شَــاةٍ ثَغَتْ مَبْحُوحَـــةَ الوَتَرِ

*

أَيْنَ الغَرَائِرُ وَ الحَمْرَاءُ شَكْوَتُهَــــا   تَئِنُّ عِنْدَ الضُّحَـــى أَنَّـــاتِ مُنْكَسِرِ ؟
أَيْنَ الأَثَافِيُّ.. أَيْنَ النُّؤْيُ أَيْنَ أَنَــا   مِنْ ذَلِكَ العَيْشِ فِي فِطْـــرِيَّةِ الغَجَرِ
أَيْنَ الرَّحَى.. أَيْنَ مِنِّي خُبْزُ مَلَّتِنَــا   المُشْتَهَى.. بِحَلِيبِ النُّوقِ وَالبَقَـــرِ ؟

*

أَيْنَ الكِرَامُ رِجَالٌ بِالتُّقَى عُرِفُــــوا   أَيْنَ الكَرِيمَـــاتُ فِي خِــدْرٍ وَفِي خُمُرِ؟
البَاسِطُونَ يَداً .. وَالفَائِضَـــاتُ نَدىً   قَد أَنْجَـبُوا كُلَّ شَمَّـــــــاءٍ وَمُعْتَبَرِ
وَضَيْفُهُمْ سَيِّدٌ .. وَهُمْ لَهُ خَــــدَمٌ   يُقْرَى بِأَشْهَى طَعَامٍ .. لَمْحَــــةَ البَصَرِ
وَلاَ تَكَلُّفَ فِي عَادَاتِهِمْ أَبَـــــدا   سَهْلُ الخَلِيقَةِ مَأْلُــــوفٌ بِلَا حَذَرِ !

*

وَالخَيْلُ تَعْرِفُهُمْ .. فُرْسَانُ صَهْوَتِهَـا   لاَ يَرْكَبُونَ سِوَى الطَّيَّـــارِ كَالشَّــرَرِ
مُحَجَّلٍ .. أَدْهَمٍ .. يَزْهُـــو بِغُـرَّتِهِ   يَحْمِيهِ خَالِقُـــهُ مِنْ أَعْيُنِ البَشَـــرِ !
وَدُونَ مَرْبَطِهِ.. لِلنُّوقِ مَبْرَكُهَــــا   عَفْرَاءَ فِي كَسْبِهَـــــا فَخْرٌ لِمُفْتَخِرِ
هُمْ أَهْلُهَا.. خَلَّدُوا ذِكْرَى مَآثِرِهَـــا   نَثْراً بَلِيغاً.. وَشِعْـــــراً بِالفُنُونِ ثَرِي

*

أمُّ اللغَـــاتِ وَمَا أدْرَاكَ لَهْجَتُهُمْ ... فُصْحَى، مُعَتَّقَـــــــةٌ مِنْ سَالِفِ العُصُرِ

والشِّعْرُ كالذَّهَبِ المَسْبُوكِ صَنْعَتُهُمْ ... صَاغُـــــوهُ صَـــوْغَ خَبِيرٍ حَاذِقٍ حَذِرِ

وَالكُلُّ إمَّا رُواةُ الشِّعْرِ أوْ شُعَـــرَا ... فَالشِّعْرُ فِي دَمِهِمْ كَالمَـــــاءِ فِي الشَّجَرِ

*

لاَ يَرْحَلُونَ.. فَإنْ شَحَّ الحِمَى رَحَلُوا ... مِثْلَ القَطَـــــا حين يأتي مَوْسِمُ السَّفَرِ

أَهْلُ المُرُوءَةِ لاَ تُخْشَى غَوَائِلُهُـــمْ ... هُمْ خِيرَةُ النَّـــاسِ فِي صَفْـــوٍ وَفِي كَدَرِ

ضَاعَتْ بِضَيْعَتِهِمْ أخْلاَقُنَا هَـــدَراً ... ذَابَتْ ثَقَافَتُنَــــــا فِي حَمْـأَةِ الحَضَرِ

مِنِّي عَلَيْكِ سَلاَمٌ.. يَا صَدَى صِغَرِي ... يَا نَخْلَةَ المُنْحَنَى .. يَا جَـــارَةَ القَمَـرِ[191]

خيمة الشعر: خباء من أجزاء مجتمعة منسوجة من الصوف والشعر.(وشكلها وكيفية بناءها تختلف حسب المناطق والقبائل والعادات)

الشيح : نبات مر المذاق، ترعاه الماشية فتكون أجود حليب ولحم.

الجرجير: نبات ينمو في فصل الربيع، زهره أبيض، طيب الرائحة.

شقائق النعمان: نبات ينمو في فصل الربيع زهره أحمر رائحته طيبة.

الفليج: جمع فلائج وهو القطعة الأساسية التي تتكون الخيمة من العديد منها بعد تجميع بعضها إلى بعض.

الطنب: جمع أطناب وهو الحبل الذي تشد به الخيمة إلى الوتد المثبت بالأرض.

الوبر: هو الشعر الذي يكسو الإبل ، كالصوف للغنم.

الكانون: الموقد الذي يُطهى فيه الطعام، ويجتمع عليه الأهل شتاء للسمر.

الغرارة: جمع غرائر، كيس كبير منسوج من الصوف والشعر، لحمل الحبوب والتمور وغيرهما، و حِمْل البعير يكون غالبا غرارتين مقترنتين على ظهره.

الحمراء : ويطلق عليها الحَمَّارَة في لهجة سكان شمال افريقيا، هي ثلاثة أعمدة تجمع برباط في رأسها، وتفتح في قاعدتها في شكل هرمي، فتعلق عليها قربة الماء أو شكوة اللبن.

شكوة : وَطَبٌ من جلد شاة يُدبغ ويُصْلح لحمل السوائل، يُمخض فيه الحليب لإخراج الزبد.

الأثافي : ثلاث قطع من الحجر توضع عليها القدر، و توضع وسطها النار قصد الطهي.

النؤي : الحفير حول الخيمة لمنع السيل من التسرب داخلها.

الرحى : آلة حجرية يدوية لطحن الحبوب، كانت من الضروريات التي لا يخلو منها بيت.

المَلة : هي لغة تعني الجمر والرماد، ولكن الكلمة أصبحت في متداول القول تدل على الخبزة التي تطهى في الرماد تحت الجمر.

القطا: طائر في حجم الحمام، من الطيور المهاجرة، يطير في أعداد هائلة.

---

[191] للمؤلف عدة قصائد في مواضيع مختلفة منشورة في المواقع التالية باسم محمد أبوحفص السماحي:

- منتديات قناديل الفكر والأدب.
- ملتقى الأدباء والمبدعين العرب.
- ملتقى رابطة الواحة الثقافية.
- شعراء بلا حدود.
- أكاديمية الفينق.
- منتدى القصيدة العربية...وغيرها.

ب ـ أولاد سيدي الشيخ في نظر الأوروبيين:

1- وصف المرشال ليوتي Marechal Lyautey لأولاد سيدي الشيخ :

عندما عُينَ المرشال ليوتي في أكتوبر سنة 1903 حاكما للمنطقة العسكرية بالجنوب الوهراني قام بأول جولة استطلاعية لهذه الجهة، فوصفها في رسائل عدة كان يبعث بها إلى أصدقائه وأخته بفرنسا، وقد جُمعت في كتاب تحت عنوان: **Vers le Maroc,Lettres du sud Oranais نحو المغرب، رسائل الجنوب الوهراني .**

يقول المرشال ليوتي في رسالة (إلى أخته) مؤرخة في **1905/6/8** يصف فيها دخوله إلى البَيّض(**Geryville**) حيث نزل ضيفا على الدين بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة: "وصلتُ إلى البَيَّض **(Geryville)** الذي هو مركزتجمع لأكبر وأقوى وأنبل قبيلتين بالجزائر: أولاد سيدي الشيخ والطرافي، ولا شك أنكِ تعرفين بالإسم أولاد سيدي الشيخ، القبيلة ذات الزعامة الدينية الكبيرة بامتياز، والتي ينتشر نفوذها في الجنوب والغرب، ويُمَثل بوعمامة فرعا جانبيا منها .

وقد أدى عصيانهم إلى ثورة **1864** التي حرّض عليها - سيدي لعلى- أحد أعيانهم ولم يعودوا من هجرتهم - بالمغرب- إلا بعد مفاوضات عويصة، وبعدما فجّر دو نيڤريي(**De Negrier**) ضريح جدهم سيدي الشيخ خلال ثورة **1881.**

عاد إلينا أولاد سيدي الشيخ (الشراقة بعد ثورتهم وهجرتهم) بزعامة الدين الذي عُيّن باشا آغا عليهم، ولا يزال في مهامه - ونحن اليوم في ضيافته - حيث يحيط به خمسة أوستة إخوة، وأبناؤهم، وأبناء عمه، يتمتعون كلهم برواتب سنوية مهمة، وتكاد حالتهم تتحدث عن مستواهم الراقي، ونخوتهم الأصيلة، وشعورهم بالمجد الأثيل، ولكن مع ذلك فهم صعبو المراس، لا يوثق بهم، ولا يؤمن جانبهم"[192].

وفي رسالة ثانية مؤرخة في **1905/6/14** يقول المرشال ليوتي:

"إنني هنا بين ظهراني أسياد الجزائركلها، بل ربما إفريقيا كلها، وأعني بهم أولاد سيدي الشيخ، وأحرص على أن أكون مثلهم، وفي مستواهم، إذ هو السبيل الوحيد لاحتوائهم والسيطرة عليهم، وهذا ما لا يدركه أهلنا، ولا يعرفه حتى العسكريين منهم.

بعد حفلة الغذاء الفاخرة التي خصني بها باشاآغا سيدي الدين (زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة) كانت لي معه جلسة خاصة لم يحضرها إلا المترجم، لاحظت خلالها أنه يجب علينا - رغم بعض عيوب سيدي الدين - الإستفادة من نفوذه الديني وهيمنته المتوارثة، التي تتجلى في الخضوع والتعظيم الذيْنِ يحيطه بهما ذووه. كما يجب استغلال هذا الوضع لصالحنا وذلك بالمبالغة في احترام سيدي الدين، والرفع

[192] Lyautey, Lettres du sud oranais , Vers Le Maroc, p. 196 .(traduction de l'auteur)

من كرامته، وهذا ما لمسه سيدي الدين مني واعترف لي به. وهي الخصال نفسها التي كان الجنرال دو چاني **Le General De Ganay** يعامل بها كبار الزعماء.

خاطبني سيدي الدين قائلا:" لقد سألت أحد الضباط عن السيف المعلق بسرجك، والذي لا يشبه السيوف، فقال لي إنه سيف جدك الجنرال الذي شارك نابليون في حروبه، ولهذا، فإنّا لا نرى ضيرا في أن يحكمنا رجال أمثالك..."[193]

لا ندري هل كان ليوتي ينفصل وجدانيا - إلى حين - عن ضوابط المراسلات الإدارية عندما كان يتوجه بالكتابة إلى أخته، فيحدثها كأحد نبلاء فرنسا الذين كانوا يحترمون الفتوة ويمجدونها، أم أنه " تظاهرٌ لضباط الجيش بحب العرب وإعجابهم بأخلاقهم، ونمط عيشهم، في حين أنهم كانوا يرون في ذلك أضمن وسيلة للمحافظة على الأمن والإستقرار"[194].



أولاد حمزة بن بوبكر
زعماء أولاد سيدي الشيخ الشرافة

[193] Lyautey, Lettres du sud oranais , Vers Le Maroc, p. 198.(traduction de l’auteur)

[194]عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب، ص 132.



باشاآغا الدين بن حمزة ، زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وشيخ الزاوية الشيخية الشرقية. تولى الأمر بعد وفاة أخيه قدور بن حمزة سنة 1897.

2 - حمزة بن بوبكر زعيم الشراقة (قتل مسموما سنة 1861م)

وصفه العقيد تريملي (**Le colonnel Trumelet**) قائلا:

" يبدو سيدي حمزة في أول وهلة، ذا قامة عالية قليلا، مع بدانة مُتّزنة يُضخمها في الواقع ارتداؤه لخمسة أو ستة برانس[195]، يضع تحتهم قفطانا ثمينا بلون برتقالي، وسروالا أزرقا، ويشد وسطه بحزام جلدي مزركش، يعلق به كابوسيْن (مسدسيْن من النوع القديم) (pistolets) مُحَليين بالفضة والجواهر، يتوّج رأسه بشاشية صوف حمراء، وبعد أن يحيط نصفه الأعلى بحائك حريري يمرر طرفه الأعلى فوق الشاشية ويشده عليها بخيط (بريمة) من الوبر، يديره عدة مرات حتى يحكم شده.

---

[195] هكذا كان يبدو للكاتب، والحقيقة أن أي رجل من الأعيان كان يرتدي فوق كسوته برنسا أبيضا واحدا في الصيف يسمى **السلهام**، أما في فصل البرودة فكان يرتدي برنسا أبيضا ويضيف فوقه برنسا أسودا يسمى **الخيدوس**، أو برنسا أحمرا أو أصفرا من الوبر يسمى **الهدُّون**. أما ارتداء خمسة أو ستة برانس فمن شأنه إعاقة الحركة.

قبل أن يمتطي جواده، يلبس في رجله جزمة أنيقة من الجلد المُطعّم، ويضع مهمازا حادا، يشده إلى مؤخرة قدمه بحزام رقيق من قطيفة مطرزة بالذهب.

للخليفة - سيدي حمزة - كباقي قومه، إهتمام زائد بجواده ومستلزمات الفروسية، فلجام حصانه من الجلد الموشى، لا تخطئ العين رونقه، والسرج قد كسته (صطارة) من القطيفة البنفسجية اللون مطرزة بأبهى حلة، ومن تحت السرج تظهر الطرحة ذات الطبقات السبعة القزحية الألوان، والركاب (الغرز) الحديدي، المزخرف بأنواع النقوش، وفي عنق الجواد قلادة حرير حمراء قد توسطها جراب صغير به نابان لخنزير بري، وضعت لوقاية الحصان من العين.

وقد علقت بمقدمة السرج "جبيرة" (وهي كيس من جلد، متوسط الحجم يتخذه الفارس والراجل لحاجاته الضرورية) قد نقشت واجهتها بأنواع المزركشات المذهبة والحريرية بمختلف الألوان، وعندما يمتطي سيدي حمزة جواده، يضع بين يديه سيفه في غمده الفضي.

"يمشي سيدي حمزة الهُوَيْنَى، يتمايل تمايل القائد العربي، تساعده ثيابه الأهلية الفضفاضة على الظهور بهذا المظهر المسرحي، يناهز في عمره الأربعين عظيم الرأس، واسع الجبهة، ذو لحية سوداء مكتملة، جميل العينين مع طول في أهذابهما تكسو محياه لطافة تأخذ بلب الناظر إليه وتسحره. إلا أنه غير ذلك في المعركة، إذ يصبح هذا المرابط الوديع رجل حرب مخيفا "[196].

3- سليمان بن قدور زعيم الغرابة (قتل غدرا سنة 1883)

وصفته الكاتبة الإنجليزية إميلي كين(**Emily Keene**) زوجة مولاي عبد السلام بن العربي شيخ زاوية وزان، في كتابها "سيرة إميلي كين" عندما التقى به زوجُها بعين بني مطهر سنة 1876م، في محاولة وساطة لاستسلام سليمان للسلطان مولاي الحسن بن محمد. تقول الكاتبة :(وقد كانوا في انتظار وصول سليمان بن قدور)

"... بينما كان الشريف (مولاي عبد السلام الوزاني) يفكر في الخطوة القادمة، سمعنا وقع حوافر جياد، وصلصلة سلاح، وارتفعت الأصوات بلااله إلا الله، محمد رسول الله، وعندئذ تقدمتُ والشريف في بطء إلى الأمام وسرعان ما لاح لنا شخص في رداء أبيض، يمتطي جوادا أصيلا، عليه غطاء أخضر مذهب، ويتقلد سيفا طويلا معقوفا، وعلى رأسه عمامة مغطاة بغطاء برنسه المسدل، قد اتخذت أهذابه من وبر البعير، وفوق كتفه بندقية، وكان يحيط عنقه برباط أخضر به يتمنطق مصحفا لفّه في منديل من حرير، وكان يعلق في حزامه مسدّسَيْن ..."

وتصفه في لقائهما الثاني:

"... كان رجلا ربع القامة، داكن البشرة، أسود العينين، وكان بريق عينيه يوحي بأنه يمكن أن يعرف ما يجيش في خاطر المرء. وكان يرتدي رداء أبيض

[196] Trumelet, Les Français au desert , p. 96/97 (traduction de l'auteur).

ناصعا، ليس هو الرداء ذاته الذي كان يرتديه أثناء اللقاء الأول، لانه كان نقيا، لم تعلق به ذرة غبار واحدة ..."
ثم تصفه بعد لقائهما بطنجة في الزاوية الوزانية:
"... وسنحت لي الفرصة، أثناء ذلك، لأتفرس في الرجل، فبالإضافة إلى عينيه الدائرتين، كانت تكسو وجهه لحية سوداء قصيرة، ويعلو شفته شارب قصير أيضا، وكانت حركته تدل على عظمته، فقد كان يبدو زعيما لا يُعصى له أمر. وكان جذابا ووسيما، وكان من الصعب التصديق أنه يقف وراء عمليات وحشية، وأنه أطلق رصاصة على رأس جنرال، وهزم جيشا يفوق عدد أتباعه"[197].

4- اعترافات عامة بالمكانة الاجتماعية التي كان يحظى بها أولاد سيدي الشيخ:

لقد استطاع أولاد سيدي الشيخ بجهادهم المرير، ومواقفهم المشرفة انتزاع الاعتراف بنبل مبادئهم من أفواه وأقلام كبار أعدائهم، ونورد هذا النص على سبيل المثال:
يقول إيليزي ريكلوس(Elisée Reclus)[198] في المحاضرة السادسة تحت عنوان "العرب" التي ألقاها بمعهد الدراسات العليا بالجامعة الجديدة ببروكسيل (بلجيكا) في السنة (1897-1898).
" والآن وأنا أنتهي من المحاضرات التي استمرت لأزيد من ثلاث سنوات في وصف آسيا (الشرق) ثم بعدما انتهينا من استعراض مشاهد هذه الأمم، إسمحوا لي أن ألخص لكم إنطباعي بتذكيركم بصفحة كتبها الرسام فرومونتا(Fromentin)[199].
هذا الفنان الشغوف بالألوان الزاهية، والذي يعرف كيف يعيد صياغتها بالقلم أكثر مما يتقن رسمها بالفرشاة.
يصف هذا الفنان كيف أنه التقى ذات يوم – في الهضاب العليا الجزائرية – بثلة من نخبة العرب من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، لقد كانوا كلهم يمتطون صهوات جياد لا تقل جمالا عن راكبيها، مروا به في نخوة عارمة تحت أشعة أضواء المساء.
يسيرون في بذخ مشرق بديع، يرتدون ألبسة رائعة تتألق عليها أنواع المعادن الثمينة، رأى ذلك بينما رأى نفسه أمامهم مسكينا، يُمثل حضارة فقيرة شحيحة، يسير

---

[197] إميلي كين، حياتي، ترجمة عبد الرحيم حزل، بجريدة العلم سلسة مقالات، ابتداء من شهر يوليوز سنة 2000.
[198] إيليزي ريكلوس: (Elisée Reclus) عالم جغرافيا فرنسي، من الأوائل الذين كتبوا عن علاقة الجغرافيا بالسياسة والمجتمع والتاريخ، ولد في 1830/3/15وتوفي في 1905/7/4.وشغل استاذ كرسي بجامعة بروكسيل ببلجيكا وترك عدة مؤلفات قيمة في تخصصه.
[199] أوجين فرومانتا (Eugène Fromentin) ولد في 1820/10/24 وتوفي في 1875/8/27. مستشرق فرنسي ورسام بارز، زار الجزائر عدة مرات، خلد عدة أحداث بريشته وفرشاته، وجل أعماله مشهورة تزين أشهر المتاحف العالمية.

بجهد جهيد على حصانه الهزيل مرتديا ثيابا سودا مأتمية، يرافقه أوروبيون لا يحملون أي مظهر للنعمة.
لقد خجل هذا الفنان - حقا- من الوضع الذي وجد نفسه فيه ممثلا لحضارة تَدَّعي أنها راقية.
لا يمكن – بالتأكيد – أن نَبْلُغَ حد احتقار أنفسنا كما فعل الفنان المعني بالأمر، ولكن عندما نلتقي هذه القوافل القادمة من آسيا (الشرق) لا يحق لنا أن ندعي أننا الأفضل، بل حسبنا أن نحس أننا أخوة لهؤلاء العابرين أمامنا، ويمكننا السير جنبا إلى جنب متطلعين معا إلى مستقبل أحسن.
نحن وهم إخوة في النسب، وقد نفترق في الأصول، ولكن - عند هؤلاء الناس - رجالٌ قد نتعلم منهم ومن حديثهم، وقد نتخذ نظام حياتهم مثالا لنا".[200]

من النادر جدا أن تجد مثل هذه الاعترافات، بموضوعية كهاته، لدى الأوروبيين خصوصا في أوج الغزو الأروبي للعالم الثالث، واقتناعهم بأنهم يحملون الحضارة لأمم متخلفة ومتوحشة.

ت - <u>الأسماء والألقاب التي تميز بها أولاد سيدي الشيخ</u>

بعض الأسماء كانت أعلاما لأولاد سيدي الشيخ يُعرَفُون بها دون سواهم منها:
- **الشيخ** (لاشتهار جدهم عبد القادر السماحي بإسم سيدي الشيخ كما كان يُعرف بعدة ألقاب اتخذت بعضها ذريته أسماء لها منها: السماحي، مولى الفرعة، وبعضها بقي خاصا به منها: مول الشهبة، القرمامي، رحل البيضاء)
- **عبد الحكم** الذي دخل عليه التغيير والترخيم واختصرالأسم فأصبح (حَكّـُوم).
- **أبو حفص** الذي أصبح بالتكرار(بَحّـُوص)، كعبد القادر(قدور) .

كثرت لديهم الأسماء التالية : **أبوسماحة، معمر، لعلى (الأعلى)، التاج، مول الفرعة، بلحرمة، أبوعمامة، ابن الدين، السهلي، السهول، بودواية، الأزغم، الزاوي، بوداود، الشلالي، المزوزي، المقلش، أبو الأنوار، المعراج، الجودي.**

هذه الأسماء لها جذور في ثقافة أولاد سيدي الشيخ، إذ كانوا في أغلب الأوقات يختارون لأبنائهم أسماء أو ألقاب أسلافهم الذين سَمَت مكانتهم في الحقل الصوفي أو الميدان الجهادي، أو أسماء شيوخهم الذين أخذوا عنهم في مراحلهم المتتالية. وانتشرت عنهم هذه الأسماء في محيط القبائل الموالية لهم.
أما الأسماء الأنثوية فقد عُرفت منها :
- **الياقوت (قُوْتَة)، ذهيبة، ربيعة، الشائعة، عمورة، الطائعة، الوازنة، بنت النعيمي، مبروكة، نونة، جويرية، الجفيرية، الزاوية، العالية، الفضية.**

---

[200] Reclus Elysée, cours à l'instutut des hautes-études de l'université nouvelle de Bruxelles (Année 1897-1898) 6ème conference.(Gallica.bnf.fr/bibliotheque nationale de France). Traduit par l'auteur.

ث - الغناء والشعر والحكايا

نبغ في أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة شعراء كُـثر، ولمعت شاعرات كثيرات، ولكن الذاكرة الشعبية لم تحفظ لنا من شعرهم إلا النزر القليل. كما مدح زعماءَهم شعراءٌ عديدون، وسجلوا ملاحمهم في قصائد جيدة، ولم نجد في النهاية بين أيدينا إلا النتف التي لا تشفي الغليل، ولا تهدي الضليل.

سوف نستشهد ببعض قصائد مادحيهم، ونعرض لبعض شعرائهم، كالحاج العربي بن الشيخ بن الطيب، والطيب بن بوعمامة، والمهناني، ومحمد بن الحاج بحوص (آل الحاج بن الشيخ) ثم فحل شعرائهم الشلالي بن المزوزي (آل بودواية بن بحوص الحاج) المتوفى بعد سنة 1830م، وهذا الشاعرالمقتدر، معروف بجودة شعره ووفرته، تناول فيه أغلب مواضيع عصره من غزل وهجاء ومديح ووصف وتوسل، وامتاز على غيره بقوة السبك، ودقة في اختيار الصور والأمثلة، ومما يؤكد فحولته استعماله " لزوم ما لا يلزم " في بعض مقاطعه بعفوية لا تكلف فيها، وقد استعذب الرواة شعره فحفظوه، وتغنى به المغنون قديما وحديثا، ولم ينقطع التغني به إلى أواخرالقرن الماضي، مدح وتوسل بجده سيدي الشيخ بقصيدة رائعة، لغتها عربية قحة شابها اللحن، وغيّرها النطق، لولا خوف التطويل والملل لأرجعنا أغلب كلماتها لأصلها العربي . يقول فيها (ملحون)

سلطان الصالحين رايس الأولـــيا	من درتك فال يا الشيخ الربــــاني
ياك أنتيَ عنايتي وانت بويـــــا	واياك انتاي اللي جناحك غطانـــي
وأنت سيــفي ودرقتي في المشليـــا	ياك أنت اللي النا س بك تعــايــرنــي
مول سبع قباب في مهاقع مبنـــية	وطن الصحوان جات كـــودة للعانـــي
ترضى لي ارباع يتسلوق بيــــا	نتحمل في هواك شورك يدينـــــي
ما يقبل ميعاد ما يقرب مشليــــا	ازرق حجرالواد كالحـــرام السودانـــي
ينتعثل في السير يخطف النعاجيـــا	سير الهلهال كالعجاج الظهرانـــــي
أبيض من رهدان طاح في سعد لخبيا	وابيض من البياض قاع ما شــافت عيني

ويقول في إحدى غزلياته التي لم تصلنا منها غير هذه النتف :

أنا جيت خاطر وافيت الزيـــــــن	صيغة من الذهب ربي صورهـــــا
صيغة من الذهب تسوى ألف خزيـــن	والحاسدين من جيبي خونوهـــــا
ما هي من ريـــال مشبّب	والى طال حال يصــــدي
ما هي من حرير مكبـــب	من كل لون راح مســـدي
ربي جابني نتسبــــــب	ساعة داوها حســـــادي
لو كاني نربح ورايي زيـــــــن	وكان درت صور يدور عليهـــــا
لو كان درت عنها باب وقفلـــــين	لوكان بالحديد غلقت عليهـــــا
لوكان درت مرتب للعساسيـــــــن	والحاضرين في الغيبة يحضوهـــا

ومنين ما نربحش ورايي شيـــــــــن — كغرستها صديت عليهـــــــــــا
ومنين ما نربحش ورايي شيـــــــــن — من قاللي فرندة نخطر ليهـــــــــا
أنا غرايبي غرايب جملـــة — وآجي نعيد لك غيوانـــــــي
أنا اللي غرست النخلـــــة — لوكان درتها في جنانـــــــي
الغرس ما يجي للرحـــــلة — يبغي اللي مقيم وهانـــــــي
هذي غزال ما هي طفلـــة — والحاسدين ما خلونـــــــي
منين جات وقت الغلــــــة — الأقدار والقضا قاسونـــــي
قصة جرات للشلالي مسكـــــــين — منين جا القى اللى مضربهـــــــا
خلاتو ينوح والقلب حزيـــــــن — ويقول ذاك حد فراقي منهـــــــا
أنا اللي قبضت الطـاوس — ودرتها ربيب الكبـــــــدة
في طرف الطنافس تعفس — في قفص عالية من ســـــدة
لا تامن الزمان يبخــــس — و يمرر العسل في الشهــــدة
جديد لا بد يرخـــــــس — ما كان من بغاها لبـــــــدة

وبعث ذات مرة، للشاعر بركة السلامي من قبيلة الغنانمة بتيميمون، برباعية يرمز فيها إلى الوصال بين الحبيبين يقول فيها:

هذا القافْ أديهْ لبركَـــهْ — ويَغَمْقوا غموقْ طلامـــسْ
فدَّان غلتهْ مشتركــــهْ — قبل اليومْ روّحْ يامــــــسْ

فأجابه بركة السلامي برباعية على نفس الوزن والروي ، يفك فيها رموز سيدي الشلالي قائلا:

هذا ظليمْ تابعْ رمكَـــهْ — ورضاتْ ليهْ كحلْ الدامـسْ
كسروا عواهدْ الفراكَهْ — قبل اليومْ روحْ يامـــــــسْ .

كما تنسب لسيدي الشلالي هذه الأبيات:

اللي حسبك كيفْ طـيرْ الذبـــــــاب — حسْبَهْ في الأرض سفاية
واللي حط عليك العين بلـع انت الباب — لا تعنى له بوصايـــــة

أما الذي يليه في الفحولة الشعرية، حسب رأيي، فهو مادح الرسول صلى الله عليه وسلم الشاعر بالعربي بن النعيمي بن بوبكر آل سيدي بن الدين(الشراقة) المتوفى سنة 1910م، الذي نورد له بعض القصائد أولهما المسماة بالقافية :

حرقْ مساقو في ضميري طقطاقَـهْ — مقانة تجري وتحسب منطقــــــي
ورقاقيس الشوق فيها تتلاقـــــــى — حرقوا قلبي هيجوا فيه حماقــــي
قلبي شايق والمحبة لسّاقـــــــــهْ — وباغي شرب رحيق مختوم عتـاقي
يا رزاق الخلق ترزقني ذوقـــــــهْ — من حبك يا خالق الخلق الباقــــي

من لا ذاق شراب ما جاتو حمقـــهْ قلبو غافل ذاك يتسمى شاقـــــي
نطلب حقي عند ربي نتلاقـــــى يوما يقسم بين سعيد وشاقـــــي
نقبض فيه بقبضتي ليس الطلقـــة بين ايدين الحق يوم التلاقـــــي
نلصق فيه نهار قدوس الملقـــــى وجميع الأحباب داروا لتفاقــــي
دايم عشقوا في خلاقي مدعوقـــهْ الى صليت بشوق عشقو في خنـاقي
و رشق عقلي غايتي كم من رشقـهْ وهرق عظمي وانخرق مخ دماقــي
واسقاني ربي من القدرة ذوقـــهْ هذا القطرة ما ذاقها حتى شاقـــي
لسقتني ما لسقت الحلق العلقـــهْ واسكن ما بين قلبي وصفاقـــــي
واصبغ بها كبدتي نعت الصبقـــهْ واش ينظف صبغة الحي الباقـــي
أنا عشقي في أحمد باغي الملقـــى وطلبتك يا خالقي به تلاقـــــي

يلاحظ ان بعض الكلمات أصلها بحرف الغين ولكنها تُـنطق قافا وهو نطق شائع بالصحراء من جنوب شرق العالم العربي إلى جنوب غربه (يقال مثلا للغُراب القـراب، ولصَبَغَ صَبَقَ، وللغلام القلام، وللغَنِي القَـنِي)

وفي قصيده الثاني يقول في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم :

رافقني يا من تقول أنا سابـــــق من يسبق سـريع في مدح الســـــراج
دايم قلبي بالنواعير يصفـــــــق ولساني بالصلا على الماحي لجـــلاج
حارم نومي يبات قلبي يتمــــــزق ودموعي سايلين فوق العين هـــــراج
سمنت زواله أن عادت تتبـــــارق وطلــع شحم الذرى عاد ابراج ابــراج
غير متعبني ولا طـاقش يلـــــحق طول الليل يبات يسـقام ويعــــــواج
اسبق من لعج البرق إذا خفــــق واسبق من جري الضيا وهبوب عجاج
واسبق من قرد الرصاص إذا صرفق إذا ولى بين ذوك وذو عجعـــــــاج
اسبق من سلك القراف اللي حـــاذق ذاك اللي ديما ينين مع الأفـــــــواج
دايم في سوقي الميزان معلــــــق والكتبا والنومرو فيها نسّــــــــــاج
هو باز الطيور في الجو يوقـــوق وأنا خرب حبار في الـــــوطية دراج
أنا شارة ليه في الحيط معلـــــق هو قرد رصاص واعظــمي دجــــاج
هو صياد الوعر لي يلحــــــــق وانا شاتو راقدة في يــوم عجـــــاج
اضربني ضربة على حد المــرفـق حوحيت على ضــربته صافي لثــلاج
تزغرت حور العين شعبة وليــعلـق كعبـــــة واللّعبـــة بحول الله زواج
الداني في قرب جارو ما نـــعـــرق وجميع اللي حبيب لـــي في حرمه زاج

وله قصيد آخر طويل نقتطف منه هذا الإستهلال:

نبدا باسم الله الحي في غيـــوانـي ونثَـنـّي بصلاة النور على جد الشرفـــا
نحمد مول الفرقان زهو عيانـــي نار امحانه في القلب لابا تطفـــــــا

نبكي مقواني ماصبت من دوانـــي يا تمحاني واش يطب هذا اللهفـــــــا
قلبي ولساني خدام للمدانــــــــي لهواه اداني ما صبت منه عفـــــــــا
مملوك اشراني نسلي من السوداني نخدم مكلوف شد الكلفـــــــــا.......

ومن شعر الطيب بن بوعمامة :

نوصيــكم يـالــذاكـــريـــن الله الله بـــها فـــازوا رجـــال في علم التذكير
الوصاية هي امتثـــــــــال أمـر الله واتـــباع سنـــة البشيـــر النذيـــــر
هي الحصن المنيع من عـــذاب الله من لازمها يكون عند الله فـــي الخيـــر
لا تستنكرش في كلامــك لأهــل الله أنظر موسى كيصراله مع الخضيـــــر
علمهم علم الغيب يعــــــلم به الله علمك دونه يا اللي وصفك تنكيـــــــر
نعطيك أمثال من اوصاف أرجال الله ما تعرفش حالهم كيفاس يصيـــــــر
واحد سلطان عظمه واعطــــــاه الله واحد مسكين ما عرفش كيف يـــــدير
جسم الأنوار ذاك غايب عنــــد الله وجسد الطين في اوكـــــاره ثم تحير
يتلطم في الامواج حاله كـــــان الله والقلب تكون فايضة فيـــه عنـــاصير
ما ندعيش بالـــــــولاية حاشـا الله قولي ظـــاهر يـــعرفوه أهل التعبير
سوى ساسي ندور بين رجــــال الله لعلاش نصيب ساعــــــات من الخير
لو الكون الكــــــل يـورد بحـر الله كالعصفورايلى شرب من بحر كبيـــر

وله أيضا قصيدة طويلة نأخذ منها هذه الابيات :

يانفسي واش بيك ضيـعت الارباح كيف تكوني نهار ما يـــــبقى مستور
يا نفسي كي تجاوبي يوم النطـــــاح اتكوني حازنة وغـــــيرك في سرور
يانفسي ياالفاجرة عملك جـــــاح توبي بركاك يالنفس من الــــــفجور
يانفسي يا الظالمةعــــــملك راح خافي مولاك تركيني من ذا الجــــور
يانفسي ياالآمرة من تبعك طـــــاح في وسط الجحيم بسلاسل مجـــــرور
اعتبري نهار تنقسم الاربــــــــاح سعيك مذموم غيرنا سعـــــيه مشكور
طعت الشيطان تلفك عن كل صلاح لاحك في بحر من المعاصي والفجــور

و لتلميذه الحاج محمد بن الحاج بحوص شيخ زاوية السخونة(آل الحاج بن الشيخ) هذه الأبيات:

ياحسراه على الأحبـاب عـاداوْ غير بلا سبّـــــة
واضربهم ريحا يصعاب بعـد ما كانوا صابــــــة
ذرّاهم مثل التــــــرّاب ما خـلا حتى حبـــــــة
ضربوهم ناس الأقطـاب المجاديـب أهل النوبـــة
والبدلا لا حســـــاب كل واحد في يدو حربـــة
ضربوهم ضربة قــراب ما تنفع منـــه هربـــــــة

الخلاطة والغتـــــاب دارت بهم لهـابــــــــة
سيف الله فيها ضـــراب ديكه ينقب بالحــبـــــة
ما ينفع فيها ترطــــاب غير السيـف على الرقبــة
ياروبة جندك غــــلاب التحفة والتحـــــــرابة
أنا ضمنوني الأقطـــاب سيدي الطيب في سربـــة

وله في مدح شيخه الطيب بن بوعمامة :

بالله يا الـــڨمري زين التحثالـــة باغي نسيفطك تغـــــدا للحبيب
إلى مشيت توصل في الحين تعالى ربي الــــعزيز داره لينا طبيب
الشيخ سيدي الطيب مول المسالـة هو اللـي منور من بحر الـطيـب
هو اللي مسلك ڨـــــاع التخبالة واللـي رضاه هو في ساع يصيب..

كانت الملحمة المسماة تغربة بني هلال هي أم الحكايا، وأحبها إلى الصغار والكبار، وهي القصة المطولة المعروفة في العالم العربي، كانت تحكى في كل قطر بلهجة محلية غاية في الروعة، كما كانت هي عمل الحكواتي في العواصم الكبيرة كبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها. تـُعرف عند أهل الجنوب المغربي/الجزائري بقصة ذياب بن غانم أو الزناتي خليفة، وكانت لجلسات السمر - التي تـُروى فيها - نكهتها، وأرَجُها في القلوب والعقول، لِمَا تبثه من مكارم الأخلاق، كالجود والشجاعة والصدق. كانت هذه الملحمة كباقي الملحمات مدرسة الفتوة بكل معانيها، ومرجعا خُلقيا توزن به تصرفات الشباب والكهول والشيوخ. حتى أن كل رجل كان يتمنى أن يكون أشبه بذياب بن غانم سيد بني هلال، وكل امرأة تتمنى أنها جازية زوجة ذياب.

كان لبنت الخس نصيبها عند المتمثلين بالحكم، ويقول الجاحظ عن بنت الخس هذه "ومن أهل الدهاء والنكراء(الفطنة) ومن أهل اللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الفصيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة، هند بنت الخس...."

كما كانوا يتمثلون بما قيل على لسان الحيوان كطائر البوم (موكة) عندما ذهبت تدافع عن الطيور أمام مجلس سيدنا سليمان بن داود الذي أراد - ترضية لزوجته بلقيس - أن يصنع لها فراشا حشوه من كل طائر ريشة. وقد استدعى سيدنا سليمان لهذا الأمر كل الطيور، فحضرت الموعد المضروب، إلا البومة، فقد تأخرت، ولما وصلت سألها الملك مغاضبا: أين كنت يا أقبح الطيور منظرا؟ فأجابت أنا - يا مولاي الملك - فعلا أقبح الطيور منظرا ولكني أفضل من ثلاث في ثلاث فقال لها الملك - مستغربا - ومن هؤلاء الثلاث في الثلاث ؟ قالت البومة:(عامية)

- أنا خير من ڨال كلمة وما وفاها.
- وخير من دار ڨصعة وما ملاها.
- وخير من اللي كبرت بنته وما اعطاها

- وأنا خير من اللي يدير خير فيمن لا يصيبه.
- وخير من اللي يثيق في طليبه (عدوه).
- وخير من اللي يجاور نسيبه (صهره).
- وأنا خير من اللي شاف للعقبة وبال.
- وخير من اللي يمشي ويقول نصيب المال.
- وخير من اللي يتمنى النسا في عناق الرجال.

فهدأ روع الملك سليمان وعجب لحكمة البومة، ثم سألها ولماذا تأخرت عن المجلس وأنت بهذه الحكمة وبُعد النظر؟ فقالت – يا مولاي الملك – كنت مشغولة بالمقارنة بين الليل والنهار، والحجر والطوب، والنساء والرجال، كنت أقارن أي فريق أكثر من الآخر. فقال لها الملك سليمان وماذا وجدت؟ قالت:

- قارنت بين الليل والنهار فوجدت عدد النهار أكثر من عدد الليل، لأن الليالي المقمرة محسوبة كأنها النهار.
- قارنت بين الحجر والطوب فوجدت الطوب أكثر عددا من الحجر لأن الحجر الرخو الذي يفتته المطر محسوب كأنه الطوب
- قارنت بين الرجال والنساء فوجدت النساء أكثر عددا من الرجال لأن الرجل الذي يتصرف حسب هوى زوجته محسوب كأنه امرأة.

ففطن سيدنا سليمان لإشارتها إليه، حيث أراد نتف ريش الطيور، إرضاء لهوى زوجته، فاعتذر للطيور وعفا عن البومة.

كانت مجالس الرجال لا تخلو من ذكر أيامهم، التي عَرفت الصراع بين القبائل كما أنها لا تخلو من وجود شاعر أو شعراء، يمجدون الأبطال، ويذكرون بازدراء مثالب أعدائهم، لشحذ الهمم، وتنشئة الحاضرين من الشباب على الأنفة والحمية والجود والإيثار.

أما مجالس السمر والمناسبات الإحتفالية، رجالية كانت أم نسائية على السواء، فلا يمكن أن تمر دون أن يخصص أطيب أوقاتها، لتعداد كرامات سيدي الشيخ، وأبنائه وحفدته ممن خلدت ذاكرة القبيلة مآثرهم وملاحمهم، ولترداد قصائد فحول الشعراء والشاعرات، والإستماع والإستمتاع بها مغناة من طرف المنشدين (القوالين)[201] مصحوبة بعزف على الرباب أو الناي (القصبة)[202] وأبرز الشعراء

[201] القوال لغة المغني، وفي اصطلاح الزجالين: من يقول الأزجال ارتجالا (كما جاء في منجد اللغة العربية) وإلى وقت قريب كان- في المنطقة الشرقية المغربية، والغربية الجزائرية- يُطلقُ على المغني والشاعر إسم" القوّال" ونجد نفس المعنى في الشرق الأقصى (الباكستان والهند وافغانستان وغيرها) حيث يطلق اسم القوال على المنشد في الحلقات الصوفية.

[202] يُعرف الناي في المنطقة باسم القصبة، فهي تشبهه ولها أنواع كثيرة أبرزها الثلاثي والخماسي، وأشهر ألحانها أيْ يَايْ والبدوي وغيرهما، وبها تلحن وتغنى قصائد الملحون.

مثل الشلالي، ومحمد بن بلخير، والطيب الزيادي، وأحمد لخضر، وبحوص العْمَاري، وأحمد لبّـُوخ، وبالمسَقْم، والمقرانية (زوجة الشيخ المقراني المجاهد الجزائري المعروف) ونَمّول (وهي امرأة شاعرة من الأبيض).... الخ

لا يفوتني أن أسجل هنا قصيدتين الأولى للشيخ بحوص العْماري في مدح سيدي الشيخ(عبد القادر السماحي) والثانية للشيخ بالأخضر في مدح أولاد سيدي الشيخ :

يقول الشيخ بحوص العماري :

اللــي عْدُوه سيدي قْبضه شر النـــــواح	مول البلاد زعكه هاذي مـــــدة
صــافي القْباب مول الشهبة زين السـلاح	هو اللي بلاهم ليه الطـــــــــردة
حــجرة مبلطة فيها سم بكور طـــــــاح	شلا نجوع منها راهـــا تـــردا
لا حــس تسمعه لا عين تشوف الجــراح	باطي صعيب سمه جامد يــــهدا
مــا كان من عشرها ومنع تبليـــــه راح	ترميه في اوطان بلاد بعيــــــدة
هــذا لهيه هذا ما نعرف وين طـــــاح	هذا يروح للزاخر يتبــــــــردا
هــذا المقام يقْبض منه ســـــل الرزاح	عيطا اجبال وطاها بالسهــــــدة
واللــي يكون غالط يصلح ليه المـــــراح	طير الدجاج ما يبقاشي يغـــــدا
وما يــطيق يمنع من هو طاير بالجنـــاح	جري الدوام عنده طايل لبـــــدة
يندســوا مواضع عنده ناس الصــــــلاح	في حوز قرب سيدي من يتــعدا
الي يــدير رايي يتصرف للـــــــرواح	ينجى يبعد النار الموقـــــــودة
زرزور ما فلــحش في وطن الغوث جاح	شينة فعايله يمـــــــضى لابـــدا
عبدو الــغش والنميمة الا تحت الجنـــاح	والبخل عم قليل اللي ينـــــــدا
باتفاق جمـــعهم ما يتعمرش اقمـــــاح	مبخول ضيفهم لو كان الوعـــدة
لو كان يا السايل تمدح الليل مع الصبــاح	بزوجة القصب ما تصدق وحـدة

ويقول الشاعر قويدر بلخضر في مدح أولاد سيدي الشيخ (وقد أرخ القصيدة في ختامها بتاريخ نظمها عام : 1347هـ الموافق 1929م)

عند الطـحطاح يفخروك يوم النــــداب	عـقبان إذا حامـــــــوا
وعند المعاد يخرجوا كلام الصـــــواب	يـعطوا للشرع احكامــــو
وعند الـربانية تشوف فيهم اقطـــــاب	كـل امخنتر بايدامـــــو
راهم فـي النسب مفضلين على الاعراب	مـن فضل الله واكرامـــو
باباهـم صدق من نهار جاه الكتـــــاب	واتـرك عباد اصنــــامو
و عـاد حبيب لطه حبيب حب اللبـــاب	حرمت على النار اعظامو
تدفـن عـند اكتافو انهار فرض الرقـــاب	واضحى في وسط مقامـو
راه اوهـــب له عيشا منين عادو انســاب	وتخـلط دمو واذمامــــو
اجعلـــهم لينا حاضرين يوم الحســــاب	صــرختنا كي ننضامــــو
يومـــا ناتو للحوض طالبين الشــــراب	يــروونا من ختامـــــو

تــورخ بالاخضر ذا الكلام يوما انــجاب يا مـن تفهم ترشامـــــــــو
عـــام ألف وثلاثمائة اديرهم في الحساب اربـعين وسبعة عامـــــــو
زينين العلفة نامـــــــــو.

جهاد أولاد سيدي الشيخ ضد الإحتلال الفرنسي

عندما يُذكر أولاد سيدي الشيخ، تـُذكر معهم ملاحمهم الجهادية ضد الإحتلال الفرنسي في الجزائر وفي المغرب، إذ غطت مقاومتـُهم الطويلة، وجهادُهم المرير، وتضحياتهم المتعددة والمتنوعة، على الجانب الروحي الذي يوحي به انتماؤُهم وانتسابُهم لزاوية ذات إشعاع صوفي في المنطقة.
عُرف جدهم سيدي الشيخ مؤسس الطريقة الشيخية بجهاده ضد الإسبان، وقد سبق الحديث عن مساهمته ومشاركته الفعلية في الجهاد بوهران ومليلية وثغور تونس، وتؤكد عدة قرائن حضوره معركة وادي المخازن الشهيرة، كما يؤكد المؤرخون - من بينهم صاحب تقوية إيمان المحبين- أنه مات شهيدا على إثر جراحات أصيب بها في مواجهة جيش من المحتلين الإسبان بثغر وهران. فلا بدع أن يرث أولاد سيدي الشيخ عن أبيهم التصوف والجهاد.
ما كادت تصل قوات الإحتلال الفرنسي - في أواسط القرن التاسع عشر- إلى حدود أرضهم حتى ثاروا في وجهها، وثارت لندائهم القبائل التي كانت تربطهم بها الوشائج الروحية، وامتدت حميّة الجهاد بفضلهم في الجنوب الجزائري والمغربي من القليعة شرقا إلى تافلالت غربا. إلا أن خلافاتهم التقليدية حالت دون توحيد جهادهم، ولم يستطيعوا تجاوز صراعهم الداخلي رغم المحاولات العديدة لجمع كلمتهم، فكانت هذه الخلافات من أهم عوامل هزيمتهم، واضطرتِ البعضَ منهم إلى اتخاذ مواقف سلبية لا تتناسب مع تاريخهم.
مقاومة أولاد سيدي الشيخ التي كان الفرنسيون يسمونها - في كتاباتهم - إنتفاضة وعصيانا وتمردا، لا تعني سوى الحركات المسلحة التي قامت بها قبائل الجنوب المغربي/الجزائري بقيادة أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، ضد الإحتلال الفرنسي من 1845 م إلى1903 م محتسبة عملها جهادا في سبيل الله.
تنقسم مقاومة أولاد سيدي الشيخ إلى ثلاث حركات حسب التسلسل التاريخي :

1- مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة (بزعامة الشيخ بن الطيب).
2- مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة (بزعامة أولاد حمزة).
3- مقاومة الشيخ بوعمامة.

1 مقاومة أولاد سيد الشيخ الغرابة

في أبريل **1845 م** كانت القوات الفرنسية بقيادة العقيد جيري ((le colonnel Gery) تتجه إلى الأبيض، بعد أن مرت ببريزينة والغاسول، فتصدى لها أولاد سيدي الشيخ الغرابة وأرغموها على الرجوع من حيث أتت[203] وإن كانت الكتابات الفرنسية لا تعترف بالهزيمة، فقد اعترفت بأنها شَكَت الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة - بصفته مغربيا - إلى مولاي عبد الرحمان سلطان المغرب ليوقف تصديه للإحتلال الفرنسي.

في 1850/1/15م بدأت الإتصالات بين الفرنسيين وأولاد سيدي الشيخ الشراقة، بواسطة قُواد وأعيان بعض قبائل التل التي أعلنت ولاءها للفرنسيين، إلا أن حمزة بن بوبكرعلق اتصاله بالفرنسيين على مشاورة ابن عمه زعيم الغرابة[204] مما يدل على أنهما كانا يخططان لتوحيد الموقف، إلا أن الأحداث المتسارعة ومفعول اتفاقية لالة مغنية الموقعة بين المغرب وفرنسا في 18 مارس 1845 م ستفرق بينهما، إذ يصبح الشراقة محسوبين على الإيالة الجزائرية، والغرابة على الإيالة المغربية. وستعرف مواقفهما تذبذبا بين الجهاد والإستسلام، وبين الولاء والتمرد تجاه سلطة الإحتلال.

استشرى الخلاف بين القبائل حول الجهاد وكيفيته، والإستسلام ودواعيه كما أن القبيلة الواحدة نفسها عرفت انقسامات وخلافات داخلية حول الموضوعين إذ كانت الهجمة الإستعمارية بمثابة انفجار مزق لحمة القبيلة والأسرة معا. كانت هذه الظاهرة وراء كتابة رسالة بعث بها الشيخ بن الطيب(زعيم الغرابة) يستفتي فيها علماء المغرب عن الإجراءات الشرعية التي يتخذها المجاهدون تجاه القبائل التي تستسلم للإحتلال وتخدم أهدافه ومصالحه، سيأتي متنها عندما نتعرض للحديث عن الشيخ بن الطيب.

كان زعيم الغرابة الشيخ بن الطيب أول من حاز أفضلية السبق- من بين أولاد سيدي الشيخ عامة – بإعلانه مقاومة الإحتلال الفرنسي حين وطئت أقدام جنوده أراضي أولاد سيدي الشيخ (سنة**1845م**) ولكن التأريخ لمقاومته واستشهاد أبنائه وأتباعه وتضحيات قبيلته كلها ضاعت بين مؤرخَيْنِ اثنين:

-1- مؤرخ مغربي تاه بين هويات أولاد سيدي الشيخ عموما، وانجرّ وراء بعض المواقف المتناقضة - التي فرضتها حالة الحرب - وانساق مع المضايقات والعقاب الذي أنزله المخزن بأولاد سيدي الشيخ الغرابة، فابتز تاريخهم وجهادهم وتضحياتهم، وصُنِّفوا ظلما في خانة أهل الفتن والفساد.

---

[203] Si Hamza Boubakeur, Un soufi ,Sidi Cheikh, p. 146
et voir aussi,De La Martiniere et La Croix, DPSENOA, p. 792.

[204] DPSENOA, p. 149.

- 2- مؤرخ جزائري، رأى أن أولاد سيدي الشيخ الغرابة ـ مغاربة بحكم اتفاقية دولية ـ قاتلوا وقـُتلوا دفاعا عن أرض اقتطعها الإحتلال الفرنسي من المغرب وألحقها بالجزائر، فتحرَّج هو كذلك من الكتابة عنهم، لحساسية ومعضلة المشكل الحدودي بين المغرب والجزائر. (أنظر مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة في الفصل الأخير)

تجنب المؤرخ الجزائري ذكر مقاومة الشيخ بن الطيب، في الجنوب الوهراني، رغم أنه تعرض لذكر ثورات هي أقل شأنا من ثورته، ومن الطبيعي أن يعرض عنها لأنها كانت وجها من وجوه مقاومة المغرب، وامتدادا طبيعيا في ذلك الوقت لسلطته الشرعية على أرضه ومواطنيه. ولكن من غيرالطبيعي أن يغض الطرفَ عنها المؤرخُ المغربي، وهي صفحة مشرقة من تاريخ المغرب المقاوم.

ولاتزال الشعوب المغاربية متطلعة إلى اليوم الذي تتوحد فيه الكلمة، وتزول الحدود الوهمية التي تمزقهم، وتذوب الوطنية الضيقة التي حشرهم الإستعمار في بوتقتها، وقيدهم بعقالها، وأذاق بعضهم بأس بعض، ويومئذ سينبري **المؤرخون** لتجديد كتابة تاريخ المنطقة، على أسس علمية، بعيدا عن الولاءات والمحابات، والأعراض والأغراض، والترغيب والترهيب، ويومئذ سَيُؤتَى كل ذي حق حقه. ويومئذ فقط، تستطيع الأمة المغاربية بناء صرحها على ماض واضح، وتنطلق إلى مستقبل أوضح.



فرسان المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي

2 مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة

2-1- **حمزة بن بوبكر:**

كان زعيمهم حمزة بن أ بي بكر الملقب بأبي الصبيعات، الذي سبق وَصْفـُهُ من طرف العقيد تريملي، يتمتع بنفوذ كبير خصوصا بين قبائل الشعامبة، المخادمة، الأغواط، أولاد زياد، وأهل الواحات الجنوبية، عُرف بالنبل والشجاعة والكرم، وكان غنيا، يُسَخر ستين جملا لحمل ما كان لديه من أكياس الذهب، في التنقلات الموسمية لمخيمه.

كان الشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة معاصرا له في هذه الحقبة، فعَرَفـَت أواخر فترتهما الوئام والسلام والمصاهرة والعلاقة الحميمة بين الفريقين. وكان الشراقة والغرابة قد اصطدما - قبل ذلك - في معارك دامية، وسيصطدمان - مع الأسف - بعد موت هذين الرجلين، في آخر معركتين داميتين بينهما.

امتنع أولاد سيدي الشيخ الشراقة عن المشاركة في حرب الأمير عبد القادر عندما عرضها عليهم سنة **1846**م لمّا استقبلوه بضريح سيدي الحاج أحمد بالأبيض. لأنهم شاركوه سابقا، في بداية أمره، وكانوا في جيشه سنة **1836**م عندما قام بحصار عين ماضي، ولكن - لأسباب يراها أولاد سيدي الشيخ واهية - أمر الأمير بإعدام الشيخ بالغماري النچادي مقدم الطريقة الشيخية، كما فرض ضرائب مهينة على قوافل أولاد سيدي الشيخ التي كانت تربط بين الشمال والجنوب .

في **1850/08/15** م كان أول لقاء للتفاوض بين حمزة بن بوبكر، والسلطات الفرنسية، التي كانت تغريه بتعيينه خليفة لأولاد سيدي الشيخ الشراقة والقبائل التابعة تقليديا لهم، إلا انه عند مشاورة فريقه من أعيان القبائل المعنية بالأمر، وجد في أغلبهم الرفض، وقابلية التصدي للإحتلال، فكان يُظهر الموافقة للفرنسيين، ويأمر بالاستعداد للجهاد. إلا أن عيون سلطات الإستعمار المبثوثة في كل مكان لم تفتها هذه الخدعة، فاحتال عليه الجنرال بليسيه **Pelissier** فاحتجزه لمدة سبعة أشهر ثم - لتوريطه - أشركه في حملاته ضد قبائل الأرباع، وأولاد نايل (الجلفة) وحميان شافع.

لم يسبق أن كان لأولاد سيدي الشيخ منصب "**خليفة**"، وإنما كانوا شيوخ زوايا وزعماء قبائل، واستغلت السلطات الفرنسية نبأ تعيين الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة خليفة للسلطان سنة 1849 ، من طرف مولاي عبد الرحمان بن هشام (سلطان المغرب) فداعبت طموح حمزة بن بوبكر بإحداث منصب مواز له سنة 1850 تكريسا للتنافس الموجود منذ القدم بين الشراقة والغرابة، وحفاظا على جذوة الصراع متقدة بينهما لخدمة مصالحها فيما بعد.

في هذه الأثناء ظهر المدعو محمد بن عبد الله، الذي أعلن نفسه سلطانا على "ورقلة "، وهو شخص مجهول الهوية، تضاربت حوله آراء المؤرخين، منهم من

اثبته مع زمرة زعماء المقاومة والجهاد، ومنهم من جعل منه صنيعة السلطات الفرنسية، وأحد عملاء الإحتلال الذين جندهم ليبثوا القلاقل ويشتتوا الصفوف، لتسهيل التغلغل الفرنسي في المنطقة، ولا يزال يكتنف الغموض طويته وسيرته. وهكذا استُدرج حمزة بن بوبكر- لمواجهة محمد بن عبد الله - بصفته خليفة على المنطقة، وإليه يعود استتباب الأمن وفرض النظام بها، وخاض حمزة - مرغما - معارك انتصر فيها، ولكنه انتصار كالهزيمة إذ بعد هاتيك المعارك، وبعد أن قلده الوالي العام وسام جوقة الشرف في **1854/ 2 /9** بدأت المشاكل تطفو على سطح العلاقة بينه وبين السلطات الفرنسية، التي كانت تريده إمّعة بين يديها، وكان حمزة يتبرم بعنجهية ضباط الإحتلال وصلفهم ويرى أنه لا مناص له من المواجهة معهم آجلا أو عاجلا فكان يتهيأ لها.

في يناير **1860**م استُدعي لحفلات رأس السنة الميلادية بالجزائر العاصمة، وعند وصوله أُلقي عليه القبض وأودع السجن، وأُسقط عنه لقبُ الخليفة، وصُودرت أمواله وأملاكه على كافة الأراضي الجزائرية، وتوفي مشكوكا في اغتياله بالسم يوم **1861/8/21** م ودفن بضريح سيدي امحمد بن عبد الرحمان بـ "بلكور" بالجزائر.

اتـّهَمَ الأهاليُ السلطاتِ الفرنسية بتسميم حمزة بن أبي بكر، الشهيد الذي كانت مكانته السامقة مضرب الأمثال، وامتلأت القلوب حقدا عليهم، ورثاه الشعراء وبكاه القوّالون. من بين ما قيل في رثائه هذه الأبيات الرائعة من الملحون:

أبك يا عيني على رايس الاعقـــاد	من لا ليه مثيل في ذا البـــر وذاك
نبكي ونبَكـّي الحاضر بالتمجــــاد	بكاني حمزة وزاد القلب هـــلاك
لو ما حمزة واشتا يبكوا لثمـــــاد	قالوا عيطة عاقلين الصـــبر دواك
حمزة بوسكين سقــام الميعـــــــاد	من جاته ساعته يواسي فيــها هـاك
حمزة طوعها سلاطين وقيـــــــاد	من بر السودان لكراسى الاتـــراك
اضنات الياقوت في قاسح الازنـــاد	سلسلة ذهب باقية من ذاك لـــــذاك
سيدي وانا خديمكم على الاجـــداد	لو داري بالضر نلقاه ونهـــــــداك
يالله في الجنة ذراعي ليك وســـــاد	وإلا خاطي وين رحت انا وايــاك

2-2- **سليمان بن حمزة:**

بعد وفاة حمزة بن أبي بكر، خلفه ابنه أبوبكر الذي برهن عن ولائه للفرنسيين عندما ألقى القبضَ على محمد بن عبد الله - السابق الذكر- الذي فر من السجن، فلحق به في غدامس بعد أن قضى أربعة أيام بلياليها في مطاردته[205].

لكن سرعان ما توفي بوبكر بعد اعتلال صحته، ويشاع أنه توفي مسموما مثل أبيه، ويعزو البعض هاتين الجريمتين إلى السلطات الفرنسية، كما تعزوهما -هذه

[205] DPSENOA.p. 666.

السلطات - إلى بعض عناصر أولاد سيدي الشيخ الشراقة أو الغرابة الذين كانوا ينقمون على بوبكر وأبيه موالاة الإحتلال.

بعد وفاة بوبكر في 1862/7/22 م خلفه - في زعامة أولاد سيدي الشيخ الشراقة - أخوه سليمان بن حمزة الذي كان يبلغ من العمر عشرين سنة، والذي ما لبث أن أعلن الجهاد ضد المحتل، على إثر إهانة تعرض لها كاتبه الفضيل، الذي استدعاه حاكم البَيّض بوران **Burin** وهمّ بتأديبه لسبب تافه، فدخل عليه سليمان بن حمزة، وانتزعه من بين يديه متوعدا بالإنتقام، وأشعرَ- على الفور- زعماءَ القبائل التابعة له بإعلان الجهاد، وخلال بضعة أيام استطاع السير بـ **7500** فارس و **1200** مقاتل على ظهور المهاري.

ما إن أحست به قوات الإحتلال حتى انطلقت لملاقاته والإطباق عليه من ثلاثة محاور، وكانت معركة "عوينة بوبكر"، التي باغت فيها أولادُ سيدي الشيخ الشراقة معسكرَالإحتلال، قبل طلوع الفجر،حيث قَتَلَ سليمانُ قائد الجيش الضابطَ "بوبريطر"(**Le colonnel Beaupretre**)، وكان بجانب "بوبريطر" خادمه الخاص الذي أطلق بدوره النارعلى سليمان فسقط شهيدا يوم **1864/4/8م.**

2-3- **محمد بن حمزة:**

بعد استشهاد سليمان أخذ أخوه - على أرض المعركة - راية الجهاد وقد كان يبلغ من العمرإذاك، ستة عشر سنة، إلا أنه كان مُؤطرا ومُوجَها من طرف عمه، بطل المقاومة، ومنظرها المقتدر لعلى بن بوبكر[206] الذي يصفه العقيد تريملي (**Trumelet**) - في تقريرعن معركة "البيضا" ضد الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال جوليفي (**Jolivet**) في 30 شتنمبر 1864 - بقوله :

" لا يسعنا إلا الإعتراف لزعيم المتمردين (سيدي لعلى) بدوره العسكري المميز، وحسه الحربي النادر، والمهارة في كيفية استغلال أخطائنا"[207].

حرصت القبائل المجاهدة على توريث الزعامة في أبناء حمزة بن بوبكر رغم صغر سنهم، وفاء لأبيهم الشهيد ولتفاني أبنائه في الجهاد وطلب الشهادة.

ألم يقل فيهم الشاعر؟ (ملحون):

هاذو اولادْ حمزة الأبلـجْ عالي على النجوعْ مقامُهْ

[206] عندما تعرض بعض الباحثين المغاربيين في كتبهم للكلام عن سيدي لعلى (**Sidi Laala**) كانوا ينقلون كتابة اسمه حرفيا عن الكُتاب الفرنسيين دون محاولة رد الإسم إلى أصله العربي، فكتبوا سيدي لالا، والصحيح أنه سيدي الأعلى أو لعلى، اقتباسا من الآية الكريمة في سورة طه ، التي خاطب فيها الله تبارك وتعالى رسوله سيدنا موسى عليه السلام قائلا:" **قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى"** وتُنطق **لَعلى** بقراءة ورش، فاستـُعمل هذا الاسم تيمنا بخطاب الله تعالى لنبيه سيدنا موسى. كما وقع تحريف بعض اسماء القبائل والأماكن بالطريقة نفسها، كالترافي بدل الطرافي ومحاية بدل المهاية والكوليا بدل القليعة ومشيريع بدل المشرية والأقزل بدل كسال، وكان الأجانب أدق تمحيصا وأشد تثبتا في كتابة أسماء الأعلام والأماكن رغم صعوبة النطق والترجمة.

[207] Trumelet Les Français au desert ,T II p.133.

سقامْ من بغى يتعـــوجْ قتالْ كلْ سمْ بســــــمُهْ

واصل محمد تحرشاته بالإحتلال الفرنسي، فاصطدم به في :

- معركـة بـن حطـاب في 1864/4/26 ضـد قـوات الجنـرال مـارتينو **General Martineau-Deshesnez** (وهو المكان الذي سيشهد معركة بين أخيه أحمد والكولونيل دو كولومب فيما بعد) .

- معركة ستيتن في 1864/5/13م ضد قوات الجنرال ديليني(**Géneral Déligny**)

- معركة فرندة في 1864/7/12م ضد مركز عسكري.

- معركة البيضا في 1864/9/30م وقد كبد فيها لعلى بن بوبكر وهو القائد الميداني لجهاد الشراقة قوات الإحتلال الخسائر التالية: 27 قتيل 48 جريح 150 مفقود.

- كما قام لعلى بن بوبكر، بهجومين في 1864/10/15م على المعمرين بتاسلة وسيدي علي بن أيوب وأحرق ضيعاتهم.

كان الإحتلال يبحث عن ثغرة ينتقم من خلالها لمقتل العقيد بوبريطر (**Le colonnel Beaupretre**)، ووجدها في معركة قارة سيدي الشيخ، عندما اهتبل فرصة غياب جيش محمد بن حمزة عنه، وبقاءه في مخيمه، ليس معه إلا أحد عشر من خاصته، فهاجمه الإحتلال مُجَنِّدا - في مقدمة جيوشه - القبائلَ المتعاونة معه، والتي كان زعماؤها يطلبون بذلك الحظوة عند أسيادهم، ويتنافسون على المناصب والنياشين - وبالأخص أحمد ولد قاضي، والحاج قدور ولد عدّة الصحراوي - وتصدى لهم محمد بن حمزة فقاتل حتى أُثخن بالجراح، ونُقل إلى مكان آمن وبعد خمسة عشر يوما من العلاج الذي لم يُجد شيئا، فاستشهد يوم 22 فبراير 1865م ودفن بضريح الحاج الدين[208].

2-4- أحمد بن حمزة:

بعد استشهاد محمد بن حمزة تولى زعامة الشراقة أخوه أحمد بن حمزة البالغ من العمر خمسة عشر سنة، بمعاضدة عمه لعلى بن أبي بكر، الذي كان همه المقاومة لا الظهور. ومحاولة منه للثأر لاستشهاد أخيه، أخذ أحمد في تجميع قوته، وتحريض أتباعه على مقاومة العدو الغاصب الذي اصطدم به في :

- معركة رباوات في 1865/4/1م

- معركة وادي الديغم في 1865/4/6م.

- معركة الشلالة في 1865/4/8م، وكانت هذه المعارك الثلاث ضد قوات الإحتلال برئاسة الكولونيل دو كلومب (**Le colonel de Colombe**).

بعد عدة مناوشات وغارات على أتباع الإحتلال، صمم أحمد بن حمزة على مهاجمة المعسكرالفرنسي بقيادة العقيد دو كولومب (**Le colonel de Colombe**) في بن

[208] DPSENOA, p. 849.

حطاب يوم 1866/3/16 التي انتصر فيها الشراقة انتصارا باهرا، لم ينج دو كولومب من ساحة المعركة إلا في شرذمة من حرسه الخاص هاربا إلى البيّض[209].

كان لعلى بن بوبكر- بكل جدارة - روح الثورة كما لقبه قادة الإحتلال وكان في واقع الأمر وصيّا على جهاد أولاد سيدي الشيخ الشراقة، فعندما أجبر زعيمُ الشراقة أحمد بن حمزة قبائلَ الطرافي على الإنضمام إليه لمواصلة المقاومة وافقوه مرغمين، وبعد حين أحس من زعيميْهما بوبكر بن زيان والعربي بن لعرج محاولة التملص منه، فأمر بقتلهما، مما كاد أن يشعل الفتنة لولا تدخل لعلى بن بوبكر الذي استطاع إخمادها بحنكته المعهودة وتجربته الطويلة في قيادة وسياسة القبائل.

في هذه الأثناء كان إسم شاب ذي السادسة والعشرين من عمره يتردد بين أسماء قادة الجهاد، يُدعى سليمان بن قدورإبن أخ الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، إلا أن هذا الظهور كان يقلق أبناء زعيم الغرابة (الشيخ بن الطيب) الذين كانوا يتضايقون من مزاحمة إبن عمهم لهم، وذات يوم كما تقول الرواية الشفوية تعرض سليمان لتعنيف قاس من إبن عمه معمر بن الشيخ بن الطيب، مما جعله ينسحب من ساحة الغرابة - في شهر مارس 1867م – ويَنْضَمّ بأتباعه إلى زعيم الشراقة الذي خصص له المكانة اللائقة به في قيادة الجيوش المجاهدة التي توحدت تحت راية واحدة، وشارك في المعارك التي خاضها الشراقة منذ التحاقه بهم في التاريخ المذكور، وأثلج هذا الإتحاد صدور المقاومين، الذين كان يحبطهم كثيرًا خلاف الشراقة والغرابة، وخلد - هذه الفرحة - الشاعرُ محمد بن بلخير بأحلى قصائده بعنوان: ساروا يا ضيمي سارو، **وصادقُ الحب يُملي صادقَ الكلم**، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي. تقول القصيدة :(ملحون)

ساروا رعيان الخيل ناويين الجهاد شوف سيادي مـــا داروا
ساروا ياضيمي ســاروا

صدوا رعيان الخيل ما يربوا ذلـــــيل وتكلم عقب الليـــل
حس طـــبل النـــحاس

غوايط بتولـــويل طابعيـــن الزعـــيل يفطن من كان هبيـــل
بالزقـــا والهـــواس

أهل علامات تميـــل للمحـــال دليـــل وراهم فزوع تهيـــل
تاركيـــن النعـــاس

ثراية بوكمبـــيل ما يربـــوا ذليـــل تحجبهـم ياجليـــل
مايشوفـــوا البـــاس

فازوا عن كل قبيـــل بيت حرمـة وصـــيل ذلوا من كان رجـــيل
في بـــلاد البـــلاص

[209] DPSENOA, p. 864 – 869.

داروا همة وشليـــل فـــوق سرتي طويـــل تحسب نـــوارعطـــيل
كي لـــوان اللبـــــاس

صدوا من ڤير مكلفين لأرض الحمـاد	شاو الليل وتبـــكارو
أحمد وسليمان قاصـــــدين البـــلاد	ويح التل وجنـــارو
ثراية سيدي الشيخ راحت على وسـاد	زل من القلب غيـارو
من غير سيادي ما نريد حتى سيــــاد	خرجوا للجهل نقـارو
ومن سعد سيادي ما نريد حتى اسعــاد	كل سماحي بنـــوارو
مصابيح الظلمة بيت حرمــــة وزاد	بوهم سعد اللي زارو

ساروا ياضيمي سـاروا

كالشرقي كالغربـــي	بغاو دين النبـــي	تحفظـهم يـــارب	بجاه عالـي المـقام
سربة سيدي العربي	اولاد الأصحابي	وثرايةالطيبـــــي	واقفين في ذاالمقام
أهل الغـــم الغربي	وسابق لعايـــبي	إذا عاد يشابـــي	يفك صرع اللجـام
رب تقبل طـلــــبي	وبعّد مصايبـــي	توفي ما في قلبي	حلال ما هو حـرام

وأحمد من دار ديـــــارو

راني نشكر ونزيـــد	في الزوا والعبيـد	أهل قفاطين جـــريد	طابعين السلاح
ما ذا من بطـل وكيد	كيف ولد الجــديد	في الصول يشـد باليد	مايهيب لـجراح
يوما ريـــــت اولاد	بودواية سعـــــيد	ولد الشلالي في بطال	حزة مـــــلاح
أهل مصمر يمشـــي	على اطراف الحديد	من لسعات الشبير	طاير بلا جناح
خيمة بحوص الحاج	فارحة فرح عــــيد	من يڤرض بين سلاسل الذهب لا سماح	
بين سيادي لا كيـــد	لا نكر لا جحـــــيد	يامن فيك التوحيد	قودهم للصلاح

هاجم الجيشُ الموحدُ تحت قيادة أحمد وسليمان أتباعَ الإحتلال فكانت:

- معركة البكاكرة والمغاولية بالمكان المسمى النبش أواخر مارس 1867م
- معركة عسلة والشلالة القبلية والظهرانية وبوسمغون 1867/4/1م

ولـم تـُعَمّر الفرحـة - باجتمـاع كلمـة الشـراڤة والغرابـة علـى الجهـاد - طـويلا، إذ في خضم الأحداث، كانت شكوك الشراڤة تحوم حول القائد محمد بن الحاج أحمد أحد أعيـان قبيلـة أولاد عبـد الكريم (حلفـاء الغرابـة) الـذي اتُهـمَ بالتجسس لصـالح الإحـتلال، فـأمر أحمـد بـن حمـزة بالإغـارة علـى مواشـيه وسـلبها، فـانفرط العقـد بانسـحاب أولاد عبـد الكـريم مـن السـاحة، وتضـامن معهـم الرزاينـة، وأولاد معـلا، وأولاد سرور، وعكرمة وحميان، والعمور، والمهاية، وبنو مطهر، الذين التحقوا بزعيم الغرابة الشيخ بن الطيب كرد فعل على تصرفات أحمد بن حمزة، وهناك من يعزو هذا الإنقسـام إلـى سـوء تفـاهم ذي طـابع عـائلي بـين أحمـد وسـليمان. وانقلـب موقف سليمان من المقاومة إلى إعلان استسلامه للإحتلال الفرنسـي الـذي عينـه آغـا لقبيلـة احميان.

وبقيت مع أحمد بن حمزة القبائل التالية: الأغواط (الرزيقات أولاد مومن، والقراريج) الشعامبة، فرقة من الأحرار، والطرافي، أولاد زياد، أهل أنجاد، وأولاد سيدي الشيخ الشراقة.

تراجع أحمد بن حمزة بجيشه، إلى الجنوب الغربي، بناحية تافلالت، هروبا من الجفاف الذي ضرب الجنوب الوهراني، وأضر بالناس، وكان من بين الأسباب التي أنهكت القبائل المقاومة، ولم يلبث أحمد أن توفي بالطاعون في أكتوبر 1868م ويشاع أن دفنه كان بالسهلى داخل ضريح سيدي امحمد بن عبد الرحمان.

2-5- قدور بن حمزة:

بعد وفاة أحمد بن حمزة، مالت بعض القبائل إلى اختيارعمه لعلى بن بوبكر زعيما للجهاد، لدوره المميز في تنظيم المقاومة، وتملصا من قدور بن حمزة الذي كان يعاب عليه كونه "ابن أمَة"، وبدأ الخلاف فعلا، إلا أن غياب لعلى ساعة وفاة ابن أخيه (أحمد بن حمزة زعيم الشراقة) وحضور قدوربن حمزة بشخصيته النافذة وشجاعته المعروفة، وبتوسط من الشيخ بن الطيب[210] استطاع قدور بن حمزة أن يجمع الكلمة حوله، دون أن ينال ذلك من كبرياء عمه لعلى المعروف بهمته المتعالية عن الألقاب.

آل أمر الشراقة إلى قدور بن حمزة، في ظروف تعددت فيها اتجاهات زعماء أولاد سيدي الشيخ وتباينت، وكانت إعلانا لإحياء الصرعات الداخلية القديمة بينهم، والتي كان وراءها الإحتلال بتنسيق مع المخزن المغربي، لتثبيط إرادة المقاومة، التي ما فتئت تثير المشاكل الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا، وتمثل هذا التباين في:

- استسلام سليمان بن قدور للإحتلال، وانخراطه في خدمة نظامه بتعينه آغا لقبيلة حميان بعد خلافه مع أحمد بن حمزة(زعيم الشراقة)، وانفصاله عن عمه الشيخ بن الطيب(زعيم الغرابة).
- تعيين الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب خليفة لعامل وجدة، بشروط أهمها تهدئة المنطقة الحدودية، وهو مشروع مشترك بين المخزن والسلطة الفرنسية ولكنه - في تلك الفترة - كان صعب المنال.
- تبني المقاومة من طرف قدور بن حمزة الذي جعل نصب عينيه إعادة تنظيم جيشه، وتقويته بالقبائل الحدودية الثائرة - مغربية وجزائرية - والإنتقام من القبائل الموالية للإحتلال، وجرها - ولو بالقوة - إلى الإنخراط في المقاومة.

كانت القبائل الموالية للإحتلال متاخمة للحدود المغربية الجزائرية، وكانت بذلك تمثل حاجزا بين المقاومين والقوات المحتلة، وكانت أشد شراسة من المحتل نفسه دفاعا عنه، طلبا للإستقرار والإمتيازات، والمناصب والمرتبات والنياشين. ولذلك

[210] DPSENOA, p. 878.

كانت أكثر الهجمات تقع بين المقاومين والقبائل الموالية. وتكتفي القوات الفرنسية بإدارة المعارك من بعيد، والتحريض وتدبير الدسائس.

في أوائل يناير1869م دعا قدور بن حمزة إلى اجتماع موسع بالقنادسة (الزاوية القندوسية) ضم الحاج العربي ممثلا لأبيه الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، وأحمد عمّار بن الحبيب التجاني شيخ زاوية عين ماضي[211] وزعماء القبائل الثائرة، واتـُخذ قرار مهاجمة مواقع المحتل بنواحي عين ماضي، وتوَجَه الجيش المجاهد في منتصف يناير1869م نحو أهدافه. والتحم بالقوات الفرنسية بقيادة الجنرال دوسونيس(**Géneral De Sonis**) يوم 10 فبراير1869م في المعركة المشهورة بيوم أم الدبداب- عند الفرنسيين- والمعروفة بمعركة "القارة الغشوة" عند المجاهدين .

كانت معركة- القارة الغشوة- طاحنة أبان فيها المجاهدون عن شجاعة نادرة، وقد شارك فيها الغرابة بزعامة الحاج العربي، إلى جانب الشراقة بقيادة قدور بن حمزة، وشارك غيرهما بزعامة شيخ الطريقة التجانية، ولكنهم تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. لأن الجيش الفرنسي أدخل لأول مرة في معاركه ضد الثوار سلاحا جديدا يتمثل في البندقية (شاسبو chaspot)[212] الحديثة الصنع، ذات الطلقات السريعة والإستعمال السهل، في حين كان أولاد سيدي الشيخ لا يتوفرون إلا على البنادق التقليدية والسيوف، وواجهوا هذا التقدم التقني ببسالة شهد بها مؤرخو الإحتلال[213].

انهزم المجاهدون ولكن الهزيمة الحقيقية كانت هي انقسام الشراقة إلى قسمين، إذ ذهب نصف الجيش مع سيدي لعلى بن بوبكر، وبقي النصف في صحبة قدور بن حمزة، لاختلافهم حول معركة القارة الغشوة، ورَدّ كل منهما أسباب الهزيمة للآخر. كما أنهما اتهما - مجتمِعَيْن- الحاج العربي (ابن الشيخ ين الطيب زعيم الغرابة) بالخيانة وبث أسباب الهزيمة في الجيش، واتهمهما الحاج العربي بدوره بالحذر الشديد، الذي جعلهما ينسحبان أمام جيش الإحتلال.

مما يؤكد تجذر الخلافات بين الشراقة والغرابة وعمق العداوة، أن سليمان بن قدور وهو في هذه الأثناء آغا حميان، أقدم على اغتنام فرصة وجود الشراقة بعين ماضي في مواجهة الجيوش الفرنسية، فانطلق في مائتين من عناصرالقبائل الموالية

---

[211] أحمد عمار – بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني – ازداد سنة 1849م بقالمة، تقلد أمر الزاوية في غشت 1865م وعمره ست عشرة سنة. بعد مشاركته أولاد سيدي الشيخ في معركة القارة الغشوة ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض في 10 فبراير 1869.سجن بالأغواط ، ثم سركاجي، ومنها نقل إلى بوردو بفرنسا، حيث رُتب له الزواج من فرنسية، ثم أطلق سراحه، وعاد إل الجزائر لمزاولة مهمته كشيخ للزاوية التجانية، توفي بوادي سوف أثناء زيارة للمنطقة يوم 10 أبريل 1897م، ونقل جثمانه بطلب من زوجته ليدفن بعين ماضي. خلفه أخوه البشير بن محمد الحبيب بدعم من سيدي حمة شيخ تماسين.

(www.almaareftijania.forumsfree.org /montada)

[212] حُرف قليلا اسم هذه البندقية فكانت تدعى عند الأهالي بـ : "ساسبو".

[213] Si Boubker Hamza,Un soufi Sidi Cheikh, p. 221.
et Djilali SARI, l’insurection de1881-1882 de page 43.

للإحتلال وانقضّ على مخيم الشراقة في المُرّة بوادي كّير يوم 5 فبراير1869 وسلبهم مجمل ممتلكاتهم ومواشيهم، وعاد إلى منطلقه، فاستحق على ذلك الترقية في 1869/4/4 التي جعلت منه آغا البيض، ووضعت تحت إمرته قبائل الغاسول، مشرية بريزينة، الأبيض سيدي الشيخ، رباوات، الشلالتين وبوسمغون[214]. هكذا أصبح أولاد سيدي الشيخ يمثلون في هذه الفترة ثلاث محاور متناقضة.

رغم عمق الجروح، واستفحال العداوة، واستحالة التقارب، وبعد فشل الوحدة التي حققها سليمان بن قدور زعيم الغرابة وأحمد بن حمزة زعيم الشراقة بينهما، توسط أعيان القبائل الوفية لآل سيدي الشيخ ومقاومتهم، فاجتمع للمرة الثانية قدور بن حمزة زعيم الشراقة ومعمر بن الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، وتحقق الوفاق، وتوّجوا هذا الصلح بمعركة ماقورة في **1871/4/17 م**، التي اشترك في خوضها الشراقة والغرابة، ضد جيوش الإحتلال بقيادة الكولونيل رونو دو ميلواز **Le colonnel Renaud Des meloise** وكلل الله جهادهم بالنصر المبين، وخلدها الشعراء بعدة قصائد. وكان زعيم الغرابة السابق سليمان بن قدور، قد شهد المعركة ولكن في الصف المقابل. وأشِيعَ - ولا استبعد أنها من دسائس الإحتلال- أن الغرابة كانوا يخططون للوقيعة بقدور بن حمزة، وذلك بوضعه في الواجهة التي يصطدم فيها بسليمان وأعوانه، وهو إذاك قائد لجيش حميان ضمن القوة الفرنسية المهاجمة.



قدور بن حمزة، زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة
من 1868م / 1897م.

[214] DPSENOA, p.880. et Sari Djilali, p.42.

بعد المعركة انسحب قدور بن حمزة إلى الجنوب ثم ما لبث أن عاد إلى المريجة غرب عين بني مطهر، وكان مخيم الغرابة بعقْلة السدرة. ولم يكن بين المخيميْن إلا بضعة وعشرون كلم .

لا يشك عاقل أن الإحتلال - بعد هزيمته في ماڤورة - أصبح يخطط مباشرة للثأر ورد الإعتبار، حتى يحافظ على معنويات القبائل الموالية له مرتفعة، كما أنه يرى في وحدة الغرابة والشراقة خطرا يجب التخلص منه بسرعة قبل أن يستفحل، ولا يحتاج الإحتلال إلى كبير جهد، لأن الغرابة والشراڤة كان ما يفرقهما أكبر مما يجمعهما، وكانت هزيمة الڤارة الغشوة واتهام الشراڤة للغرابة بكونهم أحد أسبابها، لاتزال جاثمة بآثارها على قلب قدور بن حمزة، وكان يُحَمّل تبعاتها للحاج العربي وسليمان بن قدور. وتكثر الروايات الشفوية وتتعدد، حول الدافع الذي حدا بقدور بن حمزة، إلى الهجوم على الغرابة بعڤلة السدرة صبيحة **1871/08/03م**، فقتل ابني عمته - الحاج العربي و سليمان ابني الشيخ بن الطيب - وقد حذره - قبل الإقدام على المعركة- أحد قواد جيشه : بوديسة زعيم قبائل أولاد شعيب (نواحي الجزائر العاصمة) من مغبّة مهاجمة الغرابة وعدم الزج بجيشه في معارك هامشية، فلم يعره انتباها.

توعد معمر- غريمَه قدور بن حمزة- بالإنتقام لمقتل أخويه، فهاجمه بالمكان المسمى المنڤوب - بعد أربعة أشهر- صحبة ابن عمه سليمان بن قدور الذي كان قد أقيل من منصبه (في 1871/12/19 م وكان في إقامته الجبرية بـ "ملاتة"ناحية وهران). واندلاع الصراع المسلح بين الغرابة والشراڤة وإحياؤه من جديد كان أمنية الإحتلال ومبتغاه، وبه استطاع خضد شوكتهم، وتحقيق أهدافه بأقل الخسائر.

كانت معركة المنڤوب بالحمادة التي ثأر بها الغرابة لقتل زعيميْهم بعڤلة السدرة فقُتل من الشراڤة في المعركة أكثر من مائة وخمسين فارسا، وأُخذوا المخيم بما فيه كما أخذت رايتان وخاتم قدور بن حمزة، ونجا هذا الأخير وعمه لعلى بن بوبكر- بعد إصابتهما بجروح - في شرذمة قليلة من أنصارهما.

كانت هذه الهزيمة خسارة للمقاومة قبل أن تكون خسارة للشراڤة، وانتصارا لإحتلال قبل أن يكون انتصارا للغرابة، وانتشت سلطة الإحتلال بنتائج المعركة التي كانت ترقب أحداثها بعين الرضا والإرتياح. وجنت - بيد عدوها - ثمار دسائسها ومكائدها [215] وعرفت كيف تستثمر الخلافات التقليدية بين الغرابة والشراڤة. ولا شك أن أصوات الحكمة كانت ترتفع - بين الفينة والأخرى - لتوجيه المقاومة ضد العدو المشترك، ولتوحيد الصف، ولكن نداءها كان يضيع في لغط الأحداث المتدافعة، وجلبة المصالح المتقاطعة والأهداف المتداخلة.

---

[215] Si Hamza Boubakeur, Un soufi, Sidi Cheikh, p. 231.
Et voir D.P.S.E.N.O.A , p. 892.

بعد رجوع سليمان بن قدورإلى المغرب فارا من الإقامة التي فرضتها عليه سلطات الإحتلال بملاتة - بعد إقالته من منصبه وعودته إلى المقاومة - توسط السهول ابن عبد الرحمان (شيخ زاوية السهلي) وبعض الخيِّرين - مرة أخرى - من مقدمي الطريقة الشيخية وغيرهم سنة1874م لإصلاح ذات البين وتوحيد الجهاد[216] واجتمع سليمان بن قدور بقدور بن حمزة بالأبيض سيدي الشيخ، وتداولا وتفاوضا، ولكن اتسعت بينهما الهوة، وانفض اجتماعهما على غير طائل.

منذ 1880م تحديدا، بدأ العد التنازلي لمقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة الذي انتهى بالتفاوض بين الدين بن حمزة الإبن الأصغر لحمزة بن بوبكر والسلطات الفرنسية سنة 1883م.

وانزوى قدور وعمه لعلى بحاسي بوزيد، ولم يبق معهم إلا عشرون عائلة، عرفت الجوع والفاقة، والإقامة الجبرية التي فرضتها على نفسها، لتجنب موالاة الكفار. وفي معاهدة بريزينة يوم **1883/05/20م** تم الاتفاق على :

- احترام أملاك الزاوية وأحباسها.
- احترام تسيير الزاوية الشيخية، والإبقاء عليها على حالتها المعروفة.
- ترتيب أجرة سنوية لقدور بن حمزة قدرها 60.000 فرنك، وللعلى بن بوبكر 30.000 فرنك وللدين بن حمزة 30.000 فرنك.
- تعيين القواد من الشراقة لكل القبائل الموالية لهم.
- تعيين الدين بن حمزة بمرتبة باشاآغا.

وانتهى الأمر باستسلام قدور بن حمزة واجتماعه بالوالي العام كومبو(**Combon**) في مارس 1884م، ولم يستسلم لعلى بن بوبكر إلا في 1895م وتوفي في السنة الموالية 1896م، وتوفي بعده قدور بن حمزة في 02/10/ 1897 م. وبوفاته طويت صفحة مقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة[217]

---

[216] Michaux Bellaire, Archives Marocaines , Volume XI n° 1, page 337.

[217] قارنت بين ما كتبه حمزة بوبكر(**وهو حفيد قدور بن حمزة، زعيم الشراقة**) في كتابه: Un soufi , Sidi Cheikh، وبين ما رواه لي الحاج بحوص بن علال (**وهو حفيد الشيخ بن الطيب، زعيم الغرابة**) وكان يعرف هذه الأحداث دقيقها وجليلها، فلم أجد كبير خلاف بينهما، وقد أخذت من الكتاب المذكور ومن الرواية الشفوية معا.

3 مقاومة الشيخ بوعمامة (آل سيدي التاج - الغرابة -)

تَسَمّتْ هذه المقاومة باسم بوعمامة، لأنه كان زعيمها الوحيد من بدايتها حتى نهايتها، بخلاف الحركتين السابقتين، فقد تعدد زعماؤهما، بحيث كان للشراقة ستة زعماء، وكان للغرابة خمسة زعماء، كلما استشهد زعيم خلفه زعيم.

بوعمامة من آل سيدي التاج بن عبد القادر بن محمد السماحي، ثم من أولاد الحرمة الجد الثاني لبوعمامة والذي أصبحت تعرف به هذه العائلة بعد أن استوطنت فجيج، ويعد أولاد سيدي التاج من أولاد سيدي الشيخ الغرابة (المغاربة حسب معاهدة لالة مغنية الموقعة بين المغرب وفرنسا 1845).[218]

بعد إنشائه لزاويته بأم چرار سنة **1875** م، وتصدره لنشر الطريقة التي أخذها عن شيخه محمد بن عبد الرحمان بن زيان(آل بن عيسى) ببني ونيف لقي إقبالا كبيرا، وقصده الناس جماعات ووحدانا، وعندما عرّض بالجهاد وجد الآذان واعية، والقلوب صاغية، لأن شرارة الجهاد كانت قد انطلقت مع زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة منذ ثلاثين سنة، أي منذ 1845 م، ولكنها كانت تعرف الظهور تارة والضمور تارة أخرى، ولم تـُغمد السيوف، ولا خارت القوى، وإنما كانت القبائل المتعطشة إلى الجهاد، هائجة مائجة تتحين الفرص، وتتلمس الأسباب، وتتطلع لظهور الرائد القائد، لمواصلة المقاومة ورد المعتدي .

كان السبب القريب وراء انطلاق حركة بوعمامة " هو قتل الضابط الفرنسي ويمبرينر (**Weimbrenner**) الذي حاول إلقاء القبض على أحد عناصر بوعمامة في 22 ابريل 1881م[219]

استمرت هذه الحركة ثمان وعشرين سنة، إلا " أن أهم فترة فيها من حيث المقاومة المسلحة هي الواقعة بين 22 أبريل 1881م(مقتل الضابط الفرنسي) و 2 أبريل 1882م (معركة فندي) وبينهما جرت موقعة مولاق نسبة إلى المكان الذي كان ساحة المعركة (يوم **1881/05/19م**) بين تازينة وقصر الشلالة بنحو 10 كلم شمال الشلالة."[220]

تشير المراجع الكثيرة التي تحدثت عن معركة تازينة (مولاق) أنه بينما كان جيش سيدي بوعمامة لا يتجاوز الألفين وثلاثمائة مجاهد، بين فارس وراجل، كان الجيش الفرنسي بزعامة الكولونيل Innocenti (إنوسانتي) يتركب من ثلاثة فيالق مشاة، وأربع سرايا من القناصة، بالإضافة إلى فرق المدفعية، والخيالة من عرب الجزائر بقيادة قدور ولد عدة، وقدور بن الصحراوي، تتبعهما فلول العرب الموالين للإستعمار الفرنسي.

انتهت المعركة بانتصار الشيخ بوعمامة، رغم أن ضحاياه بلغوا الأربعمائة شهيد، وبلغت خسائر المحتل، ثمانين قتيلا ومائة وعشرين جريحا، وحسب كتابات

---

[218] Pierre Larousse, Grand dictionnaire universel du XIX siecle, p.802.1886-1887,Paris.

[219] بوعلام بن السائح، مقاومة بوعمامة من طوماسان إلى ليوتي، ص .10

[220] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص 8/7.

الضابط جرولGraulle فقد بلغت خسائر الإحتلال الفرنسي ستين قتيلا واثنين وعشرين جريحا واستشهد مائتا مجاهد حسب نفس المصدر. إلا أن أهمية انتصار سيدي بوعمامة كانت في جانبيْه السياسي والإعلامي أكثر منهما في جانبه العسكري، فقد زعزع معنويات الفرنسيين وأرجعهم إلى المربع الأول في صراعهم مع أولاد سيدي الشيخ، وتحدثت عن هزيمتهم الجرائد في الشرق والغرب.[221]

نالت أغلب قبائل المنطقة شرف المشاركة في هذه المعركة والإعتزاز بالإنتصار فيها، فقد حضرها أولاد سيدي الشيخ الغرابة، الرزاينة، حميان، طرافي، أولاد زياد، الأحرار، العمور، وأفراد من قبائل متفرقة، ومن سكان القصور الجنوبية.

بعد انتشار نبأ المعركة، وذيوع أخبار الإنتصار، أقبل المتطوعون من قبائل ذوي منيع، أولاد جرير، بني چيل، أمازيغ الأطلس، وشرفاء العين الصفراء، وأولاد سيدي أحمد المجذوب، الشعامبة، أولاد سيدي خليفة، بني مطهر..[222].

إنطلق بوعمامة - بعد المعركة - في مسيرته الشهيرة نحو التل مخترقا السد المحكم الذي ضربته - بفيالقها - القوات الفرنسية ، لمنعه من العبور الى الشمال ، حتى لا تسري عدوى الثورة إليه ، وجال بوعمامة في مناطق التل " فاستولى على فرندة، واستعد لمهاجمة تيارت، وأثار الرعب باقترابه من سعيدة فهرب منها أهاليها الأوروبيون، وكان ماضيا في حملته، لولا الخبر الذي ثبط عزيمته، والذي أتى – به من وادي كَير- رسولٌ منذرٌ بأن سلطان المغرب مولاي الحسن أمر بتكوين جيش من قبائل جنوب المغرب، لتتبع آثار بوعمامة، ومحاربته، وأن هذا الجيش في طريقه إلى العين الصفراء، فزرع هذا النبأ البلبلة في صفوف جيش بوعمامة، وكان من بين الأسباب التي أرغمته على الإنسحاب إلى الجنوب[223]."

من بين الردود التي واجه الإحتلال بها ثورة بوعمامة رده الإنفعالي البعيد عن الفتوة العسكرية، ومبادئ الحرب، إذ أقدم بعد ثلاثة أشهر من معركة مولاق (تازينة) على هدم قبة سيدي الشيخ (في 1881/08/15 م) وهو ما يمثل انتقاما من أولاد سيدي الشيخ ومن جدهم سيدي الشيخ/ الرمزالذي توفي شهيدا في جهاده ضد الإسبان، ولا يزال جذوةً مشتعلة في دماء ذريته تستعصي على الإنطفاء، وكلما أخْمِدَتْ ثورة، خرجت ثورة أخرى من رمادها .

وهَدْمُ ضريح سيدي الشيخ فعلٌ جبان، شَحَنَ الصدورَ غيضا، وملأها حقدا على المحتل. ومن بين الشروط التي اشترطها أولاد سيدي الشيخ الشراقة قبل وقف جهادهم واستسلامهم إعادة بناء الضريح من طرف الإحتلال، وأعيد هذا البناء في 1883 م.

---

[221] كجريدة التايمز البريطانية. / وعن خسائر المعركة، أنظرL'insurection de 1881-1882 Djilali SARI

[222]عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص 41.

[223] Si Hamza Boubakeur, Un soufi , Sidi Cheikh p.255.

كانت علاقة بوعمامة بزعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، غير ودّية[224] فقد كان الغرابة والشراقة يقتسمان زعامة أولاد سيدي الشيخ، منذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري (1765 ميلادية)، حُسِمَت لصالحهما بحد السيف - بعد مواجهات دامية بينهما، استمر أوارها أكثر من قرن من الزمن - وأَقَرّ- نهائيا - بِها الشراقة للغرابة، واعْتَرَف بها الغرابة للشراقة، ولما ظهر الشيخ بوعمامة على الساحة تبرّم به الفريقان، ونظرًا شزرا إليه، وتضايقا منه، ورأياه بعين الريبة وهو يعلن عن مقاومة كانت معلنة منذ ثلاثة عقود، ولم يدعمها أو يشارك فيها، ولما طحنت الحربُ الشراقة والغرابة بكلكلها، وأوشكت أن ترغمهما على الإستسلام،"أراد (سيدي بوعمامة) استغلال انقسام الفريقين لتوحيد زعامة لصالحه ".[225] حسب قوليهما.

وهذا ما تعبر عنه هذه الصورة التي يحكيها أبوبكر حمزة :

" حكى لي الكثير ممن عرفوا سيدي بوعمامة، وحاربوا إلى جانبه، أن إعلان سيدي بوعمامة للحرب ضد فرنسا، كان مفاجأة غير سارة لأولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة على السواء، ويضيف أحدهم أنه قبل إعلان الحرب قَدِم - سيدي بوعمامة - إلى ربوات (شمال الأبيض سيدي الشيخ)، واستدعى كبيرعبيد زاوية - سيدي الشيخ بالأبيض- ليعرف منه مدى الدعم الذي يمكن للزاوية أن تقدمه له، فتردد - مسؤول الزاوية - عن جوابه (نظرا لأن اتخاذ قرار كهذا، يعود إلى زعيمَي الشراقة والغرابة).

كما أخبرني الشيخ بن ذهيبة من قبيلة الشعامبة فرقة البرازقة، بالأبيض سيدي الشيخ سنة **1938**م قائلا: ... عندما أعلن سيدي بوعمامة الجهاد، كنت أبلغ من العمر عشرين سنة، فحملت سلاحي، كغيري من أفراد القبيلة، وانخرطت في صفه.

إنطلقنا من بني ونيف متجهين شمالا، ثم توقفنا لأداء صلاة العصر خلف سيدي بوعمامة، كان أغلب الجيش يتكون من برابر تافلالت، وما إن استرحنا حتى أشعَرَنا حراسُ الجيش أن مجموعة من الفرسان تتقدم نحونا، أسرعنا إلى سلاحنا، وأرسلنا أَحَدَنَا يستطلع القوم، فعاد ليخبرنا بقدوم سيدي قدور بن حمزة زعيم الشراقة، تَفاجَأنا ونظر بعضنا إلى بعض، ثم رأينا سيدي بوعمامة ينهض ويسرع الخطا نحو سيدي قدور، ولما اقترب منه خلع نعليه احتراما له، وحياه وصحبه إلى خيمته، واشتغل الآخرون منا باستقبال أتباع سيدي قدور.

ما إن استقرالمقام بسيدي قدوربن حمزة، حتى توجه بالسؤال إلى سيدي بوعمامة قائلا:

كيف أعلنت الجهاد دون استشارتنا، ولست مؤهلا لعمل كهذا؟

---

[224] Si Hamza Boubakeur Un soufi , Sidi Cheikh , p.250.

[225] Depont et Coppolani, Les Confreries Religieuses Musulmanes p. 476. et voir DPSENOA, p. 771.

فنحن المدافعون عن لواء سيدي الشيخ! ولست أنت!
وهؤلاء البربر الذين تَجُرُّهُم وراءك، هل هم مجاهدون حقا؟ أليسوا شرذمة من قطاع الطرق؟ إن الحرب جِدٌ (ليست بالهزل)! فلمذا انتظرت حتى أنهكتنا هذه الحرب ثم قمت أنت؟ إنها مغامرة فعلا، ألا تعرف أن القبائل المتعاونة مع الإحتلال كونت جيوشا لمحاربتنا، وقد خذلنا أهل التل، وخذلنا سلطان المغرب، وأمر رعاياه بمقاومتنا؟
أمّا أنت فقد شوهت الشهادة، إن كل المسلمين يشهدون أن لا اله ألا الله وأن محمدا رسول الله، أما أنت فتعلن أن لا اله إلا الله وأن بوعمامة ولي الله. هذا ضلال!
تواصل الحديث بعد العشاء، ثم إلى ساعة متأخرة من الليل، وفي صباح اليوم التالي غادَرَنَا سيدي قدور بن حمزة متوجها إلى مخيمه بحاسي بوزيد."[226]

لم يسلم الشيخ بوعمامة من استفزاز زعماء الغرابة الذين رأوا - هم كذلك - خروجه إلى الجهاد خروجا نشازًا - فحسب الرواية الشفوية - أن سليمان بن قدور زعيم الغرابة، سمع بظهور بوعمامة وهو مُبعد بمراكش منذ **1876**م، ووصلته كما وصلت غيره الأصداء المدوية لمعركة تازينة (مولاق)، وبعد رجوعه إلى المنطقة الشرقية سنة 1881م، وإعادة تنظيم قوته، أغار بجيشه على مخيم بوعمامة - بوادي الناموس - وكان بوعمامة على علم مسبق بالإغارة، فانسحب بأهله تجنبا لمواجهة أبناء عمومته، رافظا بذلك الدخول في صدام هامشي لا طائل وراءه.

لم تكن هذه الأحداث وليدة الصدفة، بل كانت السلطات الفرنسية تسهر على نسج خيوطها للوقيعة بين زعامات أولاد سيدي الشيخ، مستعينة في ذلك بعناصرها المبثوثة بينهم، والتي كانت تحسن اختيارها من بين القبائل الموالية والمحاربة لها على السواء.

على إثر عودته من التل، اعتزل الشيخ بوعمامة العمل العسكري من 2 أبريل 1882 إلى 1894 م بمنطقة دلدول (توات). وسجل بالمقابل نشاطا سياسيا تمثل في مراسلات القبائل البعيدة والقريبة يحثهم على الجهاد، كما قام بمراسلات عديدة تبودلت بينه وبين السلطات الفرنسية، حصل فيها على الأمان من سوهار **(Souhart)**، رئيس المفوضية الفرنسية بطنجة الذي حاول استدراجه بها إلى الاستسلام، وحاول سيدي بوعمامة أن يجعل منها بداية اعتراف به، ولكن محاولة كليهما باءت بالفشل.

"أما الفتور الذي أصاب الثورة بعد سنة من اندلاعها، فيرجع إلى عوامل منها:
1 - حصر السلطة الفرنسية للثورة داخل نطاق الصحراء.
2 - عزل القبائل الصحراوية بالضغط عليها ونهب أموالها.
3 - الوقيعة بين القبائل قصد تفريق كلمتها.
4 - العمل على كسب بعضها بالمال والجاه."[227]

[226] Si Hamza Boubakeur, Un soufi , Sidi Cheikh p.251.

من موقعه بتوات بدأ تحركه نحو فجيج سنة 1894 م ليصلها في سبتنمبر 1896م حيث ستبدأ المناورات السياسية بينه وبين السلطات الفرنسية، وبينه وبين المخزن المغربي. وما أن وضع رحاله بنواحي فجيج حتى راسل سكانُه السلطانَ مولاي عبد العزيز يستصدرون رأيه في علاقتهم ببوعمامة، واختار لهم السلطان الإبتعاد عن بوعمامة، وعدم السماح له بالإقامة بين ظهرانيهم، فامتثلوا أمر السلطان.

إتفقت كل قصور فجيج على تجاهل حركته، إلا قصرالحمام الفوقاني فإن زعيمه مصطفى بن إبراهيم أعلن مساندة القصر له والدفاع عنه إن اقتضى الحال. (والحمام الفوقاني هومكان ازدياد بوعمامة وسكنى أهله وموضع زاوية جده الشيخ بلحرمة)[228].

بعد الهجوم والقصف المدفعي الفرنسي على قصر زناقة (**1903/06/08م**) الذي تزعمه وحضره شخصيا الوالي العام بالجزائر**Jonnard (جونار)**، والذي تصدى له أهل فجيج بدفاع شرس نجى فيه جونار من الموت أو الأسر بأعجوبة.

كان بوعمامة وراء ردود الأفعال التي تمثلت في معركة المنقار **1903/12/2م** وشروين وتيمومين، وغيرها من الصدامات والمناوشات ضد الجيش الفرنسي.

" وتشير- شهادات الضباط الفرنسيين- إلى حدوث 12 معركة و22 اشتباكا وذلك طوال عمر هذه المقاومة."[229]

كانت لبوعمامة - من موقعه القيادي - مراسلات كثيرة مع زعماء الحركات الجهادية، وأعيان وشيوخ القبائل العربية والأمازيغية، يطلب منهم التحالف والعون و يحاول الإرتباط بمختلف القيادات، دينية كانت أوسياسية، وعلى هذا الأساس وصلَ حبلَه بالحاج المهدي ولد بوجودة، مقدم الطريقة السنوسية بعين صالح - التي كانت تعلن الجهاد – وكان بوعمامة يرمي من وراء ذلك إلى استقطابه للإعتماد عليه في مشروعه الجهادي.[230]

في بداية القرن العشرين الميلادي، قام - بشرق المغرب - الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة أو الروقي، ضد مولاي عبد العزيز، مدعيا أنه أخوه الأكبر مولاي امحمد، مطالبا على هذا الأساس أحقيته بوراثة العرش، فكان سبب إحراج للسلطة

---

[227] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص 31.

[228] رواية عن العنتري بوفلجة شيخ الحمامين في 20غشت 2006 ، في لقاء بمناسبة موسم سيدي الشيخ بقصر السهلي(آجدل) بفجيج.

[229] من مقال بعنوان : إيزابيل أبراهاردت، للكاتب الجزائري بلعرج بوداود، نشر في مجلة العربي عدد 558 لشهر مايو 2005م، وإيزابيل أبراهاردت موضوع المقال شخصية غريبة الأطوار، اتهمت بالتجسس، وتسمت بعدة أسماء لرجال ونساء، أديبة وصحفية، إنخرطت في الطريقة القادرية، واتصلت بشيوخ الطرق، منهم بوعمامة، دفنت بالعين الصفراء بعد العثورعلى جثتها في 1904/10/27 على إثر فيضانات اجتاحت القرية، وقد كرمتها بلدية العين الصفراء في الذكرى المائوية لوفاتها، تقديرا لما تركته من الأدب الرفيع حول المقاومة، وما كتبته حول المستوى الحضاري للإنسان المسلم.

[230] Si Hamza Boubakeur, Un Soufi , Sidi Cheikh ,p. 249.
et O. DEPONT et X. COPPOLANI les confreries religieuses musulmanes , p. 478.

المغربية، وإنهاك لخزينتها، وقد نعَتَـه بعض المؤرخين بعمالته للسلطات الفرنسية إلا أن ثورته وأغلب الثورات التي سبقت احتلال المغرب لا يزال يكتنفها الغموض، ولا يزال يُجهل ما لها وما عليها .

كانت لبوعمامة مراسلات معه، لا ندري الباديء منهما بمراسلة الآخر، فكلاهما كـان يبحـث عـن الحليـف أو الحلفـاء لـه، إلا أنهـا انتهـت بانضـمام بوعمامـة إليـه والتحالف معه، وخوض غمار المعارك إلى جانبه من سنة 1904م إلى حين رحيل بوحمارة إلى الشمال المغرب في 14\9\1905م.



الجيلالي الزرهوني المدعو "بوحمارة"

كان تورط كبار المخزن في اختلاس الأموال المرصودة لشراءالعتاد والتموين وأجرة الجيش، بدءا بوزير الحرب المنبهي إلى أبسط القواد، مسيئا لسمعة المخزن وأغرى به القبائل المتذمرة من الفوضى، وانعدام الأمن، وإقرار ضريبة الترتيب عليهم، فكانوا يتطلعون إلى من يرفع عنهم هذه المعاناة، كان بوحمارة أو غيره.

عرفت هذه المرحلة من تاريخ المغرب الشرقي الهرج والمرج بين قبائل المنطقة وأصبح :

- المُوَالون لبوحمارة : يطلقون على الواحد منهم اسم : **محمدي** نسبة إلى مولاي امحمد بن السلطان مولاي الحسن ويُقصد به بوحمارة .

وكانوا يعيرون الواحد من الموالين للمخزن باسم **الكروني** نسبة الى الكولونيل "كورونيل بالعامية" وهو ماك ليون(**Le Colonel Mac Lean**) الذي كان يقوم بتدريب الجيش المغربي بأمر من السلطان عبد العزيز.[231]

- كما كان في المقابل يُعَيّرُ الجيلالي الزرهوني ببوحمارة أوبالروقي.

[231] Gaquiére, Bulletin trimestriel de la Socité de géographie et d'archéologie d'Oran Berguent (ras-el –Ain) p. 184.

كانت الحزازات القديمة بين القبائل هي التي تحدد في الغالب ولاءاتها فاذا اختار هذا أو فرُض عليه التحالف مع المخزن(أو الكروني) كان الآخر يختار أو يُفرض عليه التحالف مع الجيلالي الزرهوني(أو بوحمارة). كما أن الولاءات والتحالفات كانت في تغير وتقلب متواصليْن نظرا للظروف الداخلية والخارجية للقبيلة، ونتيجة للإنتصارات التي يحققها هذا الطرف أو ذاك.

كانت أشهر المعارك، معركة الصمامير (في يناير 1904) التي فقد فيها بوعمامة أخاه محمد بلحاج، وأحد أقاربه محمد بن معمر(آل سيدي الحاج أحمد) وعدة زعماء وأعيان من أولاد سيدي الشيخ ومن القبائل الصحراوية التي جاءت معه، وتلت - هذه المعركة - معارك لا تقل شراسة عنها، تكبد فيها الجانبان خسائر كبيرة.

في هذه الأثناء، أدرك الطيب بن أبي عمامة قرب فشل حركة بوحمارة، واستحالة استمرارها، فقرر صحبة الأمير عبد الملك بن الأمير عبد القادر الجزائري - الذي كان يقاسمه نفس القناعة - الإنضمام إلى المخزن، وبعد تنسيق مع نائب السلطان محمد بن العربي الطريس، والوزير عبد الكريم بن سليمان، التحق الطيب والأمير عبد الملك بمليلية، بأمر سلطاني، للعمل على استمالة أنصار بوحمارة إلى جانب المخزن، ولقطع الطريق عن الإمدادات التي كانت تأتيه من الشمال، والتي كان بوحمارة يعتمد عليها متمثلة في المال والسلاح.

بعد اتصالات مكثفة، وبعد توصله برسالة الأمان من السلطان دخل الطيب مدينة وجدة في استقبال رسمي وشعبي في 9\5\1905م، اعترافا - من المخزن - بشجاعته، وعمله في إضعاف حركة التمرد، ونكاية في أبي حمارة، وسعيا لكسر شوكته.

إلا أنه بعد أيام انقلب المفوّض الملكي عبد الرحمان بن عبد الصادق على الطيب وأمر باعتقاله، بعد ما أعطاه الأمان، وقد عارض هذه الإجراءات مساعدُ المفوض الشريف مولاي مصطفى بن عبد الرحمان. وأرسِل الطيب مكبّلا إلى سجن فاس ومعه الشيخ بن بحوص بن الطيب(آل بحوص الحاج) حيث بقيا به مدة سنة (من يوليوز 1905 إلى يونيو1906). وهذا ما زاد بوعمامة نفورا من التعامل مع المخزن، و حذرا من الإقتراب منه، واليأس من الوثوق بعهوده.

طلب الطيب من ابن عمه أحمد بن المنور، التفاوض مع الفرنسيين باسمه، بصفته جزائريا ألقي عليه القبض في المغرب، ونزل هذا بردا وسلاما على السلطات الفرنسية التي ضغطت على المخزن لإطلاق سراح الطيب فورا، ونقله إلى الأغواط في 1906/7/10 وبقي تحت الإقامة الجبرية إلى أن أطلق سراحه آخريوليوز 1907م .

إن تحالف بوعمامة وهو المجاهد والزعيم الروحي مع بوحمارة الذي لا يعدو أن يكون شخصا مجهول الهوية، ووقوفه إلى جانبه وهو يوجه أسنة رماحه إلى صدور المسلمين، ويهادن الفرنسيين والإسبان، إن هذا التحالف يثيرعدة تساؤلات لم تلق بعد الإجابات الشافية.

فانتقال بوعمامة من توات وتوجهه إلى فجيج كان تحت ضغط القوة العسكرية الفرنسية بزعامة الجنرال ليوتي الذي استدعي من فرنسا في أكتوبر 1903م لهذا الغرض، والذي ركز بكل ما أوتي من خبرة ودهاء على استئصال شأفة جيوش الشيخ أبي عمامة، وعند وصول هذا الأخير إلى فجيج واجهته مضايقات أهل هاته الواحة، امتثالا لأوامر السلطان التي حثتهم على الإبتعاد عنه، فكان من الطبيعي أن يتوجه إلى منطقة الظهراء (ناحية عين بني مطهر- بركَنت-) حيث لا تصل إليه اليد الفرنسية ولا تمتد إليه اليد المغربية، وكان عليه في هذه الفترة الحرجة أن يختار بين:

* الإستسلام للفرنسيين الذين توعدوه المحاكمة على عمليات التخريب التي قام بها في الجنوب الوهراني - حسب قولهم - ولا بد أن يعاملوه كما عاملوا قبله زعماء المقاومة أمثال الأمير عبد القادر والمقراني وغيرهما.

* أو الدخول في طاعة المخزن والوثوق بوعوده، إلا أن حالات إخلال المخزن بالعهود كانت شائعة، حتى أصبحت قاعدة أو كادت، منها- على سبيل المثال - ثلاثة أحداث عايشها الشيخ بوعمامة، ولا تزال آثارها المأساوية ماثلة أمامه :

-1- مآل الحاج محمد ولد البشير أومسعود زعيم بني يسناسن:

قاد الحاج محمد (تحالف)[232] بني يزناسن الغربيين بعد وفاة أخيه الحاج ميمون سنة1863م، وأخضع القبائل المجاورة وفرض النظام، وكلفه السلطان الحسن الأول بتأديب قبيلة قلعية بعد هزيمتها لجيش المخزن، وكافئه بتوليته عاملا لوجدة سنة**1874م**، إلا أن القبائل انقلبت عليه عندما أصبح ممثلا للسلطة، فعمت الفوضى، وحينما عين السلطان عاملا مكانه، لتلافي الانحلال، طرده ولد البشير وهزم القوة المخزنية المرافقة له، فتحايل عليه السلطان بكيفية أخرى، إذ طلب من مولاي عبد السلام بن العربي، شيخ الطريقة الوزانية، أن يتوسط لقدوم ولد البشير على السلطان " بقصبة سلوان " حيث كان في طريقه إلى وجدة، وأن يعطيه الأمان بضمانة الشيخ مولاي عبد السلام نفسه، وهكذا قدم ولد البشير إلى حضرة السلطان في**8/25/ 1876م** " ولما مثل بين يديه أظهر له كامل التقدير والإكرام، ثم فصله عن رفيقه الوزاني فبعثه أسيرا إلى فاس ثم إلى مراكش. فلما علم الشريف الوزاني بذلك، قابل صاحب الجلالة، وقال له: إن ولد البشير أو مسعود قد حضر لديكم بناء على العهد الذي قطعتموه له بالعفو والأمان، فأجابه صاحب الجلالة بقوله :" إن

[232] التحالف أو الحلف أو اللف أو زكدو : كان يضم عدة قبائل يجمع بينها الجوار أو المبدأ أو المصلحة.
- لف أنجـــــاد : كان يجمع بني خالد، أنجاد، المهاية.
- لف بني يسناسن : كان يجمع بني يسناسن الغربية، السجع، بني بو زكو .
- زكـــــــدو : كان يجمع ذوي منيع، أولاد جرير، بني كيل، آيت زدك، آيت بوشاون.

عدو الله لا يؤخذ إلا بعهد الله "، وذلك ما أثار تذمره واستياءه (أي الوزاني) من استدراجه إلى هذا الدور الشنيع ليسخر به[233]".
وقضى الحاج محمد ولد البشير نحبه سجينا في ظروف تعسة بمراكش سنة **1883م**

-2- مآل سليمان بن قدور زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة :

كان سليمان بن قدور ينتمي إلى الطريقة الوزانية، وكان يقود المقاومة ضد الإحتلال في الجنوب الشرقي المغربي، وتحت الضغوط الفرنسية على المخزن، وبوساطة شيخ الطريقة الوزانية مولاي عبد السلام بن العربي، الذي ضمن له الأمان السلطاني، ذهب سليمان رفقة شيخه سنة **1876م**، للمثول أمام السلطان مولاي الحسن الأول، الذي طلب منه التخلي عن المقاومة التي كلما كبدت المستعمرَ الخسائر في الأموال والأرواح، إلا وكان السلطان مطالب بتعويض أضعافها، وموررست بسببها عليه الضغوط السياسية لاتخاذ مواقف معينة، ووعد السلطانُ مولاي الحسن سليمانَ بن قدور أن يقطعه مقابل هذا التخلي أرضا لقبيلته، ويرتب لهم دخلا يكفل لهم العيش الكريم، وما أن رُحِّـلُوا إلى السويهلة ناحية مراكش، حتى أُهْمِلـُوا وهُمِّشـُوا، ولما رأى سليمان ما آل إليه حالهم، انتهز غفلة المخزن، وعاد إلى الناحية الشرقية مفتتحا رجوعه بهجوم كاسح على القبائل الموالية للإحتلال، على إثرها دبر المخزن بتعاون مع السلطات الفرنسية مؤامرة اغتيال ذهب ضحيتها سليمان سنة **1883م** بأنوال ناحية تالسينت.

-3- مآل زعماء وأعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة:

بعد تهجير أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى مراكش سنة **1876م**، واغتيال سليمان بن قدور سنة **1883م**، تزعم علال بن الشيخ ما تبقى من القبيلة إلا أن لعنة المخزن كانت تلاحقهم، ففي سنة **1885م** اتصل بهم عبد الملك السعدي - عامل وجدة - بأمر من السلطان وأعطاهم الأمان على أن يذهب كل أعيانهم للقاء السلطان، لحل مشاكلهم وتعويضهم عما ضاع منهم من أراض وأموال وأرواح، وما لحق بهم جراء مقاومتهم للإحتلال، فوثقوا به وذهبوا بأجمعهم - وهم أكثـــــر من أربعين فردا - قاصدين فاس، ولكن عندما وصلوا مشارف تازة، انقلب عليهم المخزن الذي وجدوا قوته المخزنية تنتظرهم وقـُيِّـدوا واقتيدوا إلى سجن قارة بمكناس، حيث قـَضَوا تسع سنوات، في ظروف جد صعبة، لاقى أكثرهم فيها حتفه وأطلق سراح

---

[233] عبد الرحيم حزل، الشريفة الوزانية، سيرة إميلي كين كما حكتها في كتابها.
أنظر: عبد الرحمن بن زيدان، الإتحاف ص 161 (ذكر عبد الجليل الوزاني بدل عبد السلام الوزاني والظاهر انه خطا مطبعي).

القلة القليلة من بقاياهم من السجن سنة **1894م** بعد تولي السلطان عبد العزيزالمُلك، وعفوه عنهم.

فإذا أضفنا إلى كل هذا، الحذر الشديد الذي كان يميز طبع بوعمامة، وهو تصرف صبغ مواقفه المبدئية والمصيرية - حسب العديد ممن كتبوا عنه - فقد سبق - وهو في أوج انتصاراته- أن دعاه الوالي العام للإجتماع به فامتنع." ثم كانت هناك محاولة أخرى بتاريخ 25 سبتمبر1901 عبر فيها بعض القادة العسكريين لسي الطيب بوعمامة(إبنه) عن رغبتهم في مقابلة والده، بمدينة "ديفريبه"، لكنها لم تتم لتصميم بوعمامة على أن تكون فجيج مكانا للقاء[234]" ولم يكن صعود بوعمامة من (توات) إلى الشمال نحو فجيج بالأمر السهل بالنظر إلى الحذر الشديد الذي عرف به"[235].

ثم إذا أضفنا أخيرا، أن بوحمارة لم يأل جهدا - في مراسلاته مع بوعمامة - لتبريرخروجه على السلطان، وتقديم الذرائع الشرعية تباعا، وإعلانه أن خروجه كان ولا يزال لجهاد الكفار المحتلين، كما جاءت زيارة الأمير عبد الملك بن الأمير عبد القادر الجزائري مبعوثا من بوحمارة إلى فجيج، لإقناع بوعمامة بالإنضمام إليه، وهو ما نلمس آثاره في رسالة أحمد بن المنور لأخته ربيعة(بنت المنور زوج بوعمامة) يحاول فيها تبرير هذا التحالف " لا يحترم (أي السلطان) حتى أجداده، وأن انتهاكه لحرم ضريح مولاي إدريس، بتتبعه لأحد المتدينين المغاربة وقتله لا زال عالقا بالأذهان[236]".

---

[234] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص 13.

[235] المرجع السابق ص 20 ، وانظر .Les confreries Religieuses Musulmanes p 479

[236] المرجع السابق ص 35.



يظهر في الجانب الأيسر من الصورة ثلاثة أشخاص بزيهم العربي
أوسطهم الآغا مولاي آغا العمور والعين الصفراء وبشماله ـ مواجها له ـ يقف أحمد بن المنور ابن عم بوعمامة،
وهما ببني ونيف لدى استقبال الجنرال أوكونور في 3 جوان 1903.

أمام هذه الخيارات الصعبة، تحالف بوعمامة مع أبي حمارة، لا عن قناعة بأهدافه، ولا دفاعا عن دعواه، ولا التزاما بمبدئه، وإنما تفاديا لما يلحق به في مصير مجهول إن هو استسلم إلى أحد المعسكريْن، فكلاهما كان يشحذ شفرته للفتك به، والنيل منه. و لا يخفى على متتبع هذه الأحداث أن بوعمامة كان يتحمل مسؤولية الحفاظ على أتباعه وعائلاتهم، وانتقاء المخرج السليم لهم من هذا المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه بدون اختيار منهم .

فبموجب الإتفاقيات المبرمة بين المغرب وفرنسا، كان يُعد بوعمامة من الثوارالمارقين الذين يجب على المغرب مطاردتهم وتسليمهم للسلطات الفرنسية.

وعليه فميله إلى أبي حمارة كان بمثابة مَعْبَر يجنبه السقوط في مهاوي تربص الفرنسيين، أو شِرَاك المخزن، كما كان يرى أن هذا التحالف يحفظ له ـ إلى وقت ما ـ لـُحمة أتباعه، ويشد أزرهم، ويشغلهم في انتظار الفرج، أو لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

مما يؤكد هذا، ما تحكيه الرواية الشفوية[237] المنقولة عن أعيان أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا أعضاء في مجلس حربه، أن بوعمامة ردد مرارا قوله: "أعرف

---

[237] رواية شفوية عن الحاج بحوص بن علال.

أن بوحمارة ليس هو مولاي امحمد، ولكنه قنديل سخره الله لي لأضيء به ما بقي من عمري ولم يبق - من العمر - إلا القليل.**!"**

مر الشيخ بوعمامة بمراحل متضاربة تجلت في خاتمه الذي كان يحمل في بداية حركته الجهادية: خديم أهل الله أبو عمامة بن العربي أمنه الله، ودائرته لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصبح : الحقير الذليل أبو عمامة خلق الله وفي آخر سنواته صار خاتمه يحمل خديم المقام العالي بالله أبو عمامة بن العربي البوشيخي وفقه الله .

لا يزال الغموض يكتنف مواقف بوعمامة التي بدأها بالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي في الصحراء الشرقية، وبعد انسحابه إلى توات فتح باب الاتصال بالسلطات الفرنسية طالبا الأمان الذي حصل عليه من السفارة الفرنسية بطنجة، واقترحت عليه هذه السلطات الاجتماع به للتفاوض المباشر، إلا أن فشل هذه المبادرة لم يقطع رسائل التودد بينهما.

كما أنه لم يقطع صلته بالمخزن ولم يفتر عن إعلان ولائه للسلطان مولاي عبد العزيز، قبل وأثناء التحالف مع بوحمارة الذي لم يلتق به إلا مرة واحدة.

رغم كل المواقف المتناقضة، والأحداث التي تحتاج إلى المزيد من المعلومات لتأكيدها أو تبريرها أو دحضها، فقد ترك الشيخ بوعمامة آثار بصماته في ميادين الجهاد والتصوف والسياسة. كان في هذه الفترة، في آخر أيام عمره، وقد وهن العظم منه، ولم يلبث أن انتقل إلى رحمة الله في **1908/10/7** . ودفن بعيون سيدي ملوك، وانتشرنبأ وفاته، فبكته البواكي، ورثاه الشعراء، ومما قيل في رثائه: قصيدة للشاعر المهناني من آل سيدي عبد الحكم:

عزوني يا ناس في شيخ العربـــــان   عزي واعنايتـــــي ومفتـــاح اورادي
تبكي عيني علبوعمامة طول زمان   تبكي عيني على مدكس ميعـــــــادي
تبكي عيني عليه ما طال الزمـــــان   طول الحياة والدموع على خــــــدي
تبكي عيني عليه مفتاح البيــــــــان   نور الرحمة اللي على الخير يهـــادي
تبكي الارض و السما والحيــــوان   وتجاوبهم أجبال بانواح تصـــــــادي
تبكي الرمال والسواحل والصحـوان   بلسان فصيح تذكر الحي البــــــادي
من فقدك يالشيخ ادخلها خـــــذلان   يبس نباتها اشواين واقعـــــــــادي
ضي الأبصار به تتلذذ لعيـــــــان   بحر العلوم ذاك علم مع الزهــــــدي
جوهرة الدين بايت في الأكفـــــان   وأنا ما جبت خبر ليه يا تكمــــــادي
كنت معه كالوزير مع السلطـــــان   في المملكة وزير تحت حرم سيدي ..

بموت الشيخ بوعمامة انفرط عقد أتباعه، وتسلم أمر الزاوية ابنه البكر الطيب بن بوعمامة، الذي أعلن استسلامه، بعد إطلاق سراحه من الجزائر، الشيء الذي

اعترض عليه قواد جيش أبيه الذين كانوا يؤثرون الإستمرار في مؤازرة الروقي[238].

بعد وفاة الشيخ بوعمامة كان على عناصر جيشه أن يدركوا، أن الحرب قد وضعت أوزارها، وأن علة البقاء بالزاوية قد سقطت، وأن سلطة المخزن - والإحتلال الفرنسي الواقف على الأبواب بالأخص - لا ينظران بعين الرضا إلى تجمع قدماء المقاومين حول الزاوية، وأن عليهم إما العودة إلى قبائلهم الأصلية، أو التفرق في بقاع الأرض، وهكذا تخلصت الزاوية تدريجيا من أتباعها، وتحرك بها الطيب بن بوعمامة متنقلة، بين العيون وغينة وعين بني مطهر، بعد أن اقتصرت على بعض مقدميها، والقلة القليلة من مريديها، والضروري من خدمها، ودخلت في طاعة المخزن، واستسلمت فيمن استسلم لحماية الدولة الفرنسية المضروبة على المغرب.

هكذا رجعت جموع كبيرة من الشعانبة، وأولاد زياد، والعمور، وأولاد سيدي الشيخ الغرابة.... وغيرها إلى الجزائر وبقيت عشائر أخرى (أولاد بنعيسى، عمور، أولاد بودواية، أولاد الحاج إبراهيم، أولاد امحمد، وبعض من أولاد الحاج بحوص ...وغيرهم) حيث تفرقت في المغرب الشرقي، ومنهم ومن أبنائهم من شاركوا في الحرب الريفية[239] ومنهم من تجندوا في الجيش الفرنسي بعد توقيع الحماية، ومنهم من تعاطى حرفا ومهنا مختلفة. ولا تزال آثار ذرياتهم يتوزعها شمال المغرب وشرقه.

وسمعت من الحاج لخضر بن الطيب (حفيد الشيخ بوعمامة، والقائد السابق لقبيلة أولاد سيدي الشيخ والسجع وبني وكيل بالعيون) يقول بعد توقيع معاهدة الحماية (بين المغرب وفرنسا) بسنوات، قَدِم المرشال ليوتي، إلى العيون، وبعد

---

[238] من بينهم قائد فرقة أولاد الحاج ابراهيم : بوعلام بن ابراهيم.
قائد فرقة أولاد الحاج عبد الحكم : مول الفرعة بن بولنوار.
قائد فرقة أولاد الحاج أحمد : اسماعيل بن قدور.
قائد فرقة آل بن عيسى : العربي بن المعزوز.

[239] أشهرهم ، القائد بوعمامة بن اسماعيل ، من آل بودواية ، شارك في مقاومة بوعمامة حتى نهايتها، وكان من أبطالها، ثم شارك في حرب الريف، وكان قائدا بزايو، ولازال كبار السن بها يذكرون شجاعته النادرة، حكم عليه الإسبان بالسجن ست سنوات، واطلق سراحه وتوفي بالأبيض سيدي الشيخ، كان شاعرا مجيدا، يقول في إحدى قصائده متوسلا بجده سيدي أبي حفص الحاج:

باسم الله نذكر الله ونعظم رسول الله جلستنا أهل الله يا رب بذكرك
طلبتك بحق الحق يالله أنت الموفق سلكني من كل ضيق ومن اهل شقوتكَ
سلكني من بلاك يالله من كثر الهلاكَ وسلكني يا سلاك بحقيق تسليككَ
هذا آخر التواخير لا عاهد ولا تيسير واقرا بالك بالتحذير لخدعة دموكَ
يا بويا ما لك عاديت يا بحوص الحاج أبطيت ياك انتيَ مول البيت ألغيت عليك واما جيت
بدموعي حتى أنْ بكيت يا بويا من وحشكَ

إلى أن يقول في الخاتمة : **طلبتك بمحمد وامـاته به تشهد**
أبوبكر هو الجد الفايض بصدقكَ .

(المصدر : رواية شفوية عن الحاج العربي بن محمد بن اسماعيل، و هو ابن أخي المعني بالأمر، وهو من أعيان آل بحوص الحاج يقطن حاليا بالناضور) . تلقيتها عنه سنة 2004 م

جلسة بمركز القيادة، طلب مرافقا لزيارة قبر الشيخ بوعمامة، فقيل له : هو ذا حفيده موجود بيننا، فنودي علي فأتيته فصافحني وطلب مني مرافقته، فذهبنا راجليْن إلى أن دخلنا الضريح، فوقف قبالة القبر وحياه بالتحية العسكرية، ثم أزال قبعته من على رأسه، ووقف واجما فترة من الزمن، ثم قفلنا راجعين إلى مقر القيادة.

والمرشال ليوتي[240] **(Louis Hubert Gonzalve Lyautey) 1934-1854** م ، من أبرز ضباط الحملة الإستعمارية الفرنسية، خريج الكلية العسكرية الشهيرة سان سير(**Saint Syr**) ، كان جده من جنرالات نابليون، تولى ليوتي وزارة الدفاع خلال الحرب العالمية الأولى، وعمل بحنكة فذة ومقدرة كبيرة في احتلال مدغشقر وتطويع الثائرين من أهاليها، استقدمه جونار- الوالي العام للجزائر- لمجابهة بوعمامة، فاستطاع بدهائه وحنكته العسكرية تطويق المقاومة، وشل عملياتها، ودفْعها دفعا إلى المغرب الشرقي، وقد نبه في كتاباته وتقاريره إلى مكانة وخطورة الشيخ أبي عمامة، وما الزيارة التي قام بها إلى ضريحه إلا عنوان اعتراف الأبطال بالأبطال.

عُرف ليوتي في السِّلم بتنظيمه وتخطيطه العمراني، وقد ترك أثر بصماته في تصميم عدة مدن مغربية، عندما كان يشغل منصب المقيم العام بالمغرب.

ينتمي الشيخ أبوعمامة - كما سبقت الإشارة إليه - إلى أولاد سيدي الشيخ الغرابة " المغاربة " كما صنفتهم معاهدة لالة مغنية (**18\3\1845م**)، إزداد بفجيج (المغرب) وتوفي ودفن بعيون سيدي ملوك (المغرب)، وقاد مقاومته على أرض مغربية (قبل أن يلحقها الإحتلال الفرنسي بالجزائر)، ما عدا الإختراق الجهادي الذي أوصله إلى فرندة، وضواحي سعيدة، والذي لم يستغرق إلا تسعة (**9**) أيام (إبتداء من **10\6\1881م إلى 18\6\1881م)**.

أسس زاويته الأولى بأم جرار سنة 1875م ، وأسس الثانية بچورارة سنة 1882م وكلتيهما على أرض كانت مغربية، حسب الخريطة الدولية لحدود المغرب التي وقع عليها جميع قناصل الدول الأروبية بطنجة بما فيها فرنسا سنة1884م.[241]

كان بوعمامة يعلن ولاءه لسلطان المغرب منذ بداية حركته إلى نهايتها، كما أن اغلبية جنده كانوا من عرب المغرب وأمازيغه.

هذا من باب التوثيق الموضوعي لمرحلة تاريخية مرّ بها المغرب العربي، ولوضع الأمور في نصابها، مع الإدراك التام بأن تجاذب أطراف هذا التاريخ بين الأقطارالمغاربية يُعد حالة غير صحية، فمحاولة تجزئة تاريخ مشترك - لا يقبل

---

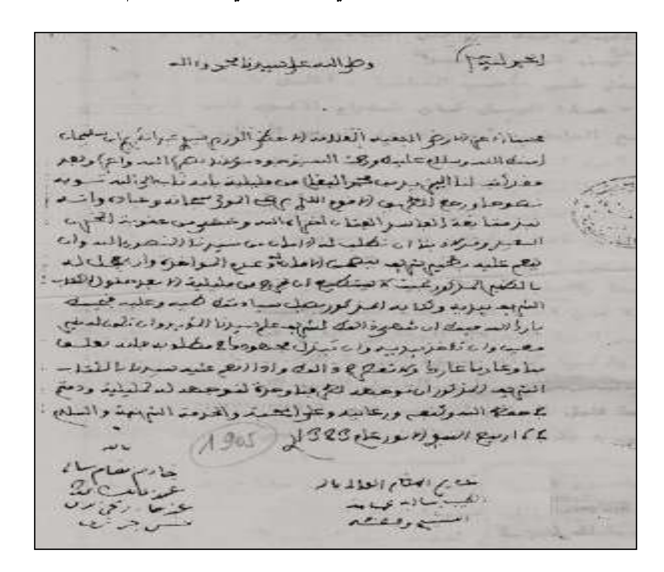
[240] Dictionnaire Larousse , Lyautey. Et site internet « Lyautey ».
ازداد المرشال ليوتي بنانسي سنة 1854م وتوفي سنة 1934م بالرباط ودفن بوصية منه بباب زعير قبالة شالة، وفي ماي 1961م نقل جثمانه بأمر من الجنرال ديكول إلى مقبرة الخالدين بباريس ودفن بجوار ضريح نابليون، وقد نقشت على ضريحه كلمات طالما رددها " **كلما زدت في عِشْرة المغاربة، ومهما أطلت العيش بهذه البلاد، ازددت اقتناعا بعظمة هذه الأمة** ".(محطات في تاريخ المغرب.أ.عبد الحق المريني ص 94.)

[241] أحمد العمري، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850-1902، ص 82.

جوهره ولا امتداداته الطبيعية التقسيم والتبعيض- عمل عقيم، وجهد ضائع، كما يوحي بذلك تاريخ المغرب العربي الكبير.



رسالة إلى الشيخ بوعمامة من عائشة بنت محمد زوجة مولاي العربي المدغري شيخ الطريقة الدرقاوية بتافلالت، الدي أخد عنه بوعمامة، وكان يعد من أبرز خلفائه في الجهاد وفي طريق القوم.



رسالة مشتركة من الطيب بن أبي عمامة، والأمير عبد الملك بن الأمير عبد القادر الجزائري، أثناء وجودهما بمليلية للعمل على استمالة أتباع بوحمارة إلى جانب المخزن، وقد نجحا في مهمتهما.

(الرسالتان من بحث لنيل الاجازة لحرمة الله بوعمامة.

خلاصة جهاد أولاد سيدى الشيخ:

لم تكن الحملة الإستعمارية على شمال إفريقيا مغامرة عابرة، أو صدفة غير متوقعة، أو حدثا طارئا، وإنما كانت عملية مدروسة ومشروعا مخططا له، وقد سبقتها أفواج ضباط المخابرات الفرنسية، تحت غطاء الرهبنة والسياحة والرحلات والفن[242]، منهم علماء الإجتماع والتاريخ والجغرافية والمسح وغيرها من التخصصات، ثم - بعد انتهاء مهمتهم - تبعتهم الحملة العسكرية بجيش نظامي من أقوى جيوش أوروبا، سبق له أن خاض حروبا في كل القارات واكتسب تجربة كبيرة، جيش مدجج بأحدث الأسلحة والآليات والتجهيزات، تدعمه إدارة عصرية على رأسها نخبة من خريجي الجامعات والمعاهد المدنية والعسكرية ذات شهرة عالمية، إعتمدت الدراسة والبحث قبل التوغل، والتوغل برفق وبأقل الخسائر.

في مقابل هذه القوة الضاربة، توجد قبائل بدائية، مبعثرة اللحمة، ما يفرقها أكثر مما يجمعها، سلاحها بنادق تقليدية وسيوف، تُسَمِّي التهور شجاعة، والسياسة نفاقا والمناورة جبنا لا نشك بتاتا - مع هذا - أنها تتمتع بالحس الوطني، والغيرة الدينية، والإيمان العميق، والجهاد الصادق، ولكن هذه العواطف الجياشة مجتمعة لا تكفي وحدها - دون تخطيط وتنظيم واتحاد وقوة مادية توازي أو تفوق قوة العدو- لتحقيق النصر عليه.

كانت سياسة الإحتلال - بعد المواجهة الأولى مع أولاد سيدي الشيخ وهزائمه المتكررة - أن جند القبائل الموالية له، ودعمها بالمال والسلاح، وأغرى أعيانها بالمناصب والترقيات، ووضعها على الخطوط الأمامية، فكانت هجمات أولاد سيدي الشيخ تصطدم في أغلب الأحيان بالقبائل الموالية له، ونادرا ما تصل إلى العدو الفرنسي، تخطيطا وتنفيذا من سلطات الإحتلال، لتعميق الخلاف بين القبائل ولضرب بعضها ببعض، لتلعب في النهاية دورالحكم[243] وحتى يُصَوِرَ الإحتلالُ حربَ أولاد سيدي الشيخ على أنها حربا قبلية، أو غارات يشنها قطاع طرق للنهب والسلب، لخلافات شخصية وقبلية بينهم، لا علاقة لها بالجهاد، ولا هدف شريف لها وبناء على هذا التصور الإستعماري، أصبح يُسَميهم ويَصِمُهم بالمتمردين والمارقين والخارجين عن القانون(**les Insurgés et les hors la- loi**)

وهكذا رغم إدراكهم لقوة المحتل من جهة، ورغم قناعتهم من جهة أخرى بخطورة الخلافات القديمة والجديدة التي تمزق صفهم داخليا، وضررها عليهم، ورؤيتهم لاستسلام أكثر القبائل للإحتلال، وموالاتها له، واستماتتها في الدفاع عنه رغم ذلك كله، فإن أولاد سيدي الشيخ استطاعوا بشجاعة نادرة، أن يواجهوا الإحتلال ويشغلوه - ولو متفرقين - وأن يرفعوا لواء الجهاد مرفرفا في أيديهم طيلة

[242] Exemple: Charle de Foucauld , Gerard Rohlfs , Léon Roch etc…
[243] Un soufi, Sidi Cheikh, p 230.

ستة عقود، ولم يبسط الإحتلال نفوذه على أرضهم، ولا عرف طعم الإستقرار، إلا بعد أن كبدوه وكبدهم الخسائر الكبيرة والكثيرة. ولم تَعبُرجحافلُه أراضيهم إلا على جثث أكثرهم، وكانوا آخر قبائل الجنوب الشرقي استسلاما، بعد أن خذلهم القريب والبعيد، وتحالف مع المحتلين - عليهم - أبناء جلدتهم، بل كانوا أكثر حقدا، وأشد بأسا عليهم من الإحتلال نفسه.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند.

وعندما انهزم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وتوزعهم القتل والإغتيال والسجون والتهجيرالقسري، الفردي والجماعي، وانسحبوا مضطرين من الساحة **انفتح الباب واسعا أمام الغزو الفرنسي**، الذي وجد الصحراء جنوبها وشرقها لقمة سائغة، وبلدا مشاعا. "وبانتهاء مقاومة أولاد سيدي الشيخ، إنطلق المخطط الفرنسي لاحتلال المغرب من الحدود الجنوبية والذي انتهى بفرض الحماية سنة **1912**"[244].

كان أهم عنصر سلبي في مقاومة أولاد سيدي الشيخ هو الصراع القديم، والخلاف العميق بين زعماء الغرابة والشراقة، وهو الأداة ذات الإستعمالات المختلفة التي عرف الإحتلال كيف يستخدمها، ففصل بها وحدتهم، وعمَّق بها جراحهم، وأجج بها أحقادهم، وكانت العامل الأهم في هزيمة أولاد سيدي الشيخ أمام الغزو الفرنسي.

برز- حسب رأيي - في فترة جهاد أولاد سيدي الشيخ التي استمرت من 1845م إلى 1903م ثلاثة زعماء، طبعوا حروب أولاد سيدي الشيخ ضد الإحتلال بطابعهم وأثّروا في نهجها ونتائجها، وهم لعلى بن بوبكر، وسليمان بن قدور، وبوعمامة بن العربي، ولو كـُتب لهم الوفاق والإتحاد، ولو قـُدّر لهم التنسيق فيما بينهم، لكان للأحداث في حرب الصحراءالشرقية\الجنوبية مَسَار ومَصِير آخريْن.

- 1- **لعلى بن بوبكر**:

القائد العسكري (لمقاومة أولاد سيدي الشيخ الشراقة) الذي استطاع أن يقود جل معاركه بحنكة القائد الميداني الفذ، وأن يعيش بعيدا عن الأضواء، وعن السعي وراء الزعامة، وفضّل ان يبقى المستشار والمخطط والوصي على الثورة، لا يريد هو أن يتزعمها ولا تريد هي أن تسير بدونه.

أطلق عليه الفرنسيون الذين تتبعوا مسيرته وكتبوا عن ثورة **1864**م : لقبَ روح الثورة (**l'ame de la révolution**) وكان جديرا بهذا اللقب[245].

وقد فطن زعماء الإحتلال لقدراته القيادية وجرأته العسكرية فوصفه - بالبطولة - غيرُ واحد منهم في تقاريرهم ونعتوه بما يليق بمنزلته، يقول العقيد تريملي: " لا

[244] Jaques Guibert, Les Ouleds Sidi Cheikh, p.31.
[245] DPSENOA, p. 858.

يسعنا إلا الإعتراف لزعيم المتمردين(سيدي لعلى) بدوره العسكري المميز، وحسه الحربي النادر، والمهارة في كيفية استغلال أخطائنا.
ولا يمكن إنكار أن هذا الشخص ذو الخامسة والأربعين سنة، يتمتع بمؤهلات النجاح كالقيادة الرائدة، والقوة البدنية، والشجاعة الكبيرة، والجرأة، وحسن التصرف. كما نضيف أن مزايا هذا الزعيم - وهو حفيد الشريف الشهير سيدي الشيخ - يؤججها لديه تعصب شديد ضدنا، لا يعرف المساومة أوالتنازل. "

-2- **سليمان بن قدور** :

القائد السياسي، الذي ظهرت عليه - مبكرا - ملامح الذكاء والطموح، وعلامات الزعامة وحب المغامرة. مارس نشاطه السياسي والعسكري طيلة ثلاث وعشرين سنة، حيث بدأه سنة 1860م إلى جانب عمه الشيخ بن الطيب في فترة مقاومة الإحتلال الفرنسي، ومرّ طيلة هذه المدة المتقلبة بخمس مراحل متناقضة، كان فيها - جميعها - فاعلا متميزا، ونِدّا عنيدا يصعب تجاوزه أو تهميشه، إلى حين اجتماع مصالح المؤسسات السياسية والعسكرية - الفرنسية والمغربية- على اغتياله سنة 1883م.

1860-1867م مقاوما إلى جانب عمه الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة.
1867-1868م مقاوما إلى جانب أحمد بن حمزة زعيم الشراقة.
1868-1873م استسلم للسلطة الفرنسية وعين آغا لحميان ثم آغا للبيّض.
1873-1876م مقاوما لحسابه الخاص بعد فراره من النفوذ الفرنسي.
1876-1881م استسلم للسلطان مولاي الحسن الأول وعاش في جواره.
1881-1883م فر من فاس وعاد الى الشرق مقاوما لحسابه الخاص .
1883م تم اغتياله.

اعتَرَفَ له بالدهاء السياسي والمقدرة القيادية، حلفاؤُه وخصومُه، بدءا بالسلطان مولاي الحسن الأول، ومرورا بالدولة الفرنسية ممثلة في حكـّامها العامّين، ووزرائها وسفرائها وضباطها بالمغرب والجزائر، ثم سفيري بريطانيا وألمانيا، وانتهاء بزعماء القبائل التي قادها ضد الإحتلال، أو التي اكتوت بناره.
يؤخذ عليه التذبذب في المواقف، ولو ثبت على نهج المقاومة لكان له شأن أي شأن.

-3- **أبوعمامة بن العربي** :

القائد الديني، والزعيم الروحي، الذي أسس فرعا ثالثا للطريقة الشيخية، وبواسطته صنع من أتباعه رجال عقيدة وجهاد، وعمّق لديهم الإيمان الديني والوعي السياسي، وفتح الباب أمام أتباع الطرق الأخرى للإنضمام إليه تجسيدا لفكرة الأخوة الإيمانية، مستلهما ذلك من الطريقة السنوسية التي كانت تدعمه

ويدعمها، والتي ساعد على نشرها بالسينيغال سنة **1873** [246] وذلك قبل إعلان حركته الجهادية التي رتّب لها بعقلانية تؤكد أن الرجل كان على اطلاع واسع بأبعاد الهجمة العسكرية الفرنسية، سياسيا وعقائديا، وعلى إدراك عميق بطابعها الصليبي.

وبناء على هذا كان يهيء نفسه لحرب طويلة، يدل على هذا تواصله الواسع مع زعماء القبائل وشيوخ الطرق ابتداء من السنوسيين بجغبوب - ليبيا - إلى أعالي الأطلس بالمغرب، مرورا بالجزائر شمالا وجنوبا .

وخلافا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، فقد نأى بوعمامة بمقاومته عن المعارك الهامشية، والخلافات العائلية، والصراعات الداخلية، وتجنبها بحكمة لبقة .

إلا أنه - في آخر المطاف - وجد نفسه في أدهى من ذلك، عندما توجه بوعمامة في أوائل 1904 إلى ضواحي وجدة، فاستُدرج إلى التحالف مع الروقي بوحمارة، الذي شق عصا الطاعة، و ثلم إجماع المسلمين على بيعة السلطان مولاي عبد العزيز، فأساءت هذه النهاية لبداية جهاده.

---

[246] DPSENOA, p.776.

مراحل في تاريخ مقاومة أولاد سيدي الشيخ للإحتلال الفرنسي

السنة	أولاد سيدي الشيخ الغرابة آل الشيخ بن الطيب	أولاد سيدي الشيخ الشراقة آل حمزة بن بوبكر	أولاد سيدي الشيخ الغرابة بوعمامة بن العربي
1845	**أول معركة بالشريعة**		
1849	أول ثورة ضد الوجودالفرنسي		
1850	**سجن الشيخ** بن الطيب بفاس بعد	أول **مفاوضات** مع الاحتلال	
1854	ضغوط فرنسية على السلطان	تعيين حمزة **خليفة**	
1860	مولاي عبد الرحمان، لوقف	**سجن** حمزة بن بوبكر	
1861	المقاومة .	**وفاة** حمزة في السجن مسموما	
1862			
1863			
1864	**تحريض** القبائل على الثورة	**أول معركة بعوينة بوبكر**	
1865	**مهاجمة** القبائل المتعاونة	**معركة** قارة سيدي الشيخ	
1866	**معركة** بن حطاب (مشتركة)	**معركة** بن حطاب(مشتركة)	
1867	**استسلام** سليمان للفرنسيين	الوحدة بين الشراقة والغرابة	
1868		**وفاة** احمد بن حمزة	
1869			
1870	**معركة** المعذر **أستشهاد** موللفرعة		
1871	**ووفاة** الشيخ بن الطيب	**معركة** ماقورة (مشتركة)	
1872	**معركة** مقورة (مشتركة)	**معركة** الشراقة ضد الغرابة	
1873	**معركة** الغرابة ضد الشراقة		
1874	**سجن** سليمان بن قدور		
1875	**معركة** نفيش **استشهاد** معمر		
1876	**ترحيل** الغرابة الى مراكش		
1877			
1880		فتور المقاومة	
1881	**عودة** سليمان بن قدورمن فاس.	**التفاوض** الدين بن حمزة وفرنسا	**أول معركة بتازينة**
1882	**معركة** عنق الجمل ، و ذوي منيع		**معركة فندي**
1883	**اغتيال** سليمان بن قدور	**اتفاق** بين الشراقة وفرنسا	**معركة تيقري**
1884		**استسلام** قدور بن حمزة	**اعتزال** الحرب بدلدول توات-
1885	**السجن** الجماعي للغرابة بمكناس	**استسلام** ما تبقى من القبائل	
1886			
1887			
1888	**وفاة** المعراج والبشير في السجن		
1890			
1894	**اطلاق سراح** الباقين من السجن		**التوجه** من توات إلى فجيج
1895		**استسلام** لعلى بن بوبكر	
1896		**وفاة** لعلى بن بوبكر	**الوصول** إلى فجيج
1897		**وفاة قدور بن حمزة**	
1900			
1903	**تعيين** علال قائدا للغرابة		**عملية** المنقار وشروين
1904	**استنفاره** للقبائل ضد بوحمارة		**التحالف** مع الروقي بوحمارة
1908	**ترقية** علال إلى مرتبة آغا		**وفاة الشيخ بوعمامة**
1922	**وفاة علال بن الشيخ**		

أولاد سيدي الشيخ

" الغـرابَـة "

♦

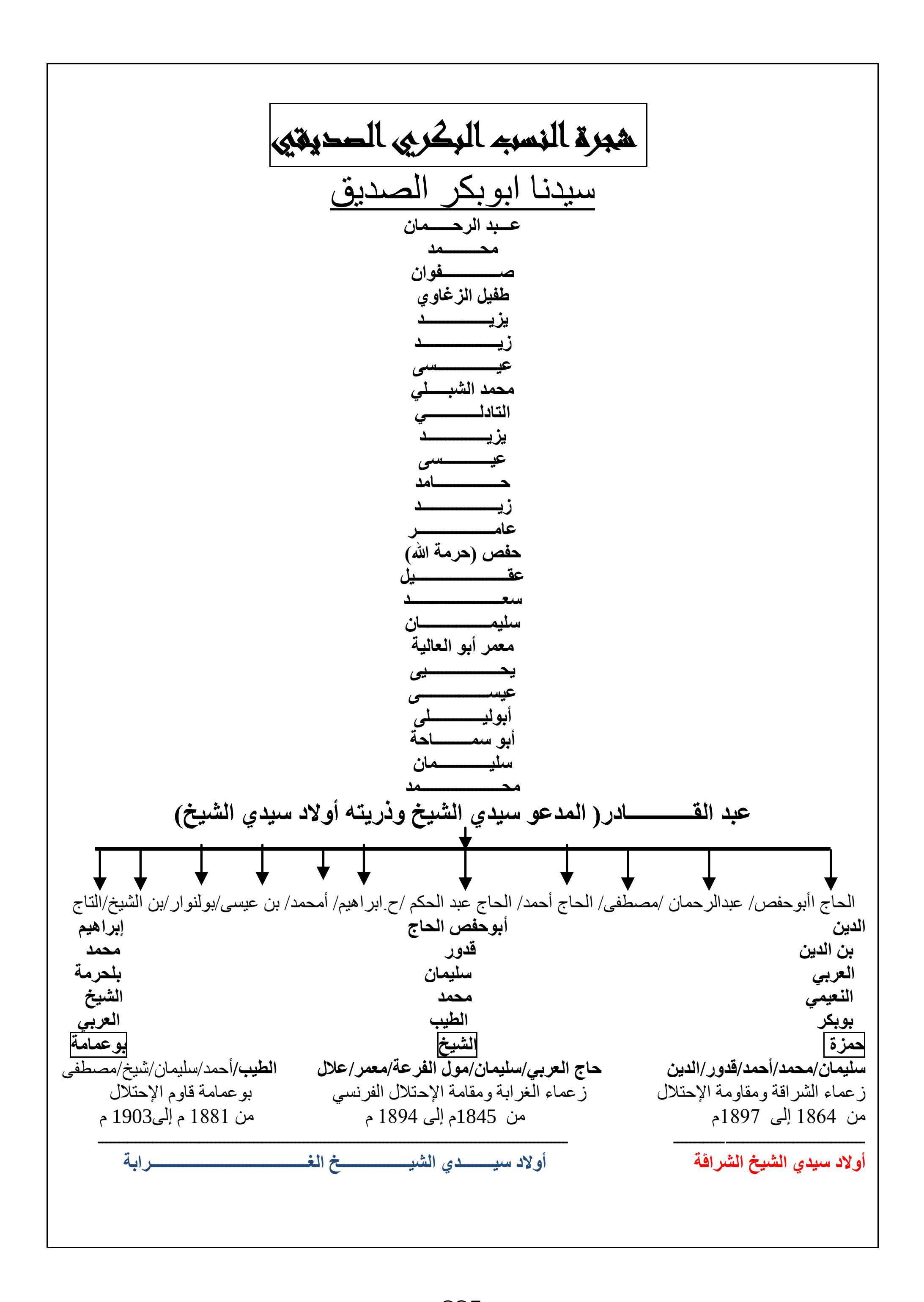
أولاد سيدي الطيب

بن محمد بن سليمان

زعمــــــــاء الغرابة

*

1922-1845م



شجرة النسب البكري الصديقي
سيدنا ابو بكر الصديق
عـبد الرحــمان
محــمد
صـــفوان
طفيل الزغاوي
يزيـــد
زيـــد
عيــسى
محمد الشبــلي
التادلــي
يزيــد
عيــسى
حــامد
زيــد
عامــر
حفص (حرمة الله)
عقــيل
سعــد
سليمــان
معمر أبو العالية
يحــيى
عيســى
أبوليــلى
أبو سمــاحة
سليــمان
محــمد
عبد القـــادر(المدعو سيدي الشيخ وذريته أولاد سيدي الشيخ)
الحاج أبوحفص/ عبدالرحمان /مصطفى/ الحاج أحمد/ الحاج عبد الحكم /ح.ابراهيم/ أمحمد/ بن عيسى/بولنوار/بن الشيخ/التاج
الدين
بن الدين
العربي
النعيمي
بوبكر
حمزة
سليمان/محمد/أحمد/قدور/الدين
زعماء الشراقة ومقاومة الإحتلال
من 1864 إلى 1897م
أبوحفص الحاج
قدور
سليمان
محمد
الطيب
الشيخ
حاج العربي/سليمان/مول الفرعة/معمر/علال
زعماء الغرابة ومقامة الإحتلال الفرنسي
من 1845م إلى 1894 م
إبراهيم
محمد
بلحرمة
الشيخ
العربي
بوعمامة
الطيب/أحمد/سليمان/شيخ/مصطفى
بوعمامة قاوم الإحتلال
من 1881 م إلى1903 م
أولاد سيدي الشيخ الشراقة
أولاد سيـــدي الشيـــخ الغـــرابة

ترجمة موجزة لشيوخ الطريقة الشيخية الغربية

بوسماحة: زعيم البكريين في المغرب الاوسط، ومؤسس العشيرة السماحية، توفي أواخر القرن الثامن الهجري ودفن بتبو ناحية شروين وقبره بها معروف حيث يقام عليه موسم سنوي.

سليمان: طلب العلم بفجيج وفاس وغرناطة ، أخذ عن أحمد الملياني مؤسس الطريقة اليوسفية توفي سنة 946 هـ ودفن ببني ونيف، حيث ضريحه مشهور، يقام عليه موسم سنوي.

محمد: أخذ عن امحمد بن عبد الجبار، وعرف بالصلاح والجود، توفي بالشلالة أواخرالقرن العاشر الهجري ودفن بالشلالة الظهرانية حيث قبره مشهور، يقام عليه موسم سنوي.

عبد القادر: المدعو سيدي الشيخ مؤسس الطريقة الشيخية، أخذ عن ابن عبد الرحمان السهلي ازداد سنة 940هـ وتوفي سنة1025هـ ودفن بالأبيض سيدي الشيخ حيث ضريحه.

عبدالحكم: ورث مشيخة الزاوية الشيخية بعد وفاة أخيه الحاج بوحفص توفي ودفن بالقصر الغربي بالأبيض سيدي الشيخ وضريحه مشهور.

ابوحفص الحاج: ورث مشيخة الزاوية الشيخية عن أبيه، أخذ عن إبراهيم بن أحمد القادري.إختار الهجرة وتوجه تلقاء الديار المصرية حيث يجهل تاريخ ومكان وفاته. له مؤلفات في التصوف.

قدور: كان رضيعا عندما هاجر أبوه إلى الشرق، كفله أخوه، إذ كانت مسؤولية الزاوية تعود إلى إبن الدين بوصية من بوحفص الحاج .أخذ عن أحمد التيجاني.

سليمان: زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، أول من أسس الزاوية الغربية سنة 1766 م أخذ عن أحمد التيجاني وكان من بين أخص أصحابه. توفي ودفن بضريح سيدي الشيخ .

محمد: مات في ريعان شبابه. دفن بالقصر الغربي بالأبيض سيدي الشيخ وخلف ولده الوحيد الطيب.

الطيب: زعيم الغرابة، وشيخ الطريقة الشيخية الغربية، مات أبوه وكفله جده سليمان. توفي سنة1818 م ودفن بالشلالة الظهرانية غرب قبة محمد بن سليمان، قبره مشهور.

الشيخ: ازداد سنة 1780 م زعيم الغرابة وشيخ الطريقة الشيخية الغربية، أخذ عن العربي الوزاني، عينه السلطان خليفة له على المناطق الشرقية 1849م توفي 1870 ودفن بفجيج.

الحاج العربي: شيخ الطريقة الشيخية بعد وفاة أبيه سنة1870م توفي شهيدا سنة 1871م.

معمر: خلف أخاه الحاج العربي في مشيخة الطريقة سنة1871م توفي شهيدا سنة 1874م.

علال: زعيم الغرابة، وشيخ الطريقة الشيخية الغربية، أخذ عن مولاي عبد السلام الوزاني ثم عن مولاي العربي المدغري شيخ الطريقة الدرقاوية.إزداد سنة 1862م وتوفي سنة 1922م ودفن بسايس بين فاس ومكناس وضريحه معروف بالمهاية.

محمد: قائد أولاد سيدي عبد الحكم إزداد سنة 1878م توفي سنة 1961م ودفن بعين بني مطهر شيخ الطريقة الشيخية الغربية (1922-1961) أخذ عن مولاي الطيب الوزاني.

بحوص: قائد أولاد سيدي عبد الحكم من 1942 م إلى 1957م إزداد سنة 1904م وتوفي سنة 1996م دفن بعين بني مطهر شيخ الطريقة الشيخية الغربية (1961-1996) أخذ عن التاج بن المنور بلحرمة وعن غيره.

أولاد سيدي الشيخ الغرابة والإحتلال الفرنسي للجنوب الشرقي المغربي

وضعية المغرب مع جواره منذ 1830

لا بد من الرجوع قليلا إلى ما قبل 1830م عندما كانت للمغرب حدود شرقية مشتركة مع الأمبراطورية التركية المترامية الأطراف، وكان جوارا مبنيا على الإحترام المتبادل، إلا من بعض الخلافات التي سرعان ما كانت تُسوّى.

لم يكن - إذاك - للوطن مفهومه الحديث، فقد كانت الأرض - في نظر المسلم أينما وُجد- تنقسم إلى دار إسلام ودار كفر،لا ثالث لهما. وقد كانت الوفود ترد على موسم الحج قادمة من المغرب أوالبلقان أوالهند أو وسط إفريقيا لا جنسية لها إلا الإسلام، رغم ظهور وضمور الممالك والدول، وبزوغ عصر طائفة وأفول أخرى .

لكن بعد احتلال الجزائر من طرف القوات الفرنسية وانحصار النفوذ التركي، تغير الأمر، فأصبح الجار الجديد كافرا معتديا، إلا أنه قوي ومنظم، وأصبح بهذه القوة وهذا النظام يفرض مفاهيم وتصورات جديدة عن الوطن والدولة والجنسية والحدود وكان على الجميع الإنصياع له، وتبني ثقافته ولو مرغمين.

مرت- على المغرب ما بين **1830** م/ **1912** م - إثنان وثمانون سنة متخمة بالأحداث الداخلية، والأطماع الخارجية التي ستكون آثارها عميقة ودائمة على الوطن أرضا وشعبا، بدأت بتفشي الفساد والفوضى الداخلية والتحرشات الخارجية وانتهت بالإحتلال. وقد تعرض المغرب في بداية هذه الفترة لهزيمتين:

- هزيمة إسلي(8/14/ 1844م)أمام فرنسا وأدت إلى معاهدة لالة مغنية 1845/3/18م.
- هزيمة تطوان (1859/8/10م) أمام إسبانيا وأدت إلى المعاهدة الإسبانية 1860/4/26م.

لابد من التعرض للأحداث التي لها علاقة بأولاد سيدي الشيخ الغرابة، محاولة منا - بذلك - وضع حركتهم في مكانها القريب من الواقع، حتى نتبين دواعي هذا الموقف أو ذاك، وأسباب هاته التصرفات أو تلك.

بعد معركة وادي المخازن - **1557/8/4**م - التي انتصر فيها المغرب انتصارا دوّى صيتـُه في الشرق والغرب، عاش المغرب بعدها طيلة ثلاثة قرون في ظل هذا الإنتصار، يُنظر إليه - من خلال الذاكرة الأوروبية - كالقلعة الحصينة التي لا تـُدرَك، والطود الأشم الذي لا يُنال. إلا أن هزيمة الجيش المغربي - بقيادة ولي العهد سيدي محمد بن عبد الرحمان - بوادي إسلي، على يد الجيش الفرنسي بقيادة المرشال بيجو(**Le Marechal Bugeau**) في **1844/8/14**م جردت المغرب من هيبته، وأظهرت عواره للعيان، فكشرت الدول الأروبية عن أنيابها طمعا في الإنقضاض عليه وتمزيقه، واقتسام أشلائه انتقاما لهزيمتها في وادي المخازن، ولأن التقدم العلمي والصناعي والعسكري الهائل أصبح يُسَوّغ لها التوسع، ويدفعها

دفعا - تحت ذريعة نشر الحضارة - إلى احتلال وضم البلدان المتخلفة، للعمل على تقدمها وتطويرها حسب زعم فكرها الإمبريالي.
كان من الطبيعي أن تجني فرنسا ثمار انتصارها الساحق على أبواب وجدة، فدعت إلى التفاوض، فكانت معاهدة طنجة في 1844/9/10م لعزل مقاومة الأمير عبد القادر، ثم معاهدة للامغنية في 1845/3/18م لترسيم الحدود بين المغرب والجزائر الخاضعة لفرنسا، وكلتا المعاهدتين كرست هزيمة المغرب وطوقته بقيود كلما حاول التملص منها ازدادت شدة وضيقا.



معركة إيسلي بين الجيش المغربي بقيادة ولي العهد سيدي محمد بن عبد الرحمان والجيش الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو يوم 1844/8/14م على مشارف مدينة وجدة.

معاهدة للا مغنية وخطورة بنديْها الرابع والخامس على أولاد سيدي الشيخ الغرابة :

استعدّت السلطات الفرنسية لمعاهدة لالة مغنية بعزم وحزم بَالغيْن، وخططت للمدى البعيد، وأسست لما ستترتب عليه سياستها التوسعية مستقبلا،" وقد استطاع ليون روش(Leon Roche) الذي تكلف بالتفاوض الأولي مع المغاربة في مدينة وجدة، إقناع هؤلاء بجعل مركز لالة مغنية مقرا للتوقيع رسميا على المعاهدة، وبذلك يعتبر هذا التنازل المغربي أول انتصار يحققه الجانب الفرنسي، باعتباره يشكل من وجهة نظر دبلوماسية اعترافا بالسيادة الفرنسية على هذا المركز المغربي.
من المعلوم أن المغرب نازع دخول القوات الفرنسية إلى هذه القرية (لالة مغنية) وطالب بإخلائها، معتبرا إياها جزءا لا يتجزأ من التراب الوطني المغربي منذ ما قبل 1842م . إلا أن القوات الفرنسية قررت بناء مركز عسكري بها في نوفمبر

1843م ثم استولت عليها نهائيا في أبريل 1844م، رغم اشتباك القوات المغربية معها في ماي 1844م وهي محاولة لم تغير من واقع الأمر شيئا[247].
وهكذا اختار الفرنسيون للمفاوضة ضباطا ثلاثة:

" - 1- الكونت دو لاري **Le conte De la Rue** : يعتبر شخصية عسكرية وسياسية مُلمّ بملابسات العلاقات المغربية الفرنسية، وقد ترقى في مناصب عسكرية هامة حتى وصل إلى درجة عالية فيها (مارشال سنة **1844م**) وأسندت له كذلك مهمة رئاسة كثير من البعثات الدبلوماسية وقد زار المغرب أكثر من مرة آخرها سنة**1836م** في مهمة دبلوماسية حيث قدم للسلطان مولاي عبد الرحمان مذكرة احتجاجية على موقفه المساند للمقاومة الجزائرية.

-2- ليون روش **Leon Roch** : توجه إلى الجزائر منذ سنة1832م حيث تعلم العربية وأتقنها حتى بدأ يكتب بها الشعر. وقد شارك مع القوات الفرنسية في الهجوم على مهدية في الجزائر سنة **1836م**، غادرها بعد التوقيع على معاهدة التافنة ليلتحق بالأمير عبد القادر متظاهرا بالإسلام، فسماه عمر ولد روش، غادر روش عبد القادر سنة **1839**م ليلتحق من جديد بالسلطات الفرنسية التي عينته مترجما للوفد الفرنسي في مفاوضات مغنية لإتقانه اللغة العربية ومعرفته بخبايا الأمور عند العرب. وبذلك اعْتبُر أخطر داهية في الوفد الفرنسي.

-3- مارتامبري **Martemprey** : له معرفةجيدة بالشؤون الطوبوغرافية وخبرة عسكرية واسعة لأنه شارك في جميع العمليات العسكرية التي قادها الجيش الفرنسي ضد المغرب، وهو واضع الخريطة المرفقة بالمعاهدة إلى جانب مذكرة لوصف الأماكن والنقط التي يمر منها خط الحدود[248]."

ويتكون الوفد المغربي من مفاوضيْن اثنين:

-1- " السيد أحميدة بن علي الشجعي : ونعتقد أن اختياره كان عن دراية بشخص هذا الأخير فهو ينتمي إلى قبيلة شراكّة التي تنتمي في الأصل إلى قبائل الحدود الشرقية، من هنا كان ولا شك يعرف منطقة الحدود، ولأنه أيضا تولى منصب عامل إقليم وجدة خلفا للسيد علي بن الطيب الكناوي. ومع ذلك لا نستطيع الإدعاء بأن ممثل المغرب هذا كان يعرف شيئا عن جغرافية الأرض وما يتعلق بها.

-2- السيد أحمد الخضير: أما عن الكاتب الذي كان يرافقه فلاشك أنه كان يجهل كل شيء عدا الكتابة التي كانت تُملى عليه"[249].

" إن المفاوضات التي أجراها الجانبان في قرية لالة مغنية بتاريخ 1845/3/18م لم تكن المفاوضات الأولى والأخيرة بينهما بل لم تكن حتى الحاسمة، خاصة إذا استثنينا مسألة التوقيع على المعاهدة وما سبقها من استقبال وأعمال بروتوكولية،

---

[247] العربي بولنوار، معاهدة للا مغنية 18 مارس 1845. ص 35.
[248]المرجع السابق،.ص5
[249] المرجع السايق ص 53.

بحيث يمكن القول أن لقاء مغنية كان بمثابة لقاء لوضع اللمسات الأخيرة على معاهدة مهيأة من قبل[250].

" هكذا يتضح أن الجانب الفرنسي استطاع فرض وجهة نظره ليس عن طريق التداول والحوار وإنما على أساس التهديد بالقوة وشراء الذمم"[251].

" ومسألة إرشاء المندوب المغربي ومعاونه لم تأكدهما فقط رسائل السلطان، وإنما أيضا المترجم ليون روش حيث اعترف هذا الأخير بتبادل الوفدين التهانيء حيث كانت مرفوقة من الجانب الفرنسي بهدايا ذات قيمة كبيرة: " فقد قبض الوزير محمد بن إدريس25.900 فرنك فرنسي، بوسلهام بن علي أزطوط 10.368 فرنك، محمد بنعبد الملك بن عبد الله باشا طنجة 18.000 فرنك، أما احميدة بن علي الشجعي الذي أمضى الإتفاقية فقبض 25.000 فرنك حولها له الفرنسيون إلى طنجة عن طريق بعثتهم الدبلوماسية هناك"[252].

" فوجيء السلطان مولاي عبد الرحمان والحكومة المغربية والشعب المغربي باتفاقية 18 مارس1845م التي وقع عليها المندوب المغربي حميدة بن علي الشجعي، وكانت مفاجأة السلطان كبيرة عندما وجد موادها تختلف تماما مع التعليمات التي أعطاها لكبير المفاوضين المغاربة الذي خالف رسم التفويض وكذلك القاعدة الأساسية التي يقوم عليها، ألا وهي إبقاء الحدود بين المغرب وإيالة الجزائر كما كانت أيام حكم الأتراك للجزائر."[253]

" أما فيما يتعلق بالمادة المتعلقة بالقصور (أي القُرى) التي تنازل عنها الشجعي للفرنسيين، فالأكيد أن مولاي عبد الرحمان لم يقم بحذف هذه المادة، ذلك أن أولاد سيدي الشيخ وردوا على السلطان للإحتجاج ضد تسليم أراضيهم للفرنسيين، لكن طلب مولاي عبد الرحمان بإرجاع هذه القصور(وهي قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة) إلى جانب طلبه إلغاء الفقرة المتعلقة بالأمير عبد القادر جاء متأخرا أي بعدما صادق على المعاهدة بصفة نهائية"[254].

يقول البند الرابع من اتفاقفية للامغنية :

"...فالأعراب الغربية (أي المغاربة) هما المهاية، وبني قيل، **وأولاد سيدي الشيخ الغرابة**، وعمور الصحراء، وحميان الجنبة."...[255]

ويقول البند الخامس :

---

[250] المرجع السابق ص 52.

[251] المرجع السابق ص 53.

[252] المرجع السابق، ص 69، وانظر جريدة Le Matin du sahara et du maghreb بتاريخ 14\8\2000م وبها صور لرسائل السلطان مولاي عبد الرحمان لعامله بوسلهام بن علي يؤكد فيها ارتشاء المندوبيْن المغربييْن ، وتنازلهما المفضوح عن أراض مغربية لصالح محتل الجزائر.

[253] المرجع السابق (معاهدة لالة مغنية)

[254] المرجع السابق ص 79-80

[255] المرجع السابق ص 183

"...أما قصور فجيج وييش فلعمالة المغرب، **وأما العين الصفراء وسفسيفة، وعسلة، وتيوت، وشلالة، والأبيض وبوسمغون** فللعمالة الشرقية"[256].

وبجرة قلم اقْـتُـلِعَ أولاد سيدي الشيخ الغرابة من أرضهم، إذ تنازل المغرب عن الأرض واحتفظ بالقبيلة التي أصبحت قبيلة بدون أرض، وهو ما يعني التهجير القسري، وبعد توقيع الإتفاقية المذكورة، طفت معضلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة على سطح الأحداث، وطرحت مشاكل شائكة على المخزن المغربي والسلطات الفرنسية طيلة نصف قرن (من 1845م إلى 1894م). مما جعل السلطات الفرنسية تعترف - بعد فوات الأوان- بأخطائها تجاه أولاد سيدي الشيخ وسوء تقديرها لهم عند وضع البند الرابع والخامس من الإتفاقية[257] وألحِقت بالجزائر أراضي أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وابتزت المعاهدة منهم قراهم وأسواقهم وضيعاتهم ونخيلهم ومجالهم الرعوي الممتد مابين الأبيض وفجيج . وهذا ما أكدته سلطاتهم الرسمية التي تقول :

" كما سبق قوله وكما سنقوله لاحقا، إن معاهدة (لالة مغنية) 1845م أخطأت حين جعلت من بعض هؤلاء الرحل (أي أولاد سيدي الشيخ الغرابة) رعايا مغاربة، وأرغمتهم على ترك أرض عاشوا فيها منذ أجدادهم الأوائل."[258]

وضعية المغرب الداخلية

كانت الهزيمة العسكرية بإسلي والفشل الدبلوماسي الذريع في مفاوضات لالة مغنية صورة مصغرة لما كان عليه الوضع العام المغربي من عجز وفساد وترهل وفقدان للروح الوطنية، ومن المؤشرات على ذلك :

1- الحماية القنصلية:

إن دخول المواطنين المغاربة - المتعاملين مع القناصل الأجنبية - تحت الحماية الدبلوماسية لهؤلاء، واستفادتهم منها بأشكال مختلفة، بدأت مبكرة منذ أواسط القرن الثامن عشر، ولكنها أخذت منعطفا خطيرا منذ عقد المعاهدة المغربية البريطانية سنة **1856م** التي نصت في مادتها الثالثة على " أن نائب ملكة بريطانيا العظمى له الحق في اختيار من يترجم عنه ويخدمه من المسلمين وغيرهم، ولا يُلزم تراجمه وخدامه شيء من المغارم... وإذا نيطت مهام القنصلية البريطانية بمغربي

[256] نفس المرجع ص 184

[257] DPSENOA, p.385.

[258] (DPSENOA) ص 385.
"وثائق لخدمة البحث حول الشمال الغربي الإفريقي"
وهو كتاب - في جزئين - جمعه وكتبه بأمر **جول كومبون** الوالي العام للجزائر:
- **دو لامارتنيير** ، مدير ديوان الوالي العام لشؤون الأهالي
- **لاكروا** ، نقيب مشاة ، رئيس المكتب العربي ، ملحق بشؤون الأهالي بالولاية العامة.
ويكتسي الكتاب قيمته التاريخية من منصبيْ كاتبيْه، والآمر بجمعه وكتابته ونشره.

فإن الحماية القنصلية تنسحب عليه وعلى أهله المقيمين معه بمنزله، كما أنه يُعفى من أداء الضرائب"[259].

وحصلت إيطاليا والدانمارك وأمريكا على المكاسب نفسها، إلا أن فرنسا وإسبانيا امتازتا بالفوز بمكاسب أكثر، وفرضتا شروطا أكبر، بعد انتصاريْهما بإسلي وتطوان الشيء " الذي فتح الباب على مصراعيْه أمام الأجانب الذين صاروا يفدون عليه بدون إذن، ويستقرون حيث شاءوا على أرضه من غير ترخيص، وكثرة هؤلاء الوافدين والمستوطنين واتساع نطاق أعمالهم التجارية مَدّ نطاق الحماية إلى القرى والأرياف الداخلية بعد أن كان مقصورا على المدن الساحلية، كما جعل عدد المحميين يكثر ويزداد بسرعة فائقة، لاسيما بعد حرب 1860م، ولم تكن هذه الكثرة وهذا الإزدياد يعنيان غير كثرة عدد المتمردين على السلطة الشرعية، وازدياد عدد المتهربين من القيام بالخدمات الوطنية وأداء التكاليف المفروضة على الرعية، الشئء الذي بدأ يعطل الأحكام ويضعف سلطة الولاة ويهدد الأمن ويقلل من مداخيل بيت المال."[260]

بذل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان- ومن بعده - ابنه المولى الحسن، طاقة كبيرة وجهدا جهيدا للحد من الحماية القنصلية، التي أصبحت دولة بل دُوَلا داخل الدولة، وراسل المغرب السفارات الأجنبية في هذا الشأن، وعقد الإجتماعات واللقاءات، ودعا في النهاية إلى مؤتمر دولي عُقد بمادريد 1880/5/19م بقصد كبح جماح الحماية ولكنها لم تزد إلا استفحالا.

" كان السبّاقون الأولون لهذه الحماية هم اليهود المغاربة ثم التجار المسلمون ثم اتسعت الدائرة لتشمل كل من رغب فيها. بل أصبحت تـُبَاع كما تـُباع السلع"[261].

2- "خيانة الوزراء والموظفين: ولا أعني بالخيانة التعاون مع الأجنبي ضد مصلحة الوطن وأهله فقط، بل أعني بها خيانة الأمانة... ويدخل في الخيانة أيضا جماعات من الموظفين كانت تكتم عن السلطان وحكومته ما كان من واجبها أن تخبر به من كل ما يمس سيادة الدولة وسمعة الوطن وحق الإدارة وكرامة المواطنين، معتقدة أنها تحرز رضاه، وتقدير حكومته، كلما قللت من إثارة المشاكل."[262]

" والغريب أن هؤلاء الموظفين المـُقصرين كانوا يسلكون- عندما يُدْبرعنهم الحظ وتتجهّم لهم الأيام، ويفتضح أمرهم لدى السلطان - نفس الطريق التي سلكها قبلهم محكوموهم نحو السفارات والقناصل للإحتماء بالدول الأجنبية، فلم يكن السفراء والقناصل يبخلون عليهم - وهم كبار- بما كانوا يجودون على غيرهم من الصغار، وهكذا رأينا كبارًا ينهون عملهم مع المخزن بالإحتماء بالأجانب كالمدني الڃلاوي

---

[259] عبد الوهاب بن منصور،الوثائق الجزء الرابع ، ص 13\14

[260] المرجع السابق، ص 19/18.

[261] Jacques Gagne, Nation et nationalisme au Maroc, p. 575.

[262] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، الجزء الرابع، ص 40.

الصدر الأعظم، والمهدي المنبهي وزير المالية، وعمر العبدي وزير الخارجية وسواهم كثير."[263]

3- الوضع الاداري

" تفشت الرشاوى على كل المستويات، لأن جل الموظفين لم يكن يتقاضى عن عمله الحكومي أو الإداري راتبا معلوما، فلهذا كانوا يطلقون أيديهم في الأنفس والأموال وهم آمنون من كل تفتيش لأنه لا يوجد بالمرة تفتيش أو لا يكون إلا في الحالات النادرة، ومما يؤلم أن بعض موظفي الدولة النزهاء كانوا يلتجئون إلى ممثلي الدول الأجنبية ليتوسطوا لهم لدى المخزن لصرف رواتبهم المتأخرة إن كانوا ممن يتقاضون راتبا، أو للحصول على رخصة تصدير أو توريد يستعينون بها على القيام بوظيفتهم إن لم يكونوا من ذوي الرواتب، بل إن الجيش نفسه- إذا عجز عن الثورة- كان ينظم مظاهرات سلمية يطوف خلالها على السفارات والقنصليات طالبا التوسط له لدى حكومته لتجديد كسوة أو إرسال مؤونة أو صرف راتب، ففي ظل جهاز حكومي وإداري متعفن متفكك كهذا الجهاز لم يكن ليقع على الرعية إلا الظلم والإستبداد. فهذا أيضا من العوامل التي دفعت من دفعت من المغاربة إلى الإحتماء بالأجنبي."[264]

" كان النفوذ الفعلي للسلطة المركزية لا يغطي إلا ثلث المملكة الشريفة على أكثرتقدير، وكانت هذه التغطية تشمل المدن والسهول والنقط الحساسة وهذا ما كان يسمى ببلاد المخزن، أما بلاد السيبة (الثلثان الباقيان) فلم تكن تخضع لا لسلطة جهوية ولا لسلطة مركزية، قد تحررت من كل الإلتزامات، مع ثبوت رابط البيعة الذي لم يكن يختلف عليه إثنان."[265]

كانت سلطة الملك تتراوح بين النفوذ الفعلي المباشر ببلاد المخزن والنفوذ الرمزي - ببلاد السيبة- الذي يُقتصرفيها على الدعاء للسلطان على المنابر، وبين ذا وذاك يتنوع حضور السلطة وغيابها حسب القبائل وزعمائهم قوة وضعفا.

وكانت القبائل تتصارع فيما بينها ولا يستنكف كلا الطرفين في النهاية من التحاكم إلى السلطان والنزول عند رأيه، والإذعان لرغبته، لأنه رمز الأمة في الغرب الإسلامي وليس في إيالته فقط، وهذا ما لمسه المرشال ليوتي إبان وجوده بالصحراء الشرقية.[266]

كما أن السلطان كان يلجأ - أحيانا - إلى الإذن والدفع ببعض القبائل القوية للإيقاع بقبائل أخرى كانت تثير الفتن أو تعصي الأوامر، وذلك لقصر يده عن تأديبها بقواته النظامية.

---

[263] المرجع السابق،ص 40.

[264] المرجع السابق ص 39.

[265] Jacques Gagne, Nation et nationalisme au Maroc,p.559 et 575.

[266] Ibid,p.566.

تنبه المرشال ليوتي لخصوصية الحكم في المغرب، ولاحظ أن سلطان المغرب يتمتع بزعامة روحية وسلطة زمنية، لا يصل إليها باي تونس ولا خديوي مصر ولا شريف مكة الذين لم يكونوا - في الواقع - إلا موظفين لدى الإدارة التركية.[267]

4- دور العلماء:

كان عامة الناس وعلى رأسهم العلماء ينظرون إلى هاته الظاهرة (أي ظاهرة المحميين) باستنكار كبير وكان رد العلماء في مستواه إذ أفتوا " بأن من أعان المحتمي أو عاشره أو خالطه أو أرضته حالته فهو فاسق ملعون، وكان العوام يتحاشون مخالطة المحميين ومجاورتهم ويأبون مصاهرتهم ولا يردون السلام عليهم.[268]"

ظهر على الساحة الوطنية علماء أعلنوا الجهاد وشاركوا فيه أو عارضوا الأطماع الفرنسية، كالشيخ ماء العينين، وبعده شيخ الطريقة الكتانية، سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي أدى رسالته على أحسن وجه، ووقع نهايتها المشرفة بدمه الطاهر، وغدا غرة في تاريخ مقاومة الإحتلال الفرنسي للمغرب في بداية القرن العشرين. يقول عنه الزعيم المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي:" لقد اقترن استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة، وهي أمة المغرب... إن الشيخ الشهيد على حق وأي حق، وإن خصومه كانوا على الباطل، وكانوا على خطأ في حقه وحق البلاد."[269]

5- دور الزوايا :

اختلفت مواقف الزوايا فمنها:

- أ- من رفضت الإستعمار جملة وتفصيلا، ورأت فيه غزوا عنصريا، صليبيا، تنصيريا، لا بد من مجابهته رغم تفوقه عدة وعتادا وعددا، فإما النصر عليه وإجلاؤه عن الأوطان وإما الإستشهاد. ومن هذه الزوايا: الرحمانية، البودشيشية، الشيخية، الكتانية، العينية، الدرقاوية المدغرية وغيرها...سجلت هذه الزوايا حضورها بمداد الذهب، ودماء الشهداء، وسطرت ملاحم أخرست لسان من كان يَصِمُ التصوف بالإنعزال والدروشة والتواكل. وأحيا شيوخُها وأتباعُها عصر الجهاد والفتوة والرباط.

- ب- ومنها من لازمت الحياد، لا تعترض طريق الإحتلال ولا تدعمه ماديا ولا معنويا، وعكفت على العبادة والتواصل التربوي السلمي مع أتباعها، ورأت أن هذا الإحتلال قدرا مقدورا لا ينجي منه إلا التوجه إلى الله، إذ لا طاقة للأمة على التصدي لهذه الهجمة العسكرية التي فاجأتهم قوتها وجلبتها ونظامها. ومن هاتيك الزاويا : الكرزازية والقندوسية على سبيل المثال.

---

[267] Ibid, p.566.

[268] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق،ج 4 ،ص 50.

[269] محمدالباقر الكتاني، مقدمة كتاب " ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد " ، ثم انظر كذلك مجلة منتدى الحوار – عدد خاص – رقم 28 فبراير 2000 .

- ج - ومنها من قبلت الأمر الواقع، وسارت في بداية أمرها مرغمة في طريق التعامل مع الإستعمار مبررة ذلك بدرء شره عن الأهالي، ولأنه قوة لا يمكن - في الحالة الراهنة - ردها ولا الصمود أمامها فمن الحكمة أن تـُعرف كيفية التصرف والتعامل معها في انتظار الفرج، وامتصاص هجمتها بكسب روادها وقوادها وساستها لإصلاح البلاد، وفرض النظام والأمن، لأنه لا مجال لإنكار التفوق الأروبي، كما لا يمكن جحود التردي العربي الهائل في جل الميادين. ومن هذه الزوايا وهم قلة الوزانية والتجانية و غيرهما. وسيجر موقف هذا النوع من الزوايا عليها وعلى التصوف عامة نقمة الوطنيين، والقوميين، والسلفيين الذين لم يميزوا أو لم يريدوا التمييز بين أنواع الزوايا واختلاف مواقفها.

- 6 - أولاد سيدي الشيخ الغرابة والمد الإستعماري:

كانت قبيلة أولاد سيدي الشيخ بما فيها الغرابة والشراقة تخضع للسلطة المغربية - بحكم وجودها على أرض مغربية - وكان زعماء هذه القبيلة يُعَيَنـُون بظهائر سلطانية، ويـَرِدُون ويَصْدُرون في أمورهم العامة عن أمر السلطان، منذ بداية العصر السعدي وخلاله، وتأكد ذلك مع الملوك العلويين، خصوصا بالنسبة لفرع الغرابة. وبما أن النفوذ التركي لم يكن محدد المعالم في الجنوب الوهراني، فقد كان ينتهي عندما يبدأ الولاء القبلي لسلاطين المغرب.[270]

كان مدار تنقلات أولاد سيدي الشيخ الغرابة على قراهم كالأبيض سيدي الشيخ، والشلالة، وبوسمغون، وعسلة، وتيوت، وأم چرار الفوقانية والتحتانية وغيرها من القصور، حيث كانوا يستعملون دورهم بها لتخزين ما لا يستطيعون نقله باستمرار لثقله أو لعدم الحاجة إلى استعماله اليومي، إذ كانوا قوما رحّلا، فكانوا يقتصرون على نقل الضروري من المأكل والملبس والفراش، ويختزنون الباقي من ذهب، وفضة وسمن وصوف وأعلاف وقمح وشعير(في المخازن والمطامير المهيأة لذلك) تحت حراسة خدمهم وعبيدهم ومن يستأمنونه على ثرواتهم.[271]

أما مجال منتجعاتهم فكان يمتد من الشلالة إلى مشارف أواسط وادي ڤير جنوبا مغطيا بذلك البنود، زوزفانة، تامللت، الظهراء، سفوح چروز وتيچري والشط الشرقي والغربي ...الخ. كانوا يجوبون هذه الربوع جيئة وذهابا بحثا عن خصب المراعي لمواشيهم .

كانت علاقتهم - مع القبائل المجاورة لهم - متفاوتة بين حليف وعدو، مثلهم مثل جميع القبائل إذاك، إلا أن زعامتهم الدينية كانت توفر لهم إخلاص الكثير من الأتباع وتربطهم برباط المحبة مع العديد من الزوايا وشيوخها ومريديها، وتضمن لهم وُدّ الأخيار من زعماء وأعيان ونبلاء القوم.

[270] DPSENOA, p.23/31/76.
[271] ibid, p.790.

كان أقوى حلف في الجنوب الشرقي/الغربي هو حلف زكّدو الذي يتزعمه ذوي منيع، كان يشتهر بـ: "الحلف الذي لا يقهر" وكان يتحرش تارة بأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وتارة بالشراقة، ومرة يتحالف مع الغرابة ضد الشراقة، وأخرى عكس ذلك، إلا أن اصطدام الحلف بأولاد سيدي الشيخ مجتمعين في يوليوز سنة **1882م**[272] كان فيه نهايته التي لم يأتلف بعدها أبدا.

رفض أولاد سيدي الشيخ الغرابة بنود معاهدة لالة مغنية التي سلبتهم أرضهم، فكانوا أول المعترضين على هذا الإجحاف، الرافضين لهذا الإبتزاز، وهكذا - مباشرة بعد المعاهدة - بعث الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة وفدا إلى السلطان مولاي عبد الرحمان للإحتجاج على هذا التناقض الذي يجعل من أولاد سيدي الشيخ الغرابة **مغاربة**، ويجعل من أرضهم وقراهم **جزائرية**[273] وهو ما يعني مصادرة أراضيهم وما عليها، وطردهم إلى المجهول. تفهّم السلطان احتجاجهم وأقرّهم عليه وامتنع عن توقيع المعاهدة، إلا أن العجز المغربي حال دون دعوة الفرنسيين إلى مراجعة المعاهدة، واضطر السلطان تحت الضغوط إلى توقيعها.

لم يقف الإحتلال الفرنسي عند الأراضي المغربية التي اقتطعها بمعاهدة لالة مغنية، بل واصل زحفه نحو الجنوب والجنوب الغربي ليبتلع كل الصحراء الشرقية المغربية التي تعمّد إغفال تحديد معالم حدودها بقصد احتلالها.[274]

لم تصمد أمام هذه السيل الجارف إلا قصور فجيج، ولما وجدها حجر عثرة أمام توسعاته، أخذ يبحث عن وسائل أخرى لاحتلالها، ونظرا لفشو ظاهرة الإرتشاء بين الموظفين المغاربة - كما سبق ذكره في معاهدة لالة مغنية وغيرها- فقد بلغ الأمر بالسلطات الفرنسية أن فكرت في مساومة المخزن المغربي على واحة فجيج لشرائها أو استبدالها بقطع سلاح[275] إلا أن هذا المسعى لم يكلل بالنجاح لا لشيء سوى لأن أهل فجيج رفضوا الإحتلال بكل حزم، ونافحوا بكل إصرار عن هويتهم ودينهم وأرضهم[276].

في هذا الوضع الداخلي الضعيف المهلهل، المترامي في أحضان القنصليات الأجنبية، والخطرالفرنسي المتربص بالوطن، والذي لم يكن يُخفي عزمه على احتلال المغرب بأكمله، أعلن الشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة مقاومته للمد الإستعماري .

ما كاد يتم توقيع معاهدة لالة مغنية حتى كانت طلائع الجيوش الفرنسية تزحف للإستلاء على أراضي أولاد سيدي الشيخ، ولم يتأخر هؤلاء فكانوا لها بالمرصاد، وهكذا بعد خمسة وأربعين يوما (45) من توقيع المعاهدة إصطدم أولاد سيدي الشيخ

---

[272] DPSENOA, p. 650

[273] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق ، الجزء الثاني ص 70.

[274] DPSENOA, p.193.et Nationet nationalisme,p.155.

[275] DPSENOA, p.529.

[276] Nation et nationalisme,p. 153.

الغرابة - بزعامة الشيخ بن الطيب - بالقوات الفرنسية يوم **1845/5/2م** في أول معركة بالمكان المسمى الشريعة (نواحي البيّض) وهو أول رد فعل قَبَلي مغربي على معاهدة لالة مغنية المجحفة بحقوق المغرب، وأول شرارة لمقاومة ستدوم ثمان وخمسين سنة بين أولاد سيدي الشيخ والقبائل الموالية لهم من جهة، وبين الإحتلال الفرنسي من جهة أخرى .

قدّم - الشيخ بن الطيب - الشهداء من أبنائه وإخوانه وأتباعه من خاصة القبائل وعامتهم، ولم يبخل بالتضحيات الجسام - المادية والمعنوية - التي يتطلبها خوض حرب طويلة ضد أعتى قوة عسكرية أوروبية في ذلك القرن، ولم تأل- القبائل الموالية له - جهدا في مؤازرته والإستماتة إلى جانبه في الدفاع عن الدين والوطن .

لا شك أن السلطان مولاي عبد الرحمان كان - في بداية الأمر - يرى في الشيخ بن الطيب أحد المرابطين على الثغور الجنوبية الشرقية، المنافحين عن مغربيتها، فأضفى الشرعية على مقاومته بتعيينه خليفة للسلطان على المناطق الجنوبية الشرقية في 1849م، إلا أنه بعد عقدين من بداية المقاومة وتحت الضغوط الفرنسية الهائلة والمتكررة، قلب المخزنُ - لأولاد سيدي الشيخ الغرابة - ظهرَ المجن، وتصدى لهم ولزعمائهم بأنواع المضايقات والملاحقات تمثلت في السجون والتهجير والحصار والإغتيال، وكان القضاء على هذه المقاومة إيذانا بفتح الطريق الجنوبية الشرقية أمام المد الإستعماري الذي انقضّ على المغرب من كل الجهات وانتهى بضرب الحماية عليه، وتقطيع أوصاله بعد ذلك وقبل ذلك.

إن احتلال المغرب كان هدف الحقد الصليبي منذ القرن الثامن عشر، وقد عبّر عنه بوضوح فولتيرVoltaire (1694 – 1778 م) الكاتب الفرنسي الشهير في كتاباته ولم يكن احتلال الجزائر إلا خطوة في طريق احتلال الأمبراطورية المغربية التي كانت تُحد شرقا بالجزائر وتونس وليبيا، ويَحدها جنوبا نهر السنغال، والتي أدت دورا تاريخيا أساسيا في وصول الإسلام إلى أوروبا[277] وبعد 1830م لم يكن مخطط احتلال المغرب سِرّيا، بل كان يناقـَش علنا في البرلمان الفرنسي، وتـُدرس مراحله بشفافية كاملة كما كانت تتحدث عنه الصحف الفرنسية والأجنبية بوضوح لا لبس فيه، وكان موضوعَ معاهداتٍ واتفاقياتٍ وتنازلاتٍ بين فرنسا والقوى العظمى المنافسة لها إذاك .

بدأ احتلال المغرب - في **1845**م - باحتلال أراضي أولاد سيدي الشيخ السابقة الذكر (الشلالة البيّض بوسمغون..الخ)[278] ثم امتد إلى توات، وڤورارة، وتديكلت ثم الساورة فبشار فالقنادسة...الخ، **ولم يبدأ** - كما يذكر بعض المؤرخين - باحتلال برڭنت وفجيج ووجدة، فهذا اجتزاء للذاكرة، وانتقاص للتاريخ، وتنكـّر لما قدمه أولاد سيدي الشيخ

---

[277] أحمد العماري، توات ، في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب، ص: 230-231-232.

[278] وهذا في الجنوب الشرقي موضوع الحديث، أما في الشطر الشمالي الممتد بين البحر وثنية ساسي (وهي حدود رسمية) فقد تم احتلال مغنية - قبل ذلك - كما تم - بعد ذلك - اجتزاء عدة أماكن على امتداد الحدود تحت ذريعة سوء التفاهم على مسميات نقط الحدود الرسمية. انظر: بولنوار العربي، معاهدة للا مغنية ص149.

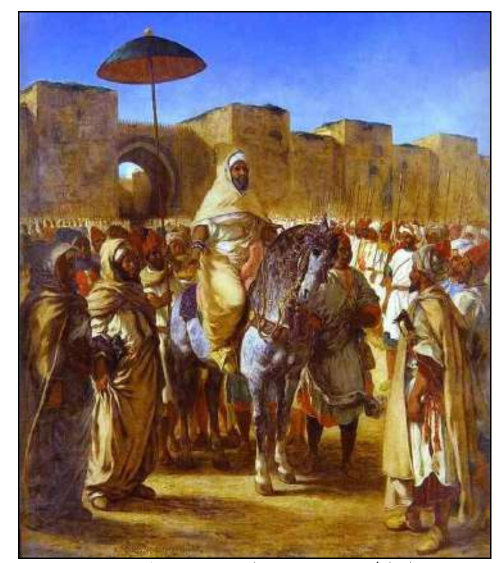
الغرابة وقبائل الجنوب الشرقي من تضحيات جسام ضد الغزو الإستعماري دفاعا عن أراض مغربية تم اغتصابها من طرف الإحتلال الفرنسي، وإلحاقها بالجزائر، وهي حقائق تأكدها الوثائق والخرائط الدولية وتاريخ المنطقة سَكنا وسُكانا، ولذلك يجب أن توضع في إطارها التاريخي، بعيدا عن توتر قضايا الحدود بين المغرب والجزائر، الذي انتهى بالتوقيع الرسمي على معاهدة الحدود في **1972/6/15م**.

"ومعلوم في وقتنا الحاضر (2003) أن مشكلة الحدود قد سويت وأصبحت متجاوزة بعد تبادل وثائق المصادقة على معاهدة الحدود سنة 1989م ، ثم نشرها- بعد عشرين سنة - بالجريدة الرسمية المغربية سنة 1992م (الجريدة الرسمية عدد 4156 الصادرة بتاريخ 24 يونيو1992 ص747-749) وقد قامت الحكومة الجزائرية في شهر اكتوبر2002 بتسجيل حدودها بشكل رسمي في الأمم المتحدة."[279]

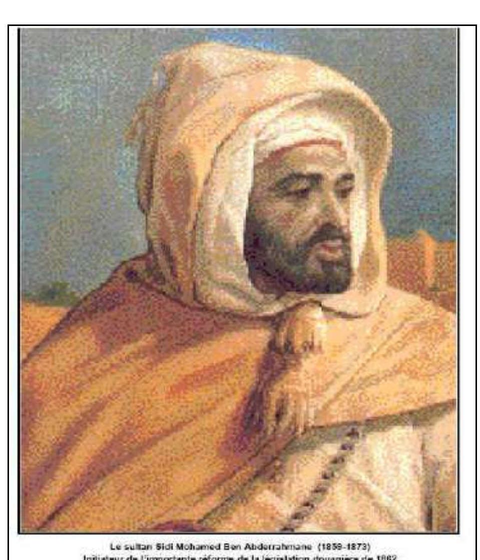
" وفي أطار الواقع التاريخي اليوم تُعتبر توات داخل التراب الجزائري الشقيق الذي يُعتبر هو والتراب المغربي جزءا لا يتجزأ من تراب المغرب العربي الكبير ، ولا يمكن أن نعترف بهذه التعددية التي مَنهَجَ الإستعمار حدودَهَا الجيو-سياسية ، وأنبت فكرة الوطنية الضيقة فيها. فحدودنا ووطنيتنا تتجاوز الحدود التي صنعها الإستعمار ، وتتحدد حدودنا على أساس عقيدتنا ، والشروط التاريخية والحضارية التي تولدت عن هذه العقيدة. وإن اعترافنا بالشروط الجيو- سياسية التي وضعها الإستعمار هو ضمنيا رفض منا لمبادئنا وتاريخنا ولشروط ذاتيتنا القائمة على أساس الإسلام ، وفي نفس الوقت
هو اعتراف منا للخطة الفرنسية فينا وتمسكنا بالإجراءات الإستعمارية المضادة لمصالحنا تماما."[280]

[279] عكاشة برحاب، من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر، ص 155 \181 و انظر كذلك:
Mohamed MAAZOUZI, un demi siecle pour l'integrité territoriale ,p. 116.

[280] أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي من حوالي 1850إلى1902، ص 238.



السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام
1859-1822
عين الشيخ بن الطيب في يناير 1849 خليفة له
بالمناطق الجنوبية الشرقية من المملكة المغربية.



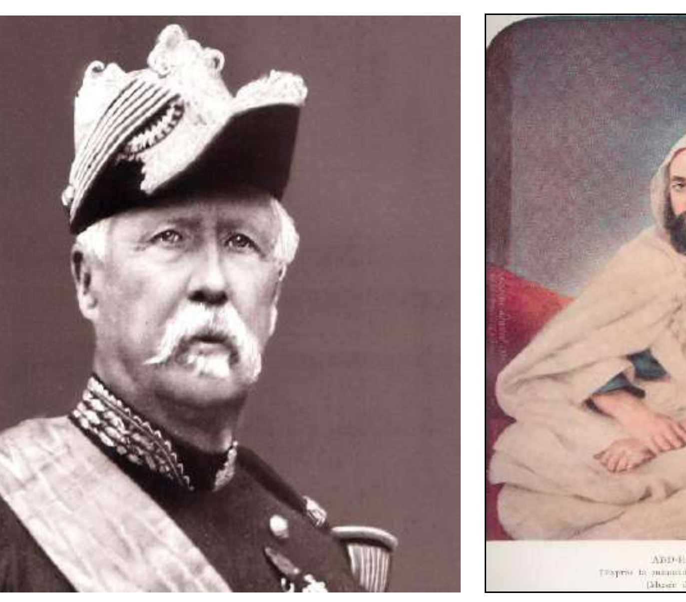
Le sultan Sidi Mohamed Ben Abderrahmane (1859-1873)
Initiateur de l'importante réforme de la législation douanière de 1862

السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان
1873-1859
أعاد تعيين الشيخ بن الطيب خليفة له
بالمناطق الجنوبية الشرقية، في 1863



ABD-EL-KADER

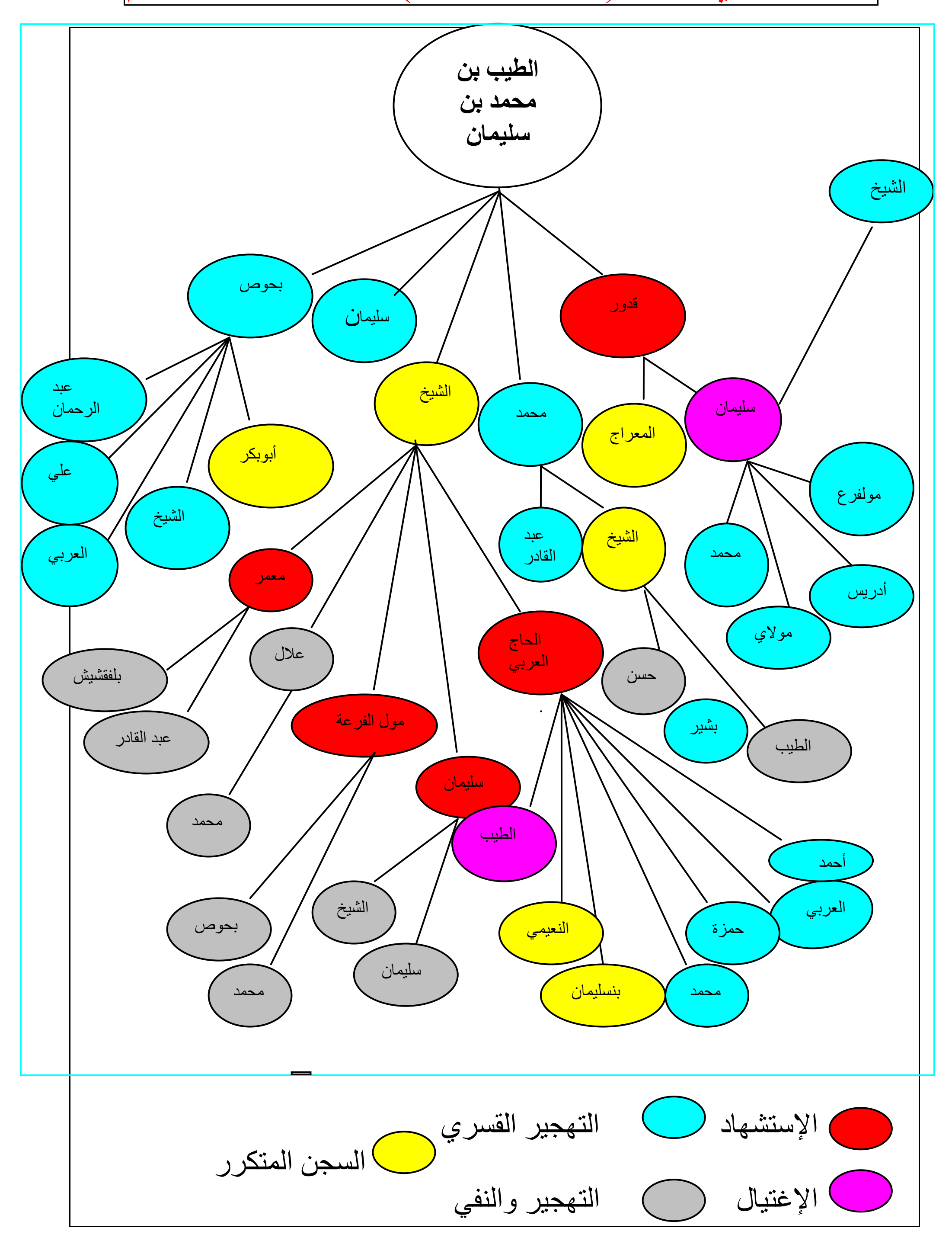
الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري.
مجاهد، صوفي، شاعر،
شارك أولاد سيدي الشيخ في مقاومته
في البداية، واختلفوا معه في النهاية



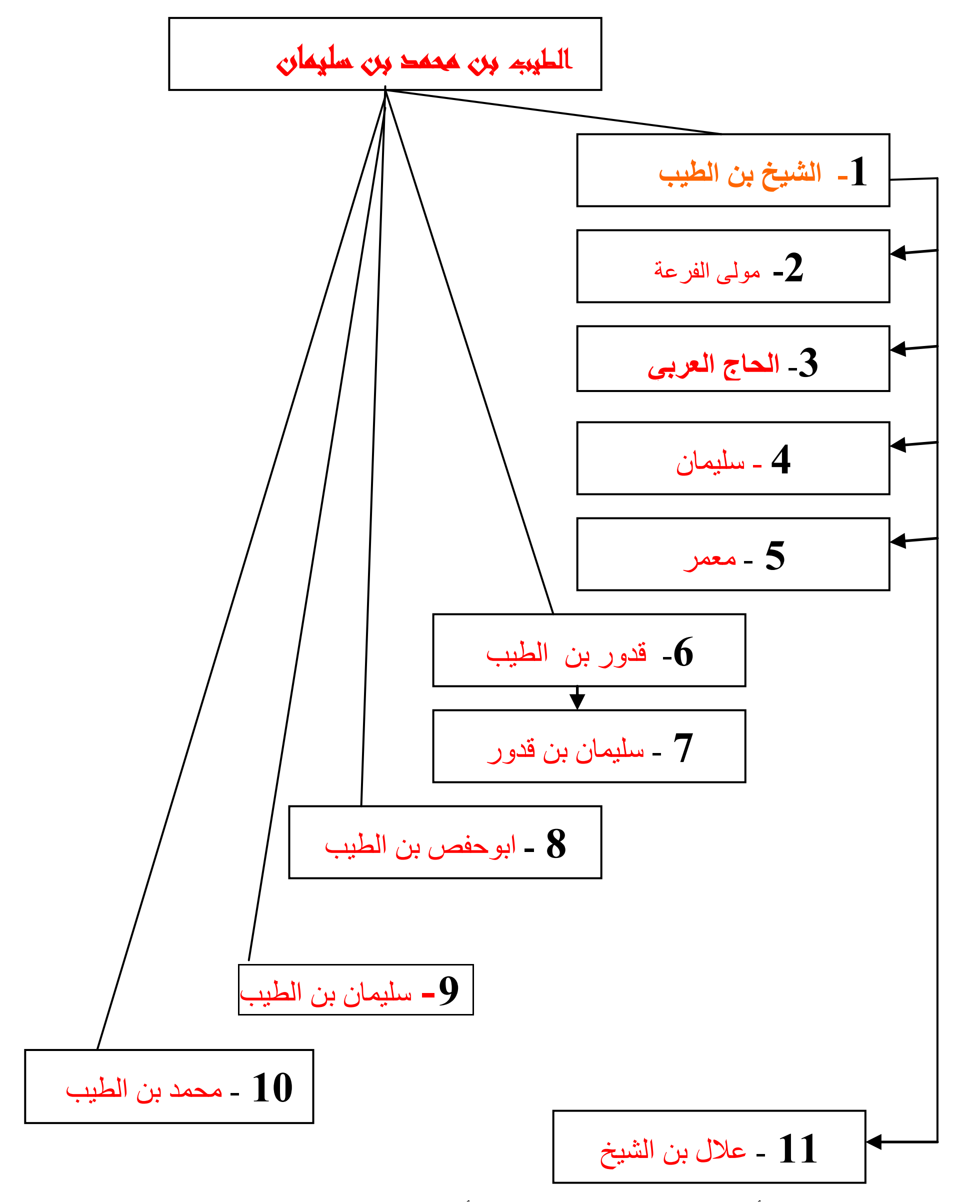
Mac Mahonماك ماهون الجنرال الذي ساهم
مع بليسيه في تخريب قرى أولاد سيدي الشيخ
وإبادة سكانها بعد إعلان ثورتهم بزعامة
الشيخ بن الطيب .

رسالة الشيخ بن الطيب إلى علماء فاس يستفتيهم فيها
حول كيفية معاملة بعض فرق أولاد سيدي الشيخ الذين انشقوا
عن إخوانهم، وأصبحوا يحاربون في صفوف الكفار.
وقد ختمها بطابعه الذي يظهر فيه اسمه الشيخ بن الطيب البكري
وفيها كذلك إسم كاتبه محمد عبد الرحمان بن عبد الكريم التواتي.

أولاد سيدي الطيب(زعماء الغرابة) وآثار المقاومة عليهم



تصميم تراجم زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين سيتناولهم البحث بالترتيب الآتي :



ملاحظة : أثبتنا هذا التصميم حتى لا تختلط الأسماء لتشابه بعضها ببعض وحتى نتناول ترجمة كل واحد على حدة ، و سنتناول الحديث عن المعنيين بالأمر حسب التسلسل الرقمي أعلاه ، تبعا لتاريخ الأحداث.

-1-
المجاهد، أبو الشهداء الشيخ بن الطيب
زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة

الشلالة الظهرانية قرية (أو قصر بلغة الجنوب)[281] كانت في القرن العاشر الهجري مُستقـَرا مفضلا لدى سليمان بن أبي سماحة - الملقب أبي داود، الجد الأعلى لأولاد سيدي الشيخ - الذي اشترى أراض شاسعة وعيون ماء ونخيلا بها وبنواحيها، ولايزال أحد الجبال بالقرب منها يحمل كنيته "جبل بوداود"، وعاش بهذه القرية إبنه محمد بن سليمان وبها توفي حيث ضريحه مشهور، وكانت هذه القرية من أحب البقاع لدى الشيخ عبد القادر السماحي، إذ هي مرتع صباه، ومرقد أبيه، وملك جده.

عندما اقتسم أولاد سيدي الشيخ أمر زاويتهم في 1765م، أصبح للشراقة (أولاد حمزة) وجود ونفوذ شرق الأبيض سيدي الشيخ (بريزينة، الغاسول، المنيعة الخ...) وللغرابة (أولاد الطيب) وجود ونفوذ غرب الأبيض (الشلالة، بوسمغون أم چرار...الخ) وعليه فقد كانت للغرابة - في القصور الغربية - بساتين ودور ونخيل وعيون، لا تزال إلى الآن معروفة بإسمهم، ورغم تنقلاتهم وانتجاعهم فقد كان مستقرهم الرسمي هو القصر الغربي بالأبيض سيدي الشيخ حيث كانوا يمارسون مسؤوليتهم كشيوخ للطريقة الشيخية وزعماء لأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

ولد الشيخ بن الطيب سنة 1780 م بالشلالة الظهرانية، بدار أبيه التي لا تزال معالم مرافقها قائمة إلى الآن، والتي أرغمه الإحتلال الفرنسي على هجرانها[282] بعد إعلان مقاومته في 1845.

• أبوه الطيب بن محمد بن سليمان بن قدور بن بوحفص الحاج بن عبد الحكم بن عبد القادر(المدعو سيدي الشيخ)، تصدرالطيب بن سليمان مشيخة الطريقة الشيخية بعد وفاة جده سليمان بن عبد القادر الذي كفله بعد موت والده في ريعان الشباب، توفي-الطيب- حوالي **1818**م ودفن بالشلالة الظهرانية وقبره معروف، يقع خارج قبة محمد بن سليمان محاذيا للحائط الغربي.

• أمه ڨوتة (ياقوتة) بنت الحاج الصوف من أولاد زيان بن عبد الحكم ، يلتقي نسب أمه بأبيه في الجد الخامس: عبد الحكم.

كان للشيخ بن الطيب أربعة إخوة وأخت واحدة :

محمد، سليمان، بحوص، قدور، والوازنة.

بعد وفاة الجيل الأول من أولاد سيدي الشيخ، كان يطلق على زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة: **أولاد سيدي عبد الحكم**، ثم بعد اشتهار ولده بوحفص الحاج أصبح

---

[281] تقع في الشمال الغربي من الأبيض سيدي الشيخ، وهي حاليا ضمن ولاية النعامة بالجزائر.

[282] DPSENOA, p.385.

يطلق عليهم **أولاد سيدي بحوص أو البحاحصة**، ثم بعد اندلاع المقاومة وتزعمهم لها أطلق عليهم إسم **أولاد سيدي الطيب**، فكانوا إلى أواخر القرن العشرين لا يعرفون إلا به بين القبائل، وسنقتصر على هذا الإسم عندما نتحدث عن زعماء الغرابة.

أختار أولاد سيدي الشيخ الغرابة - الشيخ بن الطيب - زعيما لهم بعد وفاة والده الطيب بن سليمان، وحاول أبناء عمومته أولاد بودواية الإعتراض على هذا الإختيار، ولكن أعيان أولاد سيدي عبد الحكم، خصوصا أخواله الزياينة، ذهبوا به من الشلالة إلى تلمسان حيث مقر الحاكم التركي، وذلك عندما كان يَفتُرالنفوذ المغربي لأسباب مؤقتة، وأقرهم الحاكم التركي على هذا الإختيار، وأصبح الشيخ بن الطيب زعيما بلا منازع.

كانت قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة - في البداية - تتركب من حفدة سيدي الشيخ المنحدرين من أبنائه : عبد الحكم، امحمد عبد الله، الحاج إبراهيم، التاج، بنعيسى، الحاج أحمد، الحاج بن الشيخ، بالإضافة إلى حلفائهم قبائل احميان، الطرافي، ارزاينة العمور، أغواط وأقليات مختلفة من غيرهم، ثم لأسباب عديدة سبق ذكرها، بقي في القبيلة من اقتنع بخياراتها، وانفصل عنها من كانت له خيارات أخرى.

كانوا محل احترام وتعظيم أينما حلوا وارتحلوا، لمنعتهم وشوكتهم، ولنسبهم البكري الصديقي، ثم لأنهم أهل زاوية لها مكانتها في المنطقة، ولها روادها وأتباعها والمحتمون بحماها، وقد كانت لهم ثروة حيوانية مهمة – إبلا وغنما وخيولا ...– تكبر وتصغر حسب السنين، خصبا وجدبا، وكانت هذه المواشي تـُكـْرهُ القبيلة على الإنتجاع وتـَتـَبـُع مساقط القطر، أينما لمع برقـُها، ولعلع رعدُها، فكان مجالها الرعوي شاسعا يغطي الجنوب الغربي الجزائري والجنوب الشرقي المغربي: من الشلالة الظهرانية شرقا إلى أعالي وادي ڨيرغربا ومن جبال بني يعلى (جنوب وجدة) شمالا إلى وادي الساورة جنوبا، ولذلك كان مغنيهم يردد (ملحون) :

ذيك بلادنا ذيك بلادنـــــا من المّيهْ الصيفر إلى الزوزفانة[283]

تزامنت زعامة الشيخ بن الطيب لأولاد سيدي الشيخ الغرابة مع زعامة أبي بكر بن النعيمي لأولاد سيدي الشيخ الشراقة في البداية، ثم في الأخير مع ابنه حمزة بن بوبكر، وفي عصر هذا الأخيرعُـقد الصلح بين الشراقة والغرابة بعد اصطدامات دامية تكررت بينهما لعدة عقود. وحاول الزعيمان حقن الدماء وإصلاح ذات البين، بالتشاور والتنسيق في الأمور التي أصبح يفرضها وجود قوات الإحتلال على مشارف أراضيهم، وكانت

[283] الميه الصيفر إسم لمكانيْن اثنيْن :
- مكان بين فجيج وبوعرفة في نواحي جبل الملح .
- مكان غرب وادي ڨير. وربما كان هذا المكان هو المقصود لأن منتجع الغرابة كان فعلا بين وادي ڨير وفجيج .
أما زوززفانة فهو وادي شرق فجيج.

علاوة على ذلك تجمع بينهما المصاهرة إذ كانت ذهيبة زوجة الشيخ بن الطيب هي عمة حمزة بن بوبكر، وله منها ثلاثة أولاد ومثلهم بنات.

في سنة 1767 م استقر الشيخ أحمد التجاني بالأبيض سيدي الشيخ لمدة سبع سنوات، قضاها بين العبادة والتدريس، ثم في سنة 1781 م أنشأ زاويته ببوسمغون، وكان أجداد الشيخ بن الطيب وهم قدور بن أبي حفص الحاج، وإبنه سليمان من السبّاقين إلى الأخذ عن هذا العارف بالله الجليل، ولزماه حتى كانا من أخص أصحابه كما تُؤكد ذلك المراجع السابقة الذكر، كما انتسب إلى هذه الطريقة أبوه الطيب بن سليمان المتوفى سنة1818م .

عَلِقَ الوَاقِفُـون بالمَـــوْرُوثِ وَ آهْتَـدَى السَّائِرُونَ بالمَبْعُوثِ
يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يُجَدِّدُ أمْرَ الـــدِّيـــن فِي القَــرْنِ، هَكَذا فِي الحَدِيثِ
أدَبُ السَّيْر يَقْتَضِي العَارفَ المَأ ذوُنَ، حَيّـا، لِلسِّــرِّ نِعْمَ الوَرِيثِ

بعد وفاة سيدي أحمد التجاني سنة 1815م بحث الشيخ بن الطيب - كسلفه الصالح - عن الشيخ المربي والقدوة الحي، فولىّ وجهه شطر الزاوية الوزانية، وتتلمذ على يد الشيخ العارف بالله، قبلة أهل زمانه، سيدي العربي بن علي الذي تصدر مشيخة الطريقة الوزانية بين **1811- 1850** م، وقد نال - الشيخ بن الطيب- لديه المكانة المعتبرة، وكان لا ينقطع عن زيارته في زاويته بوزّان مع العلم أنه كان - فيما بعد - يأتي إلى فاس مرارا لزيارة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام خصوصا بعد أن قلده مهمة خلافته بالجنوب، وكان من البديهي- بعد المثول أمام السلطان وأداء الفروض الواجبة - أن يغتنم هذه الفرص ليتملى بطلعة شيخه، ويستنير بتوجيهاته الروحية .

كان الشيخ بن الطيب متفانيا في محبة شيخه، ولا أدل على ذلك من أنه أطلق أسم شيخه على ولده البكر الذي أسماه الحاج العربي، وكان ينادي إبنه الأصغرعلال (مولاي علي) تيمنا بإسم أبي شيخه مولاي علي بن أحمد الذي كان متصدرا لمشيخة الطريقة الوزانية بين **1781 -1811.**

والشيخ بن الطيب هو أول من أدخل الشاي، كمشروب إلى مناطق الصحراء الجنوبية الشرقية، ففي إحدى زياراته التي كان يقوم بها المرة تلو الأخرى إلى البلاط العلوي (حاملا أنواع الهدايا من نعام وغزلان ومختلف التحف اللائقة بالمقام الملكي)، أهداه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، الشاي الأنجليزي (المعروف بالوندريزي[284] وأهداه كذلك أدوات الشاي الفضية والكؤوس البلارية، ومما يؤكد هذا:"أنه في سنة **1845م** أغلق بحر البلطيق لأجل الحرب، وحال هذا الإغلاق دون وصول الشاي الإنجليزي إلى الأسواق، فألزم أصحاب السفن الإنجليزية بإفراغ سفنهم في طنجة والصويرة، ووُزعت حمولتها من الشاي في المغرب ومن ثم ابتلي المغاربة كثيرا بشرب الشاي، وقَـدِمَ عندهم

[284] الوندريزي : في العامية المغربية القديمة، مأخوذة من لوندريز الإسبانية، التي تعني (لندن) عاصمة بريطانيا (عبد الوهاب بن منصور، الوثائق الجزء4 ص 287).

الإنجليزي ريتشارد رايت من مدينة منشيستير لعرض أوانيه الفضية الخاصة بالشاي أمامهم، فاستحسنوا صنعه وبدأوا يستوردون هذه الأواني الفضية من منشيستير حتى شاع أمرها في المغرب، ودخلت البيوتات المغربية، وأصبحت تُدعى أواني رايت (أي الأواني الفضية نسبة إلى السيد رايت Richard Wright) وهي على الخصوص: الصواني والربايع والبرّاد والبابور والمبخرة والمراش إلى غير ذلك"[285]

"وقد تغنى بهذه الجلسات الشعراءُ والناظمون والزجّالون. وقد جادت قريحة أديب فاس الشاعر عبد السلام الأزموري بأرجوزة مفيدة عن الشاي المغربي وطرق تهييئه ولوازمه وأوانيه ومجالسه، يقول في مطلعها:

الحمد لله الذي أطعمنـــــــا من كل مطعــوم به أكرمنـا
مثل الأتاي اللندريزي الجيد صفوته مثل مُذاب العسجــد
إن صب في كاساته المذهبة على صفا صينية ملتهبـــــة
تطاير الهَمّ لديها وانشــــرح صدرالذي يشربه من الفرح "...[286]

" وقد قام بشرح هذه الأرجوزة شيخ جماعة الرباط العلامة سيدي المكي البطاوري - رحمه الله- شرحا عجيبا مستملحا."[287]

عُرف الشاي في البلاط السلطاني والوسط الارستقراطي منذ تولي سيدي محمد بن عبد الله (تـ 1790)، و لكن انتشاره الواسع على الصعيد الشعبي لم يتحقق إلا في عصر المولى عبد الرحمان ومن بعده[288].

عُرف الشيخ بن الطيب بالكرم والشجاعة والصلاح، وكان غنيا مترفا، يُحكى أنه عندما كانت تنُحرالإبل للطعام والولائم، كان خدَمُه يَعْمِدُون إلى جلود أعناق الإبل فيأخذونها من باقي جلدها، فتدبغ ويملؤها نقودا ذهبية، فتدفن في مواضع سرية معروفة بعلامات معلومة، نظرا لكثرة المال الذي كان لديه، ونظرا لصعوبة نقله خصوصا في حالة الحرب التي كانوا يَصْلون لهيبها، كما كان يمتلك ضيعات ونخيل وعيون ماء، ومن مخلفاته ورقات مخطوطات بها جرد كامل لممتلكاته بأم چرار وتيوت (وهي القرى المغربية التي هَجّرَهُ الاحتلالُ الفرنسي منها)[289]

في أم چرار الفوقاني والتحتاني :" جنان أزُت، قطيعة جنان اشبل، جنان القطب جنان أحفير، جنان أمضار، جنان أولاد يحيى، مطرف في معمورة الحاج، مدور مطرف إلغ، مطرف حص أعراب، وجميع النخل الفرادي المختلط المعين بأم چرار

---

[285] عبد الحق المريني، الشاي في الأدب المغربي– سلسلة شراع 57- ص :24.

[286] المرجع السابق، ص 15/14.

[287] المرجع السابق، ص 11

[288] عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي،من الشاي إلى أتاي ص 172.

[289] تيوت قصر(قرية) وواحة صغيرة بنواحي العين الصفراء، كانت نواحيها مقر الشرفاء العلويين، إلى حين هجرة بعضهم إلى عين بني مطهر في أواخر القرن التاسع عشر. (حتى لا تختلط على القاريء بمنطقة توات).

التحتاني، الحوش البراني المشترك مع أولاد الشريف، والنصف المشترك مع أحمد بن كورو، ونصف الدار المشترك مع أولاد جلول ولد لخضر.

وعندهم من الماء ثلاثة أخراريب ليلا، ومثله نهارا.

ومثله سد الوادي والسد الفوقاني خروبة ونصف ليلا ومثله نهارا، وكذلك السارق، وكذلك بحيرة الكلاب.

في قصر تيوت : الشعبة الحمراء، وجنان سيدي الشيخ بن الطيب."[290]

كما كانت له ممتلكات بالقصرالغربي الكائن بالأبيض سيدي الشيخ حيث مقرالزاوية الشيخية الغربية التي كان منها يمارس مسؤوليته كشيخ للطريقة الشيخية، وكانت هذه الممتلكات تحت الوصاية الفعلية لعبيد الزاوية الغربية، وكانت له كذلك دور وأجنة بالشلالة الظهرانية - حيث كان يقضي أغلب أوقاته - ولا تزال تعرف بإسمه إلى الآن.

انقطع للعبادة أواخر أيامه[291] وأناب عنه إبنه البكر الحاج العربي في زعامة أولاد سيدي الشيخ الغرابة.

مدحه الشعراء، ومن أشهرهم الشيخ أحمد الأخضر(شاعر من قبيلة أولاد زياد فرقة أولاد الطيب) يقول:(شعر ملحون) :

أولاد سيدي بحوص الحاج خيمة الفال   عمروا عيطا ناس وناس درقو
أولاد سيدي بحوص الحاج خيمة الفال   و جميع من ناقرهم لهلا طيقو
القيامة و الكرم يقدلوه تقدال   في طعام امايد ديما يمرقو
من قصد ذي الخيمة باقي يدور الفال   المكسر يجبر والقيد يطلقو
وين نجع ابن الطيب فالتلول مازال   يادرى عرب الروب الهون يشنقو
وين نجع ابن الطيب فالصحور نزال   بالبكا عينيا ديما يدفقو
وين نجع اسمحات الي عليه سوال   فالصحاري غطاه الغيم درقو
وين نجع ابن الطيب لوحة الحجر عال   غير من تفسل والهيه شرقو
عرّق النون و مَحَّصْ في جواب لبطال   غاب حس عربنا ليها اندنقو
شاب راسي يا زاوي وين نلحقو
بن الطيب ميعادو فالطراد قتال   ذوك سربة مسوس اسبوع يرمقو
صاحبو حمدون و رحمون سلطنة قال   طايقين خيارات الناس يشفقو
فولوا بالرحلة غدوة وسبق المال   و المكابر راهم عنها تساسقو
من اجحاف الميرات يخرجوا الدجال   بالحرير ابنا ت النسبة يغلقو
الفراش مرقم شباك طاق واحمال   تحت طي العطفة للهيف يرمقو
جلدة امات الحور على الغدير تكحال   في امطالق دبيون ارقيق فلقو
كركدت وبرتها تفلى ا رقا و حلحال   بالمعاذر قاع الويدان خنقو
تسمعو في ضج اكحيلة تسوج همّال   في المراقب حواستها يتوقو
شاب راسي يا زاوي وين نلحقو
في شكال عظم والجوفا ظاهر هلال   غي يرزم يبدو هما يدنقو

[290] مخطوط خاص.

[291] DPSENOA, p.798.

حاط البيضة والمرا يقيم ما زال / في ارشاف الويدان منين دفقو
في اعريش الطير يعاني ربيط لازال / في ثنيات العرق منين روقو
من كل قعدة جبات محنيات لكفال / الا يروف ظماها رعيان يلحقو
في بلاد الصحوان يتيهوا ام شمال / تيسمرت و تمدة قاع يدرقو
حاط الحندوات على الهدون تنزال / في الفجوج اللي بالنقلا يسبقو
شور سيدي عبد الرحمن صاق بالمال / شحال من عبد وعود ليوم صوقو
وين حمو بوطراده حجاب ليبال / وين ما يطعن فالصاقا يدرهقو
ما يخاف ولا يعرف غير ضرب زطال / و العدو من ذيك الجهة يضوقو
لا غدر لا ختلة هدة انتاعت رجال / يا وخي حسب الزايخ لا درقو
كل واحد من بوطيبة يدور الفال / و الميسر باذن الرحمان يطلقو
رافدين اتوانس عود السرير يكحال / و الكوابس نجمات على الحال شفقو
والزناد دزيري غالي يلوح مشعال / وضوامن تحت الظلمة يطرطقو
رافدين امجبر يسوى ميات مثقال / في حساب الميزان منين يفرقو
البرانيس جريدي ليها رديفهم عال / لابسين الطايف ورهيف رقو

شاب راسي يا زاوي وين نلحقو

راكبين حمرة واحمر دم يا احمد سال / ناصحين احزمات احرير يبرقو
راكبين شقرا و اشقر محجلين تحجال / و ليا يشوفوا الصربة ليها يدلعقو
راكبين صفرة واصفر مح بيض لوعال / صيلهم جرايا لبعد يلحقو
راكبين دهمة وادهم شارفين بكحال / غير ظلمان مع الصحرا يتوقو
راكبين بيضة و ابيض ثلج درق اكسال / في زمان الذابح زرات ليقو
راكبين زرق اطوال محنيين لكفال / من حليب العتمة لعياد رونقو
كل سابق فوقه خملة انتاعت جلال / لاصرد لا صهد الحمان يحرقو
زوج شكلا والقيد حديد فيه وطوال / و الوصيف على حدو ما يفارقو
و الكفل و الرقبا كيل الشعير تكيال / في جنابه تسطار جراح زيقو
يسير سير الهلهال مع المروت هروال / ينصفق من لشبور عليه ضيقو
والسروج امسيلية والركاب شعال / والطرح في يدين السباغ يمرقو
والجباير جلد انمورة بياض وكحال / على ذراع العود اليسار يطلقو
اهل السلاق الولاع ايضاورو الجفال / ايقسمو لرياح على الريم يطلقو
كل واحد قربص معزة انتاعت اغزال / حالف الجار عليها ما يشوقو
دونهم مرت امنيل و الغمام يكحال / ينشفو خيل وخيل اخرين يعرفو
في كلام احمد لخضرما يجيب ميثال / كيف عسل النحلة للناس ضوقو

شاب راسي يا زاوي وين نلحقو

توفي في **07/15/ 1870** م بـ " وَزْدَاتْ " جنوب عين بني مطهر(تبعد عنها بـ**60** كلم) عن سن تناهز التسعين سنة، ولا يزال موضع وفاته مزارا معروفا يطلق عليه إسم "خلوة سيدي الشيخ"، ومنها حُمل جثمانه إلى فكيك حيث دفن بوصية منه في قبة جده الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي، بقصر السهلي(آجدل) شرق فكيك، وقبره معروف في الركن الشرقي الشمالي داخل القبة.



زاوية وضريح سيدي عبد القادر بن محمد السماحي
بقصر السهلي شرق الحمام الفوقاني بفجيج.
حيث دفن الشيخ بن الطيب بعد نقله من وزدات بوصية منه.



قبر الشيخ بن الطيب
داخل ضريح سيدي عبد القادر بن محمد السماحي
بقصر السهلي شرق فجيج.

في سنة 1898م عند وصول الشيخ بوعمامة بن العربي إلى فكيك قادما من الصحراء الشرقية بعد الضغوط التي مارسها عليه الجيش الفرنسي، وجد قبة الشيخ عبد القادر السماحي[292] مترهلة، لا تليق بمقام سيدي الشيخ وشهرته، فقرر إعادة بنائها وهيأ لذلك قافلة جلب بها من تلمسان مواد الزينة، من جبس ورخام وبناها في حلة جديدة لا زالت عليها إلى الآن.

مما سمعته مشافهة من الحاج أبي حفص بن علال(حفيد الشيخ بن الطيب) وهو يروي لي عن المسمى الزاوي[293] بن بوعلام بن إسماعيل البودواوي، وهو شخصية معروفة ، كان مع الشيخ أبي عمامة على رأس ذويه من المجاهدين أولاد بودواية، وبعد وفاة بوعمامة التحق بعلال بن الشيخ بن الطيب، فكان بجانبه حتى وفاة هذا الأخير سنة **1922م** وهو من الأخيار الذين يُعتد بكلامهم، ويُعترف بمكانتهم. يقول الزاوي بن بوعلام بن اسماعيل:" لما شرع سيدي بوعمامة في إعادة بناء القبة ووصل العمال الى أساسها، حفروا قبر سيدي الشيخ بن الطيب قصد تجديده ، ولما وصلوا الى الجثة وجدوها كأن صاحبها نائما لم يتغير فيه شيء، وقد مر على دفنها ثمان وعشرون سنة (**1870- 1898م**)، فأخبروا سيدي بوعمامة بذلك فأقبل عليهم، ولما رأى هذه الكرامة ألقى عليه ردائه (برنسه) وأبعد عنه الناس. وكنتُ خلف سيدي بوعمامة عندما كان يغطيه بردائه، فأدخلت يدي تحت الرداء ولمست ساق سيدي الشيخ بن الطيب فوجدتها عادية كأن صاحبها حي" ويضيف : " سمعت سيدي بوعمامة يقول : رحمك الله يا سيدي الشيخ بن الطيب، وقد عفوت عما اقترفه أبناؤك في حقي". وكان الشيخ بوعمامة يشير إلى خلاف كاد يكون عنيفا، بينه وبين سليمان بن قدور (ابن أخي الشيخ بن الطيب) حول زعامة أولاد سيدي الشيخ، ومقاومة الإحتلال الفرنسي، في وادي الناموس جنوب بني ونيف.

تزوج الشيخ بن الطيب عدة نسوة من بينهن ذهيبة بنت النعيمي، وهي عمة حمزة بن بوبكر(زعيم الشراڤة) وكان هذا الزواج محاولة لرأب الصدع الذي كان يعاني منه زعماء الشراڤة والغرابة، والذي كان وراء عدة اصطدامات دامية بينهما.

أنجبت ذهيبة ثلاثة أولاد هم الشهداء الثلاثة: مولى الفرعة، الحاج العربي وسليمان، ويشاء الله أن يكون هذان الأخيران هما ضحيتي هذا التقارب، فيكون استشهادهما على يد ابن خالهم قدور بن حمزة زعيم الشراڤة في معركة خاسرة بكل المقاييس، إذ كانت في صالح الإستعمار الذي كان يتربص الدوائر بهما جميعا، فتناحرا نيابة عنه. وأما الأول من أبنائها - وهو مولى الفرعة - فاستشهد في معركة ڨروز في مواجهة القوات الفرنسية .

---

[292] انظر سبب وجود قبتان لسيدي الشيخ، واحدة بالأبيض والثانية بفجيج، في الفصل الأول ص71.

[293] كان ثالث ثلاثة من أعيان أولاد سيدي الشيخ الذين شهدوا ووقعوا على اتفاقية 1904 بين قبيلة بني مطهر والسلطات الفرنسية التي بموجبها استقرت أول حامية عسكرية بعين بني مطهر (برڨنت) أنظر الوثيقة ص 400.

عُرفت ذهيبة بالصلاح، وتسُوق الرواية الشفوية إحدى كراماتها:" ذات يوم زار عبد الله بن الكبيرأحد زعماء فرقة أولاد أحمد، إحدى فروع قبيلة بني كَيل، زاويةَسيدي الشيخ بن الطيب، فلم يجده بها، فاستقبله خَدَمُ الزاوية، ولما استقربه الجلوس، وعلم بغياب سيدي الشيخ بن الطيب، بعث إلى لالة ذهيبة، قائلا: إعلمي سيدتي أني رجل ذو مال كثير، وذو منصب عال في قومي، ولكن ليس لي عقب إلى الآن، وأعرف صلاح ومقام سيدي الشيخ بن الطيب، وقد قصدته كي يدعو الله لي أن يرزقني خلفا، وحيث أنه غائب، فأرجوك أن تدعويين الله لي كي يحقق طلبي." فبعثت له بجوابها قائلة: سيرزقك الله ولدا، ولكن أشترط عليك أن تسميه باسمي:**"ذهيبة"** وكان الأمر بإذن الله كذلك، فازدان فراشه بولد أسماه ذهيبة وبارك الله فيه فكان من خيرة الرجال، ولا يزال هذا الإسم متداولا في ذريته، كما لا يزال البعض من الرجال في قبيلة أولاد أحمد بن عبد الله ـ من غير ذريته ـ يحملون هذا الإسم إلى الآن" .

بعد استشهاد ولديْها، بقيت ذهيبة في كفالة حفيدها الطيب بالحاج العربي وعندما تعرض أولاد سيدي الشيخ الغرابة للتهجيرالقسري- بعد أن أرّقوا مضجع الإحتلال الفرنسي وتأكد لديه أن مع وجودهم لا يستطيع بسط نفوذه ولا تحقيق أحلامه ـ وبعد الضغوط التي مارسها الإحتلال الفرنسي على السلطان مولاي الحسن تقررإبعاد أولاد سيدي الشيخ الغرابة الى مراكش سنة **1876** م، ونظرا لاستحالة الرحلة وبُعد المسافة بين الظهراء ومراكش اتفق الطرفان على نقلهم بحرا بباخرة من وهران وأخرى من سطيف على البحرالأبيض المتوسط إلى آسفي على البحرالمحيط الأطلسي ومن ثم وصلوا برا إلى السويهلة ناحية مراكش. وهكذا غادرت ذهيبة مراتع صباها وشبابها، ومدارج كهولتها صحبة أهلها الى ناحية مراكش[294] حيث قضت بقية عمرها في العبادة والنسك ولما توفيت دُفنت بضريح الولي الصالح الشهير مولاي إبراهيم، تغمدها الله برحمته.

كان حفيدها النعيمي ـ من إبنها الحاج العربي ـ يحمل إسم أبيها النعيمى بن أبي بكر- زعيم الشراقة ـ ومن حفيدها هذا تتكون ذريتها الكائنة بسايس وفاس ومكناس والتي تحمل إسم **"النعيمي"** كلقب لها.

خلف الشيخ بن الطيب خمسة أولاد وست بنات :

ـ الأولاد:

من زوجته ذهيبة بنت النعيمي آل الحاج بحوص:

-1- الحاج العربي .

ـ 2- سليمان .

ـ 3- مولى الفرعة .

من زوجته مبروكة بنت بن زيان، آل بودواية:

---

[294] ورد ذكر إسمها في لائحة المهَجّرين من ميناء وهران في طريقهم إلى أسفى للوصول بهم إلى السويهلة ناحية مراكش أنظر: Muchaux Bellaire,Archives Marocaines p.342

- 4 – معمر.
- 5 – عـلال
- البنات:
-1 – غنية تزوجها العربي من آل الحاج بن الشيخ.
- 2 – ڤوتة تزوجها بوبكربن بحوص بن الطيب(من المُهَجّرين إلى مراكش)
- 3 – الطايعة تزوجها سليمان بن قدور(من المهجرين إلى مراكش)
- 4 – الشايعة تزوجها المعراج بن قدور(يعرف بها مكان دفنها وهو رأس كدية شرق حبارة بالحدود المغربية الجزائرية، ناحية عين بني مطهر)
- 5 – خيرة تزوجها سليمان بن قدور (من المُهَجرين إلى مراكش)
-6 – الباتول تزوجها الشيخ بن محمد بن الطيب ثم بعد وفاته تزوجها لعلى بن لمقلش آل بودواية.



قرية الشلالة الظهرانية القديمة حيث دار الشيخ بن الطيب التي هجرها بعد إعلان ثورته.
والشلالة قرية من جملة القرى التي اقتطعها الاحتلال الفرنسي من تراب الإيالة المغربية،
وألحقها بتراب الإيالة الجزائرية، وهجّر منها أهلها من أولادسيدي الشيخ الغرابة،
وعلى رأسهم الشيخ بن الطيب الذي كان يمثل خليفة السلطان بالجهة الشرقية الجنوبية.
(la photo: site/ Chellala Dahrania)



رسالة السلطان مولاي عبدد الرحمان بن هشام إلى عامله على العرائش، حول أراضي أولاد سيدي الشيخ الغرابة التي أقتطعها الإحتلال الفرنسي وألحقها بالأراضي الجزائرية وقدوم أولاد سيدي الشيخ الغرابة للإحتجاج على ذلك.



رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى عامله على العرائش، حول أراضي أولاد سيد الشيخ الغرابة، المنزوعة منهم من طرف الإحتلال الفرنسي، والملحقة بالجزائر ومناورات الإحتلال، و طموحه إلى احتلال فجيج.



رسالة الشيخ بن الطيب إلى الحاجب الملكي العربي بن المختار يشعره بقدومه إلى حضرة السلطان.



شهادة عن الدور الذي قام به الشيخ ين الطيب في الصلح بين أهل قصور فجيج الذين كانوا يختلفون حول الماء، عندما كان خليفة للسلطان على المناطق الجنوبية الشرقية.

الشيخ بن الطيب ونشاطه الجهادي والسياسي

سبق الحديث بإسهاب عن الصراع المسلح الذي توَاجَهَ فيه الغرابة والشراقة طيلة قرن من الزمن (**1766-1872م**) وكانوا رغم ذلك، ينعمون بفترات السلم والتسامح التي تطول وتقصر حسب الأحوال والظروف. واستمرت- إلى ما قبل احتلال الجزائر 1830م - حالةُ السلم التي أرساها الغرابة (بزعامة الشيخ بن الطيب) والشراقة (بزعامة أبي بكر بن النعيمي) "اللذان كانا يقتسمان النفوذ على القبائل من ورقلة إلى فجيج"[295] ومحاولة منهما لترسيخ السلم فقد تصاهر الغرابة مع الشراقة إلا أن العداوة لم تلبث أن برزت بينهما من جديد واستمر الصراع أربع سنين، حيث أغار زعيم الغرابة على الشراقة بالمكان المسمى الشريعة، ورد زعيم الشراقة بالهجوم على الغرابة بتاندرارة، إلا أنه عاد خاسرا منكسرا، وفي **1833م** انتهى الصراع بانتصار حاسم حققه الشيخ بن الطيب على أبي بكر قرب جبل سيدي العابد"[296] (يبعد بـ 40 كلم شرق عين بني مطهر).

ثم ما لبثت المياه أن عادت إلى مجاريها، وحصل التقارب والتواصل اللذان كانا يبدوان بعيدي المنال، وكان لرايات الجيوش الفرنسية الغازية اللائحة في الأفق دور بارز في لمّ الشتات ورصّ الصفوف، وتوفي بوبكر زعيم الشراقة حوالي **1835م** وخلفه ابنه حمزة بصفته زعيما للشراقة وشيخا للزاوية الشيخية الشرقية.

عندما دعا الأمير عبد القادر أولاد سيدي الشيخ إلى المشاركة في الجهاد سنة**1836م** لبى الشراقة والغرابة النداء مجتمِعَيْن متحِدَيْن، وشاركا في الحصار الذي ضربه الأمير على عين ماضي، كان يرأس الغرابة - في هذه الحملة - قدور بن الطيب (أخو الشيخ بن الطيب) ويرأس الشراقة جلول بن محمد بن حمزة (ابن عم حمزة بن بوبكر)[297]

كان حصارعين ماضي موجها ضد الزاوية التجانية التي كانت مُتـّهَمَة بموالاة الإحتلال، ولم يحضر زعيما الزاوية الشيخية بشخصيْهما وأنابا عنهما ذويهما، لتـَجَنـّب الدخول في صراع طـُرُقي، ولأن حضورهما يضفي الشرعية على المواجهة بين التجانية والشيخية، وليس في مصلحة شيخي الطريقة الشيخية فتح مواجهة من هذا النوع، وإنما كان قصدهما جهاد الإحتلال الأجنبي عندما استجابا للأميرعبد القادر الذي كان له رأي آخر. وهذه هفوة من الهفوات التي كانت تؤخذ على الأمير الجزائري والتي أفقدته الكثير من الأتباع .

من المعلوم أن جحافل الخبراء الأوروبيين في التاريخ والجغرافية وتخصصات أخرى[298] قد جابت المناطق المغاربية جيئة وذهابا منذ بداية القرن التاسع عشر،

---

[295] DPSENOA, p.200.
[296] Si Hamza BOUBAKEUR, Un soufi Sidi Cheikh, p.273.
[297] Ibid, p.143.
[298] Charles de FOUCAULT,Leon ROCHE, Gerhards ROHLFS ,Charles SOLLER, ..etc

وعرفت مداخلها ومخارجها، ومكامن قوتها وضعفها، فلا يُعقل أن قوات الإحتلال الفرنسية جلست إلى طاولة المفاوضات مع المغرب في معاهدة لالة مغنية وهي تجهل أولاد سيدي الشيخ، وتاريخهم ومدى نفوذهم، وخلافاتهم وصراعاتهم، ودورهم الديني والسياسي في المنطقة.

يقول البند الرابع من معاهدة لالة مغنية:

إن أرض الصحراء لا أحد فيها بين الجانبين لكونها لا تُحرث وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتنتفع بخصبها وماءها، ولكلا السلطتين التصرف في رعيته بما شاء من غير معارض إن امتازت، وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة اختلاطهما برعية غيره فيكف عن غير رعيته، ويحدث في رعيته ما شاء، **فالأعراب الغربية (أي المغربية) هما المهاية وبني قيل وأولاد سيدي الشيخ الغرابة وعمور الصحراء وحميان الجنبة، والأعراب الشرقية(أي الجزائرية) هم أولاد سيدي الشيخ الشراقة وكافة حميان من غير حميان الجنبة.**

ويقول البند الخامس :

في تعيين قصور إيالة المملكتين في الصحراء، فعلى المَلِكَيْن إتباع الطريق السابقة وتوقير أهل هذه القصور، رعيا لجانب المقامين، **أما قصور فجيج وييش فلعمالة المغرب، وأما العين الصفراء وسفيسفة وعسلة وتيوت والشلالة والأبيض وبوسمغون فللعمالة الشرقية(أي الجزائر).**

فما هي الدوافع والأهداف التي كانت وراء هذين البندين ؟

1- ما يتعلق بأولاد سيدي الشيخ الشراقة:

* الاستفراد بهم وفصلهم نهائيا عن الوحدة مع الغرابة لإضعاف الجميع.

* وبناء على مغربية أولاد سيدي الشيخ الغرابة التي أكدتها المعاهدة، فقد تم تعيين الشيخ بن الطيب خليفة للسلطان على المناطق الجنوبية الشرقية (يناير 1849م)، وكان هذا النبأ مقلقا للسلطات الفرنسية، إذ أحدث بلبلة بين القبائل ذات الأصول المغربية، التي رأت فيه خلاصا من نير الإحتلال، مما جعل القوات الفرنسية تهب إلى احتواء الحدث وما ترتب عنه، إلا أنها - سرعان- ما عرفت كيف تستغل هذا التعيين لصالحها، إذ أغرت حمزة بن بوبكر، زعيم الشراقة، بلقب خليفة أولاد سيدي الشيخ، لاستمالته إليها، وهو لقب مستحدث لم يكن معروفا بين أولاد سيدي الشيخ، وإنما نحتته سلطة الإحتلال على غرارمنصب خليفة السلطان[299] وهي تعرف - مسبقا - أن حمزة لن يرفض قبول هذا المنصب المهم، لاستحكام التنافس الحاد بين الشراقة والغرابة، وعُمق الصراع التقليدي بينهما على الزعامة وإثبات التفوق، خصوصا عندما حظي غريمه الشيخ بن الطيب بشرف تقلد هذا المنصب السامي، وهكذا سَهُل على

[299] كان هذا اللقب معروفا ومتداولا في المملكة المغربية، وكان يحمله في الغالب الأمراء وأقارب السلطان، وتقلده غيرهم في حالات قليلة، كالشيخ ماء العينين، والمدني الكَلاوي.

الفرنسيين احتلال الجنوب بواسطة حمزة، عندما عُين خليفة لأولاد سيدي الشيخ في 1850/8/15 م.

2- ما يتعلق بأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

* تأكيد الإنقسام بين الغرابة والشراقة ورفعه من طابعه القبلي إلى مستواه الوطني لإضعافهم والإجهاز عليهم.

* فصلهم عن قاعدتهم القبلية (حميان، الطرافي، العمور، وسكان القصور والواحات) ومن هذه القبائل كانت تتكون عناصر جيوشهم في حروبهم السابقة واللاحقة.

* إضعافهم ماديا :

- سلبهم أراضيهم ودورهم و ضيعاتهم و مجالهم الرعوي.

- إبعادهم عن مريدي وأتباع زاويتهم الشيخية الغربية، وهم دعامتهم المادية والمعنوية، وقد بلغوا بهذه القاعدة أوج القوة، وانتشار الصيت.

3- ما يتعلق بالمخزن المغربي:

كان الوضع الجديد الذي تمخضت عنه المعاهدة كارثيا على أولاد سيدي الشيخ الغرابة، الذين تثْبت المعاهدة مغربيتهم، وتسلبهم في الوقت ذاته أرضهم وديارهم، وكان منطقيا وواجبا أخلاقيا ودينيا أن يدافعوا عن أرضهم، إلا أن المخزن المغربي الذي لم يكن له جيش نظامي يستطيع به مواجهة الجيوش الفرنسية والذي كانت تمنعه معاهدة لالة مغنية ومعاهدة طنجة من مد يد المساعدة لأية مقاومة للإحتلال[300] وجد نفسه محرجا أمام مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة، فاضطر- تحت ضغوط المعاهدات - أن يعمل على شل هذه مقاومة، وأن يضرب على أيدي زعماء المقاومة بشتى الملاحقات، وأن يرضخ مرغما للسلطات الفرنسية :

- فيسمح لقوات الإحتلال بملاحقة المقاومين داخل التراب المغربي، كحملة موتوبان(**le general Montauban**) 1852 م ، وحملة مارتامبري (**Le general De Martimprey**) **1859**م وحملة ويمفن (**le general de Wempfen**) **1870** م .

- ويستجيب لطلب التعويض عن الخسائر التي يتسبب في إحداثها المقاومون كمعركة عنق الجمل في 1881م وما ترتب عنها من خلافات دبلوماسية لعدة سنوات.

أصبح المغرب مضطرا للتنازلات المتتالية التي بدأت بالتنازل عن أراضي أولاد سيدي الشيخ الغرابة (بوسمغون، الشلالة، تيوت، الأبيض... في 1845م) وانتهت بمعاهدة الحماية (1912م) مرورا باحتلال توات، تيديكلت والساورة بين1899 و 1902 .

في 4 أبريل 1845م (أي بعد أقل من شهر من إبرام معاهدة لالة مغنية) انطلق الجنرال جيري **Le General Gery** من مركز قيادته بـ "أمعسكر" بجيش قوامه ثلاث فرق مكونة من **2000** من المشاة و150 من الفرسان، فوصل اسْتِيتن في 1845/4/24م حيث استسلمت له قبائل دراقة، عكرمة، وأولاد عبد الكريم حفاظا على قراهم حتى لا يخربها الجيش الفرنسي الذي اكتسب سمعة مشينة في التل الشمالي.

---

[300] العربي بولنوار، معاهدة لالة مغنية ، ص209 .

ثم وصل هذا الجيش إلى الغاسول وبريزينة - وهي قرى أولاد سيدي الشيخ الشراقة - ففجر أسوارها وخرب دورها وقصورها ونهب مدخراتها. وكان اتباع الشيخ حمزة بن بوبكر- الذي كان موجودا يومئذ بمتليلي - قد ضربوا موعدا مع الغرابة لمواجهة العدو معا، إلا أن قدوم العدو مبكرا حال دون لقائهما في الموعد المضروب. وقد سبق لزعيمي الغرابة والشراقة أن اتفقا على نبذ الخلاف بينهما، وسَعَيا إلى وحدة الصف في مواجهة الخطر الداهم[301].

" في 2 ماي 1845م وصل جيش الإحتلال إلى الشريعة (11 كلم شمال عين قطار) ووجد نفسه في مواجهة سيدي الشيخ بن الطيب على رأس جيش تعـداده 500 فارس و 450 راجل يتكون من أولاد زياد، رزاينة، دراقة، زڤدو(ذوي منيع، أولاد جرير، بني ڤيل)[302].

كانت أول معركة يشنها المغاربة في الجنوب الشرقي - بزعامة سيدي الشيخ بن الطيب - تعبيرا عن رفضهم المبكر لمعاهدة لالة مغنية، كما كان هذا الزعيم " أول من تبنى محاولة التصدي للمد الفرنسي نحو منطقة الجنوب الشرقي من بين زعامات أولاد سيدي الشيخ"[303] مفتتحا بذلك ثورتهم التي دامت أكثر من نصف قرن، وعرفت عدة زعماء.

ونقرأ تقرير السلطات العسكرية الفرنسية عن المعركة التي قادها الشيخ بن الطيب في قولهم الآتي:"إن مسلحوا قبيلة أولاد سيدي الشيخ واجهونا في البداية بشجاعة شتت جموعنا، لولا قوة نيراننا وصمودنا لأرغمونا على التقهقر" ثم يختم الكاتب تقريره، بما يختمون به غالبا تقاريرهم أي بوصف هزيمة أولاد سيدي الشيخ، ولا نملك مع الأسف مصدرا آخر يصف لنا كيف انتهت المعركة من وجهة نظر أخرى، وعدد القتلى والجرحى في الجانبين.[304]

بعد مواجهة الشيخ بن الطيب لحملة الجنرال جيري، ثم بعد إطِّلاع أولاد سيدي الشيخ على معاهدة لالة مغنية، وتأكدهم من إجحافها بحقوقهم، إتفق الغرابة والشراقة على إرسال وفد إلى فاس لمقابلة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وذلك في خريف 1845 للإحتجاج على بنود المعاهدة التي تمس وحدتهم وتسلبهم أرضهم، ولإطلاع السلطان على آخر الأحداث[305].

كان الوفد يتركب من :

"- سيدي قدور بن الطيب(أخو الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة).

- سيدي جلول بن محمد(إبن عم حمزة بن بوبكر زعيم الشراقة).

---

[301] DPSENOA,p.792.
[302] Ibid, p.792.
[303] أحمد مزيان، فجيج ، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي، القرن التاسع عشر، ص485.
[304] DPSENOA, p.793.
[305] ibid , p.792.

- سيدي بوعلام بن محمد(آل بودواية من الغرابة)"[306]

تخبرنا رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى عامله بوسلهام بن علي عن هذا الموضوع بما يلي :

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي.

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فاعلم أنّا ما كنا أخرنا إمضاء رسم حدود وجدة ونواحيها إلا بقصد التثبت بسؤال أهل البلدان من إيالتنا واستقصاء أحوالهم، وقد ورد علينا أولاد سيدي الشيخ المحسوبون من إيالتنا وسألوا عن رسم الحدود، فلما سرد عليهم وجدوا فيه تناقضا وهو أنهم ذكروا أولاد سيدي الشيخ الغرابة وخدامهم الجنبة من جملة إيالتنا السعيدة ولهم قصور هي ملكهم وبها أصولهم وأجنتهم ومحل خزن أمتعتهم، وأضافوها لإيالة الترك وهي الأبيض والشلالات وبوصمغون، فكيف تكون القبائل من إيالتنا وقصورهم وأملاكهم من إيالة الترك، هذا مما يوجب الشنآن وترديد الكلام، وكذلك تيوت حسبوه من الإيالة الشرقية وهو معروف عند الخاص والعام من إيالتنا، ولا زال به أبناء عمنا الأقارب قاطنون إلى الآن .

فبوصول كتابنا هذا إليك كلمهم في هذه البلاد أن يسلموها، فإن من أشار عليهم أنها من إيالة الترك إنما مراده بذلك التكدير وجلب التشغيب والشنآن بيننا وبينهم. وهم يدعون المحبة وما يثبتها. وبقاء هذا الأمر على هذا الوجه يؤذن بضد ذلك. ونحن نريد سد باب المماحكة رأسا وترك ما يوجب الخلاف. والسلام

في 4 رمضان المعظم عام 1261هـ[307].

" لما وصلت إلى عامل العرائش الرسالة السلطانية (السابقة الذكر) المتعلقة بإلحاق الفرنسيين لقرى البيّض وشلالة وبوسمغون وتيوت بالإيالة الجزائرية مع أنها قرى مغربية اجتمع بالسيد " دو شاسطو" قنصل فرنسا العام بطنجة والسيد ليون روش الترجمان العسكري الملحق بالقنصلية الفرنسية العامة وتحدث إليهما في الموضوع، فطلبا منه مهلة ليخبرا حكومتهما ويتحريا في الموضوع الذي أثاره السلطان، بحيث إن وقع التعدي على حقوق المغرب يُرجع عنه في الحين، وكتب العامل إلى السلطان يخبره بخلاصة المذاكرة، وهاهو السلطان يعيد الكتب على العامل يحذره من الثقة بما يقوله الديبلوماسيان الفرنسيان، لأن فرنسا على لسان أحزابها وصحافتها لم تكن تخفي نياتها التوسعية، بل كان التهديد باحتلالها لقرى (قصور) فجيج من الأمور التي تتكرر

[306] Ibid, p.792.

[307] عبد الوهاب ين منصور، الوثائق من إصدار مديرية الوثائق الملكية ،الجزء الثاني ص 71.

يومئذ باستمرار على ألسنة مسؤوليها الحكوميين وقادتها العسكريين وزعمائها السياسيين."[308]

ويقول رد السلطان مولاي عبد الرحمان على رسالة عامله:

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، وصلنا كتابك مخبرا بمشافهتك قونص الفرنصيص واليون بن الروش بما أمرناك به في شأن الحدود وإطلاعك لهما على نسخة ما أدخل في إيالة الجزائر منها فرد القنص الأمر لأليون لكونه باشر ذلك نيابة عن دلارو الذي تركه خليفة عنه، وأجاب اليون بأنه يستثبت الأمر ويحققه بالكتابة ويطلعك على ما يجاب به لتطلع علمنا الشريف به، بحيث إن وقع غلط في ذاك يرجع من حينه وقد ظهر لنا باختبار حالهم أنهم لا غبطة عندهم في شيء من ذلك ولا إرادة لهم في تكثير الكلام فيه وأن غرضهم التحبب لجنابنا العالي بالله والميل إليه وارتكاب ما يدركون به خاطرنا ورضانا، فأظهر لهم أنت مثل ذلك من غير ثقة بهم ولا استنامة إليهم فإن عدو الدين وإن أظهر ما أظهر من ذلك فإنما هو خداع ومكر ولغرض يظهر فيما يستقبل قال الله سبحانه :ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، وإذا كان الأمر كذلك فما بالهم يتحدثون بغزو فجيج ويرومون تملكه، وهو من إيالتنا فأيقظهم بهذا وشبهه وجد في التخلي عن البلاد التي ذكر أولاد سيدي الشيخ وعدم التعرض لمن هو من إيالتنا أو مد العين إليه والسلام.

في 24رمضان المعظم 1261ه[309].

قبل انصراف وفد أولاد سيدي الشيخ من حضرة السلطان، رد على أولاد سيدي الشيخ الشراقة بأن أمرهم يرجع إلى السلطة الفرنسية، بصفتها وريث الأتراك، حسب المعاهدة، وإن كانت الكتابات الفرنسية ذكرت- خطأ أو عمدا - أن كلام السلطان هذا كان موجها إلى الفريقين معا[310] أما أولاد سيدي الشيخ الغرابة - كما يتضح من رسائل السلطان - فقد كانت قضيتهم موضوع المراسلات المذكورة أعلاه، وكانت آمالهم كبيرة في إسترداد أراضيهم وممتلكاتهم.

في هذه الأثناء، كان الأميرعبد القادرالجزائري لا يزال يواصل جهاده، ففي سنة **1846** م قدم إلى الشلالة الظهرانية لزيارة الشيخ بن الطيب، بعد ما زارأولاد سيدي الشيخ الشراقة بالأبيض سيدي الشيخ، طالبا دعمهم ومشاركتهم في المقاومة التي كان

---

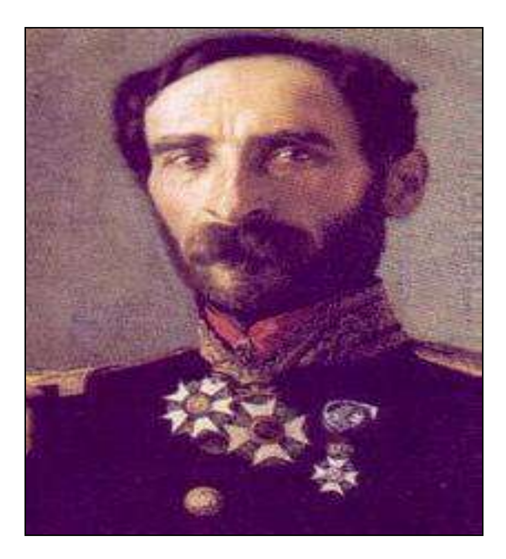
[308]المرجع السابق، الجزء الثاني ص 80.

[309] المرجع السابق 81.

[310] DPSENOA,p. 793.

يتزعمها، إلا أن الشيخ بن الطيب اعتذرله لكونه تابعا للإيالة المغربية التي يأتمر بأمر سلطانها، ولا يمكن أن يقدم على أمر ذي بال دون إستئذانه.
وحسب الرواية الشفوية أن الشيخ بن الطيب خص الأمير باستقبال مشهود، وأولم له بذبح 300 شاة، والعادة أن شاة واحدة تكفي إطعام عشرين شخصا، وعليه فإن جيش الأمير كان يقارب 6000 مقاتل في هذه الزيارة.[311]

بعد انتظار طويل - لا طائل وراءه - لمراجعة بنود المعاهدة التي اقتطعت منهم أرضهم، والتي واعد السلطان بإجراءها، وبعد مشاورات وتنسيق بين الشراقة والغرابة، قرر أولاد سيدي الشيخ الإتصال المباشر بالسلطات الإستعمارية لتحديد وضعهم في النظام الجديد.



الجنرال كافينياك (Cavaignac) **الذي قاد حملة ضد قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة في 21 أبريل 1847**

هكذا التقى في شهر أبريل**1847م**، وفد أولاد سيدي الشيخ - قرب رباوات(شمال الأبيض)- بالجنرال رونو(**Le General Renault**) يمثلهم جلول بن محمد عن الشراقة ومحمد بن الطيب (أخو الشيخ بن الطيب) عن الغرابة، وقدّم الوفد فرسا هدية وعنوانا للإستسلام والطاعة، وأدَّيا الضرائب المستحقة عنهما، واعتذرا عن عدم حضور زعيميْ أولاد سيدي الشيخ قائلين: أن تمثيلهما للزاوية الشيخية لا يسمح لهما بموقف المتزلف للنصارى[312] أحسن الجنرال استقبالهما، وانتهى اللقاء بتعيين محمد بن الطيب

[311] DPSENOA,p. 793.
[312] ibid, p. 794.

(أخي الشيخ بن الطيب) قائدا للغرابة وجلول بن حمزة قائدا للشراقة، محاولة منه لاستدراجهم للإعتراف بالإحتلال.
في صباح 21 أبريل 1847م تناول الجنـرال رونو فطوره بالقصر المسمى"**عسلة** " ثم غادرها.
وفي مساء اليوم ذاته وصلها الجنرال كافينياك (le general Cavaignac) قادما إليها على رأس حملة عسكرية، في إطار محاولة إحتلال الجنوب الوهراني، وقد تعرضت قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى عدة حملات عسكرية قامت بها الجيوش الفرنسية قصد تطويع واستسلام آهاليها لمخطط الاحتلال، والقرى المعنية بالأمر هي الشلالة، بوسمغون، تيوت، أم قرار الفوقانية وأم قرار التحتانية،عسلة...وهكذا بعد عدة حملات استطلاعية، جاءت حملة الجنرال كافينياك التي انطلقت من تلمسان في فاتح أبريل1847 م .
كانت الحملة تتكون من :
4 فيالق من المشاة، فيلقيْن أجنبيين، فرقة الخيالة، الفرق التقنية كالأركيولوجية والمسح التوبوغرافي، وفرق الدعم والفرقة الطبية تحت إشراف الطبيب الجراح فليكس جاكو(وهو مؤلف كتاب حملة كافينياك الذي نحن بصدد أخذ المعلومات منه) وتُرافق هذا الجيش 2000 جمل محملة بالمؤن والعتاد الحربي وحاجيات الحملة.
نقتطف من الكتاب المذكور ما يتعلق بما قامت به الحملة في أم قرار التحتانية ونترك الدكتور فليكس جاكو يروي لنا القصة إبتداء من الصفحة 156 إلى الصفحة 176.
في 27 أبريل 1847م كانت الحملة تخيم قرب تيوت[313]عندما بعث الجنرال كافينياك أربعة مبعوثين منه إلى أهالي أم قرار يحثهم على الإستسلام والدخول في طاعة الإحتلال، إلا أن سكان أم قرار فتكوا بثلاثة من مبعوثي كافينياك ولاذ الرابع بالفرار فأخبر الجنرال بالحادث الذي أثار حفيظته فانطلق للثأر لقتل مبعوثيه .
يقول الدكتور فيليكس جاكو :
" عندما أشرفنا على قصر أم قرار التحتانية قدَّرنا بيوتها بحوالي المائتين(200) مما يرفع عدد سكانها إلى الأف نسمة.
أمر كافينياك بالهجوم على قصر أم قرار التحتانية، وأطلق أيدي جنده لنهب القرية، إثر دخولنا وفي أول الأزقة وجدنا آثار الدماء تلطخ بعض الجدران، وعلى بُعد خطوات عثرنا على جثث مبعوثينا وعليها آثار ضربات السيوف وطعنات الخناجر، وانطلق الجند فظهرت غرائز النهب والحرق والإتلاف الكامنة في نفس الجندي الفرنسي بعد إطلاق العنان له، فكانت دوافعه الإنتقام والنهب بالأخص .

[313] قصر تيوت من قرى الجنوب الوهراني التي اقتطعها الاحتلال الفرنسي من التراب المغربي وألحقها بالجزائر، قرية كان أغلب سكانها من ذرية الأمير مولاي محمد بن عبد الملك بن السلطان مولاي اسماعيل العلوي، وكانت لهؤلاء الشرفاء حظوة زائدة عند الأهالي، وقد لاقوا مضايقات من الاحتلال، إلى أن وقع حادث مقتل أحد أقرباء شيخ زواية بالقرية في 24يناير1881م، فاتهم أحد الشرفاء بمقتله، مما اضطرهم إثر ذلك إلى الهجرة إلى عين بني مطهر. (أنظر تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد الجزء الرابع اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي) .

نظرا للمشاق التي يتحملها الجندي، وإكراهات الطبيعة أرضا وطقسا، بِمَ يعوِّض الجندي هذا الإرهاق؟ وبمَ يتم تحفيزه إذا لم تطلق يده مرات في السلب والنهب؟ ثم من ذا الذي يجرأ على تجريمه بعد ذلك؟ هكذا تسلسلت الأحداث، ولكل حدث دوافع لا يمكن اختيارها ولا التغلب عليها .

عجبا لهذا الجندي الذي كان منذ لحظة هادئا مسالما، كيف انقلب إلى أهوج يتطاير الشرر من عينيه، يتصبب جبينه عرقا، لاهث النفَس، حاملا فأسا يهدم بها الجدر، يقلب كل شيء في طريقه، ثم قد يرى طفلا باكيا أو امرأة خائفة فيعود إليه رشده، وقد يحميهما، ويقتسم معهما طعامه وإن كان قليلا. كم من مرة لاحظت تناقض العواطف في ظرف وجيز.....

تصاعد الغبار ودخان الحرائق حتى بلغ المكان الذي كنت منه أراقب العملية، ونزلتُ فوجدت مجموعة من الجنود وقد عثروا على مطمورة[314] فأخرجوا منها التمر، والشعير والحياك (مفردها حائك نوع من الثياب) والخيام، وآلات النسيج، كما أخرجوا من مطمورة أخرى بيض النعام، والسروج، والبرانس، والبنادق، وكوابيس أي مسدسات منحسة ومفضضة، ومخطوطات، ومجلدات، وأواني مصنوعة من الحلفاء مختلفات الأحجام، وأواني الطبخ، وقدور طينية وأخرى حديدية ونحاسية، وقصعات خشبية، كما وجدوا في إحدى المطمورات زربية رائعة هي الآن تزين قاعة أحد الضباط.

ثم وجدنا خيمة كبيرة جدا من صنع مغربي، من ثوب أبيض يزينها نسيج أزرق، تعلوها عند بنائها كرة نحاسية، تذكرنا هذه الخيمة الأميرية بخيمة الأمير سيدي محمد بن عبدالرحمان التي غنمناها في معركة إسلي، كانت هذه الخيمة لزعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، إحتفظ بها الجنرال كافينياك لإعادتها لصاحبها إذا طالب بها. وبعد عودة الحملة العسكرية إلى منطلقها، بنيت الخيمة بساحة المشور بتلمسان، وذات يوم جاء أحد المطالبين بها، و كان يرتدي هنداما يدل على أنه من علية القوم، يلبس حائكا أبيضا رقيقا يضع فوقه برنوسا أخضرا فضفاضا يتلفع فيه بمهابة لا تخطئها العين، وتنم حركاته المتزنة على علو مكانته، كما أن عمق المعلومات التي تحدث بها مع رزان Razaine رئيس شؤون الأهالي بينت أنه من زعماء أولاد سيدي الشيخ فسلمت له الخيمة فأخذها وانصرف[315].

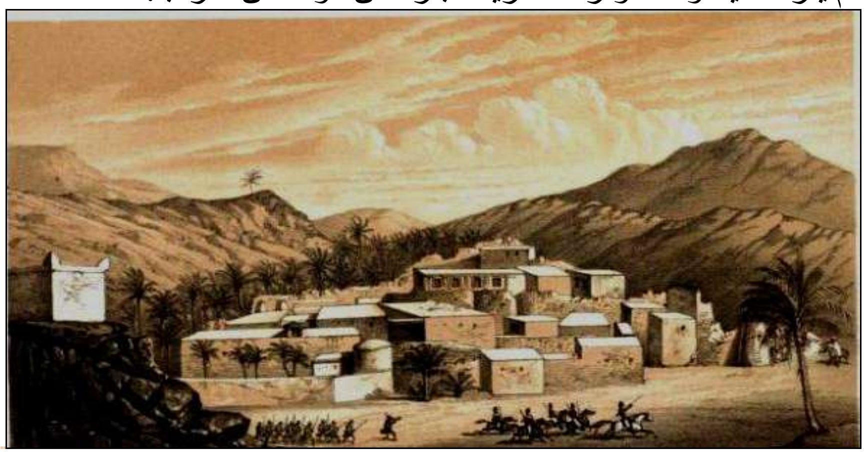
---

[314] المطمورة حفرة تحفر في الأرض يختلف حجمها بين الكبر والصغر، يكون مدخلها ضيقا يتسع لدخول شخص واحد، وفي الأسفل تتسع حسب الحاجة إلى ذلك، وبعد عملية الخزن فيها يطمر بابها ولا تترك إلا العلامة الدالة عليها، وغالبا ما يكون يعرفها الشخص أو الشخصان فقط حفاظا عليها من السرقة، فإذا كانت مجموعة من المطامير سميت مرسا، ويكون على هذا المرس حارسا يسمى مرَّاسا.

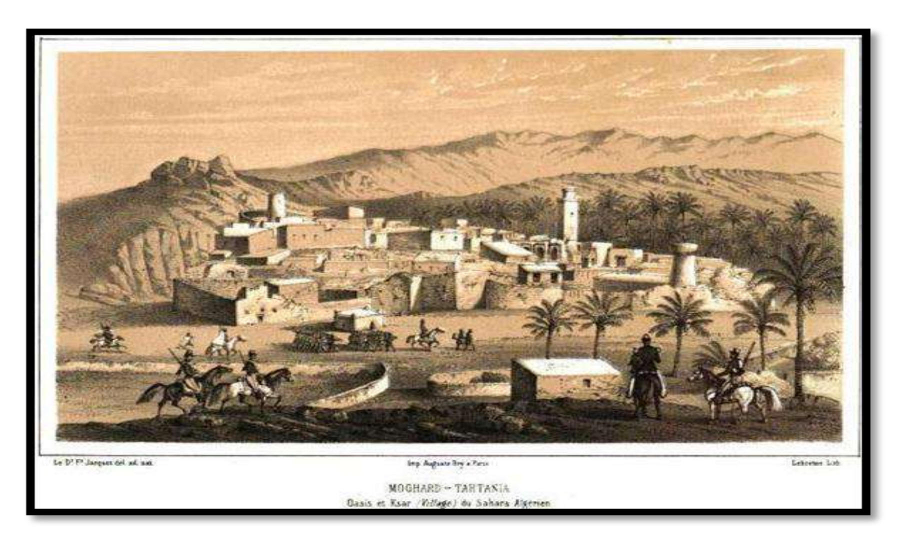
[315] كان الأمر يتعلق بقدور بن الطيب، وهو أخو الشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، والخيمة هي هبة ملكية من السلطان إلى زعيم الغرابة، وكان من عادة السلطان أن يعطي لمن يقلده مسؤولية قيادية خيمةً وكسوةً وطابعاً وظهيراً شريفاً يعينه بموجبه في المهمة المنوطة به، ويحدد له فيه القبيلة أو القبائل التي تكون تحت إمرته، وقد توصل الشيخ بن الطيب بهذه الخيمة بعد تعيينه قائدا للسلطان على المناطق الشرقية الجنوبية قبل 1845 من طرف السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام كما تؤكده الأحداث المذكورة.

بعد الإنتهاء من نهب أم ڨرار التحتانية توجهنا إلى أم ڨرار الفوقانية التي دافع أهلها عنها فسقط منهم ستة عشر قتيلا وقتل من جنودنا إثنان، وجرح منهم أربعة.

يوم 29 أبريل 1847م رجعنا في طريق عودتنا إلى أم ڨرار التحتانية، فأتم الجيش من التخريب ما بدأه يوم 27 أبريل، فقطع ما بقي من النخيل والأشجار المثمرة، وهدم ما لم يهدم، فلم يترك شيئا واقفا، وترك القرية عبارة عن كومة من التراب.



لوحة لأم ڨرار الفوقانية عند دخول جيش الجنرال كافينياك إليها
كما صورها الرسام الذي كان يرافق الحملة العسكرية
(من كتاب الطبيب فيليكس جاكو وهو شاهد عيان)



"أم ڨرار التحتانية" كما صورتها ريشة الفنان الذي كان شاهد عيان، وقد وقف على مشارفها قادة الجيش الفرنسي بزعامة الجنرال كافينياك يوم 27 ابريل 1847م إستعدادا للهجوم عليها حيث سويت بالأرض وأحرق نخلها ولم ينج من أهلها إلا من غادرها قبل الهجوم.
(عن كتاب حملة كافينياك لكاتبه الطبيب فيليكس جاكو)

كان على الشيخ بن الطيب إخبارالمخزن بمجريات الأمور، واستشارته في كيفية معالجتها. وكان له العديد من الأصدقاء في الحاشية الملكية، مما كان يسهل له الوصول الى حضرة السلطان، وفي أواسط سنة **1847**م ذهب ابن الطيب إلى فاس لإطلاع السلطان على المستحدثات، فكتب هذه الرسالة يُشعر فيها حاجب الملك بقدومه جريا على العـــادة المعروفة :

محبنا الفقيه الأكمل الحافظ الأعدل البركة السيد العربي بن المختار[316] عليك ألف سلام ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله أما بعد السؤال عن أحوالك المرضية، أجراها الله على وفق مرادك يليه تعلم أعلمك الله خيرا وعافية أننا قدمنا بهدية سيدنا على خير سالمين غانمين أن شاء الله وغدا الأحد نكون عندك إن شاء الله وقد كنا كتبنا لك في السابق على يد سيدي حميدة وأتانا جوابك ولم يأتينا طابع سيدنا والآن إذا كان شيئا من محبتك وخلاص نيتك في ذرية أبي بكر الصديق يأتينا طابع سيدنا وتتلقانا خيولا خارج المدينة كالعام الأول ولك منا إن شاء الله إلا ما يرضيك دنيا وأخرى والسلام .

في الثالث والعشرين من شعبان1264هـ
طابع دائري به الشيخ بن الطيب البكري وفقه الله

على غرار حملة الجنرال كافينياك، قاد الجنرال ماك ماهون في شهر يونيو 1848م حملة تأديبية ضد قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة وذلك بهدف إستسلامهم أو تهجيرهم عقابا لهم على حمل السلاح ضده[317].

في نوفمبر 1848م - أي بعد زيارته للسلطان - بعث الشيخ بن الطيب وفدا من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، إلى حاكم وهران بالوكالة، الجنرال داربوفيل **(Le General Loyré D'Arbouville)** لإستطلاع الأمر والتباحث حول وضعيتهم الشاذة التي ترتبت عن البندين الرابع والخامس من معاهدة لالة مغنية، فظهر من خلال المحادثات أن أولاد سيدي الشيخ الغرابة كانوا أعرف و أدرى- من الحاكم الفرنسي - بقضية الحدود، وجاء رده غامضا مبهما إلى حد جعلهم يشعرون أن لا سلطة فعلية للفرنسيين

---

[316] كان أبوه المختار بن محمد بن عبد الملك الجامعي صدرا أعظم (وزيرا أول) وكان إبنه العربي بن المختار المعني بالأمر كاتبا في ديوان أبيه، ثم ترقى بعد وفاة أبيه فأصبح صدرا أعظم، في حين كانت أخته فاطمة زوجة للسلطان مولاي الحسن الأول، ثم بعد وفاة العربي بن المختار أصبح ابنه المعطي بن العربي صدرا أعظم سنة 1878، ولكنه أنهى آخر حياته في السجن بعد نجاح المؤامرة التي قادها ضده غريمه أبا احماد بن موسى البخاري، الذي أصبح صدرا أعظم ووصيا على العرش بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، وتولية مولاي عبد العزيز على العرش سنة 1894(مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، ص 171)

[317] DPSENOA, p.200 .

عليهم، واستغل الشيخ بن الطيب هذا التردد الفرنسي ليطمئن إلى استقلالية قراره التي كان ينشدها[318].

(لا بد أن نضع في الحسبان حدثا وقع في هذه الاثناء بالذات، والذي سيطبع السياسة الفرنسية بطابعه، ويجعلها أكثر جشعا وإصرارا على المضي في الاحتلال فقد تم في يوم 11 دجنبر 1848م إعلان الجزائر فرنسية أرضا وشعبا، وأصبح التوسع فرنسيا منذئذ على حساب أراضي الجوار. وأصبحت الجزائر فرنسية بحكم دستور1848 وقسمت إلى ثلاث مقاطعات هي الجزائر، وهران، وعنابة).

من المحتمل جدا أن تكون زيارة وهران - التي تحدثنا عنها أعلاه - من توجيه السلطان لمعرفة الموقف الفرنسي تجاه الغرابة لأن رد فعل الملك مولاي عبد الرحمان يوحي بذلك، إذ بعد هذه الزيارة مباشرة، وعلى ضوءها تم تعيين الشيخ بن الطيب في أوائل يناير 1849 خليفة للسلطان على الجهة الجنوبية الشرقية، وما أن تردد هذا النبأ في وهران ومعسكر، حتى أحس الكولونيل ميسيات(**Le colonnel Maissiat**) حاكم منطقة معسكر بان انعكاساته ستكون وخيمة على وضع القبائل، وسارع فورا إلى قبيلة الطرافي لحملهم على الرحيل إلى الشمال (لعلاقتهم الوطيدة بالشيخ بن الطيب وحتى لا يشاركوا في أية ثورة محتملة أو يعلنوا عن مغربيتهم) غير أن الشيخ بن الطيب كان قد سبقه إليهم، فرفضوا أوامر سلطات الإحتلال والتحقوا بالشيخ بن الطيب الذي أعلن الثورة في يناير1849م وما لبثت أن التحقت به قبيلة الرزاينة[319] كما وجدتها قبيلة العمور مناسبة لإعلان مغربيتها فالتحقت بالشيخ بن الطيب[320].

إنطلقت حملة الكولونيل ميسيات في **1849/01/10** لوقف سريان التمرد، ولكنها لم تنجح في الحد من نفوذ سيدي الشيخ بن الطيب على القبائل، إذ التحقت به قبيلة أولاد عبد الكريم، وقبيلة أولاد زياد التي قتلت قائدها حين حاول التعرض للإنتفاضة، ثم بعد أيام تحركت قبائل حميان الغرابة الذين أرادوا التعبيرعن تمردهم على النصارى بإطلاق النار على نقط مراقبتهم قبل الإلتحاق بالثوار[321] " إن ثورة سيدي الشيخ بن الطيب المفاجئة، كانت مناسبة للجنرال بليسيي (**le generel Pelissier**) حاكم وهران للعودة - بقوته - إلى القصور الجنوبية ومعاقبة كل من رفض الخضوع لسلطة الإستعمار"[322]

[318] DPSENOA, p.795.
[319] Ibid, p.796/797.
[320] Ibid, p.260.
[321] ibid, p.797.
[322] Ibid, p. 414.

عرف الجنرال بليسيه بجرائمه البشعة ضد المدنيين العزل، فقد هاجم في 18 يونيو 1845م قبيلة في نواحي معسكر بالجنوب الجزائري، ولما اختبأ الأهالي خوفا منه في كهف بالمنطقة، أمر بإشعال النار بباب الكهف فاختنق جميع الأهالي صغارا وكبارا نساء ورجالا، مما أثار موجة من الإستياء بأروبا حتى اضطر وزير الحربية الفرنسي إلى الاعتذار عن ذلك .أنظر Wikipedia.Aimable jean jaques Pelissier.

والقصور المستهدفة بحملة التخريب والإبادة الجماعية والتهجير القسري هي قصور أولاد سيدي الشيخ الغرابة "المغاربة" بحكم معاهدة دولية .



الجنرال بليسييLe General Pelissier الذي قاد حملة عسكرية ضد قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة ما بين شهري فبراير ومايو 1849.

"هاجم الجنرال بليسيي قصر تيوت الذي رفض سكانه إستقبال مبعوثيه، وكان هذا القصر مَخْـزَنا رئيسيا لزعيم الغرابة (الشيخ بن الطيب) وقد أخلاه سكانه قبل وصول القوة الغازية، إلا أن بيوته كانت مملوءة قمحا وشعيرا وتمرا وزبيبا، وقد تطلب إفراغها ثلاثة أيام، ثم وزعت بعد نهبها على الجنود ومساعيديهم. بعد ذلك توجه بليسيي إلى أم ڤرار التحتاني وأم ڤرار الفوقاني، وهما قصران أساء سكانهما استقبال مبعوثي الجنرال بليسيي، فتعرضا جراء ذلك للنهب والسلب وسويت بناياتهما مع الأرض، ولم تبق إلا الصوامع والقباب على حالها، وخربت الأجنة وقطع نخلها[323].

ودُعّمَت قوات بليسيي، بقوات ثانية تحت قيادة ماك ماهون(**Le General Mac Mahon**) وثالثة بقيادة مليني(**Le colonnel Mellinet**) واضطر ابن الطيب إلى الإنسحاب إلى نواحي فجيج، حيث وجد الدعم وحسن الإستقبال من طرف قبائل بني ڭيل، ورجعت القوات الفرنسية إلى قواعدها مخلفة وراءها فرقتين للمراقبة بالخيثر والعريشة[324].

إلا أن سلطات الإحتلال زيادة على تفوقها العسكري عدة وعددا، ورغم مهاجماتها لقرى مغربية آمنة، سارعت إلى الإحتجاج لدى السلطان، والضغط عليه لوقف ثورة زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وأمام الضغوط والتهديدات الفرنسية بعث السلطان

[323] DPSENOA, p. 414
[324] ibid,p. 369.

مولاي عبد الرحمان يستدعي الشيخ بن الطيب إلى فاس بذريعة التشاورمعه، وعندما وصل حضرة السلطان ألقي عليه القبض وأودع السجن بعد توبيخه حسب الرواية الفرنسية [325] أما حسب الرواية الشفوية فقد أجبره السلطان على الإقامة بفاس معززا مكرما، إلى أن هدأت العاصفة التي أثارها الفرنسيون. وبعد بضعة أشهرأطلق سراحه مع اشتراط وقف المقاومة، والإبتعاد عن كل ما من شأنه أن يمس بأمن الإحتلال .

بعد عودته - من فاس- إلى مخيمه وجد أن أغلب القبائل الموالية له عاودت الإستسلام للإحتلال، وآخرهن قبيلة حميان التي عادت إلى أراضيها وأعلنت خضوعها للسلطة الفرنسية في نهاية سنة **1849**م. [326]

" في شهر غشت سنة **1850** م لجأ سيدي الشيخ بن الطيب إلى رأس عين بني مطهر، وتخلى عنه أغلب أتباعه ولم تبق معه إلا فرقة من أولاد زياد، وكان عليه أن يدافع عن نفسه من تهديدات بني بوزڨو في الغرب، والبرابر في الجنوب وحميان في الشرق، ونظرا للحصار المضروب عليه من طرف القبائل المغربية، ونظرا لضيق المراعي وقحطها، فقد نفقت مواشيه جوعا، كما أن القافلة التي وجهها إلى تازة لإكتيال الحبوب عادت بعد شهرين ليس على ظهور إبلها إلا بعض الحمولات القليلة، إذ انفق القيّمون عليها ما كان مرصودا لشراء المؤن على شراء الذمم وأمن الطريق وتسهيل المرور بين قبائل في حالة غليان"[327].

ماذا نستخلص من هذه الهزة التي أحدثها الشيخ بن الطيب في الجنوب الشرقي؟ وما هي عواقبها عليه؟

رغم صدق وطنية أولاد سيدي الشيخ الغرابة، فإن أمر المقاومة وبدايتها ونهايتها يبقى بيد السلطان الشرعي، إذ هو المسؤول عن حمى الوطن والدين، وهو المخول له الموازنة بين المصالح العامة والخاصة واختيار الأنسب منهما، وبيعته تقتضي طاعته في المنشط والمكره، وكل مبادرة فردية خارج هذا الإطار تعتبر شقا لعصا الطاعة، وتستوجب العقاب، بيد أن الجهاد يصبح فرض عين على الجميع ولا يتطلب إذنا في حالة مباغتة العدو للمسلمين، كما وقع عدة مرات لقرى أولاد سيدي الشيخ، ولا يمكن أن يكون زعيم الغرابة غافلا عن هذه المباديء الشرعية، ولذلك فالمؤكد حسب معطيات الأحداث، أن مقاومة الشيخ بن الطيب كانت بأمر وإذن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، الذي وجد في زعيم الغرابة الرغبة والإستعداد، وما يزيد هذا الرأي تأكيدا هو أن السلطان عيّنه - بعد أربع سنوات من اندلاع المقاومة - في أرقى منصب في الدولة ألا وهو خليفة السلطان على منطقة هي أصعب المناطق المغربية إذاك، وفي فترة هي أحلك الفترات حينئذ، وكانت أربع سنوات من المقاومة - قبل

[325] DPSENOA, p.798. et voir Michaux-bellaire,p.366.
[326] ibid, p.798.
[327] ibid, 798.

تعيينه - كافية لمعرفة مدى وطنية وإخلاص هذا الشخص لكي يكافأ هذه المكافأة السَّنِية السامية.
ثم أراد السلطان - بتعيينه خليفة له في الجنوب الشرقي- خلق التوازن في علاقته مع الإحتلال، بعد الهزيمة العسكرية (إيسلي**1845**) والهزيمة الدبلوماسية (معاهدة لالة مغنية)، ومحاولة منه وقف التهافت الفرنسي على الإستلاء على المناطق الجنوبية كفجيج وتوات وتديكلت وما جاورها، وليثير انتباه الفرنسين إلى وجود النفوذ المغربي الرسمي في الجنوب الشرقي.
إلا أنه بعد الإحتجاج الفرنسي على هذه الثورة وتذكير المغرب بالبند الثالث من معاهدة طنجة والذي ينص على منع السلطات المغربية من مد العون بالمساندة أو السلاح أو الدعم لأي متمرد أو عدو للسلطات الفرنسية[328] بعث السلطان مولاي عبد الرحمان إلى قبائل الجنوب الشرقي وإلى قصور فجيج يخبرهم بعزل الشيخ بن الطيب عن منصبه كخليفة للسلطان. وما أن سمعت قبائل الطرافي وحميان بنبأ عزل الشيخ الطيب، حتى تبلبل أمرها، وانقسمت على نفسها، إذ بقي نصف الطرافي بقيادة الحاج بوتخيل مع الغرابة، وانفصل النصف الثاني بقيادة الحاج بنعبد الله فرجع إلى البيّض ودخل في طاعة الإحتلال[329].
اضطر السلطان - تحت الضغوط الفرنسية - إلى استدعاء الشيخ بن الطيب وحجزه عدة شهور بفاس، وبعد إطلاق سراحه، والتحاقه بذويه، وجد القبائل التابعة له قد تفرقت عنه، وتنكرت له، ووجد القبائل المغربية المجاورة له تناصبه العداء وتتهدده وتعرضت قافلته لقطع الطريق عنها، وهو ما يفسر تحريض المخزن عليه، وإغراء القبائل به للتضييق عليه، واحتوائه، حتى ينصاع للشروط التي فرضت عليه في فاس والتي كانت من إملاء السلطات الفرنسية، كما أن هذه الأخيرة لم تأل جهدا في استمالة أتباعه إليها، وإقناعهم بالرجوع إلى أوطانهم، مُقارِنة بين ما وصل إليه الشيخ بن الطيب من ذل وهوان وخوف ونقص في الأنفس والثمرات، وما فيه القبائل الموالية لها من الرفاهية والأمن والعز، وسعة المجالات الرعوية[330].
أدت الحالة المزرية ماديا ومعنويا بـ"الغرابة" إلى مراسلة حاكم وهران بواسطة قدور بن الطيب(أخي الشيخ بن الطيب) معلنا عن قدومه للتفاوض معه، وعند وصوله إلى تلمسان اشترط إعطاء أخيه الشيخ بن الطيب منصبا موازيا لمنصب حمزة بن بوبكر زعيم الشراڤة، وهذا ما رفضته السلطات الفرنسية، ورفضت كذلك إقامة الشيخ بن الطيب وسط حميان، ووقع اتفاقهم على تعيين قدور بن الطيب قائدا للغرابة والسماح لهم بالإستقرار بالبيّض. وهذا ما أعلنته بالفعل جريدة " المدرب الجزائري " **(Le moniteur Algerien)** بتاريخ **1852/02/28**م قائلة:" تم تعيين سيدي قدور بن الطيب قائدا

[328] العربي بولنوار، معاهدة لالة مغنية.ص 209.

[329] ibid, p.798.
[330] ibid, p.789.

للغرابة، وهو أخو سيدي الشيخ بن الطيب الذائع الصيت، الذي انتفضت تحت زعامته قبائل الجنوب سنة **1849م**، والذي يبدو أنه تخلى عن أهدافه الطموحة، وعاد ليستقر بالمكان الذي حُدّد له."[331]

ثم بعد بضع سنوات تضيف كتابات سلطات الإحتلال مؤكدة ظروف وأسباب اتصالات أولاد سيدي الشيخ الغرابة بهم:" لم يعد إلينا الغرابة إلا مُكرَهين، وفي الواقع لم يطلبوا لدينا إلا لجوءا مؤقتا، فاستسلامهم ليس نهائيا. وسوف يعودون إلى عصيانهم في 1853/11/28م وسيتواجه الجيش الفرنسي بزعامة الضابط (Le Cretelle) بالشطرالشرقي لشط تيڤري، مع جيش سيدي الشيخ بن الطيب، ومعه قبيلة الرزاينة وحميان شافع."[332]

كما تؤكد نفس الكتابات قائلة :" في بداية 1853م عاد الأمر إلى ماكان عليه في 1849م، إذ ثار حميان الغرابة (شافع والجنبة) وحميان الشراڤة (بمعسكر) بزعامة سيدي الشيخ بن الطيب، ولم يعودوا إلى أراضيهم إلا بعد ستة أشهر من العصيان."[333]

هذا الإضطراب الذي أحدثه الغرابة، حدا بالقبائل الموالية للإحتلال باللجوء إلى التل شمالا، وعدم المغامرة بالوصول إلى النجود العليا، حيث كانت القبائل الثائرة تهددها. واحتاج الأمر إلى عدة حملات لجلب الأمن للقبائل الموالية، ولحسم عدوى العصيان.[334]

عندما رأى الشيخ بن الطيب تذبذب بعض القبائل بين الولاء للمقاومة والولاء للاحتلال، بعث برسالة إلى أحد علماء فاس (لم نتبين إسمه في الرسالة) يستفتيه في "**بعض فرق أولاد سيدي الشيخ أضلهم الله عن طريقه وحملوا أولادهم وأموالهم وحلوا تحت حكم الكافر يزكي أموالهم، ويحرك (أي يتجند) معه رجالهم إذا حرك(أي حارب) الإسلام، وقد وعظناهم ونهيناهم عن ذلك ... ولكنهم فعلوا هذا عن طيب نفس من غير ضغط عليهم ولا إكراه، ولما تحققوا بأننا نحن في عز الله ورسوله وسيدنا الإمام نصره الله، وخصبت بلدتنا، وجذبت بلدتهم، رحلوا أيضا وزادوا علينا (أي عادوا إلينا) ورضوا بحكمنا، وليست رحلتهم (أي عودتهم) بقصد النجاة والسلامة من الكفر، بل لصلاح دنياهم. أفتنا ما الحكم في ذلك، هل يؤخذ ما عندهم وتقطع رقابهم، وإذا كان الأخذ، هل بتمام أموالهم أو باجتهاد الحاكم، بين لنا ذلك بيانا فاشيا وأجرك على الله ورسوله والسلام**".

نستشف من الرسالة ما كان يعانيه زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة من بعض فرق أولاد سيدي الشيخ، التي لم تكن تتورع عن المواقف المشينة، والتصرفات المهينة، مما

[331] ibid, p. 798/800.
[332] ibid, p. 202.
[333] ibid, p.202.
[334] ibid, p.200-202.

اضطر الشيخ بن الطيب إلى استفتاء العلماء حتى يعرف حكم الشرع في هذا النوع من الخيانة.

تظاهرالشيخ بن الطيب بالتزام السكون من **1853**م إلى **1863**م، وإن كانت تقارير سلطات الإستعمار تقول عنه غير ذلك:

"أطـْلِقَ سراحُـه بشروط، ولازم السكون، وإن كان لا يزال يناصبنا العداء، ويختلق لنا المشاكل كلما أتيحت له الفرصة"[335] وقد لاحظ الفرنسيون آثار مناورات الشيخ بن الطيب في دفع حمزة زعيم الشراقة للتمرد على السلطات الفرنسية، "عن طريق زوجته رقية بنت الحرمة، والحرمة هذا من الأتباع الأوفياء لسيدي الشيخ بن الطيب."[336]

في بداية **1863**م أعاد السلطان الجديد سيدي محمد بن عبد الرحمان تعيين الشيخ بن الطيب خليفة له على المناطق الجنوبية الشرقية، وقد سبق - في 1849 م - أن عينه والده مولاي عبد الرحمان بن هشام في منصب خليفة السلطان، ثم عزله تحت الضغوط الفرنسية، فما هي الدوافع التي كانت وراء إعادة هذا التعيين من جديد ؟

* في الجانب الجزائري : لم تكن الأوضاع مستقرة، فالقوات الإستعمارية قائمة على قدم وساق لجلب الأمن والإستقرار للموالين لها، وفي الطرف المقابل لا ترى لدى القبائل الثائرة إلا التبرم بالإحتلال ورفض الخنوع له، وكان الإحتلال الفرنسي، يريد استتباب الأمن بالجنوب الوهراني كوسيلة ضرورية لإحتلال توات وتديكلت والساورة، التي جعلها من أولوياته الإستراتيجية.

* وفي الجانب المغربي: كانت المناطق الجنوبية الشرقية تعرف فراغا إداريا، وكانت قبائلها تواجه تهديد الإستعمارمبعثرة فيما بينها، ودون تنسيق مع السلطة المركزية الضعيفة أصلا عن تفعيل تصوراتها وتوجيهاتها في المنطقة. ولم يكن تعيين الشيخ بن الطيب لرد الإعتبار إليه فحسب، وإنما لكونه المؤهل الوحيد لهذا المنصب، نظرا لنفوذه الديني والتاريخي بين القبائل المغربية والجزائرية على حد السواء، ونظرا لعزلته التي استمرت عشرسنوات والتي - حسب اعتقاد المخزن - أنها كانت كافية لتطويعه على الإلتزام بأوامر المخزن في مهادنة الاحتلال.

فجاء - إذن- هذا التعيين لتحقيق الأهداف التالية:

- ربط القبائل الحدودية بالسلطة المركزية، لتتناغم حركاتها مع السياسة المخزنية .
- كف القبائل المغربية عن المقاومة التي تعطي فرنسا حق متابعتها داخل التراب المغربي، وفرض التعويض عن الخسائر، وفرض التنازلات.... الخ .
- منع احتلال توات والساورة، بالحضورالمخزني في منطقة لم تُحدد معالمُها الحدودية، ومحاولة ترقيع الفتق الذي تركته معاهدة لالة مغنية .

[335] ibid, p.799.
[336] ibid, p.805.

كانت أول خطوات الخليفة الجديد هي إشعار القبائل المغربية التي أصبحت تحت نفوذه بواجباتها، وكانت أهمها قبيلة حميان الجنبة (المغربية بحكم معاهدة لالة مغنية) والتي أعلنت تبعيتها للإحتلال وارتضت الدخول طواعية تحت نفوذه منذ توقيع معاهدة الحدود، ولم يطالب بها المخزن المغربي[337] وقبيلة العمورالتي كانت منقسمة على نفسها بين مغربيتها التي أثبتتها معاهدة لالة مغنية، وبين ولائها للإحتلال عندما تدعوها إلى ذلك الضرورة القصوى كارتياد المراعي في حالة الجفاف، أو التبضع من أسواق الجزائر.

تشير إحدى الوثائق إلى أنه بموجب هذه المسؤولية المنوطة به في الجنوب الشرقي تدخل الشيخ بن الطيب للصلح بين قصور فجيج في نزاع مُزمن حول الماء كان من تداعياته عدة مجابهات دامية بينهم.[338]

كان الإحتلال ينظر- إلى نشاط الشيخ بن الطيب وهو ينظم القبائل المغربية - بعين الريبة، ويصف هذا العمل بأنه بث لروح التمرد في وسط القبائل الموالية للإستعمار، وتحريضها على العصيان. وبينما الشيخ بن الطيب منهمك في أداء مهمته، اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة في **1864/4/8**م بزعامة سليمان بن حمزة.

" وفي نفس الوقت اقترب الشيخ بن الطيب زعيم فصيلة أولاد سيدي الشيخ الغربية التي كانت تحت النفوذ المغربي بموجب الشرط الرابع من اتفاقية الحدود، اقترب بن الطيب هذا من الحدود وقام بدعاية كبيرة لإثارة القبائل ضد الفرنسيين. وبما أن نفوذ أولاد سيدي الشيخ كان قويا في بعض واحات توات، فقد شاركت في هذه الثورة بعض المجموعات القبلية من هناك."[339]

في **1864/4/12**م هاجم الحاج العربي (ابن الشيخ بن الطيب) أولاد سيدي إبراهيم[340] وأعاد **700** خيمة من قبيلة الطرافي إلى المغرب وساعده على ذلك سليمان بن قدور(إبن أخي الشيخ بن الطيب) الذي بدأ يلج ميدان السياسية، وقد توسم فيه عمه - الشيخ بن الطيب- علامات المغامرة والطموح، و حتى يأخذ منه زمام المبادرة التي قد تغريه بزعامة الغرابة، تزعم الشيخ بن الطيب بنفسه - رغم كبر سنه - استنهاض القبائل المغربية للإلتفاف حوله، وتدعي الكتابات الفرنسية أنه كان يحث على الثورة، وقد يكون ذلك لأنه لا يستطيع أن يفي بالتزاماته للمخزن في وسط قبائل لا تؤمن أصلا بالتصنيف الجديد الذي قسمها إلى جنسيتين مختلفتين، وتريد مواصلة المقاومة من أجل إسترداد أرضها وحفظ عرضها، وأي تيار معارض لهذا التوجه فهو تيار يصب في الإستسلام .

إلا أن هذا التعيين السلطاني لم يرُق للفرنسيين الذين كانوا يرون في- الشيخ بن الطيب - عدوا لدودا لهم ، يقول الضابط نويل:

---

[337] ibid, p.86.

[338] رسالة لأعيان قصور فجيج تتحدث عن الصلح الذي تم بعد أن سعى فيه بينهم الشيخ بن الطيب .

[339] أحمد العماري، توات، ص 79

[340] Noel (capitaine), DHTAE, p. 106.

" لما قلد السلطانُ مولاي محمد، سيدي الشيخ بن الطيب قيادة البدو المغاربة الموجودين بالحدود الشرقية، كان واعيا بأن إعطاء هذه المهمة لهذا الشخص بالذات، المعروف بعدائه لنا، هو موقف يخالف مصالحنا، وما فتئت عواقب هذا التعيين أن طفت على سطح الأحداث خصوصا عندما تسلم الخليفة السلطاني الجديد لائحة أسماء القبائل التي ستكون تحت إمرته ومن بينها حميان الجنبة والعمور الذين يُعدّون مغاربة حسب اتفاقية للا مغنية، ولكنهم في الواقع تابعون لنا منذ عدة سنوات. وبقي سيدي الشيخ بن الطيب عدونا القديم الذي يقف ضد النفوذ الفرنسي وبقي اسمه جاذبا ومستقطبا لكل الأشرار والمخربين في الجنوب الوهراني.[341]"

ويورد القبطان نويل الأحداث في شبه يوميات مطردة من يوم إعلان ثورة أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى يوم تخلي الشيخ بن الطيب عن النشاط السياسي وانقطاعه للعبادة، وفيها ذكرالمعارك والمناورات والتحالفات واستنهاض القبائل للجهاد[342] نعرض عن ذكرها مخافة الإطالة.

توجهت السلطاتُ الفرنسية إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان محتجة على ممارسات خليفته ضدهم، فاستدعاه إلى فاس ولكن الشيخ بن الطيب امتنع مخافة إلقاء القبض عليه.

يقول القبطان نويل :

" احتجت السلطات الفرنسية لدى السلطان كما وقع في سنة 1849 (وهي السنة التي أعلن فيها الشيخ بن الطيب الثورة على الإحتلال) على ممارسات سيدي الشيخ بن الطيب، وفي 9 مايو1864 وصل مبعوث السلطان مولاي محمد إلى المرابط (أي الشيخ بن الطيب) وأبلغـوه أوامر سيدهم بوضع حد، وفي الحين لمغامراته (ويعنون بها مقاومته) كما أبلغوه الأمر بالمثول شخصيا أمام السلطان بفاس. وبما أ ن ذهاب سيدي الشيخ بن الطيب كان يعني لديه القبض عليه وسجنه امتنع عن الذهاب وتوقف مؤقتا عن محاربتنا "[343]

يسجل "نويل" ما جرّته هذه الأجراءات السلطانية،على الشيخ بن الطيب، إذ انفصلت عنه بعض القبائل، كما أغرى الإحتلال به بعض القبائل الموالية له، فاصطدم ببعض بطون قبائل حميان بقيادة لحبيب ولد المبخوت قائد أولاد منصورة وقائد أولاد خليف المدني ولد أحمد بن موسى.[344]

في بداية اكتوبر **1864**م بينما الحاج العربي (الابن البكر للشيخ بن الطيب) في وجدة قادما لشراء الحبوب صحبة ابنه الطيب، ألقي القبض عليهما وأودعا السجن. ولما وصل نبأ الحادث إلى الشيخ بن الطيب أرسل ابنه الثاني سليمان في وفد إلى فاس

[341] ibid, p.101.
[342] ibid, p.106-116.
[343]ibid, p.108, et voir DSENOA, p.873.
[344] Ibid,p.109.

لمقابلة السلطان من أجل توضيح الملابسات وطلب العفو للحاج العربي، إلا أن السلطان رفض الوساطة وأمركذلك بسجن سليمان بفاس.[345]

تحت الضغوط الفرنسية الداعية لملاحقة مقاومة الشيخ بن الطيب اضطر السلطان لإرسال مبعوث عنه لأمبراطور فرنسا لمشافهته ووضعه في حقيقة الأمر:
" ثم أرسل (السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان) بعد ذلك للدولة الفرنسية خديمه الحاج عبد الرحمان العاجي، للكلام في أمر السيد الشيخ بن الطيب وأولاده الذين كانوا يشاغبون بالحدود المغربية الجزائرية، فلقيَ الأمبراطورَ وقدّم إليه الكتاب السلطاني الذي أجاب عنه بعد ذلك حسب الرسالة السلطانية" :

خديمنا الأرضى محمد بركاش

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد، فقد وصلنا كتابك وصحبته كتاب باشادور الفرنصيص الذي كتب لك صحبة جواب سلطانهم عن الكتاب الذي توجه له به الحاج عبد الرحمان العاجي، وعلمنا ما أشار إليه الباشادور المذكور مما له من الغرض في القدوم لحضرتنا العالية بالله، كما علمنا ما كتب لك به في شأن الغلط الذي وقع للحاج عبد الرحمان فيما ذكره في أمر أولاد السيد الشيخ بن الطيب، وأن الكلام الذي وقع منه إنما هو في شأن والدهم يسأل عنه في أي محل هو، وما مرادنا فيه، وأن قصدهم توسعته من نواحيهم كما تقدم له في ذلك، فالحاج عبد الرحمان ثابت وما ذكره عن سلطانهم وقع منه مشافهة... والسيد الشيخ بن الطيب لا يقر له قرار لأنه صحراوي يبيت ببلاد ويبيت إن شاء ببلاد أخرى وقوله : وما مرادنا فيه؟ لو وجدنا السبيل له لأدخلناه لداخل الإيالة وما تركناه هناك أصلا، ولأجله قبضنا على ولده وأقاربه والسلام في 15صفر 1282هـ

في 3 ذي الحجة من نفس السنة ألحَّت سلطات الإحتلال على السلطان لوقف مقاومة الشيخ بن الطيب ، فكتب السلطان لوزيره قائلا:

... وما أخبروا به عن الشيخ بن الطيب من رجوعه إلى ما كان عليه سابقا من الخوض في إيقاد نار الفتنة، وطلبه (أي السفيرالفرنسي) الكتب لأولائك القبائل بالنهي عما هم مشتغلون به من ذلك .. فقد كتبنا لهم قبل وها نحن أعدنا لهم الكتب في ذلك وحذرناهم وأنذرناهم ...[346]

يُلاحَظ – في نص الرسالة الملكية - لين الكلام لدى الحديث عن الشيخ بن الطيب وتبريرعدم إلقاء القبض عليه بتنقلاته الدائمة، مما يوحي بغض الطرف عن مقاومته من طرف السلطان، بل لا بد أن تكون مقاومة الشيخ بن الطيب بتحريض وإذن ودعم

[345] Ibid, p.115 et DPSENOA, 874, et Sari Jilali, insurection, p.42.

[346] بن زيدان، إتحاف، ج.3 ص 530.

معنوي من السلطان، إذ لو كان الأمر يتعلق بالحديث عن صاحب فتنة أو فساد أو عصيان لكان الكلام أعنف وأنكأ، ولا نعدم أمثلة على ذلك في المراسلات السلطانية.

" أحجم سيدي الشيخ بن الطيب عن مواصلة نشاطه السابق ، وتخلى عن أهدافه ضد الإحتلال، بل عرض خدماته وتعاونه معهم من أجل إطلاق سراح أبنائه. ثم تطلب الأمر بعد ذلك ثلاث سنوات لتقوم السلطات الفرنسية باتصالات واتفاقات مع السلطات المغربية سنة **1867** م، لإبرام صفقة يتم بموجبها إطلاق سراح سيدي الحاج العربي، وتعيينه خليفة لعامل وجدة على فجيج ونواحيه، والتزامه بشروط الصفقة، مع الإحتفاظ بولديه الطيب وبن سليمان كرهائن بسجن بوجدة، والإبقاء على أخيه سليمان سجينا بفاس"[347].

هي صفقة كما يبدو أملتها الأوضاع الصعبة التي تورط فيها الإحتلال جراء ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة (**1864م**) والتي لا يرتاح إليها المخزن نفسه، والتقت أهداف السلطتين على إحياء الصراع التقليدي بين الغرابة والشراقة لخضد الشوكتين معا. وأطلق سراح الحاج العربي على أساس خلق قوة من الغرابة، تحت زعامته لموازاة قوة الشراقة و للإيقاع بينهما.

لم ينجح الحاج العربي في مهمته كخليفة عامل وجدة على مناطق فجيج، التي خولته نفوذا واسعا يشمل كل مناطق الصحراء الشرقية، وأصبح مسؤولا عن: قبائل بني گيل، أولاد جرير، ذوي منيع، وقصور فجيج، عين الشعير، موغل، الصفيصفة، الأحمر، بوكايس، واكدة، بشار.. وسوف نعرض بالتفصيل لهذه الأحداث عندما نترجم للحاج العربي وسليمان بن قدور.

ثم شجعت السلطات الفرنسية مبادرة أخرى تدعو إلى الهدنة بين القبائل الموالية لها والقبائل الثائرة عليها، إذ توجه يوم 11 يوليوز1869م أعيان وقواد القبائل الموالية للإحتلال (حميان، أنچاد الشرقية، أولاد نهار) بزعامة الآغا محمد بن عبد الله إلى عقلة السدرة جنوب عين بني مطهر بالمغرب، للقاء القبائل المقاومة (أولاد سيدي الشيخ الغرابة، بني گيل، مهاية، ذوي منيع، أولاد جرير) بزعامة الشيخ بن الطيب، وبعد يومين من المداولات تم الإتفاق في **1869/11/23م** على عدة نقط من بينها عدم الإعتداء، ورد المسلوبات لأصحابها والتعاون المعلوماتي، إلا أنها معاهدات لم تثبت أمام أطماع الإحتلال واستفزازاته، ولم يستفد منها الشيخ بن الطيب في إطلاق سراح أبنائه الرهائن في سجن فاس[348].

توالى على زعامة ثورة الشراقة كل من الشهداء: سليمان وأخيه محمد، وبعد وفاة أخيهم الثالث أحمد، تطلع إلى زعامة الشراقة أخيهم الرابع قدور بن حمزة، وحبّذ فريق من الشراقة إعطاء الزعامة لعمهم - لعلى بن بوبكر - بطل الثورة وروحها، وكاد الخرق بينهما أن يتسع لولا تدخل الشيخ بن الطيب بواسطة ابنه الحاج العربي،

---

[347] Capitaine Noel, DHTAA, 128 et DPSENOA, p.874.
[348] DHTAE, p.138.

الذي أصلح ذات البين وتولى قدور بن حمزة زعامة الشراقة، واستطاع هذا الأخيرإقناع الحاج العربي بتوحيد المقاومة وعقدا اجتماعا حضره زعماء قبائل الجنوب زيادة على- أحمد بن عمّار- شيخ الزاوية التيجانية الذي جرفه تيارالمقاومة لأول مرة وكان يبلغ إذاك من العمر سبع عشرة سنة، واتحد الغرابة والشراقة والزاوية التجانية على خوض معركة القارة الغشوة التي انهزموا فيها جميعا، وكانت لها انعكاسات عميقة على ثورة أولاد سيدي الشيخ عامة وعلى العلاقة بين الشراقة والغرابة خاصة[349].

كان الإتفاق الحاصل بين الغرابة والشراقة والزاوية التجانية في معركة القارة الغشوة ظاهرة محرجة للسلطات الفرنسية، وكان بقاء واتساع هذا الإتفاق يهدد وجودها، رغم انهزام التحالف المذكورأمام ترسانتها العسكرية العصرية، فجاء التفكير في إنطلاق حملة عسكرية تضرب القاعدة الخلفية لمقاومة أولاد سيدي الشيخ في التخوم الجنوبية .

أُشْعِرَ المغرب باستعداد القوات الفرنسية للحملة العسكرية وبأهدافها، بواسطة وزيره في طنجة، وكان المغرب لايملك إلا أن يوافق عليها وأن يُعَيِّن بعض العناصر من قواد المنطقة الشرقية لمرافقتها. وهكذا لإظهار قوة الإستعمار، وللجمع بين التهديد والتنفيذ، قام الجنرال ويمفن(**Wimpfen**) حاكم ولاية وهران، بحملته العسكرية التي انطلقت في بداية يناير 1870م، ووصلت إلى وادي كَير بين بوعنان وبوذنيب، على مشارف تافلالت مهد الدولة العلوية[350].

في بداية انطلاقها هاجمت إحدى فرقها مخيم الشيخ بن الطيب على السفح الشمالي لجبل چروز[351]وكان الشيخ بن الطيب - إذاك - قد بلغ من الكبرعتيا فاعترض أبناؤه - الجيش الفرنسي- ومعهم أعيان قبيلة أولاد إبراهيم (بني كَيل)، وأولاد سيدي علي بوشنافة، وأسفرت المعركة الدفاعية عن استشهاد مولى الفرعة أحد أبناء الشيخ بن الطيب[352].

بعد انصراف الجيوش الفرنسية وتوغلها في مهامه وادي كَير، استعد الشيخ بن الطيب، رغم كبر سنه، وانطلق صحبة ابنه معمر، في جيش من بني كَيل أكثره من فرقة أولاد إبراهيم، للثأرلاستشهاد إبنه، فأغاروا بشراسة على نقطة حراسة تركها الجيش الفرنسي في بوكايس يوم 1870/04/22م، ثم انسحبوا إلى عين الشعير حيث شاركوا في الدفاع عنها، عندما هاجمها جيش الجنرال وامفن (**Le General Wempfen**) بعد رجوعه من أعالي وادي كَير، وكانت معركة حامية الوطيس يوم 1870/04/24م، تكبد

---

[349]DPSENOA, 881.

[350] Ibid, 883.

[351] تقول المراجع الفرنسية (بناء على التقارير العسكرية) أن المعركة وقعت على سفح جبل كروز، وتقول الرواية الشفوية أنها وقعت على سفح جبل غلس بالمكان المسمى معذر المصارين، وهذا القول هو القريب من الصواب، لأن السكان كانوا يعرفون أسماء منطقتهم أكثر من عناصر الاحتلال الذين كانوا يكتشفونها أول مرة.

[352] DPSENOA, 656-660.

فيها الجيش الفرنسي خسائر جسيمة، تمثلت في أربعة عشر قتيل، كان من بين القتلى الرائد سورتييل (**Le commandant Surtel**) ومائة وعشرة جرحى من بينهم تسعة ضباط وانسحبت القوات الغازية مهزومة بعد عقد صلح مع أهالي عين الشعير[353].

كان هدف الحملة هو التحرك"ضد أولاد سيدي الشيخ وحلفائهم ذوي منيع وأولاد جرير وبني كَيل. وقد ألحقت القوات المغيرة أضرارا بالغة بهذه القبائل التي قاومت مقاومة بطولية، ومع ذلك استطاعت القوات الفرنسية الوصول إلى مشارف وادي كَير حيث فرضت على قبائل المنطقة إبرام اتفاق تعهدت بموجبه هذه الأخيرة بعدم حمل السلاح مرة أخرى في وجه الفرنسيين، والامتناع عن دعم أولاد سيدي الشيخ."[354]



الجنرال وامفن (Emmanuel Felix Wempfen)
1811 -1884
قائد الحملة التي نُظمت لضرب
قبيلة ذوي منيع التي كانت تمثل القاعدة الخلفية لمقاومة
أولاد سيدي الشيخ.

في **1870/07/15**- أي بعد مرورثلاثة أشهرعلى آخر معاركه، وهي معركة عين الشعير- توفي الشيخ بن الطيب عن سن تناهز التسعين سنة، بعدما قضى خمسا

[353] Ibid, 394 et 667.

[354] العربي بولنوار، معاهدة لالة مغنية ص 142.

وعشرين سنة في مقاومة الإحتلال الفرنسي، وعلى إثر وفاته جاء تقرير السلطات الفرنسية كالتالي :

" توفي هذا الشيخ الكبير، زعيم الغرابة، بعد أن عاش حياة غير مستقرة فهو الذي لم يكن يُقدّمُ لنا التزاماته بالإستسلام إلا رغبة في وساطتنا لدى السلطان لإطلاق سراح أبناءه وذويه الرهائن والسجناء لدى المخزن. قضى معظم حياته على التراب المغربي، وكان يقف وراء ضروب المكائد التي حيكت ضدنا.
كان ملجأ للمتمردين علينا يجدون لديه الدعامة والعون، كما كان يدفع بقبائل الجنوب إلى الوقيعة بالقبائل الموالية لنا، وباختصار، كان كله حرص دائم على خلق المتاعب لنا في هذه الناحية من الصحراء[355]."

كانت كل اتصالاته بالفرنسيين تتم بواسطة ممثلين عنه، ولم يثبت قط انه اجتمع بأحدهم وجها لوجه. ولما بلغ خبرُ وفاته السلطانَ سيدي محمد بن عبد الرحمان كاتب وزيره محمد بركاش قائلا:

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك.

وبعد فإن أولاد سيدي الشيخ (أي سيدي الشيخ بن الطيب) المسجونين بفاس لم نقبضهم إلا مساعدة للفرنصيص من غير أن يرتكبوا ما يستوجب القبض عليهم، وقد عزمنا على تسريحهم إن شاء الله تعالى، وعليه فأعلم باشدور الفرنصيص بطنجة بذلك ليكون على بال، وأبوهم الذي كان مُعتبرا توفي وبقي أولاده، أعزمنا على تسريحهم لمقابلة أمور إخوانهم الصغار إن شاء الله والسلام

في 7 رجب عام 1287 هـ.[356]

ماذا نقرأ في تقرير السلطات الفرنسية، ورسالة السلطان سيدي محمد، بعد وفاة الشيخ بن الطيب ؟

يعترف التقريرالفرنسي للشيخ بن الطيب بالمقاومة، وبتحريض القبائل ضد الإحتلال، وخلق المشاكل والمتاعب له، ودعم المقاومين بكل الوسائل وبقاءه على هذا الحال إلى حين وفاته.

الظاهرأن وعود الشيخ بن الطيب للاحتلال بوقف المقاومة والاستسلام كانت بهدف إطلاق سراح أبنائه وأقاربه السجناء بفاس، والذين تم القبض عليهم بأمر سلطات الإحتلال الفرنسي، من أجل الضغط عليه ومساومته بهم، ولما رفض التنازل عن حقه في المقاومة فقد بقي أبناؤه معتقلين إلى بعد وفاته.

---

[355] DPSENOA, 884.

[356] جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات ميكروفلم رقم 3 /1975 (الخزانة العامة الرباط) .

بعد وفاة الشيخ بن الطيب بادر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى إطلاق سراح إبنه وحفيديْه، بعد إشعار سفير فرنسا بطنجة بذلك، وكأنّ السلطان يغتنم هذه الفرصة(وفاة الشيخ بن الطيب) ليُسارع إلى رفع الظلم عن هؤلاء الرهائن، مذكرا بأن أباهم كان" **مُعتَبَرا**" وهذا يؤكد سمو المكانة التي كان يحتلها سيدي الشيخ بن الطيب لدى السلطات المغربية العليا، كما أن هذا النعت المشرِّف كان بمثابة وسام يوشح به السلطان صدر هذا المجاهد الذي كان شخصية دينية وسياسية لها وزنها، ومقاوم مستميت على الثغور الشرقية المغربية .

وتؤكد الرسالة الملكية - بحروف بارزة - أن الشيخ بن الطيب وأبناءه لم يرتكبوا ما يستوجب عقابهم، فهي بمفهوم آخر تؤكد مشروعية جهاد زعيم الغرابة، وجهاد أبنائه من بعده، وهي شهادة من أعلى سلطة في البلاد تثبت وطنيتهم الصادقة في الدفاع عن أرض المغرب التاريخية، كما تؤكد الرسالة أن الملاحقات التي تعرض لها (أولاد سيدي الطيب) زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة من طرف المخزن، كانت تحت الضغوط الفرنسية، وبأمر منها، لأنها كانت تجدهم عقبة كؤودا أمام زحفها لإحتلال المزيد من الأراضي المغربية، في وقت كان العجز التام يطبع علاقة المخزن بالسلطات الفرنسية التي أحكمت السيطرة على قراراته بموجب المعاهدات المجحفة المبرمة بينهما.

-2 -الشهيد مولى الفرعة بن الشيخ بن الطيب

أول الشهداء الأربعة، من أولاد الشيخ بن الطيب، يمكن أن يكون إسمه محمدا أو عبد القادر، وغلب عليه لقبه مولى الفرعة، وهذا اللقب هو من جملة ألقاب كان يُدعى بها جدهم الأعلى مؤسس الطريقة الشيخية الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي، وأطلق هذا اللقب على جدهم إشارة لنزوله بالفرعة، وهو المكان الذي شيدت فيه قبته بالأبيض سيدي الشيخ، ومعنى مولى الفرعة: أي صاحب الفرعة أو الساكن بالفرعة، والفرعة تعني مكانا منبسطا ينفتح ويتدفق فيه وادي حالة فيضانه.

إزداد حوالي 1820م هو الإبن الثاني للشيخ بن الطيب، وإنما استبقنا الحديث عنه لأنه كان أولهم استشهادا.

شارك في العمل السياسي عندما بعثه والده في شهر مارس 1864م برسائل إلى زعماء قبائل حميان شافع والجنبة يشعرهم بأنهم أصبحوا تحت نفوذه ومن ثم لا سلطة للإدارة الفرنسية عليهم، ويطلب من أعيانهم القدوم للإجتماع بالشيخ بن الطيب بصفته خليفة السلطان على المناطق الشرقية. ورغم جهود السلطات الفرنسية لمنعهم من الإستجابة للخليفة الجديد، فقد لبّى دعوة الشيخ بن الطيب **150** فردا منهم، يمثلون القبائل المغربية المعنية بالأمر[357].

[357] DHTEA,p.115.

أعلنت السلطات الفرنسية عن القيام بحملة عسكرية بقيادة الجنرال دو ويمفن (**Le general de Wimpffen**) تصل - داخل التراب المغربي - إلى أعالي وادي كًير، شرق تافلالت، لضرب القبائل المغربية التي كانت تمثل العمق الداعم لمقاومة أولاد سيدي الشيخ، وبترالمؤخرة عن الرأس، لشل الثورة وقطع دابرها[358].

تحركت حملة الجيوش الفرنسية في أواخر شهر مارس 1870 ومن أجل حماية مؤخرتها، كلف الجنرالُ ويمفن، العقيدَ دو لاجاي (**Le Colonel De La Jaille**) بمهمة تغطية مسير الحملة، حتى لا تقع فريسة القبائل المتربصة بها، ووضع تحت إمرته أربع حاميات وخمسة فرق منها فرقة لسلاح الجبال، وأمرهم بالوصول إلى عين بني مطهر ثم التوجه جنوبا إلى سوفكسر(شرق بوعرفة) حيث يلتقي الجيشان يوم **2** أبريل**1870**م .

"عندما دخلت قوات العقيد دو لاجاي إلى تامللت يوم 1870/3/31م من ثنية الدفلى، لاحَظَـت طلائعُها - على بعد 15 أو 20 كلم، على سفح جبل جـروز- مخيماتٍ كثيرة لقبيلة بني كًيل (فرقة أولاد إبراهيم)، فأمر دولاجاي جيشه بالتوجه نحوهم، لشرح أسباب ظهورالقوات الفرنسية على أرضهم وعندما أصبح الجيش على بعد أربعة كلومترات منهم، تبين له أن ما يقرب من ثلاثمائة فارس ومثلهم راجلين، قد امتشقوا أسلحتهم، واعترضوا الجييش الفرنسي، وألجأوا مواشيهم إلى الجبل واستعدوا لحمايتها، دفع "دولاجاي" بكتيبة من فرسان حميان وأهل التل (الوهراني) وأتبعهم بكل قواته، وبما أنه كان ملتزما بعدم إثارة المشاكل مع السكان المغاربة، طبقا للنظام الذي حدده الوالي العام للحملة، فقد بعث في مقدمة جيشه بالملازم ماني (Lieutenant Magne) للسهرعلى تطبيق أوامره، وذلك ببعث مفاوض يشرح للمغاربة أسباب الحملة. أختير القائد بوبكر ولد ميمون قائد قبيلة المهاية لهذه المهمة[359] ولما اقترب القائد بوبكر من بني كًيل، وقبل أن يبدأ في الحديث إليهم، تصدى له من جانب المغاربة معمر بن الشيخ بن الطيب، فأقذع له في الكلام، وشتم السلطات الفرنسية التي جاء يمثلها، ثم أطلق المغاربة النارعلى الجيش الفرنسي الذي رد بالمثل، وبدأت المعركة التي انتهت بسقوط خمسين قتيلا من الجانب المغربي، وجُـرحَ مولى الفرعة بن الشيخ بن الطيب جروحا خطيرة، لم تمهله رغم محاولات العلاج، فتوفي بعد أيام قلائل. ونـَهَبَ الجيش الفرنسي خلال المعركة 150 خيمة بكل محتوياتها، وسلب70 فرسا و2000 شاة .

---

[358] DPSENOA,p.657.

[359] بأمر من السلطان، التحق القائد بوبكر المهياوي بالحملة العسكرية لمصاحبتها، وقد جرت المعركة بسفح جبل غلس، بالمكان المسمى معذر المصارين، حيث أقبل الجيش الفرنسي من عين بني مطهر، ومر بجبل بوعرفة عبر مضيق الدفيلية أو ثنية الدفلة، فواجهه سفح جبل غلس حيث كان مخيم الشيخ ين الطيب وبني كًيل أولاد إبراهيم، وفي هذا السفح وقعت المعركة.

خسر الفرنسيون - حسب رواياتهم التي كانت تقلل دائما من خسائرهم - قتيلين وأربعة جرحى[360]."

دفن الشهيد مول الفرعة بسوفكسر(المعذر الأحمر) وقبره معروف، وفي 1972م بنى الحاج عبد الكريم بن الطيب قبة على قبره، وذلك عندما كان قائدا لملحقة بوعرفة.

خلف مول الفرعة ولدَيْن محمدا وأباحفص. لا تزال بقايا ذريته بعين بني مطهر، جرادة، والدار البيضاء، ومكناس.



ثنية الدفلة التي مرت منها القوات الفرنسية
الغازية ومنها هاجمت مخيم الشيخ بن الطيب وفرقة أولاد إبراهيم
(قبيلة بني گيل) حيث وقعت معركة معذر المصارين يوم 1870/3/31م .



المكان الذي وقعت فيه معركة معذر المصارين شرق بوعرفة على سفح
جبل غلس الذي يظهر في الصورة، بين أولاد سيدي الشيخ الغرابة وبني گيل وقوات الاحتلال واستشهد على إثرها مول الفرعة بن الشيخ بن الطيب يوم 1870/3/31م.

---

[360] DPSENOA, 659-660.

3-الشهيد الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب

إزداد حوالي 1818م أطلق عليه أبوه إسم أستاذه شيخ الزاوية الوزانية سيدي الحاج العربي بن علي (شيخ الطريقة بين 1811-1850م) محبة فيه وتعظيما لجنابه، لم يبرز- المترجم له - على الساحة السياسية إلا قبل اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة (8 أبريل 1864م) بأيام قلائل، إذ انطلق الغرابة في حملة لإشعار القبائل المغربية بهويتها ولإعادتها تحت نفوذ الشيخ بن الطيب الذي أعاد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان تعينه خليفة له على المناطق الشرقية الجنوبية.

هاجم الحاج العربي رفقة ابن عمه سليمان بن قدور وأخيه سليمان بن الشيخ يوم 10أبريل 1864م قبيلة أولاد سيدي إبراهيم (الموالية للإحتلال)، بناحية البيض، وسلبهم 160 جملا لدفعهم بالقوة إلى العصيان وتبني خط المقاومة، كما استطاع يوم 15أبريل 1864م إقتلاع 700 خيمة (عائلة) من قبيلة الطرافي واستمالهم إلى جانب الشيخ بن الطيب حيث استقروا معه في شط تيقري معلنين عن مغربيتهم وتمردهم على سلطات الاحتلال[361].

لجأت السلطات الفرنسية إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، ملحة عليه في التدخل من أجل وقف تصرفات الشيخ بن الطيب ضدها، وفي9 ماي 1864م وصل وفد من قِبَـل السلطان ليحذر الشيخ بن الطيب من الإستمرار في تحركاته ضد الإحتلال، ويأمره بالمثول بين يدي السلطان، إلا أنه امتنع عن الذهاب إلى فاس مخافة تكرار ما وقع له عندما وضع في الإقامة الجبرية بضعة شهور بضغط من السلطات الفرنسية في 1849م[362]

في بداية أكتوبر سنة 1864م وصل الحاج العربي صحبة ابنه الطيب إلى وجدة في قافلة لإكتيال الحبوب، وبينما هما في السوق ألقى المخزن القبض عليهما وأودعا سجن القصبة (بوجدة). عندما سمع الشيخ بن الطيب نبأ سجن أبنائه بعث بإبنه سليمان في وفد إلى فاس لشرح الوضع بالحدود والتماس العذر وطلب العفو من السلطان، لإطلاق سراح الحاج العربي، ولكن الإبن الثاني لقي المصير نفسه حيث ألقي به سجينا بفاس.

كان هذا السجن نتيجة الضغوطات الفرنسية لشل حركة المقاومة وفرض الإستسلام ، كما سبق ذكره . قضى الحاج العربي ثلاث سنوات بسجن وجدة
وله قصيدة نظمها بالسجن يصور فيها انطلاقه من وجدة إلى جبل كروز غرب فجيج، حيث يضرب أبوه خيامه يقول فيها:

ركبت على الصباح باكرمن وجدة يا عارم الكدا فوق سبنتي مزلوج من الحوافـــــر

---

[361] DHTAE, p.115.
[362] Ibid,115.

يخطف سرع لجام يغصب في المدة	**يا عارم الكدا**	**ومضايق مزطوم من الرباط مجـــاور**
تيمت اسلي وعمد لجــــــــرادة	**يا عارم الكدا**	**روح للعين ظاهرة واصبح باكـــــر**
ظهر الكاعد تبان لك الطــــرادة	**يا عارم الكدا**	**و حياض السدر دايرين المعــــاذر**
باب النجــوع منه ليك قــــــدا	**يا عارم الكدا**	**و بلاك من السارق راه واعـــــــر**
جرف عزيزة معاهد للصيـــــادة	**يا عارم الكدا**	**من ثم دير مروحــــك للعناقــــــر**
تيم تيڤري معاهدنـــــا لبـــدة	**يا عارم الكدا**	**وإذا هي عـــامرة تصيـب المـــراير**
خذ الحران والمراير مقـــدودة	**يا عارم الكدا**	**وجبال كبار فوقهم غيم خاثـــــــر**
ثنية بن سعيد وين خلف الزهـدة	**يا عارم الكدا**	**سقسي على النجع كان جاي ظاهـــر**

نالت كثيرا ثورة الشراڤة من الإحتلال الفرنسي، فاضطر إلى المناورة للخروج من المأزق الذي وضعته فيه، ورأى أن إذكاء الصراع من جديد بين الغرابة والشراڤة حلا جذريا - لا مناص منه- ينهي به صراعه مع أولاد سيدي الشيخ.

فجاءت - من الطرف الفرنسي - فكرة مساومة الحاج العربي على إطلاق سراحه من سجن وجدة، وتنصيبه خليفة لعامل وجدة على المنطقة الجنوبية الشرقية مقابل إلتزامه بالعمل على تهدئة الأوضاع في المنطقة، وبث روح حسن الجوار فيها بين الدولتين الجارتين، حسب التعبير الديبلوماسي.

كانت السلطات الفرنسية ترمي من وراء هذه الفكرة إلى ما هو أدهى منها، وهو تكوين قوة من الغرابة موازية للشراڤة، لإحياء الصراع التقليدي بينهما، ومن ثم ضرب بعضهما ببعض. ولما عرض السفير الفرنسي الفكرة على المخزن المغربي وجد عنده الإستجابة الفورية، فتم إطلاق سراح الحاج العربي من سجن وجدة مع الإبقاء على ولديه: الطيب وبنسليمان وأخيه سليمان رهائن بفاس، وتعيينه خليفة لعامل وجدة على فجيج وما جاورها[363] بشروط تم الإتفاق معه عليها، ليست لدينا وثائق نعتمد عليها في معرفة بنودها، ولكن من خلال الأحداث نستطيع - بسهولة - تصور أهداف الإحتلال الفرنسي وأهداف المخزن المغربي:

* الأهداف الفرنسية :

- كسر الوحدة التي تحققت بين الغرابة والشراڤة في مارس 1867م أي بين سليمان بن قدور(ابن أخي الشيخ بن الطيب) وزعيم الشراڤة أحمد بن حمزة، وهي التي أيقضت مضجع الإحتلال.

- خلق قوة منافسة لقوة الشراڤة، وبما أن بين القوتين عداوة تقليدية فمن السهل اختلاق الذرائع لإشعالها من جديد.

- عزل القبائل المغربية كالعمور وحميان وزڭدو عن دعم الشراڤة بخلق زعامة مغربية لهم.

* الأهداف المغربية:

---

[363] DPSENOA, 522/653.

- استغلال اضطرار السلطات الفرنسية للإستعانة بالمخزن، بإنشاء سلطة مخزنية - وهذه المرة بطلب فرنسي- لمحاولة الوقوف أمام الأطماع الاستعمارية التي لا ينفك يجهر بها المسؤلون الفرنسيون للإستلاء على توات وما جاورها.
- وقف المقاومة التي يُخشى أن تستفحل وتسري عدواها في قبائل الجنوب، في وقت لا يستطيع المخزن أن يتبناها جهارا، ولا يملك القدرة للسيطرة عليها، زيادة على أن الإتفاقات الموقعة مع فرنسا تلزمه بمحاربتها وكفها.

في هذه الظروف الصعبة تقلد الحاج العربي منصب خليفة عامل وجدة في 1867/10/10م ومن مهامه توحيد القبائل المغربية، وإخضاعهم لتعليمات السلطان وعزلهم عن دعم الثورة التي يقودها أولاد سيدي الشيخ الشراقة بالجنوب الوهراني، إلا أنه أخفق إخفاقا ذريعا، ولم يجد آذانا صاغية ولا واعية، للسير في هذا المنهاج، بل وجد قبائل لا تنقصها إلا الزعامة الدينية الصادقة لإعلان الجهاد، وتوحيد الصفوف لرد الهجمة الصليبية[364].

كانت ثورة الشراقة في أوجها فانضم إليها سليمان بن قدور الذي كان يطمح إلى زعامة الشراقة لِمَا يرى من ضعف أحمد بن حمزة وصغر سنه وقلة تجربته، وهو الأمر الذي أقلق السلطات الإستعمارية، وسارعت بكل قواها إلى فض هذا الإتحاد، وانتهى الإتحاد - فعلا - باستسلام سليمان بن قدور إلى السلطات الفرنسية بعد أن اشترط هذا الأخيرعليها العمل على إطلاق سراح أبناء عمه المسجونين في فاس، ولا يُستبعد أن تكون هذه الصفقة تمت بتنسيق بينه وبين إبن عمه الحاج العربي[365].

بعد وفاة أحمد بن حمزة زعيم الشراقة سنة 1869م، تطلع كل من أخيه قدور وعمه لعلى إلى خلافته، وشدّ الحبل بينهما، فسارع الشيخ بن الطيب إلى التدخل بواسطة إبنه الحاج العربي الذي وصل إلى وادي كًير، لإصلاح ذات البين، وتم إختيار قدور بن حمزة زعيما للشراقة، واغتنم هذا الأخير اللقاء مع الحاج العربي - الذي لم يكن منصبه المخزني إلا صوريا - فاستماله إلى تبني فكرة توحيد المقاومة.[366]

حضرالإجتماع زعماء قبائل الجنوب بالإضافة إلى أحمد عمار بن محمد الحبيب شيخ الزاوية التجانية بعين ماضي الذي زار بالمناسبة الشيخ بن الطيب وقدم له هدية عينية[367] وخرج الإجتماع بالتحضير الفوري لمعركة عين ماضي، وهي أول معركة يشترك فيها شيخا الطريقة الشيخية مع شيخ الطريقة التجانية، إلا ان المعركة التي يسميها المؤرخون تارة بمعركة **عين ماضي** وتارة **بالڤارة الغشوة** وأخرى بمعركة **أم الدبداب**، كانت هزيمة كبيرة للمجاهدين، قطعت الصلة بين الشيخية والتجانية في مجال المقاومة، وتركت شرخا واسعا بين الغرابة والشراقة،

---

[364] DPSENOA, p.522,et voir Ross E. Dunn, Resistance in the desert, p.180.

[365] DHTAE, p.118. et voir L’ullistration,journal universel, tome 1er (1843-1869). p.204.(Gallica.bnf.fr)

[366] DPSENOA, p.879.

[367] Ibid, p.879.

وأثرت سلبا عليهما معا. إذ أرجع الشراقة أسباب الهزيمة إلى الحاج العربي. ووجه لهم هذا الأخير الملام نفسه.

مما زاد في تعميق الهوة بين الشراقة والغرابة، أن سليمان بن قدور وهوأحد زعماء الغرابة الذي أعلن ولاءه لسلطات الإحتلال، إغتنم غياب الشراقة في معركة عين ماضي ليُغير على مخيمهم بالمكان المسمى "المُرّة" بوادي قير يوم 5\2\1869م، فيسلبهم كل ممتلكاتهم، ويُقتل في المعركة معمر بن جديد (أبن عم زعيم الشراقة وخليفته) دفاعا عن المخيم.

كان من الطبيعي أن يعزو الشراقة مهاجمة سليمان بن قدور لمخيمهم أثناء وجودهم في المعركة ضد الإحتلال إلى تخطيط بين زعيمي الغرابة للوقيعة بهم خدمة للأهداف الفرنسية / المغربية، إذ كان الأول- الحاج العربي خليفة لعامل وجدة – يمثل المصالح المغربية، والثاني – سليمان بن قدورآغا البيض – يمثل المصالح الفرنسية.

كان من الطبيعي كذلك أن تتسع الشقة بينهما، إذ لا يُعقل أن تترك السلطات الفرنسية هذه الفرصة الذهبية لتفلت من يدها دون أن تستفيد منها بمواصلة تعميق الأحقاد وتأجيج النعرات، بواسطة عناصرها المبثوثة هنا وهناك.

تعبيرا عن ذروة الأحقاد التي وصلتها العلاقة بين الغريمين، هجم قدور بن حمزة زعيم الشراقة على مخيم الغرابة في"عقْلة السدرة" يوم 1871/8/3م، واسفرت المعركة عن سقوط الحاج العربي زعيم الغرابة وأخية سليمان بن الشيخ وعدد من أتباعهما. كانت هذه المعركة التي استشهد فيها الحاج العربي، زعيم الغرابة على يد قدور بن حمزة زعيم الشراقة، تمثل بداية العد التنازلي لمقاومة الطرفين معا.

في معرض حديثه عن الحاج العربي يقول العقيد فوانو صاحب كتاب وجدة – العمالة :

" شـَهدَتْ سنة 1881م جفافا مستمرا أتى على البلاد، بسبب لعنة الحاج العربي وهو من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، كان قد تم حبسه بوجدة لبعض السنين بطلب من الحكومة الفرنسية فصعد في أحد الأيام إلى أعلى الصومعة وتأمل السهل (أي أنچاد) باكيا ودعا عليه قائلا :

شيبتني يا أنجاد وانا صغير الله لاينبت فيك شعير ولا يضحك فيك يشير[368]

كما أن أهله أصابتهم كارثة طبيعية بجبل كروز حيث تساقطت ثلوج كثيرة فتكت بالإبل وقوضت الخيام ثم هاجمهم على إثرها الجراد، وتقول الرواية الشفوية أن ذلك كان بدعائه عليهم إذ تناسوه في السجن، فلم يزوروه ولم يسعوا في إطلاق سراحه فدعا عليهم ـ حسب نفس الرواية ـ قائلا :

الله يعطيكم الثلج الباد والحجر الحاد والجراد المرَّاد[369].

[368] فوانو ـ ترجمة محمد الغرايب ـ وجدة العمالة، 295.

[369] رواية عن الحاج بحوص بن علال (حفيد الشيخ بن الطيب) توفي سنة 1996 عن 92 سنة.

ترك من الأبناء :

1- الطيب بالحاج العربي:

ازداد حوالي سنة 1849م ، سجن مع والده الحاج العربي بسجن وجدة في أكتوبر سنة 1864م، وبعد إطلاق سراح أبيه، نقل إلى فاس صحبة أخيه بن سليمان، حيث جُمعوا مع عمهم سليمان في سجن فاس، وبقوا سجناء/ رهائن إلى أن أطلق سراحهم سنة 1870 م بأمر من السلطان مولاي محمد بن عبد الرحمان عندما بلغه نبأ وفاة أبيهم الشيخ بن الطيب.

عاد إلى مضارب خيام قبيلته، حيث بقي إلى أن استشهد والده وعمه في معركة جانبية خاضها ضدهم قدور بن حمزة زعيم الشراقة في 3غشت 1871م بعقلة السدرة. شهد هذه المعركة، كما شهد معركة المنقوب (الحمادة) التي خاضها عمه معمر بن الشيخ للثأر لاخويه من قدور بن حمزة يوم 1871/12/25م .

بعد معركة المالحة (أو نفيش) التي استشهد فيها عمه معمر بن الشيخ يوم 1874/6/13م بقي الطيب بالحاج في صحبة زعيمي الغرابة سليمان بن قدور وعلال بن الشيخ، وكان من بين من رافق سليمان بن قدور لما رحل بأتباعه إلى مراكش، على إثر تدخل مولاي عبد السلام بن العربي شيخ الطريقة الوزانية، بطلب من السلطان مولاي الحسن بن محمد والوالي العام الفرنسي بالجزائر الجنرال "شانزي."

بعد سماعه بفرار سليمان بن قدور من فاس، تسلل الطيب من مراكش وعاد إلى المنطقة الشرقية، وشارك في الأحداث التي شهدتها الفترة بين 1881-1883م وهما سنتان عرفتا ثلاث زعامات لأولاد سيدي الشيخ (قدور بن حمزة، سليمان بن قدور،بوعمامة بن العربي)، وعرفت سنة 1882م المواجهة الحاسمة بين أولاد سيدي الشيخ مجتمعين (في أول وآخر إتحاد للزعامات الثلاث) ضد حلف زكْدو.

جرح الطيب في أول اصطدام للغرابة مع زكْدو في يونيو 1882م، بالمكان المسمى زرزف (25 كلم شرق أرفود).

في 1885م كان من بين أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين استدرجهم عبد الملك السعيدي (عامل وجدة) إلى فاس بدعوى المثول أمام السلطان لحل مشاكلهم فألقـُي عليهم القبض- في النهاية - عند وصولهم إلى نواحي تازة، ورُمي بهم في سجن مكناس حيث قضو تسع سنوات.

عندما تولى السلطان مولاي عبد العزيز المُـلك سنة 1894م أطلق سراحهم، وعوضهم عن محنتهم ببعض الأراضي التي استقروا بها بين فاس ومكناس، وعندما ادعى بوحمارة الملك، و برزت حركته واشتد عودها، تطوع الطيب بن الحاج العربي للقتال ضد جيوش بوحمارة، وعينه السلطان قائدا لإحدى الطلائع التي كانت تـُبعث لهذه الحرب، وتقول الرواية الشفوية أنه أبلى البلاء الحسن، وانسحب بعدما عاين من الخيانة والدسائس التي يمارسها بعض قواد جيش المخزن، الساعين للثراء من وراء إطالة أمد الفتنة.

كانت الطريقة الكتانية تعرف أوج إشعاعها، وكان شيخها العلامة سيدي محمد بن عبد الكبيرالكتاني[370] حديث الساعة، وكان يحظى بالمكانة المرموقة لدى السلطان مولاي عبد العزيز، لِمَا عرف عنه من وطنية صادقة، وغيرة إيمانية. انتسب الطيب بن الحاج العربي إلى الطريقة الكتانية، وأصبح من خواصها، ومن المقربين من شيخها، وعندما كان الشيخ محمد الكتاني يسدي النصيحة للسلطان حول تلافي احتلال الجنوب الشرقي المغربي من طرف الفرنسيين، كانت جريدة السعادة - الإستعمارية التوجه - تشن حملة على الشيخ الكتاني، تقول في عددها ليوم الاثنين 13 أبريل 1905 م :

"بلغنا أنه بعث (أي الشيخ الكتاني) لجلالة السلطان بكراسة مفعمة بترهات...وإن شئت قلت المخترعة من عندياته، والتي تلقاها من بعض البسطاء السذج من أتباعه، سكان تلك النواحي، الذين اتخذوا الإرجاف والإختلاق صناعة يقتاتون بها..."[371].

لا شك أن سكان الحدود الذين كان يقصدهم كاتب المقال بالجريدة هم أولاد سيدي الشيخ، وأبرزهم المترجم له، إذ كان أحد زعماء المقاومة، كما كان أبوه وجده، وهو أعرف الناس بالأراضي المغربية وما احتلته القوات الفرنسية منها، فكان هو المعني بهذا القول، كما يوحي به السياق.

بويع مولاي عبد الحفيظ سلطانا للمغرب، مكان أخيه مولاي عبد العزيز، على شروط أهمها مقاومة الإحتلال، وكان الشيخ محمد الكتاني من أبرز العلماء الذين سعوا في هذا التغيير، إلا أن عوامل داخلية وخارجية، غيرت مجرى الأمور فآثر الشيخ الكتاني الإنزواء بالأطلس(بآيت يوسي)، بعيدا عن الفتنة، ولكن المخزن أوّل هذا الإنسحاب بالعصيان، والخروج عن طاعة السلطان، كما صورت له عناصر السفارة الفرنسية التي كانت تتحكم في القرار المخزني، وتملي عليه ما يأتي وما يذر.

لا يمكن لعالم بقدرالشيخ الكتاني أن تزل قدمه بالتمرد على السلطة الشرعية، وهو من هو علما ومعرفة وورعا، ولا يمكن للتصوف العرفاني أن ينتج هذا النمط من المريدين فضلا عن الشيوخ.

بعث المخزن قواته في طلب الشيخ وأتباعه، وكان من بين مرافقيه الطيب بن الحاج العربي. ألقي القبض على الجميع، وسُجن الطيب بالقرب من شيخه في سجن قصر أبي الخصيصات. يقول عنه محمد باقر الكتاني:"وقد كان بطل الإخوان الكتانيين الزعيم الجليل الفقيه السيد الطيب البوشيخي الصديقي رضي الله عنه

---

[370] هو الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد، مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية، يعرف عند مترجميه بمجدد الإسلام بالمغرب، وحجة الإسلام، أبو الفيض الشهيد. ولد بفاس سنة 1290هـ وطبع مطلع القرن العشرين - بالمغرب - بطابعه الخاص علميا وتربويا وسياسيا، وعرفت فترته نهضة فكرية وتواصلا بين الشرق والغرب العربيّيْن، وأقبل على طريقته العلماء، والفضلاء والأخيار من كل طبقات المجتمع، إلى أن سقط شهيدا في 14 ربيع الثاني 1327هـ \1909م.(اقتباس من موقع الطريقة الكتانية بالأنترنيت).

[371] محمد باقر الكتاني، الشيخ محمد الكتاني الشهيد، ص 186.

موضع تدابير خاصة أدت إلى استشهاده في سبيل الإسلام والمغرب" إذ أمر بجلده وأن لا يكف عنه الجلد إلى أن يطلب العفو والمغفرة، فرفض طلب الصفح حتى توفي تحت السياط.

تقول - عن هذا الحدث الجلل - جريدة السعادة في عددها المؤرخ يوم الثلاثاء 15 ربيع الاول1327 موافق 6 أبريل1909م:

"أمر جلالة السلطان بتوقيف الضرب بالسياط عن أصحاب الكتاني، بعد أن ضُربوا ثلاثة أيام، وزُجّ بهم في سجن الدكاكن، أما الطيب البوشيخي فقد مات منذ يومين، بعد جلده ألفين، لم ينبس خلالها ببنت شفة، ولم يتفوه بكلمة...(كان جلادوه يطلبون منه أن يستعطفهم (قائلا: أنا مزاوق) ليوقفوا الضرب فأبى حتى مات رافضا استعطافهم)

... نعم استشهد الزعيم الصديقي من أثر الضرب وأمر عبد الحفيظ بإخفاء موته أيضا، ودفنه بروضة سيدي مجبر وطمس قبره فكان الأمر كذلك، وبهذا أمكن لعبد الحفيظ أن يقضي على الحركة الوطنية، ويغلق مراكزها العديدة ...."[372]

2- بن سليمان بن الحاج العربي

ازداد حوالي 1852م من أم زنجية، وسجن في طفولته سنة 1864 بسجن وجدة ثم أخذ إلى فاس كرهينة لإرغام أبيه الحاج العربي على الإلتزام بشروط اطلاق سراحه وقد سبق الحديث عن ذلك. بعد إطلاق سراحه سنة 1870م، عاد إلى قبيلته، وبعد معركة المنقوب، قامت القوات الفرنسية باحتجاز ما تبقى من آل سيدي الطيب فكان من بين من تم ترحيلهم بالقوة وإسكانهم تحت المراقبة في عدة أماكن منها فرندة، وسطيف، وعنابة[373].

بعد عدة محاولات تم السماح لهم بالإستقرار بالشلالة التي غادروها فرارا من الإحتلال، والتحقوا بقبيلتهم بالمغرب[374].

كان من بين من ألقي عليهم القبض، وسجنوا بمكناس سنة 1885م ولم يطلق سراحه إلا سنة 1894م، وبذلك يكون مجموع سنوات سجنه مع أخيه الطيب بالحاج السالف الذكر (17 سنة سجنا واحتجازا) وهي كالتالي:

من 1864 إلى 1870................السجن بوجدة ثم الإنتقال إلى سجن فاس.
من 1871 إلى 1873................ الإحتجاز بفرندة وسطيف وعنابة.
من 1885 إلى 1894.............. السجن بحبس قارة بمكناس.

وبعد خروجه من السجن استقر بسايس بين فاس ومكناس، حيث قضى نحبه ولا تزال آثار ذرياته بها.

---

372 المرجع نفسه، 223.

373 DPSENOA, p.909.

374 Ibid, Planche gynéalogique des Ouleds Sidi Cheikh Ghraba.(capitaine Pansard)

3- النعيمي بن الحاج العربي

أصغر ابناء الحاج العربي، بعد استشهاد أبيه كان في كفالة أخيه الطيب بالحاج، وكان من بين آل سيدي الطيب (زعماء الغرابة) الذين رُحّلوا إلى فرندة، ثم مع الذين رُحلوا في 1876م إلى مراكش، بعد رجوعه إلى المنطقة الشرقية كان من بين أعيان الغرابة الذين سجنوا بحبس قارة بمكناس سنة 1885م، وعندما أطلق سراحه سنة 1894م خرج بخلل عقلي جراء الوضعية التي عانى منها في سجن قارة بمكناس. إستقر بسايس بعد إطلاق سراحه .

خلف من الأبناء :

- الشيخ بن النعيمي:

سبق الحديث عنه في زاوية سايس، كان له الأثر البارز في لم شمل أولاد سيدي الشيخ الغرابة بعد المحن التي تعرضوا لها، فقد عينه السلطان مولاي يوسف قائدا لأولاد سيدي الشيخ بسايس سنة 1914م وكان أهلا لذلك المنصب لما عُرف عنه من كرم وشجاعة ومعرفة بأقدارالرجال، وكانت داره حِمَى الخائف، ومأوى القاصد، ومنتدى العلماء والشرفاء والنبلاء.

- عبد الكريم بن النعيمي:

قتل غدرا في حادث عرضي، وترك من الأبناء:

- الحاج أحمد بن عبد الكريم : الذي تولى قيادة عرب سايس بعد وفاة عمه الشيخ بن النعيمي (من 1950 إلى 1957م) ثم انتخب نائبا برلمانيا في أول برلمان مغربي سنة 1963م.
- محمد بن عبد الكريم: التحق مع إبن عمه أحمد بن الشيخ بن النعيمي بمدرسة أبناء الأعيان بمكناس، ثم تابعا دراستهما بالقرويين بفاس، إلى أن تأكد للسلطات الفرنسية انتماءهما إلى الحركة الوطنية فنفيا إلى بادية مكناس توفي محمد بن عبد الكريم سنة 1986م.

ولا تزال ذرية الحاج العربي بفاس، ومكناس وسايس.

-4-الشهيد سليمان بن الشيخ بن الطيب

إزداد حوالي 1822م شارك في التحريض على المقاومة، إذ شهد الهجوم الذي شنه أخوه الحاج العربي على القبائل الموالية للإحتلال (قبيلة أولاد سيدي إبراهيم- ناحية البيض-) في1864/4/12م لحثهم والدفع بهم إلى الثورة على الإستعمار، ثم شارك أخاه المذكور في الحملة التي فصلت قبيلة الطرافي عن السلطات الفرنسية وأعلنت بذلك عصيانها في أبريل 1864م وكان الإحتلال يحسب ألف حساب لقبيلة الطرافي لما يعرف عنها من قوة ومنعة وشجاعة.

لما ألقى المخزنُ المغربي القبضَ على أخيه الحاج العربي، وأودع سجن القصبة بوجدة، إختاره أبوه الشيخ بن الطيب ليرأس وفدا من أعيان أولاد سيدي

الشيخ الغرابة، للمثول بين يدي السلطان لإلتماس العفو عن أخيه، ولشرح أحوال المنطقة، وأوضاع أولاد سيدي الشيخ الغرابة العالقة بين:

* قبائل ترغب بكل إلحاح في التصدي للإحتلال لتحرير أرضها.

* وتعليمات السلطان الذي يأمر بالكف عن المقاومة حتى لا تكون ذريعة لمزيد من التطاول الفرنسي على حقوق المغرب.

إلا أن السلطان ألقى القبض على سليمان بن الشيخ، وسمح للوفد المرافق له بالذهاب إلى حال سبيله.

بعد إطلاق سراح أخيه الحاج العربي من سجن وجدة، وتعيينه خليفة لعامل وجدة، بشروط سبق ذكرها، أبقي المخزن على المترجم له رهينة في سجن فاس بعدما ألحق به أبناء أخيه من سجن وجدة، واحتفظ المخزن بهم رهائنا إلى أن أطلق سراحهم بعد وفاة أبيهم الشيخ بن الطيب بأمرمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان[375].

لم يتمتع سليمان بالحرية إلا سنة واحدة بعد إطلاق سراحه من السجن، فبعدها وقعت معركة عقلة السدرة التي سقط فيها شهيدا يوم 3 غشت 1871م وقد مر بنا الحديث عن تلك الأحداث فلا داعي لإعادة ذكرها.

تزوج بعد خروجه من سجن فاس بامرأة زنجية صحبها معه عند رجوعه إلى أهله، فولدت له ولدا سماه الشيخ، واستشهد عنها وهي حامل، فوضعت ولدها الثاني الذي أطلق عليه إسم أبيه فهو سليمان بن سليمان. ولاتزال ذريته من هذين الولدين متوزعة بين سايس وعين بني مطهر.

-5- الشهيد معمر بن الشيخ بن الطيب

ولد حوالي 1842 م من أبيه الشيخ بن الطيب وأمه مبروكة بنت بن زيان من أولاد بودواية البحاحصة.

كان عمره حوالي سبع سنوات عندما أعلن أبوه مقاومة الإحتلال الفرنسي الغازي في 1849م، وفي سنة 1864م اندلعت ثورة الشراڤة، وساندها الغرابة بالعودة إلى المقاومة بعد استكانة تقارب العقد من الزمن، كان معمر قد شب عن الطوق، فشارك والده أعباء المقاومة، خصوصا بعد سجن أخويه الحاج العربي وسليمان بسجن وجدة وفاس.

تسجل الكتابات الفرنسية أول صدام له مع قواتها في معركة (ڤروز) بالمكان المسمى"معذر المصارين" شرق بوعرفة يوم 1870\03\31م حيث وقعت المعركة التي سقط فيها أخوه مولى الفرعة شهيدا، وبعد جلاء القوات الفرنسية من عين المكان، جهز معمرجيشا من أولاد إبراهيم (فرقة من بني ڤيل) بزعامة والده الشيخ

[375] Ibid, p.874.

بن الطيب، ولحق بالجيش الفرنسي الذي واصل سيره إلى وادي كًير تاركا فرقة لحراسة مؤخرته ببوكايس، فهاجمها يوم 2\4\1870م، ثم التحق بعين الشعير التي كان يهددها الجنرال وامفن بحملته الشهيرة، وشارك معمر وأبيه وفرقة أولاد إبراهيم (بني كًيل) وغيرهم من سكان المنطقة في الدفاع الشرس عن عين الشعير، التي تكبد فيها الجنرال "وامفن" خسائر جسيمة اضطرته إلى العمل على إبرام صلح مع الأهالي طالبا منهم إخراج بني كًيل من القرية ومعهم زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة.

توفي أبوه الشيخ بن الطيب في 15\7\1870م وتولى زعامة الغرابة أخوه الحاج العربي، الذي بعد إطلاق سراحه من سجن وجدة عين خليفة لعامل وجدة على فجيج ونواحيها، إلا أنه اضطر- تلبية لعزم قبائل الحدود على الجهاد - إلى مساندة المقاومة والمشاركة في معركة أم الدبداب أو الڤارة الغشوة التي انهزم فيها الغرابة والشراڤة والتجانيين الذين كانوا يمثلون حلفا واحدا، إلا أن هذه الهزيمة حفرت أخدودا عميقا بين جميع الأطراف الذين تبادلوا التهم حول أسباب الإنكسار.

في **1871/4/17** أغار الغرابة و الشراڤة بعد اتفاقهما انطلاقا من خناق الحدا الواقع شمال شرق عين بني مطهر،على جيش دي ملواز**Le general De Meloise** في ماكًورة، كان قدور بن حمزة يقود الشراڤة والحاج العربي يقود الغرابة.[376] وبعد المعركة تبودلت الاتهامات كالعادة، بعدما سرت بينهما الأيدي الخفية فعكرت صفو العلاقة.

كانت هذه العوامل مجتمعة تمثل الخلفيات التي أدت بزعيم الشراڤة إلى مهاجمة الغرابة بعڤلة السدرة في 1871/8/3 م، حيث قُتل زعيم الغرابة الحاج العربي وأخوه سليمان[377] والواضح أنها محاولات قام بها " الفرنسيون لتعميق العداء والتنافس لخدمة أهدافهم التوسعية، ومن خلاله إضعاف الفرعين معا بإثارة الضغائن الماضية وإغراء زعماء الغرابة ضد الشراڤة والشراڤة ضد الغرابة"[378].

شهد معمر هذه المعركة التي انسحب منها عندما رأى بدايتها خاسرة، ثم جمع أطراف قوات الغرابة المتناثرة بعد الهجوم، وكرّعلى المغيرين الذين انسحبوا بعد بلوغ أهدافهم، وأقسم معمر على الثأر لأخويه من قدور بن حمزة زعيم الشراڤة، وأضرمت نار الأحقاد من جديد واشتد أوارها.

وقديما قال الشاعرفي ذم صراع الإخوة:

قومي هُمُو قتلوا أميمَ أخي		فإذا رميت يصيبني سهمـــي
فإذا عفوت لأعفونْ جلــلا		وإذا ضربت لأوهننْ عظمي

كان هذا الإقتتال الداخلي نذيرا بانحلال عقد المقاومتين الغربية والشرقية، وارتكب قدور بن حمزة - عندما شن هذا الهجوم على أبناء عمومته- خطأ فادحا،

[376] DPSENOA, 889.
[377] Ibid, p.889, et voir Si boubakeur, Un soufi, 231.
[378] أحمد مزيان،فجيج، المجتمع الواحي، ص 497.

حذره من إتيانه عمه لعلى بن بوبكر- روح الثورة - الذي نأى بنفسه عن حضور مثل هذه الحماقات التي تأكل الثورة من جـذورها، وتـقـتـلعها مـن أصولها، ولا تصب في النهاية إلا في مصلحة أعداءها.

ابتلع معمر الحادثة بمرارة، وتقول الرواية الشفوية: أنه لم يُرَ مبتسما ولا منشرحا منذ مقتل أخويه، وآلى على نفسه أن ينتقم أو يموت دون ذلك. وانطلق منذئذ في الإستعداد وشحذ الهمم، وكان إذاك سليمان بن قدور آغا لقبيلة حميان، فبعث يستطلع الخبر، ويَعِدُ ابن عمه معمر بمساندته عندما يقرر ساعة الإنتقام والثأر لأخويه.

بعث معمر بالجواسيس يتعقبون منازل أولاد سيدي الشيخ الشراقة ويحددون مواقعهم، وأماكن تنقلاتهم، وأعدادهم، حتى يتمكن من مباغتتهم، ورجع الجواسيس بالمعلومات التي تبادلها معمر مع إبن عمه سليمان بن قدور، وتقرراليوم الموعود، وقد تتبع الجيش الفرنسي الحدث من بعيد، وارتاح كثيرا لنجاح خططه التي أذكت أوار الأحقاد بين الإخوة، واكتفى بالفرجة وجني النتائج.[379]

التحم الغرابة بالشراقة في المكان المسمى "الحمادة" جنوب "البنود" (ويطلق عليه في الكتابات الفرنسية "المنقوب") في يوم مطر وثلج وذلك يوم 25 دجمبر 1871 كان قدور بن حمزة يتزعم جيشا يتكون من أولاد سيدي الشيخ الشراقة، الأغواط، أولاد زياد، اشعامبة... وكان معمر بن الشيخ يتزعم جيشا يتكون من أولاد سيدي الشيخ الغرابة بما فيهم معابدة، أولاد عزيز، بني كَيل حميان وكان أغلبهم من أولاد سرور بزعامة قائدهم الطيب بن سليمان، ثم أولاد عبد الكريم، الطرافي بزعامة سليمان بن قدور ولم يشارك أي طرف من الفرنسيين[380].

اصطدم الجيشان وكثر القتلى والجرحى (150 قتيلا في صفوف الشراقة) وأسفرت المعركة عن انتصار الغرابة وفرار قدور بن حمزة في شرذمة من أتباعه .

أخذ الغرابة مخيم زعيم الشراقة، واستولوا على رايته وخاتمه، وكل أموال الشراقة وإبلهم وغنمهم وأهليهم. ووضع سليمان بن قدورنساء وأطفال الشراقة تحت حراسة الطيب بن سليمان زعيم أولاد سرور حفاظا على العرض، وبعث في طلب أصهار قدور بن حمزة فسلم إلى فرقة الأحرار أختهم (يامنة بنت خليل) وولديها محمد وحمزة (والأخير هو والد المرحوم الأستاذ أبي بكر حمزة المدير السابق لمسجد باريز- فرنسا-) وسلّم النساء الأخريات لذويهن.

كانت الهزيمة- في حقيقة الأمر-هزيمة أولاد سيدي الشيخ جميعا، وكان الانتصار انتصار الإحتلال الفرنسي وحده، وإن كان اكتفى بالفرجة من بعيد، وكانت بداية مشينة لنهاية الجهاد، وكانت آخر المعارك بين الشراقة والغرابة، الذين لم يستطيعوا الترفع عن الأحقاد العائلية طيلة قرن من الزمن .

---

[379] DPSENOA, p.891-893, et Si Boubakeur, Un soufi, p.230-232.

[380] بن زيدان، إتحاف، ص 534.




Le lieutenant-colonel Gant reçoit près de Bénoud la soumission des tribus ramenées par Si Sliman, 27 décembre 1871.

Le monde illustré, journal hebdomadaire,N° 771, du 20/1/1872.

الصورة العليا تمثل نهاية معركة المنكّوب بين الشراقة والغرابة، والصورة السفلى تمثل استسلام قبائل الشراقة بالمكان المسمى البنود، والصورتان بعث بهما الضابط الفرنسي(M.Ameil) إلى الجريدة التي نشرتهما مع تقرير عن المعركة.(gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France)

عاد سليمان بن قدور إلى "ملاتة " محل إقامته الإجبارية، وعاد معمر إلى مضارب خيام قبيلته، فوجد أن الجيش الفرنسي إغتنم فرصة غيابه، ليقوم بترحيل جزء من عائلته إلى ناحية فرندة، والجزء الآخر إلى اسطيف واحتجازهم بهما، وصاروا يساومون معمرعلى إعلان استسلامه للدولة الفرنسية، مقابل إرجاع قبيلته وذويه

إليه، وعرضوا عليه مكافأته بأشرف المناصب، وتبليغه ما يصبو إليه من جاه ومجد. وكان رد فعل معمر أن رفض بكل إصرارعروض الفرنسيين وبعث برسالة الى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يخبره بمجريات الأحداث ويستشيره في كيفية التصرف ويجيبه السلطان بالرسالة التالية:

"خديمنا الأرضى الحاج معمر ولد السيد الشيخ وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد وصلناكتابك مخبرا بأنكم لما رجعتم من قتال الفتان ولد حمزة أنتم ورعية الفرنسيس بعد قضاء الغرض فيه من رد ماكان نهبه لكم وزيادة ورجع فارا بنفسه لناحية القليعة خائبا، ألقيتم النصارى حملوا أولادك وأخاك وأولاده وأناسا من بني عمك وأنزلوهم في ناحية أمعسكر وصاروا يخاطبونك بالقدوم عليهم والإنتظام في سلكهم وزعموا أنك من إيالتهم ووعدوك بفعل الخيرمعك والإمتياز عن غيرك إن أنت ساعدتهم، وإن امتنعت من ذلك منعوك من أولادك ومن معهم فتركتهم بيدهم وفررت بنفسك وأجبتهم بأنك من إيالتنا المحمية بالله ولا ترضى بالدخول في حزبهم وتحت حكمهم وطلبت الكلام معهم في شأن خلاص أولادك وشيعتك ذاكرا أن ما وقع بينكم وبينهم في العام الماضي أنما هو على وجه الإكراه من القبائل ولد حمزة وكانو قبل ذلك غدروكم وقتلوا أخاك وأبناء عمك ونهبوا أولادكم فإنا أمرنا عامل وجدة بالكلام معهم على رد من ذكرت من أولادك وأولاد أخيك والوقوف عند الشروط المجعولة مع جنسهم وإنا لا نسلمكم بحول الله وقوته والسلام

في 14 من المحرم 1289هـ[381]

وفي الرسالة التالية ستتأكد لنا مرة أخرى الوطنية الصادقة لزعيم الغرابة الذي تعرض أبناؤه وإخوانه وعائلته للتهجير القسري من المغرب إلى فرندة بالجزائر من طرف القوات الفرنسية، التي أصبحت تساومه على إرجاع أهله له وإنزاله منزلة العز والحرمة، مقابل وقف المقاومة والدخول في طاعة الإحتلال، وما رفْض هذه العروض إلا دليل على همة الرجل العالية، وصدق جهاده، وهي مباديء سار على نهجها إلى حين استشهاده في معركة النفيش .

تقول رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان:

محبنا المرابط الأرضى السيد معمر بن الشيخ بن الطيب وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك لما لم تجد من قبائل المغرب من يعينك على الأخذ بالثأر من ولد حمزة حيث فعل في جانبكم ما فعل من القتل وغيره، اتفقت مع رعية النصارى على الأخذ بالثأر وحركوا معك إليه ولم يحضر معكم نصراني واحد وحيث سمعوا

---

[381] المرجع نفسه، ص 532.

ما حل به نقلوا أولادكم الذين كانوا نازلين بالحدود وأخذوا مالهم وأسروهم وأنزلوهم بناحية وهران والقبيلة في ناحية سعيدة وتكرر طلبهم لقدومك عليهم والكون من رعيتهم وإنزالك منزلة العز والحرمة عندهم فأبيت الا البقاء على ما أنت وأسلافك عليه من الكون من رعيتنا المحمية بالله وطلبت السعي في خلاص أولادك وفكهم من الأسر لأنك اليوم نازل إزاء فجيج تنتظر أمرنا الشريف بما يكون عليه عملك فقد أمرنا بالكلام معهم في قضيتك ولازال جوابهم لم يرد والسلام 8 صفر عام 1289 هـ[382].

كتب إليه - كذلك - السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الرسالة التالية :

"خديمنا الأرضى الحاج معمر بن السيد الشيخ وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد، وصلنا كتابك مخبرا بنزولك مع قبيلة العمور قرب فجيج منتظرا صدور أمرنا الشريف لدولة الفرنصيص في شأن خلاص ما أسروه لك من العيال غدرا لما حل بولد حمزة ما حل مع أنك لا تسعى إلا في الصلاح بين الدولتين وذكرت أن الفتان المذكور فر لناحية توات ولم يبق معه أحد من شيعته وصار يخاطب قبائل الصحراء بالرجوع الى ناحية الصحراء ويكاتب من كان مشتغلا معه بالفساد بالعود الى قبيح حالهم الأول وطلبت أن نأمر جميع قبائل الصحراء بطرده وإبعاده ليستريح المسلمون من شره ومكره كما طلبت تعيين طريق تسلك فيها عين الصواب مع جانبنا العالي بالله حيث لا تعرف الصواب في ذلك، فأما أمر ولد حمزة فإنا أكدنا على تلك القبائل أن لا يقبلوه بل يطردوه من ناحية بلادهم ويبعدوه من هذه الايالة السعيدة وأما الطريق التي تسلكها والسير الذي تسير به هو أن تلزم الإشتغال بما يعني والإقبال على ما هو من شأن المرابطين من الركون الى السكينة والسعي فيما يحبه الله وعباده وأن تقوموا على الساق فيما عسى أن نأمركم به من أمور الخدمة الشريفة والصلاح جريا على عادة أسلافكم رحمهم الله والسلام

في 29صفر عام1289"[383]

حسب سياق الرسالة الملكية فإن السلطان سيدي محمد كان يرشح معمر بن الشيخ لتولي زعامة أولاد سيدي الشيخ الغرابة مكان أبيه الشيخ بن الطيب وأخيه الحاج العربي، وأعطاه التعليمات المبدئية لتولي منصب حدودي حساس، وأهمها الركون إلى السكينة، وهي فترة حرجة كان الإحتلال يتذرع فيها بكل ذريعة لاغتصاب المزيد من الأراضي المغربية.

---

[382] المرجع نفسه، ص 533.
[383] المرجع نفسه ص 533.

كان لابد للصراع العائلي التقليدي بين الشراڤة والغرابة، أن يتولد عنه الحقد، وتنمو الشحناء، وتغلب في المنتديات ظاهرة إمتداح الزعماء والإفتخاربهم وهجاء الخصم والنيل منه. وكان طبيعيا أن يظهر الشعراء الذين يقومون بهذه المهمة فكان الشاعر أحمد لبوخ العقبي ينافح عن الغرابة ويهجو الشراڤة، وكان في الطرف المقابل الشاعر محمد ولد بلخير يرد عن زعمائه أولاد حمزة، وهكذا عندما انطلق معمر وإبن عمه سليمان بن قدورإلى معركة المنڤوب، لرد الإعتبار، والأخذ بالثأر، بعد مقتل الحاج العربي وسليمان، إنطلق معهم الشاعر لبوخ[384] فسجل الحدث في قصيدة لم يصلنا منها- مع الأسف الشديد- إلا النزر القليل، ولو بلغتنا كاملة لاستغنينا عن الروايات الشفوية المتضاربة في هذا الشأن، يقول لبوخ (شعر ملحون) :

في شاو فالنا وردنـــا الغديـــــر فتنا على المكامـــن بعـــــــدا
جينا على النعامة عثعاث كبـيــر حزنا اجلايـــــب للصيـــــادا
هما على الشنا وعلام المنيــــــر وحنــا على الغـــدر والزهـــدا

يا الماشـــي شور بحاحيــــص قول ليهم واسم درتــــــــوا
اللا بدنتوا يا المناحيـــــــس كي الكلب الشيـــن غدرتـــوا
منين كانت قومــــي وتريـــس عـــلاه في العقلة ما طحتـــوا
منين قعدت غير فراطيـــــس في النسا والبز خصلتـــــوا

مشات لي رحا من حجرالويدان ما تطحنش الرقيق غير تجلـــف
مشات لي مسامة ومن الحرجـان لو ما كانت تميل وتغــــــرف
مشى لي رباع من صيل القعدان لو كان ما ذراعه قاصــــــف
مشاو لي معيز بحال الغـــزلان لو كان ما بقـــاو و شـــــرف
مشات لي من بيتي لكـــــوان غلوزتي مشات ومغـــــــرف
نداين ونتـــرجى الزمـــــان والى أعطاتني الأيـام نخلـــف
كي جردنـــا نمشي عـــريـان ونتفكروا الواد الـــشـــارف

كي تحزم بوقونـــــــــــي طالق الدين وجـــا مـــــولاه
لاكرب لا شعبـــــــة هـــي في الحمـــــــاد تلاقت لجـــباه

---

[384] أحمد بن لبوخ العقبي، من ذرية الشيخ العارف بالله سيدي يعقوب دفين رشيدة ناحية كرسيف بالمغرب، ويعقوب هذا تلميذ الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني وأحد مذابحه السبعة، توجد بعض عشائر أولاد سيدي يعقوب بالأبيض سيدي الشيخ، ويُدعوْن بأولاد العُقبي، وكان ولاؤهم لأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وقد شاركوهم مقاومتهم، وينتسب إليهم الشاعر لبوخ الذي كان لنا شرف اكتشاف ضريحه بضواحي عين بني مطهر يوم 15\2\2007 أثناء تجوالنا للتعرف على كافة الأضرحة والمزارات الكائنة بهذه المدينة. يقع الضريح المذكورعلى بعد أربعة كلومترات غرب عين بني مطهر، على الطريق الذاهبة إلى المريجة، على أرض فلاحية قد أحاطت به بعض الأشجار المثمرة.

غي المال تقســـــم بالضـــاي   والحديد الاســـــــــــرقناه
حضى البحــوصي بوقـــــي   غي الثلج وربي عــــــــراه

عارفين معمر غنــــــــدور   عارفين أمــه ما جابـــــت
بالعليّم هــــــارب قـــدور   والشنابل قاع بيـــاضـــــت
والبريـــــد نثل مــــسرور   حضى يحل منين نشــــابت
من الكرش دايـــر جوج قـدور   بينهم بـايت يتكفـــــــت
بالشقاقة قدمه مقعــــــــور   رافد الشحمة ويــــــــزفت



ضريح الشاعر أحمد لبوخ العقبي بعين بني مطهر.

تصل القصيدة السابقة كاملة إلى آذان أعيان أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وزعيمهم قدور بن حمزة، وهي كما نقرأها أو نسمعها جارحة لكرامتهم، إذ تـُعيّرهم بالجبن والغدر، والهجاء هو الطعنة النجلاء التي إذا سُددت إلى النفس العربية، أصابت منها المقتل، و صَعُبَ عليها التخلص من آثارها، وبقي موضعها مدى الأيام مشينا معيبا، وينبري الشاعر محمد بلخير(من قبيلة الأغواط فرقة الرزيقات) بقصيدة على نفس الوزن والروي، يدافع فيها عن زعمائه، ويُعَرّض بالشاعر لبوخ الذي كان أعمى، فيعيره محمد بلخير بهذه العاهة، ويعترف في نفس الوقت بشاعريته ـ كما في البيت الثالث الآتي ـ يقول فيها:

عارفين بحاحيص طــــــيور   والإبل منهم ما منـــــــعت
غير تاق العقد المنصـــــور   دارت أم الحــــور وحبست
ما اهلكنا غي واحد في **الـعور**   غير بعوينة ويكـــــــوّت
فك راسك من راس الثـــور   يا القوال اللــــــي تـشمت
بين ناس وسردوك بـقـــور   وبين حلوف دوي ثابـــــت

غير مد العربي الغنـــــــدور جاب بولحية يتكلفـــــــــت
يا أوخيْ قايدكم مستـــــــور غير قديمة واتقســــــــمت
ما تواتي تراس شبــــــــور غير بنعالة ويسحـــــــــت
سعيت كرشة وسعيت مصور بينهم زاهي تتكـــــــفت
يا اوخي ميعاد ســــــرور خلت الشواي أو هربـــت[385]

ثم تدخل للصلح بينهما - بعد هذه الأحداث الدامية - الشيخ السهول أحد كبار أعيان أولاد ابن عبد الرحمان السهلي (شيخ الشيخ عبد القادر السماحي)، والطيب بن سليمان زعيم أولاد سرور وسيد قبيلة أحميان، وكان من الطبيعي أن تنجح هذه المهمة رغم بوادر استحالتها، نظرا لما كان - ولا زال- يُكنه أولاد سيدي الشيخ من التعظيم والتوقير لشرفاء السهلي.

هكذا اجتمع الطرفان، وتوحد الفريقان، على مضض من الإحتلال الفرنسي، الذي كان يرى أن هذا اللقاء لا يجب أن يتحقق بعد الهوة السحيقة التي حفرت بينهما[386].

أغار سليمان بن قدور وابن عمه معمرعلى القبائل الموالية للإحتلال في 1874/6/11 بالشريعة جنوب البيّض وانصرفوا بالغنائم، و في 1874/6/13 أعادوا الكرة على قبيلة الطرافي بالشط الشرقي إلا أن سلطة الإحتلال استنفرت لملاحقتهم جيشها وأتباعها، فالتحموا بهم من جديد في معركة النفيش جنوب جبل المالحة، فاسفرت المعركة عن استشهاد 37 مجاهد كان من بينهم معمر بن الشيخ بن الطيب، ومحمد بن بوعلام (آل بودواية وهو والد الزاوي أحد أعيان الغرابة) وجرح سليمان بن قدور، وقتل من أتباع جيش الاحتلال: الجديد بن زيان (قائد الطرافي) والعربي بن قدور(قائد درّاقـة)[387].

دفن الشهيد معمر بن الشيخ بالصفيصفة بضريح لالة صفية[388]حيث قبره معروف.

وترك من الأولاد:

- محمد بالفقشيش[389] إزداد سنة 1873م، تربى في كنف عمه علال بن الشيخ وكان رغم صغر سنه من مجموعة الأطفال الذين نجوا من سجن مكناس الذي اقتيد إليه زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة في 1885م بأمر من السلطان مولاي الحسن الأول، وعاش الناجون - ما يقرب من السنتين- في حمى شيخ الزاوية

[385] Boualem Bessaih, l'etendart interdit, p.50.
[386] Michaux-Bellaire, Les Archives Marocaines, p.337.
[387] DPSENOA, p.895.

[388] أنظر ص 26 من الكتاب.
[389] كانت تربط أولاد سيدي الطيب - زعماء الغرابة - علاقات وتحالفات ودية بزعماء قبائل الجنوب الشرقي والشمال الشرقي، ومن بينها علاقتهم مع زعماء بني يسناسن، وكانت لهم علاقة خاصة بأولاد الهبيل زعماء بني عتيق، وكان من بين زعماء عشيرتهم محمد بالفقشيش، فمن المحتمل جدا أن يكون معمر بن الشيخ أطلق إسم صديقه على ولده، لأن هذا الأسم غريب عن أولاد سدي الشيخ إلا بهذا المعنى.(وجدة العمالة – لفوانو – ترجمة محمد الغرايب ص 363).

الوزانية بالمزارية بناحية وزان، إلى أن صدر العفو الملكي في حقهم فالتحقوا بالمغرب الشرقي سنة 1887م.

توفي حوالي سنة 1910م وخلف من الأبناء : العربي ومعمر.

ولا تزال ذريته بعين بني مطهر، وجدة، النعامة (الجزائر).

- 6- قدور بن الطيب

إزداد حوالي سنة 1800م، ترأس نيابة عن أخيه الشيخ بن الطيب جيشَ أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذي شارك في حملة الأمير عبد القادر الجزائري في 1836م .

شارك في أول معركة يخوضها أولاد سيدي الشيخ بزعامة الشيخ بن الطيب ضد الإحتلال الفرنسي، في 2 ماي 1845م بالشريعة[390].

في خريف 1845م ترأس قدور بن الطيب وفد أولاد سيدي الشيخ الذي توجه إلى فاس للإحتجاج لدى السلطان مولاي عبد الرحمن، على بنود معاهدة لالة مغنية التي سلبت أولاد سيدي الشيخ الغرابة - المغاربة- أرضهم وقراهم ومجالهم الرعوي[391].

شارك في الثورة التي قادها أخوه (الشيخ بن الطيب) سنة 1849م، ثم بعد المضايقات التي تعرضوا لها من طرف المخزن المغربي بعد هذه السنة، اضطر أخوه زعيم الغرابة إلى المناورة، فترأس قدور بن الطيب الوفد الذي فاوض الفرنسيين على السلام، وعُيّن قائدا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة في 1852/02/28م. ولكن لم يلبث هؤلاء أن انسحبوا من إتفاقية الإستسلام في 1853/11/28م وأعلنوا العصيان من جديد.

لم يرد ذكره في خضم الأحداث منذ 1863م، ولذلك فمن المرجح أنه توفي أواخر الخمسينات من القرن التاسع عشر، وبروز إبنه سليمان على الساحة السياسية يؤكد هذا الترجيح.

لا أستبعد أن تكون وفاته في فترة الحصار الذي كان يضربه المخزن على الشيخ بن الطيب، وإطلاق يد القبائل المجاورة له بمضايقته وتهديده ابتداء من 1850م لثنيه عن المقاومة، إذ في إحدى الرحلات التي قادت قافلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى فاس للتجارة ولإكتيال حاجياتهم من القمح والشعير وغيرهما، تعرضت قافلتهم - أثناء رجوعها - إلى هجوم قطاع الطرق في أرض قبيلة غياثة ناحية تازة، وتصدى لهم قدور بن الطيب في شرذمة من رفاقه، فصدهم عن القافلة وأثناء تبادل إطلاق النارمات - في المعركة - بعضُ أعيان القبيلة في الدفاع عنها،

[390] DPSENOA, p.792.

[391] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، ج.52 ص 71.

وجرح قدور بن الطيب الذي عانى من جرحه إلى أن وصل إلى الظهراء فمات ودفن بمقبرة أهل بريدع بتاندرارة[392].

خلف عدة أبناء من بينهم:
* **سليمان**:الذي لعب دورا بارزا في أحداث الحقبة التي نحن بصددها ولطول الحديث عنه فقد أفردنا له الفصل الآتي بعنوان"الشهيد سليمان بن قدور".
* **المعراج** : إزداد حوالي سنة 1857م رافق أخاه سليمان عندما كان آغا للبيض وحميان. ألقي عليه القبض سنة 1873م ورُحّـل مع آخرين إلى سجن كالفي بكورسيكا (Calvi-Corse)، أطلق سراحه سنة 1876م ونُـقل مباشرة إلى مراكش مع أهله المُهَجَرين من الجزائر إلى مراكش، بقي بها إلى أن فرّ أخوه سليمان من فاس سنة 1883م فالتحق به في الجنوب الشرقي حيث ساهم في معاركه ضد الإحتلال وأعوانه، إلى أن ألقي عليه القبض مجددا من طرف المخزن المغربي واقتيد إلى سجن مكناس سنة 1885م حيث قضى فيه تسع سنوات، وأطلق سراحه سنة 1895م وعاد إلى الظهراء ليستقر بقبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة التي تجمعت من جديد، بزعامة علال بن الشيخ تحت إسم أولاد سيدي عبد الحكم.

7-الشهيد سليمان بن قدور

إزداد سنة **1840** م بنواحي الشلالة من أبيه قدوربن الطيب، وأمه غنية بنت قدور من آل امحمد عبد الله (أولاد سيدي الشيخ الغرابة).

كان أبوه من أعيان أولاد سيدي الشيخ، فقد حمل السلاح إلى جانب أخيه الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة في مواجهة الغزو الفرنسي يوم **2** ماي **1845** م في معركة الشريعة، وهي أول معركة يخوضها أولاد سيدي الشيخ قاطبة ضد الإحتلال الفرنسي، والتي بها افتتح الشيخ بن الطيب ثورات أولاد سيدي الشيخ التي تتالت بعده، وكانت استمرارا واستكمالا لما بدأه.

بعد وفاة أبيه، عاش سليمان في كنف عمه الشيخ بن الطيب، زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وقد شب في فترة صراع دائم بين القوات الفرنسية وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وعايش أحداث المنطقة التي اندلعت وهو إبن خمس سنين.

كان شيخ الطريقة الوزانية - سيدي الحاج العربي بن مولاي علي- يزورأولاد سيدي الشيخ الغرابة أثناء جولته في المنطقة، إذ كان هؤلاء من خواص أتباع الطريقة الوزانية، ومن المريدين الأوفياء لها، وكانوا يَخـُصـّـُون شيخهم - عند زيارته لهم - بالإستقبال اللائق بجنابه المنيف، فتـُنصَبُ له خيمة الشرف إحتفاء به وبحاشيته، ويُستقبَل بألعاب البارود، يستعرضها الفرسان على الخيل، وذات يوم - في بعض زياراته لهم - خرج صباحا من خيمته فلمح سليمانَ بن قدور وهو لا

[392] DPSENOA,(Planche gynéalogique des Ghraba).

يزال صبيا صغيرا، قد قام مبكرا يداعب أحد أحصنة أبيه في مربطه، فأقبل عليه الشيخُ وحادثه وتفرس فيه النباهة والذكاء وعلوالشأن، فأوصاهم بالعناية به[393].

في بداية 1863م أعاد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان تعيين الشيخ بن الطيب خليفة له على المناطق الشرقية وقد سبق أن عينه وعزله من هذا المنصب والده السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام سنة 1849 م لأسباب سبق ذكرها[394]. فانطلق خليفة السلطان في عملية استقطاب القبائل المغربية لإخراجها من الهيمنة الفرنسية، وإشعارها بهويتها، وهو ما لم يَرُق لسلطات الإحتلال. وفي هذه الأثناء اندلعت فجأة ثورة الشراقة بزعامة سليمان بن حمزة، ولم يثن هذا الحدث الغرابة عن مواصلة عملهم وحثهم القبائل على التمرد وعصيان السلطات الفرنسية والإلتحاق بالشيخ بن الطيب. في هذه المعمعة بزغ نجم سليمان بن قدور، وشارك أبناء عمه في مهاجمة أولاد سيدي إبراهيم في 1864/4/12م لإرغامهم على الثورة، كما استطاعوا ترحيل 700 عائلة من قبيلة الطرافي وضمهم إلى القبائل الثائرة مع أولاد سيدي الشيخ الغرابة في أبريل 1864م.[395]

كان سليمان إلى جانب عمه زعيم الغرابة وخليفة السلطان، إلى أن أثارت تحركاته انتباه المخزن المغربي في شهر ماي 1866م"إذ قضى الشهر كله في تحريض القبائل الحدودية على الجهاد، فبعث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن برسائل إلى قبائل الجنوب الشرقي يحذرهم من الإستماع والإستجابة لسليمان بن قدور ويحثهم على التزام الحياد تجاه ما يحدث في الحدود، إلا أن سليمان استطاع - رغم ذلك - تكوين جيش تعداده 300 فارس و300 راجل هاجم به المصالح الفرنسية المتمثلة في القبائل الموالية للإحتلال(حميان) يوم 1866/6/25م.[396]"

تفرس الشيخ بن الطيب في إبن أخيه طموحا لا يُحد، وجموحا لا يُرد، وحاول أن يبقيه في كنفه خوفا منه وعليه، إلا أن خلافا عائليا نشب بين سليمان وإبن عمه معمر بن الشيخ بن الطيب، مما حدا بسليمان إلى الإنفصال عن ذويه، وكوَّن لنفسه زعامة مستقلة، في فترة كان القحط يدفع بالقبائل الثائرة غربا، ولم تجد ما كانت تأمله من لين الجانب في القبائل المضيفة، ولم تجد في زعيم الشراقة الحاميَ الكفءَ، فلجأت إلى سليمان بن قدور، لِمَا عرفت عنه من حمية وقوة ومزايا القائد الفذ، وكان عمره إذاك ستا وعشرين سنة[397].

بعد مشاورات واتصالات اختارالإنضمام بجيشه إلى زعيم الشراقة أحمد بن حمزة، في مارس1867م[398] ولا يخفى أن طموحه كان زعامة الغرابة والشراقة معا.

[393] رواية شفوية عن الحاج بحوص بن علال حفيد الشيخ بن الطيب.

[394] DHTAE, p.125.

[395] Ibid, p.125.

[396] Ibid 125 et voir DPSENOA, 5515.

[397] DPSENOA, p.872.

[398] Ibid, p.876.

كَوّنَ الزعيمان جيشا أغلبه من المغاربة (بني گيل، عمور، برابر) وأوقعا عدة خسائر بأتباع الإحتلال[399] وعادا إلى قاعدتهما بفجيج[400] ثم هاجما القصور الجنوبية (الشلالة عسلة تيوت) في **1867/4/9م.**

إبتهجت قبائل المقاومة بهذا الإتحاد الذي تحقق- في النهاية- بين الغرابة والشراقة، وخلده الشاعر محمد بن بلخير الأغواطي بقصيدة طويلة- من أحلى قصائده - سبق ذكرها يقول فيها:

ساروا ياضيمي ساروا

صدوا من چير مكلفين لأرض الحماد   شاو الليل وتبـــكارو
أحمـــــــد وسليمان قاصدين البـــلاد   ويح التل وجنـــــارو
ثراية سيدي الشيخ راحت على وســاد   زل من الـقلب غيارو
من غير سيادي ما نريد حتى سيــــاد   خرجوا للــجهل نڨارو
ومن سعد سيادي ما نريد حتى اسعاد   كل سماحــي بنــوارو
مصابيح الظلمة بيت حرمـــــة وزاد   بوهم سعد اللي زارو[401]

كان اتحاد الشراقة والغرابة حدثا غير سار تلقت نبأه السلطات الفرنسية، فسارعت إلى مغازلة سليمان بن قدور، وأغرته بمنصب كبير، وجاه واسع، ففاوضها على شروط منها السعي لدى المخزن المغربي لإطلاق سراح أبناء عمه المسجونين بفاس[402]، وبعد مشاورات بين السلطات الفرنسية والمخزن المغربي تم الإتفاق على إطلاق سراح الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب من وجدة، حيث كان سجينا مع إبنه بعد أن ألقي القبض عليهما في سوق وجدة في أكتوبر1864م. كما تقرر تعيينه خليفة لعامل وجدة على فجيج وما جاورها، مع الإبقاء على ولديه وأخيه رهائن لدى المخزن، ضمانة تلزمه الوفاء بالشروط التي أطلق سراحه من أجل القيام بها، هذه الشروط التي لا نعلمها ولكنها واضحة لا يتجاوزها التخمين، أهمها كسر الوحدة بين الشراقة والغرابة، وإحياءالصراع التقليدي بينهما، وخلق قوة جديدة للغرابة موازية لقوة الشراقة، بزعامة الحاج العربي، بعد تعيينه خليفة لعامل فجيج من طرف السلطان.[403]

كان الأمر طبيعيا أن يختلف أحمد بن حمزة مع سليمان بن قدور، لتمكن العداوة القديمة منهما، وفقدان الثقة التي تتطلبها المقاومة وظروفها، وكانت السلطات الفرنسية تعرف ذلك جيدا، فسعت لإغراء سليمان بن قدور بالجاه والمال والزعامة

[399] DHTAE, p.126.
[400] Ibid, p.127.
[401] Si Boubakeur, un soufi, p.210.
[402] L'ullistration,journal universel, tome 1er (1843-1869). p.204.(Gallica.bnf.fr)
[403] DPSENOA, p.522-653.

التي فقدها عند ذويه، فاستغل الفرصة من جانبه لاشتراط شروط من بينها إطلاق سراح أبناء عمه،وهكذا استسلم للفرنسيين في وفد من أعيان أتباعه في **1867/12/16**[404]
كما أن أسبابا أخرى دفعت بالخلاف إلى الظهور منها:
ـ أن عناصرا من جيشه كانت تفضل الإستسلام، والعودة إلى ديارها، نظرللحرب التي أرهقتها بثقل تكاليفها وتضحياتها، واستحالة الإنتصار فيها[405].
ـ وهناك خلاف عائلي حاد كانت وراءه مغامرة غرامية، بطلتـها فتاة تعشقت سليمان بن قدور[406] وهي من أقارب علي ولد لخضر قائد الغياثرة(إحدى فرق قبيلة حميان).
ومن المحتمل جدا أن يكون هذا الحادث من صنع عملاء الإحتلال، بهدف تفكيك الوحدة بين الشراقة والغرابة، وإن كان الأمر كذلك، فقد أحسنوا إختيار المقتل بدقة، فمن الأسباب القاصمة لظهر الوحدة، المفرقة للجماعة هو مَسُّ العرض وخدش الشرف.

كانت السلطات الفرنسية- ممثلة في الجنرال شانزي **(Le General Chanzy)** حاكم تلمسان[407] تتصيد إجهاض المقاومة، فعنَّت لها فرصة خلاف زعيم الشراقة مع سليمان فاستدرجت هذا الأخير إليها، ووجدت فيه ضالتها، نظرا لقوته وبطشه، ومغامراته التي ليست لها حدود، وبعد تعيينه آغا البيض استطاع سليمان جمع حميان حوله معتمدا على أعيانهم الذين رأوا فيه رجل الساعة، خصوصا أنه ينتمي إلى عائلة كانت قبيلة حميان تدين لها بالولاء[408].

"لقي هذا التعيين ترحيبا من حميان الذين كانوا يتطلعون إلى قائد يحكمهم بمواصفات منها أن يكون من منطقتهم، وأن يكون بدويا رحّالا مثلهم، يخيم بأهله إلى جانبهم، يهتم بأمنهم، ويقتسم معهم همومهم، له الشجاعة الكافية للصمود أمام أعدائهم، له الجرأة على الدفاع عنهم والإنتقام لهم، مستعدا في كل حين لإمتطاء جواده، وتلبية النداء، يكون ذا شخصية قوية، وأصل نبيل، كي يكون فوق طموحات زعماء حميان لتتوحد بذلك كلمتهم حوله" [409]وهذه المواصفات التي اشترطتها قبيلة حميان في الشخص الذي سيقودها كانت تعريضا بالأغوات الذين عينتهم السلطات الفرنسية، كمولاي الصديق، والآغا محمد بن مصطفى، والآغا محمد بن عبد الله، وهم من ذوي الأصول الحضرية من نواحي وهران، وكانوا بعيدين عن مشاكل الترحال وهمومه، وحاجيات البدو واهتماماتهم، ومن ثم فشلوا في مهامهم.

" اعتبر أحمد بن حمزة (زعيم الشراقة) هذه المبادرة (أي استسلام سليمان بن قدورللإحتلال) خيانة من طرف إبن عمه، وأصر على الإنتقام منه، فجمع أتباعه

[404] Ibid, p.877.
[405] DPSENOA, p.515-653.
[406] Ibid, p.83/218.
[407] Ibid, p.211.
[408] Ibid, p. 208.
[409] Ibid, p.208.

وأغار على حميان والمهاية (وهي القبائل المنضوية تحت النفوذ الجديد لسليمان بن قدور) فكبدهم خسائر كبيرة."[410]

204 L'ILLUSTRATION, JOURNAL UNIVERSEL

SI-SLIMAN-BEN-KADDOUR

BACH-AGHA DE GERYVILLE.

Un des épisodes les plus curieux de la lutte que soutient notre drapeau dans le Sahara algérien contre la famille seigneuriale des Ouled-Sidi-Cheikh est, sans contredit, la razzia opérée, en plein Maroc, par notre bach-agha de Géryville, pendant que le colonel de Sonis apprenait aux insurgés, à peu de distance de Laghouat, qu'il n'y a plus possibilité pour eux, avec des fusils à pierre, de tenir devant des soldats armés de chassepots.

Le héros de cette razzia, aussi heureuse que hardie, est Si-Sliman, dont notre gravure reproduit les traits.

Ce personnage, qui représente un très-beau type de l'Arabe du Sahara, est âgé de vingt-six à vingt-sept ans. Sa constitution physique est délicate : il est petit, maigre, mais intelligent, résolu et énergique.

Quand l'occupation du territoire des Ouled-Sidi-Cheikh par les troupes françaises fut résolue, quatre frères y représentaient l'autorité religieuse fondée, il y a plusieurs siècles, par Sidi-Cheikh (monseigneur le vénérable). Sidi-Kaddour, l'un de ces quatre frères, est le père de notre jeune héros.

En 1861, Si-Sliman fut arrêté à Tlemcen pour avoir donné refuge à un mandataire infidèle.

Il était depuis longtemps rendu à la liberté lorsqu'éclata l'insurrection de 1864. Si Sliman y resta d'abord étranger, mais trois des fils de Sidi-Cheikh-ben-Taïeb ayant été arrêtés, Si-Sliman, par représailles, prêta son concours à l'insurrection et s'y fit remarquer par des coups de main heureux qui lui firent un grand nom dans le Sahara.

Après nous avoir prouvé qu'il était un adversaire avec lequel nous devions compter, il nous offrit sa soumission à la condition que ses trois cousins seraient mis en liberté. Les prisonniers ayant été relâchés, Si-Sliman a tenu ses engagements, et il y a un an environ, il est venu se mettre à notre disposition avec les hommes de son goum. Avant de lui donner l'investiture de bach-agha, on voulut éprouver sa fidélité, et c'est pour le compromettre définitivement avec son oncle Si-Lala et son cousin-germain, Si-Kaddour-ben-Hamza, qu'on l'envoya raser leurs douars, en plein Maroc, pendant qu'ils soulevaient les populations soumises du Djebel-el-Amour. L'entreprise était hardie, car la distance à parcourir exigeait au moins six journées de marche dérobée. Le succès fut complet : 2,800 chameaux, dont six cents chargés de grains, beurre, tapis, bijoux, tentes, vêtements, etc., le tout d'une valeur de 7 à 800,000 fr., furent les trophées de la victoire. En récompense de cette action, Si-Sliman vient d'être nommé à la place vacante depuis 1864 de bach-agha de Géryville.

Après la leçon de prudence donnée aux insurgés et avec les secrets que la correspondance capturée doit nous révéler, il nous semble difficile que l'insurrection des Ouled-Sidi-Cheikh ne touche pas à sa fin.

L. GUEYMARD.

ÉVENEMENTS D'ALGÉRIE. — Si-Sliman, bach-agha de Géryville.

صورة سليمان بن قدور، كما نشرتها الجريدة الأسبوعية

L'ullistration,journal universel, tome 1er (1843-1869). p.204.(Gallica.bnf.fr)

مع مقال يتحدث فيه كاتبه عن معركة المرة بين الغرابة والشراقة

ويصف فيه سليمان بن قدور.

بعد وفاة أخيه أحمد بن حمزة في أكتوبر 1868م تولى قدور بن حمزة زعامة الشراڤة، وكان همُّ الزعيم الجديد تكوين جيش قوي والنهوض بهمة عالية لمواصلة الثورة، واستطاع إستقطاب الحاج العربي خليفة عامل وجدة على فجيج، كما استدرج شيخ الزاوية التجانية إلى مشروعه، وأعلن يوم **1869/1/18**م الإنطلاق من المعذر الأحمر(شرق بوعرفة) في اتجاه عين ماضي فكانت معركة "الڤارة الغشوة" الشهيرة، التي خلدها الشاعر محمد بن بلخير في إحدى قصائده[411].

عندما كان الغرابة والشراڤة وشيخ التجانية وأتباعهم في أتون معركة (الڤارة الغشوة) الفاصلة، إستغل سليمان بن قدور(آغا البيض) فرصة غيابهم، وهاجم مخيم الشراڤة، في جيش من أتباعه بموضع يسمى"المُرّة"، يوم **1869/1/28**م فسلبهم كل

[410] Ibid, p.877.

[411] Boualem Bessaih, L'étendart interdit, p.134.

مواشيهم وأموالهم، وقُتل معمر بن الجديد (إبن عم قدور زعيم الشراقة) دفاعا عن المخيم، وسوف تـُعمق هذه الواقعة الفجوة من جديد بين الغرابة والشراقة، وستكون من بين الأسباب التي تظرم النار من جديد بينهما، فيصطدمان في معركتان داميتان تجهظان مقاومة الغرابة والشراقة معا، وتكونان بداية الهزيمة والتنازل والإستسلام، وهما معركة 3غشت1871م ومعركة المنقوب في 25\12\1871 م[412].

عاد سليمان بأسلابه إلى البيّض، فرقـّاه - على إثر ذلك - الحاكم العام الجنرال ديريو (**Le general Durieu**) إلى منصب آغا الجنوب الغربي وحميان باقتراح من الجنرال شانزي (**Le general Chanzy**) في 1870/7/28م[413]

توسع نفوذه بهذا التعيين ليشمل: حميان شافع، والجنبة، أولاد سيدي أحمد المجدوب، المهاية – المستقرين بالجنوب مؤقتا- وأولاد سيدي الشيخ، الطرافي، الرزيقات، الأغواط كسال، الرزاينة، والقصور الجنوبية: عسلة، تيوت، العين الصفراء أم ڤرارالتحتانية والفوقانية، صفيصفة، وكان يتقاضى أجرا قدره : 2.400 فرنكا سنويا.

تم تعيين إبن عمه بوبكر بن بحوص خليفة له، وانخرط سليمان في المشروع الفرنسي، فقام بعدة حملات لصد المقاومة عن الوقيعة بالقبائل المنضوية تحت حكم الإحتلال وتحت نفوذه.[414]

إستطاع بنجاح كبير فرض إستتباب الأمن ونشرالإستقرارفي الجنوب الوهراني طيلة سنة **1870م**، وهي السنة التي عرفت الحرب الفرنسية الألمانية، واعترفت له بذلك السلطات الفرنسية التي إجتازت تلك الفترة الحرجة في أمن وأمان.[415]

" وهو الذي اقترح على الفرنسيين القيام بحملة ضد القبائل المغربية الموجودة جنوب فجيج وجنوب غربه. وهي الحملة التي قادها الجنرال وامفن **wempffen** سنة **1870م** [416]. " شارك سليمان في الحملة المذكورة المنطلقة من وهران، في اتجاه وادي ڤير شرق تافلالت، في عمق الأراضي المغربية.

إنطلقت هذه الحملة بموافقة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. وأكد محمد بركاش(وزير الخارجية المغربي) أن السلطان قد ارتاح لنتائجها التي أطلعه عليها سفير فرنسا بطنجة[417] كان الهدف الرئيسي لحملة الجنرال "وامفن" هو ضرب القاعدة الخلفية لمقاومة أولاد سيدي الشيخ المتمثلة في حلف زڤدو(ذوي منيع، أولاد جرير، بني ڤيل، العمور، البرابر)

قبل هذه الآونة وأثناءها كان سليمان يعيش مناكفة مع السلطات الفرنسية حول كيفية سياسة القبائل التي تشكت من صرامته، وقهره الذي لا يساوم فيه، إذ حمّل سليمان

---

[412] DPSENOA, p.880.
[413] Ibid,p.211.
[414] Ibid, p.83/135/885.
[415] Ibid, p.886.
[416] أحمد العماري، توات، ص 80.
[417] DPSENOA, p.670.

محكوميه ما لا يطيقون، حتى بلغ الضغط ببعض الفرق حد التهديد بالهروب إلى جانب الثوار، فاضطر الفرنسيون في **1871/12/19**م إلى إعفائه من مهامه مع إحتفاظه – شرفيا – بوظيفته، وأجرة قدرها **12000** فرنكا، وتحديد "ملاتة" ناحية وهران كإقامة جبرية له[418].

لما استقر- سليمان بن قدور- بملاتة طالب السلطات الفرنسية بترحيل المحتجزين من ذويه وهي عائلات إبن عمه معمر، وضمها إليه، إلا أن السلطات الفرنسية لم تسمح إلا بالعائلات المحتجزة بفرندة باللحاق بسليمان، حيث بقيت معه إلى أن استغفل سلطات الإحتلال وفر بأهله وبعائلة معمر - المذكورة - عائدا إلى المغرب في الليلة بين **11** و**12** أبريل **1873**م[419].

بعد عودته إلى المغرب وبتدخل من سيدي السهول أحد شيوخ زاوية السهلي توحدت الكلمة - من جديد - بين زعيم الشراقة قدور بن حمزة وزعيمي الغرابة معمر بن الشيخ وسليمان بن قدور، وهو ما لم ترتح له سلطات الإحتلال[420] ومنذ هذا الوفاق الذي أسس سنة **1873**م لم يسجل بين الشراقة والغرابة أي خلاف مسلح إلى أن انتهت المقاومة بوفاة قدوربن حمزة واستشهاد معمربن الشيخ، واغتيال سليمان بن قدور.[421]

منذ فراره من مكان إحتجازه لم يُعرف عن سليمان بن قدور أي شيء يثير الانتباه، إلى يوم **1874/3/11**م حيث وقع كالصاعقة على القبائل الموالية للإحتلال بالشريعة جنوب البيّض، فهزمهم وسلب مواشيهم إلا أن الإحتلال استنفر قواته ولحق بجيش سليمان بالنفيش جنوب المالحة، وبدأت المعركة التي أسفرت عن استشهاد 37 مجاهد وجرح سليمان، واستشهاد زعيم الغرابة معمر، وقُتل في المعركة قائدان لقبيلة الطرافي المنضوية تحت جيش الإحتلال[422].

واصل إتحاد الشراقة والغرابة تهديده للإحتلال والقبائل الموالية له، ففي يناير 1876م كان سليمان بن قدور وقدور بن حمزة يترصدان القوافل العائدة من توات للإستلاء عليها مما جعل السلطات الفرنسية تستنفر قواتها، وتحول بينهما وبين قوافله[423].

هرعت السلطات الفرنسية إلى البلاط الملكي المغربي- كعادتها- محملة بخططها للضغط على المخزن بهدف التخلص من سليمان بن قدور، الذي خَبَرَتْهُ طويلا وتأكدت لديها قوة شخصيته، وقدرته الفائقة على استنهاض الهمم، واستنفار المجاهدين، وقيادة الجيوش، مع اطلاعه على السياسة الفرنسية، واقترح الوالي

---

[418] Ibid, p.214.
[419] Ibid, p.894.
[420] Muchaux-Bellaire, Archives Marocaines, p.337.
[421] DPSENOA, p.219.
[422] Ibid, p.219.
[423] Ibid, p.223.

العام للجزائر الجنرال شانزي (**Le général Chanzy**)على المخزن المغربي فكرة ترحيل سليمان زعيم الغرابة وأتباعه إلى سايس ناحية فاس، وإغرائه بالإمتيازات والتعويضات التي يتنازل مقابلها عن المقاومة وإثارة قبائل الحدود ضد الإحتلال، ووجد السفيرالفرنسي تيسو(**Charle josephe TISSOT**) بمساعدة السفيرالإنجليزي السير جون هاي ديرموند هاي(**Sir john Hay Drummond Hay**)القبول والرضى لدى المخزن المغربي، خصوصا أن سليمان كان مصنفا لدى المخزن المغربي في خانة زعماء الفتن ومن المطلوبين لديها منذ **1864م**[424].

كان زعماء وأعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة من مريدي الطريقة الوزانية، ومن أتباعها المخلصين، ونظرا للصلة الوطيدة التي تجمعهم بهذه الزاوية، فإن المخزن المغربي والسفير الفرنسي إختارا مولاي عبد السلام بن العربي شيخ الطريقة الوزانية، للحوار مع مريده سيدي سليمان[425]وإقناعه بقبول التخلي عن المقاومة والإستقرار داخل المغرب بعيدا عن الحدود.

بعث السلطان إلى مولاي عبد السلام برسالة يحثه فيها على القيام بهذه المهمة، والنيابة عنه في إعطاء أمان الله والرسول لأولاد سيدي الشيخ بالإستسلام للمخزن، والتزام زعمائهم بعدم الإستقرار بإقليمي وجدة أو تازة.

انطلق مولاي عبد السلام - شيخ الزاوية الوزانية - في 17 فبراير1876م - في مهمته الديبلوماسية مُيَمِمًا نحوعين بني مطهر(المغرب الشرقي) حيث ضرب موعدا للقاء سليمان بن قدور، فوجده في انتظاره.

وأُفسِحُ المجال للشريفة الوزانية[426]:**Emily Keene** زوجة مولاي عبد السلام بن العربي، الإنجليزية الأصل، التي رافقت زوجها في المهمة الصعبة ووصفت الرحلة بكل دقة لتقول لنا :

".. قبل شهر يناير بوقت قليل، جاء بعض- أصحاب - السعادة إلى الشريف يطلبون تدخله في شأن قائد جزائري يُدعَى سي سليمان بن قدور من قبيلة أولاد سيدي الشيخ

---

[424] DHTAE, p.125.

[425] وكان هذا الإقتراح من تيسو السفير الفرنسي بطنجة بحكم معرفته بالعلاقة التي تجمع بين أولاد سيدي الشيخ الغرابة والزاوية الوزانية.(سيرة الشريفة الوزانية ص 110 الترجمة الفرنسية).

[426] إميلي كوين ازدادت في 1849/9/19م من أبيها جون كوين وأمها إما وارن، بأنكلترا، وصلت إلى طنجة في 1872/2/17م ، تزوجت من مولاي عبد السلام بن العربي شيخ الطريقة الوزانية في 1873/1/17، وعُرفت منذئذ بشريفة وزان، أثار زواجها حفيظة علماء فاس، وأغضب سلطان المغرب إذاك، وقلب العادات والأفكار حتى داخل الزاوية الوزانية، وكان إعلانا عن حقبة توشك أن تغير الحياة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في القرن التاسع عشر، بل كان هذا الزواج عبارة عما نسميه اليوم "حوار الثقافات والأديان"... توفي عنها زوجها في 1892/9/28م بعدما خلفت منه مولاي علي ومولاي أحمد. توفيت في 1941/12/11 بعد نطقها بالشهادة بمحضر العلامة عبد الله كنون، عن عمر طويل حافل بالأعمال الاجتماعية والسياسية..." من مقدمة الكتاب المترجم عن الأنكليزية إلى الفرنسية من طرف سيدي محمد اليملاحي الوزاني وهو من ذريتها."

القوية. ولقد كلفت الإغارات على التراب الجزائري التي قام بها أفراد من رؤساء الأسر(أي زعماء أولاد سيدي الشيخ) الحكومةَ الكثير من القتلى من ذوي المكانة، ناهيك عن النفقات المالية الطائلة.
وسي سليمان بن قدور ينتمي إلى الفرع الأصغر من أسرة كان شيخها هو سيدي أبوبكر حَمْو الرسول محمد. وقد كانت هذه القبيلة معدودة من أشراف الإسلام. ولكن معظم القبائل تتبع تعاليم بعض الفرق الدينية، وعلى رأسها السنوسية. وكان سي سليمان بن قدور يُقر بالحاج عبد السلام، شريف وزان الكبير، شيخَه الروحي. وقد كان للرسائل التي بعثها الشريف زوجي مفعول حسن عليه، لكن لم يكن لها المفعول الدائم في تلك المنطقة الحدودية المضطربة.
ولقد قرر أمبراطور المغرب والحكومة الفرنسية، من خلال وساطة السير دريموند هاي(سفير بريطانيا) أن يطلبا التدخل الشخصي لزوجي، لدعوة سي سليمان للإقامة الدائمة في المغرب، وتقديم إعانة مالية له ولأتباعه، بالإضافة إلى أرض زراعية وبذور. وقد تم تحقيق هذا الهدف. لكن لم يلبث سلطان المغرب أن نكث بوعده، وصيّر الرئيس (أي سيدي سليمان بن قدور) إلى ما يشبه الفاقة التامة. ونتيجة لذلك فرّ سي سليمان وبعض أتباعه، وعادوا إلى مهاجمة الحدود. وبعد بضعة أعوام تعرض هو واثنا عشر من أصدقائه، وأقاربه، للإغتيال على يد واحد من أتباعه، فيما كانوا يتناولون طعام الغذاء، وحُمل رأسه إلى سلطان المغرب مولاي الحسن، بيد قاتله يُطالب مقابله بألفي دولار، غير أن القصة نفسها لا تفيدنا أن القاتل قد حصل على ذلك المبلغ، وإن كنت أرجح أنه لم يحصل منه على أي شيء.
وقد كانت تساورني بعض الشكوك حقا، في شأن سي سليمان فهو تارة صديق للحكومة الجزائرية، وتارة ينقلب عدوا لها. وكان قد تولى، لبعض الوقت، منصبا رفيعا في الجيش، وكان يتقاضى راتبا جيدا، لكن ميله إلى الحرب وحبه لحياة الترحال كانا يمنعانه من الإستقرار، وتَرْك أعمال النهب، والمؤكد أن الحكومة الجزائرية، قد تحلت بقدر كبير من الصبر، تجاه مجموع هذه القبيلة القوية، وأما اليوم، فقد دخل أفراد هذه القبيلة كلهم تقريبا في خدمة فرنسا، فيما القادة الذين عادوا إلى موالاة الجزائر يحصلون منها على إعانة مهمة، جزاء لهم عن موقفهم النبيل.
لقد ابتعدت كثيرا عن موضوع حديثي، لكن حيث أنني رافقت الشريف في أول عملية صعبة يقوم بها، فقد بدا لي أن من الجدير بي أن أعَرّف بذلك الشخص الذي طلب منه أن يفاتحه في مسألة الإستسلام، وبعد مضي بضع سنوات، ذهب الشريف في مهمة ثانية عند أفراد آخرين من القبيلة نفسها، وكان سيحوز النجاح نفسه، لولا أن أفسدت عمله بعض السلطات، وتسببت من ثم في النقمة التي دفعت بأنصار سي سليمان بن قدور إلى العودة إلى سابق أعمالهم، بعد أن تم استكمال جميع التسويات. ولقد عرّض ذلك الشريفَ للملامة بطبيعة الحال، غير أنه أفلح في تبرئة نفسه

بطريقة مرضية ومقنعة. وضل يتمتع بكامل ثقة الحكومة الفرنسية إلى حين وفاته في عام 1892.

ابتدأت المفاوضات في يناير 1876 في ما يتعلق ببعثة الشريف المقترحة إلى الجزائر. فقد كان يتعين عليه أن يمضي إلى جنوب الجزائر للتفاوض، بالنيابة عن سلطان المغرب والحكومة الفرنسية، في شأن استسلام بن قدور، وفي 17 فبراير1876 استقلينا سفينة حربية فرنسية تدعى في ما أظن " لوكسار"، تلك هي السفينة التي استقلتها الأمبراطورة لحضور احتفالات القاهرة، وكانت سفينة فاخرة. وبلغنا وهران بعد حوالي ستة وثلاثين ساعة من مغادرتنا لمدينة طنجة...

... وهناك رأيت الحفاوة الكبيرة التي استُقبل بها الشريف من طرف إخوته المسلمين حتى وهو في بلد غير بلده... وقد كنت إلى ذلك الحين لا أعي تمام الوعي مكانة الشريف الحقيقية في العالم الإسلامي، فقد كنت أعرف أنه من نسب شريف، ولأنه من سلالة الأنبياء، لكن ذلك لم يكن له أي معنى خارق عندي... ورأيتني قد تزوجت من رجل يمتلك نفوذا لم أكن أحلم أبدا لأن يكون له... إن المشاهد التي كنت شاهدة عليها كانت من قبيل الأعاجيب: رجال أشداء تنهمر الدموع على وجوههم جاءوا يطلبون بركة الشريف...

...ومكثنا في وهران بضعة أيام، كان للشريف خلالها بعض اللقاءات مع السلطات الفرنسية، في شأن بعثته إلى سي سليمان بن قدور. ولم تكن في ذلك الوقت سكة حديدية إلى تلمسان، فكان علينا أن نقوم بتلك الرحلة على متن العربة ... وخلال مقام الشريف في تلمسان، كان مشغولا بإرسال الرسل على وجه السرعة، لتعيين مكان وجود سي سليمان بن قدور، الذي كانت حياته الترحلية قد جعلت تلك المهمة على قدر غير يسير من الصعوبة، وفي الأخير جاءتنا منه بعثة فأسرعنا بإعداد التجهيزات النهائية، بسبب الرحلة الشاقة والعسيرة التي يتعين علينا القيام بها ...غادرنا سبدو(جنوب تلمسان) على صهوات الجياد. وكنا نتوقف بين الحين والآخر، لأن العرب كانوا يستعرضون أمامنا بالخيول والبارود، والحشود تتدافع للحصول على بركة الشريف والفوز بنظرة إليه... ووصلنا إلى العريشة التي كانت في ذلك الوقت، مركزا عسكريا فرنسيا ... ثم جاء الدليل الذي طال انتظاره، وبدأ التأهب للرحيل إلى عين بني مطهر، حيث كان من المفروض أن يلقانا سي سليمان بن قدور والقبيلة. وكان الحماس شديدا، وحتى في هذه المرحلة كان الشك والريبة يساوران الكثيرين. فقد كانوا يَشُكُّون في نجاح مهمة الشريف، وكانت تساوره هو الآخر بعض الشكوك، ولاسيما أنه كان يدرك طبيعة الشخص الماكر الذي سيقوم بمفاوضته، وكانت الطريق خالية من الأشجار، وربما أجزت لنفسي أن أقول أنها كانت خالية من الماء أيضا، رغم وفرة نبات الحلفاء فيها، واستمر إستعراض الخيل والبارود، وتقديم أطباق الضأن طوال الطريق...

... ووصلنا في الأخير، إلى الموقع الذي حدده سي سليمان مكانا للقاء، ولم يكن سي سليمان موجودا، ولم يسمع عنه أحد ولم تـَرد أية إشارة تدل على وجوده في الجوار بصحبة أتباعه، كان رجال الإستطلاع يبحثون في كل مكان، ثم يعودون بالرد نفسه، وقد يقول أحدهم أنه رحل إلى فجيج، أو إلى منطقة نائية.

من المؤكد أن الشريف تضايق من عدم إطاعة أوامره، وهو الشيخ الروحي. كان الوقت عصيبا على الجميع، وكان أكثر ما يضايقنا، أننا لم نكن نعرف أين سنمضي ليلتنا، ولا كيف، فقد كان المكان منعزلا تماما، لا يأمن فيه المرء على نفسه، وكانت العين أين ما قـُلبت، لا ترى غير الرمل، ورقع صغيرة من بضع شجيرات في أماكن متفرقة. ثم حالف الحظ شخصا لمح على مرمى البصر رجلا يمتطي جوادا - فيا لها من حدة في البصر تلك التي يتمتع بها العرب، وحدة في السمع أيضا - فتقدمنا في اتجاهه، وانتظرنا عند إحدى الينابيع، ثم التحق بنا الرجل وعلمنا عندئذ، أننا نسلك طريقا خطأ، لكن ليس معاكسا، إلا أن السير فيه سيستغرق منا ساعة أو ساعتين. ورأينا عين بني مطهر على مقربة منا، وشددنا زمام دوابنا التعبة للتقدم بسرعة، لأن الطريق الرملية كانت قد نالت منها كثيرا.

كانت المناظر بعين بني مطهر خلابة، من صخور كبيرة تسطع مثل الرخام الصافي تحت أشعة الشمس، وطريق تعلو وتنحدر لتحجب الرؤيا. ولم نجد سي سليمان هناك. وبينما كان الشريف يفكر في الخطوة القادمة، سمعنا وقع حوافر جياد، وصلصلة أسلحة، وارتفعت الأصوات بـ "لاإله إلا الله محمد رسول الله"، وعندئذ تـَقدمْتُ والشريف في بطء إلى الأمام، وسرعان ما لاح لنا شخص في رداء أبيض يمتطي جوادا أصيلا، عليه غطاء أخضر مذهب، ويتقلد سيفا طويلا معقوفا، وعلى رأسه عمامة مغطاة بغطاء برنسه المسدل، قد اتخذت أهذابه من شعر البعير وفوق كتفه بندقية. وكان يلف عنقه برباط أخضر، ويتمنطق مصحفا[427] لفـّهُ في منديل من حرير، وكان يعلق في حزامه مسدسيْن، فعرفت حينها، أننا عثرنا على ضالتنا.

وعندئذ ترجّـلَ سي سليمان عن فرسه، وألقى بنفسه أمام حصان الشريف (مولاي عبد السلام)، وقبّل قائم الدابة. فهب إليه الخدم وأعانوه على النهوض من الأرض، ثم اقترب من الشريف، وأمسك بيده وأخذ يقبلها والدموع تفيض من عينيه وتنهمر على خديه، فخيم حينئذ صمت رهيب لم يدم غير ثوان معدودة، لكني وجدته

---

[427] كانت العادة في المغرب أن يتقلد الرجل كتاب دلائل الخيرات (في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) للشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870 هـ، تبركا به وطلبا للحفظ، وذلك بعد نسخه في حجم صغير ووضعه في جراب نفيس، وكان الرجل يحمله على جنبه الايمن بعد أن يرفعه بحمالة من حرير يمررها على كتفه الايسر، ولم يكن سليمان يحمل مصحفا كما كانت تظن الكاتبة، لأن حمل مصحف القرآن الكريم يتطلب طهارة دائمة وهي حالة متعذرة على المسلم.

وقتا طويلا، أنا التي كنت أحِسّني دخيلة على المكان، بسبب لباسي الأوروبي، لكن سي سليمان توجه نحوي، وسلم علي، وقال كلمات ترحيب بالفرنسية، ثم امتطى فرسه الأصيل الذي لم يبرح المكان حيث ترجل عنه سيده.

قادنا سي سليمان بن قدور إلى واد نصب فيه معسكره، الذي لم يَرمُقهُ أحد منا، إذ كانت الأشجار العالية والصخور المجاورة له تواريه عن الأنظار. وبقي أتباعه الذين يبلغون سبعمائة رجل، متسمرين في أماكنهم، بينما كان زعيمهم يقدم فروض الطاعة للشريف.

وعندما هممنا بمغادرة المكان، تدافعت الأرجل والجياد للمس الشيخ الروحي. ثم بدأ استعراض البارود، واستمر إلى أن أصبحنا على مشارف الخيمة التي خصصت لنا.

إشتملت تلك الخيمة على أفرشة وثيرة ووسائد في أجمل تنسيق، لاستقبال المسافرين المُتعَبين. لكن لم يكن هناك ركن معد للطفل (لأن الشريفة صحبت معها طفلها الصغير). ثم جيء بصينية الشاي والماء المغلى في لمح البصر، فشربنا كأسا أنعشنا قليلا.

وأُرسل في طلب سي سليمان للإنضمام إلينا، وكان رجلا ربع القامة، داكن البشرة، أسود العينين، وكان بريق عينيه يوحي بأنه يمكن أن يعرف ما يجيش في خاطر المرء. وكان يرتدي رداء أبيض ناصعا، ليس هو الرداء ذاته الذي كان يرتديه أثناء اللقاء الأول، لأنه كان نقيا، لم تعلق به ذرة غبار واحدة.

ركع سي سليمان أمام الشريف، جاعلا يديه خلف ظهره، وجاء إليه أحد أتباع الشريف فساعده على النهوض، ثم تقدم إلى زوجي، فقبل يديه، وجثى على ركبتيه، وحياني. وقعد القرفصاء قبالة الشريف، الذي أمره بالجلوس على الفراش. ثم تناول كأس شاي، وبدا عليه الإضطراب، إذ كان الكأس يرتعش في يده.

طلب مني الشريف أن أناوله رسالتين، واحدة من سلطان المغرب، مولاي الحسن، والثانية كانت بحسب ظني، من الحاكم العام في الجزائر، فأخذ سي سليمان الرسالة الأولى وفضها بمطواه، ثم قبلها، ووضع ختمها على جبهته، قبل أن يشرع في قراءتها.

كنت أتساءل عما يجول في خاطر سي سليمان وهو يقرأ تلك الرسالة، فقد كان يقرأ ويعيد القراءة، وفي غضون ذلك كان الشريف يحدثني، أو يحدث أحد رجاله، فقطب سي سليمان حاجبيه، ثم ابتهج، ثم بدا عليه الشك، وفي الأخير سلم الرسالة إلى زوجي وركع أمامه ثم قال:

-أنا خادمك، إفعل ما تراه مناسبا.

ثم قرأ رسالة الحاكم العام، وقال إنه يمتثل لكل ما ورد فيها، وسنحت لي الفرصة أثناء ذلك، لأتفرس في الرجل، فبالإضافة إلى عينيه الدائرتين، كانت تكسو وجهه لحية سوداء قصيرة، ويعلو شفته شارب قصير أيضا، وكانت حركته تدل على عظمته، فقد كان يبدو زعيما لا يعصى له أمر. وكان جذابا ووسيما، وكان من

الصعب التصديق أنه يقف وراء عمليات وحشية، وأنه أطلق رصاصة على رأس جنرال، وهزم جيشا يفوق عدد أتباعه.
وأذكر أنه قيل لي، ذات مرة، وأعتقد أن ذلك كان في مدينة طنجة، أنه لم يكن في نيته أبدا أن يصبح خصما للحكومة الجزائرية، وأن أحد الملازمين خالف أوامره ولم يُرد أحدا أن يصدقه، وبما أن المغبة وقعت عليه، فقد قرر التنغيص على الحكومة، حتى وإن كان العقاب الذي سينزل به من جراء ذلك عقابا مريرا يودي بحياته، فسيكون قد استحقه عندئذ. وبذلك رحل إلى البرية، دون إذن رسمي بالتخلي عن المنصب الذي كان يشغله. وغادر تلمسان ومعه ذخيرة أسلحة تتكون من رصاص جعله في عمامته، وخراطيش غطى بها كل أطراف جسده، وكان يتحاشى المطاردين، وهو على صهوة جواده، قلت مستغربة: " ياله من حصان مسكين، فأي حصان يمكنه أن يعدو بسرعة وعليه كل تلك الحمولة " ؟ فأجابني:" إنني أستعين بالله، وبمولاي عبد الله الشريف، وبدار الضمانة، وأحصل على العون الروحي".
كانت هذه كلمات سي سليمان إليّ، فبراعته في الفروسية والرماية ساعدته كثيرا. ففي إحدى المناسبات كان داخل غرفة يحرسه ضباط وبالرغم من ذلك استطاع الفرار، وفي مناسبة أخرى تنكر في ثياب امرأة، إنها شهادات تلقيتها من سي سليمان، وأسردها كما هي، من دون أن أكون شاهدة على صحة ما ذكر لي.
ودار بيننا حديث آخر عندما سألته لماذا قَبِل الإقامة في المغرب فكان جوابه :
"وكيف لي ألا افعل، وسيدي الحاج عبد السلام جاء يبحث عني مجشما نفسه وزوجته وطفله عناء السفر، من أجل عبد ضعيف، أنا مجرد طين فاصنعوا بي ما شئتم".
لقد حِدْتُ عن موضوعي، لكن هذه الأحداث الصغيرة استأثرت باهتمام الكثيرين في تلك السنوات الخوالي، وربما تحظى باهتمام آخرين في الوقت الحاضر .
رُفعت صينية الشاي، وجيء بخروف مشوي، ووضع على مائدة خشبية وطيئة ولم يكن ثمة كراسٍ، بل كل ما كان في الغرفة (الخيمة) أرائك، كانت مريحة. وكان عليّ، في هذه المرة، أن أقطع اللحم إربا إربا، بواسطة مطواة، حتى إذا فرغنا من الخروف، توالت علينا أطباق متنوعة، وكنت أتساءل أين يتم تحضيرها فلم أر دخانا ولم أشتم رائحة الطبيخ، ولما كنت لا أجيد الحديث بالعربية بعد، فقد جعلني أتحفظ من الإستفسار، غير أن الفضول دفعني لأسأل زوجي، فعلمت لاحقا أن المطبخ يوجد على بعد نصف ميل، داخل مغارة، فقد علم زوجي بالأمر بعدما أخذنا قسطا من الراحة في اليوم الموالي. وتخللت ذلك لقاءات كثيرة مع سي سليمان، حضرها

أبرز أتباعه أيضا[428] وأخبرني الشريف أن كل الأمور عادت إلى طبيعتها. فشرعنا، حينئذ، في حزم الأمتعة.

حدث في اليوم الموالي أمر جدير بالذكر، فقد كانت الدواب تُحمّل والخيام تُهدم عندما ظهرت جموع من العرب، كان منهم الراكب والراجل، واصطف بعضهم أمامنا، مقتعدين العشب، فيما هرع بعضهم إلى الشريف طلبا للبركة، وبعد ذلك تقدم سي سليمان إليهم، ولبثت أنا والشريف وراءه، كان يرتدي برنسه ويحمل عصا يجعلها له متكأ، ثم بدأ يخطب في الناس، فأخذ بعضهم يبكي بشدة، وكان صوت بكائهم و تنهدهم يسمع من بعيد، وكانوا يترنحون بأجسادهم، كما يفعل العرب عادة، وأعتقد أن سي سليمان خطب لمدة عشرين دقيقة، في صوت أجش قوي، حتى إذا فرغ، قام الجميع إليه، وقبل أن يَحُول الأعوان بينهم وبينه أخذوا يقطعون ثيابه، وأوقعوا عمامته على الأرض[429].

عندئذ سارعنا إلى امتطاء جيادنا، لتفادي أية مظاهرات، لكن بعض هؤلاء الأشخاص ظلوا يَعدُون وراءنا لعدة أميال، ويُجَارون جيادنا. والتفت عدة مرات لأرى تلك الحشود في السهول، وهي في تناء، كنت أحس انفطار قلوبهم، من فرط الحب الذي يحملونه لشريفهم .

واعتقد أنه تم إرسال البرقيات من العريشة لإخبار الحكومة الجزائرية (الفرنسية) بنجاح مهمة الشريف[430] وفي سبدو كان القائد بن داود يستخفه فرح شديد، وأعرب لنا عن التقدير أكثر مما أولانا من زيارتنا الأولى، فقد كان الناس متشاءمين من هذه القضية، وحكم عليها الكثيرون بالفشل، ولذاك كان نجاحها مفاجأة كبيرة، وخُصصت لسي سليمان خيام جميلة، ولاحظت أن عدد السبايس (جنود جزائريون محليون) كان أكثر مما رأيت عقب زيارتي الأولى، ومن هناك، فيما أذكر ذهبنا إلى لالة مغنية لفض نزاعات قبلية نشبت على الحدود منذ ثلاث سنوات، بين أنجاد

---

[428] أشرك سليمان - في الإجتماع - عشرين شخصا من أعيان أتباعه، وقدم لمولاي عبد السلام رسائل موجهة إلى السلطان من قبائل أنجاد، المهاية، بني مطهر، بني چيل، أولاد جرير... يطلبون من السلطان تعيين سليمان عاملا على إقليم وجدة، وأن تضم إلى ولايته كل القبائل إلا قبيلة بني يسناسن.(إملي كوين، الترجمة الفرنسية ص 110).

[429] كان رحيل سليمان حدثا قاسيا وأليما على أتباعه الذين كانوا رفاق سلاحه، وخاضوا معه معاركه لعدة عقود، كانوا يُفدُونه بالنفس والنفيس، ولذلك عمدوا– عندما علموا بفراقه الوشيك – في حركة انفعالية لتقطيع أجزاء من ثيابه للتبرك بها، والإحتفاظ بها كذكرى منه، وكانوا يبكونه بشكل يؤكد وفاءهم له، وسيظهر ذلك لاحقا عندما يفر من فاس ويعود إلى موقعه بالجنوب الشرقي سنة 1881م، إذ ما يكادون يسمعون بمقدمه حتى ينوافدون عليه جماعات جماعات، وفي فترة وجيزة يُكَوّن- سليمان- جيشا كبيرا ينقض به كالصاعقة على أتباع الإحتلال الفرنسي بالمكان المعروف بعنق الحمل.

[430] أرسل مولاي عبد السلام الوزاني برقية بتاريخ 25\4\1876م إلى الوالي العام الفرنسي بالجزائر يقول فيها بأن سليمان قد قبل مقترحاتي وهو قادم معي، فأُعْطِيَتْ الأوامر لأميرال الباخرة "القصر" للإستعداد لنقل مولاي عبد السلام إلى طنجة.(إميلي كويين الترجمة الفرنسية ص 113)

وبني يزناسن والمهاية، وسكان مدينة وجدة التي كانت تعيش حالة استنفار منذ سنتين...

... فلما كنا في طريقنا إلى لالة مغنية... كانت الإحتياطات الإضافية قيد التحضير إما بسبب وجود سي سليمان، أوبسبب عدد العرب المحتشدين في المدينة، لست أدري على وجه التحديد، لكن الجنود كانوا في كل مكان.

... كان سي سليمان قد رحل عن تلمسان، مع أتباعه وأحد رجالنا، متجهين إلى وهران، ومنها إلى طنجة بحرا، حيث سينتظر قدوم الشريف، بينما توجهنا نحن إلى الجزائر العاصمة لمقابلة الحاكم العام... وفي وقت باكر من الصباح الموالي، زار الشريف الحاكم العام "شانزي"(**Le General Chanzy**) في مكتبه... ثم رد الجنرال شانزي ومساعدوه الزيارة للشريف... كان الشريف متوترا (يريد) التوجه إلى باريز وأيضا إلى لندن، ويبدوا أن الحكومة الفرنسية إرتأت أن يتابع مهمته التي تعهد بإنجازها أولا وتحديدا العودة إلى طنجة في الحين وتسليم سي سليمان لسلطان المغرب، لأنه كان يُتخوف من أن يُساوره الندم ويهرب، ثم يعود إلى إشعال الإضطرابات على الحدود الجزائرية من جديد، أو أن ينكث بالعهد الذي قطعه على نفسه، وألا يبقى حيثما هو، ولو استغرق ذلك شهورا. ولقد آوى (أي سليمان) إلى بيتنا في المدينة وكان يتجول في المدينة كما يحلو له، في رفقة أحد كتابنا وبعض أتباعه.

...أعْلِم الشريف أن المركب " لوكاسار" الذي أتينا على متنه من طنجة إلى وهران قد صار تحت تصرفنا...وصَحِبَنا في الصباح الباكر من اليوم الموالي أعوانٌ حكوميون حتى المركب، وعلى متنه إقيم حفل غذاء تم خلاله توشيح الشريف بوسام الشرف، من طرف قائد السفينة، باسم الحكومة الفرنسية... ثم وصلنا إلى طنجة بعد رحلة ممتعة، ونزلنا من المركب الذي حفنا البحارة فيه بالعناية، وكان سي سليمان يتقدم الحشود التي كانت تنتظر على المرفأ، فسلم علينا بابتسامات وانحناءات، وأراد أن يحمل الطفل، لكن هذا الأخير رفض مفارقة الخادم موحى .

... كان يُفترض أن يغادر(الشريف) فور عودته من الجزائر (إلى فاس) بحمولته (سي سليمان) فقد أصبح مولاي الحسن، الملك المتوج يومئذ، متعجلا قد نفد صبره ولذلك كتب إلى المندوبيْن البريطاني والفرنسي، للقيام بمساعيهما الحميدة لحمل الشريف على إتمام مهمته، لكن الشريف قدم اعتذاراته متعللا بشتى الأعذار، ومن المؤكد أن الإجراءات التمهيدية قد استغرقت وقتا غير يسير، فلما انتهى كل شيء لم يعد (السلطان) يستعجلنا.

... ولم يكد يمضي أسبوع أو عشرة أيام حتى انطلق الشريف باتجاه مدينة مكناس ... وتم الحصول على بعض الإمتيازات لفائدة سي سليمان بن قدور، تمثلت في معاش خمسين بسيطة يوميا، ومنزل مُعفى من الكراء، وأرض زراعية وبذور،

وترخيص لأولئك من أتباعه الذين يرغبون في الإقامة بالمغرب، والعيش على نفقة الحكومة، إلى أن يصبح في مقدورهم أن يتدبروا أمورهم بأنفسهم."[431]

وتحكي الشريفة عن رحلتها من طنجة إلى فاس وذلك في 1882 م أي بعد مرور ست سنوات على مهمة الوساطة التي قام بها الشريف في 1876م قائلة :

..." وقد تمت خطوبة ربيبتي في أوائل فصل الربيع من عام 1882م وبدأ الإستعداد لحفلات الزفاف... وغير بعيد من مدينة مكناس (سايس) التقيت مصادفة ببقية من أفراد قبيلة سي سليمان، فاغتبطوا كثيرا لرؤيتي، وكانوا في عوز إلى الموارد المالية، ولقد وجدتهم قد عقدوا روابط جديدة، واعتقد أنهم ما يزالون هناك"[432].



قصبة الفقرا (بني مطهر)
على ضفاف الوادي الشارف، حيث خصص سليمان بن قدور استقبالا حافلا
لمقدم شيخه مولاي عبد السلام شيخ الطريقة الوزانية سنة 1876م

صورت لنا الشريفة الوزانية ساعة رحيل سليمان مع شيخه الحاج عبد السلام، من عين بني مطهر، بعد أن أقنعه بالإستسلام لأمر السلطان، فقد خص أتباعُ سليمان زعيمَهم بوداع مؤثر جدا، يُظهر- بما لا يدع الشك - تعلقهم به، وازدادوا إعجابا به عندما أكبروا فيه فُتُوّتَه ونُبله اللذان دفعا به إلى التضحية بجاهه ومكانته وشهرته، إرضاءً لشيخه الذي تجشم عناء السفر صحبة زوجته وطفله، طلبا لاستسلامه، فلم يخيّب سليمان ظن شيخه فيه، بل وقف أمام أتباعه ليقول لشيخه:أنا خادمك افعل ما تراه مناسبا، وأنا طينة بين يديك أفعل بي ما تشاء.

كان المقصود - بمهمة مولاي عبد السلام في الحدود الشرقية - زعيمَيْن من زعماء أولاد سيدي الشيخ، سليمان بن قدور زعيم الغرابة، وقدور بن حمزة زعيم

---

[431] "الشريفة الوزانية" سيرة إميلي كين كما حكتها، ترجمها عن الإنكليزية عبد الرحيم حزل، وصدرت مسلسلة في جريدة العلم ابتداء من بداية يوليوز 2000 .

[432] Emily Keene, Histoire de ma vie, traduit par SIDI Mohamed EL Yamlahi et Mohamed Saad ZEMMOURI, p.162.

الشراقة الذي رفض الحضور بشخصه، وأناب عنه أخاه الأصغر الدين بن حمزة وكاتبه الفضيل، ونظرا للشروط التي اشترطها- زعيم الشراقة - مقابل استسلامه، فقد اكتفى مولاي عبد السلام باستجابة سليمان لوساطته.



سلطان المغرب
في عصره اغتيل سليمان بن قدور
و سجن باقي أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة.



الجنرال ألفريد شانزي (1823-1883)
كان واليا عاما للجزائر (12\6\1873-30\1\1879)
كان وراء ترحيل أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى مراكش



الشريفة الوزانية \إميلي كوين (1849-1941)
التي تعرضت في كتابها ، لبعض جوانب حياة سليمان بن قدور.



مولاي عبد السلام بن العربي (1834-1892م)
شيخ الطريقة الوزانية ، الذي توسط من أجل استسلام سليمان بن قدور لأمر السلطان مولاي الحسن الأول.

كان أولاد سيدي الشيخ الغرابة - في تلك الفترة - يَعرفون زعامتين، زعامة سليمان الذي انفرد منذ 1866م بجيش قوي وأتباع كُثر، واستقل بهم عن ذويه وزعامة علال بن الشيخ الذي كان لا يزال شابا، والذي استمد زعامته بالوراثة من أبيه وإخوته الشهداء الأربع، ولم يثر أي خلاف أو اختلاف بين الزعامتين.

كان غياب علال بن الشيخ وبعض أعيان آل سيدي الطيب عن الإجتماع بمولاي عبد السلام، عند زيارته سليمان يفترض أحد الإحتمالين:
- رفض المبادرة جملة وتفصيلا من طرف أعيان الغرابة بزعامة علال بن الشيخ.
- الإتفاق المسبق (بين أعيان الغرابة) على أن لا تذهب العشيرة كلها في مغامرة لا يُعرف مصيرها.

بعد رحيل سليمان مع مولاي عبد السلام إلى تلمسان، ملأ علال بن الشيخ الفراغ الذي خلفه غياب سليمان، وانفرد بزعامة الغرابة، وانضم إليه الكثير ممن تبقى من جيش وأتباع سليمان بن قدور.

عندما كان الشريف مولاي عبد السلام بن العربي في وجدة للصلح بين المهاية وأهل أنچاد وبني يسناسن، كان سليمان في وهران يفاوض السلطات الفرنسية على كيفية ترحيل عائلته وأتباعه، وعرف سليمان كيف يستغل شروط استسلامه، فطالب بترحيل الغرابة المحتجزين في الجزائر إلى المغرب، وطالب كذلك بإطلاق سراح سجناء كالفي (Calvi) وإلحاقهم بإخوانهم بالمغرب. وقدم للسلطات الفرنسية لائحة بأسماءهم. فمن هم هؤلاء المحتجزون، وأولائك السجناء ؟

- المحتجزون : لا بد أن نعود إلى 1871 لمعرفة أسباب احتجاز عدة عائلات من أولاد سيدي الطيب المغاربة، ونعود بالتحديد إلى 1871/12/25 وهو يوم معركة المنقوب (جنوب الأبيض سيدي الشيخ) التي هاجم فيها الغرابة مخيم الشراڤة، انتقاما لمقتل الحاج العربي وأخيه سليمان. فعندما كان زعيم الغرابة معمر بن الشيخ يقود أتباعه في هذه المعركة، اغتنمت القوات الفرنسية غيابه وغياب جيشه فأغارت على مخيمه بالأراضي المغربية، وقامت بترحيل قبيلته برمتها واحتجزت جزءا بسطيف (وسط الجزائر). وجزءا في باتنة (بشرق الجزائر).

اشترط سليمان- أثناء التفاوض معه- إطلاق سراح المحتجزين في باتنة وسطيف، وإلحاقهم بذويهم المزمع تهجيرهم إلى فاس. وفضل هؤلاء المحتجزون الترحيل القسري إلى غرب المغرب، عن البقاء مجبرين في مخيمات تحت الحراسة، وإن كانوا يفضلون - لو ملكوا الإختيار- العودة إلى أرضهم وأرض أجدادهم، وشفاء الغليل بالنظر في وجوه ذويهم، ولمّ شملهم بعد شتاته، ولا أقرب لهذا المعنى من قول ابن الرومي :

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهموا عهود الصبا شوقا فحنوا لذلكا
ولي وطن آليت أن لا أبيعه وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا

- السجناء : في 1871/12/19 عُزل سليمان عن وظيفته التي كان يشغل فيها آغا حميان والبيض، ثم اختلق الإحتلال أسبابا لسجن خليفته وأخيه و ابني عمه وهم:

- بوبكر بن بحوص(خليفته)
- المعراج بن قدور(أخوه)

- قدور بن زيان (آل زيان بن عبد الحكم).
- الطاهر بن الشيخ .

ونقلوا إلى سجن كالفي بجزيرة كورسيكا (جنوب فرنسا)[433].

استجابت السلطات الفرنسية-مرغمة- لطلب سليمان، فتم ترحيل المحتجزين من عنابة وسطيف إلى طنجة، وتم إطلاق سراح سجناء كالفي بكورسيكا(فرنسا) حيث ألتحقوا بأهليهم في طنجة، ومنها تم ترحيل الجميع بحرا إلى آسفي ليستقروا في النهاية بالسويهلة غرب مراكش.

كان عدد المرحلين: 35 عائلة فيها 227 فرد (75 رجل و84 امراة 68 طفل)، حسب اللائحة التي سلمها سليمان بن قدور، للجنرال أوسمون(Le général OSMONT) حاكم وهران، قبل انتقاله إلى طنجة ليُعَيَّنَ سفيرا لبلاده بالمغرب.

لائحة بأسماء أولاد سيدي الشيخ (الغرابة) المرحلين من عنابة يوم 11 شتنمبر1876م ومن وهران يوم 17شتنمبر1876م والموجهين نحو طنجة بالمغرب

العائلات المحتجزة في سطيف

(كانت هذه العائلات محتجزة منذ 1871م وموضوعة تحت الاقامة الإجبارية في مخيمات بسطيف على خلفيات المقاومة وللضغط على زعمائها)[434]

العائلة الاولى (آل سيدي الطيب)

بوحفص بن الطيب ، رب العائلة (وهو عم سليمان بن قدور)

الشيخ بن بوحفص العربي بن بوحفص سالم بن البهلول فاطنة بنت المير

خيرة بنت أحمد العالية بنت بوحفص فاطمة بنت أحمد بوعلام بن بوحفص

علي بن بوحفص الشيخ بن الدين

العائلة الثانية (رزاينة)

محمد بن بلال (رب العائلة) بوحفص بن الحاج الزانة بنت أحمد أم الخير بنت الحاج

مبروكة بنت الحاج

العائلة الثالثة (آل سيدي الطيب)

بوبكر بن بوحفص الباتول بنت أحمد قوتة بنت الشيخ شريفة بنت بوحفص

عائشة بنت بوحفص بودواية بن بوحفص عبد الرحمن بن بوحفص

العائلة الرابعة(آل سيدي الطيب)

المعراج بن قدور : رب العائلة (أخو سليمان بن قدور) مبارك بن البهلول

مبارك بن لطرش صفية بنت الطيب فاطمة بنت قدور مسعودة بنت قدور

الذهبية بنت بلال نونة بنت محمد عبد العزيز بن بوبكر خيرة بنت بوبكر

العائلة الخامسة(معابدة)

433 Muchaux-Bellaire, Archives Marocaines, p.357.

434 Ibid, p.345.

الشيخ بن عبد الرحمان امحمد بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ فاطنة بنت العربي
مبروكة بنت الشيخ معمر بن الشيخ

العائلة السادسة(عبيد الزاوية)

قدور بن بوحفص
خيرة بنت الشيخ عائشة بنت بوحفص حليمة (طفلة صغيرة)

العائلة السابعة(عبيد الزاوية)

الميلود بن بلال ميمونة بنت مسعود أم الخير بنت فراجي خديجة بنت بلال

العائلة الثامنة(آل سيدي الطيب)

الطيب بالحاج بن سليمان بن الحاج الذهبية بنت سليمان الحاجة بنت زيان
الذهبية بنت الحاج حليمة بنت محمد محمد بن الحاج محمد بن سليمان
الزهرة بنت الحاج

العائلة التاسعة(عبيد الزاوية)

بالخير بن بريك بريك بن بلال عيدة بنت فراجي العالية بنت محمد
محمد بن بالخير ثلجة بنت بريك

العائلة العاشرة(أولاد بودواية)

بن سليمان بن المازوزي فاطمة بنت الحاج

العائلة الحادية عشر(أغواط)

بوشتة بن الشيخ رحمة بنت بريك

العائلة الثانية عشر(أغواط)

الصافي بن أحمد مصطفى بن أحمد فاطمة بنت أحمد خيرة بنت بالفضل

العائلة الثالثة عشر(معاليم)

عبد الحكم بن نبو ابراهيم بن عبد الحكم الصميكية بنت عيسى عبد الحكم بن عبد الحكم
خيرة بنت عبد الحكم فاطمة بنت عبد الحكم

العائلة الرابعة عشر(زياينة)

عبد الحكم بن بوحفص جلول بن حكوم بوعلام بن حكوم الشيخ بن حكوم
الطيب بن بوحفص خديجة بنت محمد

العائلة الخامسة عشر(زياينة)

الشيخ بن زيان الحاج بن زيان حليمة بنت محمد باية بنت الشيخ
عبد الحكم بن زيان التاقي بن زيان محمد بن زيان مسعود بن زيان
خيرة بنت زيان يامنة بنت زيان فاطنة بنت زيان فاطنة بنت الشيخ

العائلة السادسة عشر(زياينة)

قدور بن زيان أحمد بن الحبيب بوحفص بن زيان فاطنة بنت الحاج
سعدية بنت الشيخ حليمة بنت بوحفص خيرة بنت الجيلالي غنية بنت الشلالي
محمد بن قدور أحمد بن قدور الزهرة بنت بوحفص

العائلة السابعة عشر(اغواط)

عمرو بن بوبكر بكرية بنت عيسى مباركة بنت محمد محمد بن الزين

العائلة الثامنة عشر(رزاينة)

بن عيسى بن الاطرش سليمان بن عيسى بوحفص بن عيسى مباركة بنت بوحفص
الطيب بن عيسى

العائلة التاسعة عشر(أولاد نهار)

الطاهر بن الشيخ البشير بن قدور خيرة بنت الطيب فاطنة بنت معمر
رقية بنت الشيخ محمد بن البشير رقية بنت البشير رقية بنت البشير(م)
مريم بنت البشير

العائلة العشرون(آل سيدي الطيب)

محمد بن بوبكر فاطنة بنت محمد رقية بنت الشيخ سليمان بن محمد
فاطنة بنت محمد

العائلة الحادية والعشرون(أغواط)

محمد بن منصور سليمان بن منصور منصور بن محمد محمد بن امحمد
أحمد بن امحمد مريم بنت العيد ام الخير بنت اعلي عائشة بنت بومسعد
عبد الرحمن بن محمد خرفية بنت سليمان

العائلة الثانية والعشرون(معابدة)

قدور بن علي عامرة بنت علي الجيلاني بن العيد

العائلة الثالثة والعشرون (أولاد محمد بن سليمان)

امحمد بن الحاج خضرة بنت الشيخ

العائلة الرابعة والعشرون(زياينة)

محمد بن الشيخ بن ادريس بن الشيخ فاطنة بنت الطيب غنية بنت محمد
فاطنة بنت محمد

العائلة الخامسة والاعشرون(اغواط)

بن عامر بن زياد موهوبة بنت سليمان محمد بن عامر

العائلة السادسة والعشرون(اربوات)

عبد الله بن سعد مسك الجيب بنت بوحفص آمنة بنت أحمد فاطنة بنت عبد الله
أحمد بن عبد الله البشير بن عبد الله آمنة بنت عبد الله حليمة بنت بلقاسم
فاطنة بنت بلقاسم

العائلة السابعة والعشرون(رزاينة)

بن الفضل بن خليفة سليمان بن السايل محمد بن الفضل فاطنة بنت صالح

العائلة الثامنة والعشرون (عبيد الزاوية)

عبد الحكم بن الجيلاني قدور بن الجيلاني محمد بن الجيلاني ربيحة بن بوحفص
فاطنة بنت بوعمامة خيرة بنت عبد الحكم عبد الحكم بن عبد الحكم

العائلة التاسعة والعشرون (أولاد عزيز)

ام خليفة بنت سعيد فاطنة بنت المازوزي قدور بن المازوزي

العائلة الثلاثون(معابدة)

حليمة بنت بوحفص(ربة العائلة) محمد بن موسى رقية بنت موسى

العائلة الواحدة والثلاثون(أولاد عزيز)

معمر بن خليفة عائشة بنت قدور فاطنة بنت علي ميرة بنت معمر

العائلات المحتجزة في باتنة

(كانت هذه العائلات محتجزة منذ 1871م و موضوعة تحت الاقامة الإجبارية في مخيمات بباتنة على خلفيات المقاومة وللضغط على زعمائها)[435]

العائلة الاولى(عبيد الزاوية)

[435] Ibid, p.353.

بن دواية بن معمر عبد الرحمان بن معمر محمد بن معمر الميلود بن معمر
خديجة بنت معمر ثنية بنت معمر مباركة بنت الهاشمي خيرة بنت الحاج
أم خليفة بنت معمر مبارك بن معمر بوحفص بن معمر

العائلة الثانية (عبيد الزاوية)

محمد بن الجيلاني أحمد بن الجيلالي قدور بن الجيلالي علال بن الجيلالي
صفية بنت الشيخ فاطنة بنت الحاج خيرة بنت الشيخ فاطنة بنت الشيخ
الشيخ بن محمد الجيلاني بن محمد سليمان بن محمد خناثة بنت محمد

العائلة الثالثة (عبيد الزاوية)

بوحفص بن عطى الله مول الفرعة بن قدور فاطنة بنت الجيلالي فاطنة بنت بوحفص
التالية بنت محمد خدوم بنت بوحفص التالية بنت بوحفص عائشة بنت بوحفص
الرملية بنت بوحفص امبارك بن بوحفص

العائلة الرابعة (عبيد الزاوية)

بوحفص بن الشيخ العربي بن الشيخ سالم بن الشيخ حمادو بن الشيخ
المانعة بنت الشيخ فاطنة بنت عطى الله الزاوية بنت الشيخ

كانت هذه العائلات من أصول عشائرية مختلفة، فقد كان منهم آل ابن الطيب، عبيد الزاوية الشيخية الغربية، أولاد بودواية، الزيايتة، معابدة (أغواط)، الرزاينة، أولاد نهار، أولاد محمد بن سليمان، أولاد عزيز، معاليم.

في الفترة التي تم فيها ترحيل أولادسيدي الشيخ الغرابة إلى مراكش، كان المغرب الشرقي يعرف غليانا، بسبب زحف الجيوش الفرنسية نحو الجنوب الشرقي وبسبب الأطماع - التي لم تكن فرنسا تخفيها - لاحتلال المغرب وكانت قبائل الحدود تعرف تحالفات بينها، فكان في الجنوب :

- حلف زكْدو (ذوي منيع، أولاد جرير، بني كًيل، البرابر) يسيطر على الجنوب.
وكان شمال المغرب الشرقي ينقسم إلى حلفين :

- حلف بني يزناسن (يضم بني يزناسن الغربية، السجع، بني بوزكًو)
- حلف أنجاد (يضم بني خالد - بني يزناسن الشرقية - أنچاد، المهاية)

بعد الإضطرابات التي عرفها المغرب الشرقي بين هذه التحالفات، عين السلطانُ الحاج محمد بن البشير أومسعود زعيم بني يزناسن (ورئيس حلفهم) عاملا لإقليم وجدة لعله يفرض النظام، إلا أن الفوضى عمت السفح والجبل، فبعث السلطان بعزل الحاج محمد أو مسعود وتعويضه بعامل آخر، لكن الحاج محمد اعترض طريق العامل الجديد وحاشيته من المخزن فهزمهم وطردهم - كما أشيع عنه - مما اضطر السلطان إلى القدوم إلى الشرق واستطاع - وهو في طريقه إلى وجدة - أن يستدرج إليه الحاج محمد أومسعود ويلقى عليه القبض، ويبعث به إلى السجن حيث سيقضى نحبه سجينا بمراكش سنة 1883م.

في هذه الظروف المتشنجة إتفق حلف أنچاد وبعض من حلف زكْدو، وكتب أعيانهم وقوادهم رسائل جماعية يطلبون من السلطان تولية سليمان بن قدور عاملا

لوجدة مكان الحاج محمد أومسعود، وقد سلم سليمان هذه الرسائل إلى مولاي عبد السلام ليقدمها تحت إشرافه لحضرة السلطان، إلا أن السلطات الفرنسية الممثلة في سفيرها تيسو(Charles JosepheTISSOT) إعترضت بشدة على هذا الإقتراح. إذ كيف تسمح لشخص تسعى إلى إبعاده وعزله، أن يصبح غريمها على حدودها ؟ كما نصح سفير بريطانيا السلطات المغربية بالشيء نفسه[436].

في 1876\04\19 وصل سليمان إلى طنجة ونزل- بحاشيته - ضيفا على مولاي عبد السلام شيخ الطريقة الوزانية الذي كان يتخذ من طنجة سكنا له، وقد أناب إبنه البكر مولاي العربي عنه في تسيير الزاوية الأم بوزان.

جال سليمان كثيرا في طنجة وزار أهم معالمها، إلا أنه رفض زيارة تيسو(Tissot) سفير فرنسا في طنجة، لعلمه بدسائسه واعتراضه على تعيينه عاملا لوجدة، وقد امتعض السفير لذلك كثير[437] ولا شك أن هذا الإمتعاض واحد من بين الأسباب التي كانت وراء إعادة النظر في إقامة سليمان وعائلته بسايس، وإبعادهم إلى مراكش.

انتظر سليمان مجيء مولاي عبد السلام من وهران، وبعد عشرة أيام من وصول الشريف ذهب رفقته للقاء السلطان مولاي الحسن الأول الذي أحسن استقباله، وأعطاه دارا بفاس، وزوجه من إحدى بنات نبلاء القصر، وأجرى له راتبا ووعده بتعويضات تكفي أفراد عائلته الذين اختاروا النزوح معه، وحدد لهم السلطان - بادئ الأمر - الإقامة بأرض سايس (بين فاس ومكناس).

وصل المُرَحَّلون في باخرتين من وهران و اصطيف ووصل المُطلق سارحهم من سجون كورسيكا ونزل الجميع بدار مولاي عبد السلام (شيخ الطريفة الوزانية) بطنجة رجالا ونساء وأطفالا[438]. إلا أنه ما لبث أن تغير رأي السلطان، بفعل تدخلات السفير الفرنسي، واقتراحات مستشاري السلطان الذين كانوا يلحون على ترحيل أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى مكان أبعد من "سايس" حيث لاتسهل عليهم مغادرته- عندما يريدون - والعودة إلى المشاغبة بالحدود، وكان هؤلاء المستشارون يرون أن الأحوط ترحيلهم إلى داخل الغرب المغربي، وكان لهم ما أرادوا، فاستقر رأي المخزن في النهاية على ترحيلهم إلى السويهلة، بأرض أحمر، ناحية مراكش[439].

جاء الأمر بنقلهم من طنجة - بحرا - إلى آسفي، ثم ترحيلهم منها - برا - إلى السويهلة حيث ضربوا خيامهم، وألقو عصا التسيار.

---

[436] Ibid, p.340.
[437] Ibid, p.341.
[438] Emily Keen, Histoire de ma vie, p.124.
[439] Michaux-Bellaire, Archives Marocaines, p.356.



ما تبقى من دار سليمان بن قدور بالسويهلة – مراكش-



قبر المرحوم بوبكربن بحوص بالسويهلة – مراكش –

كان إهتمام السفير البريطاني بقضية استسلام سليمان نابعا من تحالف بريطانيا مع فرنسا وتبادل المصالح بينهما، ضد ألمانيا، ولذلك نرى أن سفير بريطانيا يستقبل سليمان بعد استقراره بطنجة - في انتظار ترتيبات ترحيل وإنزال أهله بالمكان المخصص لهم- ثم يكتب سفير بريطانيا رسالة إلى الوزيرموسى بن أحمد في هذا الشأن، وتتميما للفائدة، ننقلها رغم طولها، وركاكة لغتها، ربما بسبب قلة تجربة مترجمها:

" وزير السلطان أيده الله وكاتب الأوامر الشريفة، الفقيه الأجل المحب السيد موسى بن أحمد. فبعد السلام التام، نسأل عنك كثيرا ونطلب الله أن تكون بخير وعافية .

وبعد، فنرجو منك أن تنوب عنا في إبلاغ السلام للسلطان أيده الله، وتهنئة سيادته على وصول السيد سليمان بن قدور ولد سيدي الشيخ، تحت ظل الشريف البركة سيدي الحاج عبد السلام، الذي التزم نيابة عن الجانب الشريف بالأمان والإحسان. والغرض الكثير لدولة أكريت ابرطن(بريطانيا) في إجلاب الخير للسلطان أيده الله ولرعيته، ولما لها من المراد التام في دوام المحبة بين فرنسا والمغرب كي لا تقع بينهما غيّر، وتحتم علينا أكثر من مرة أن نطلب من السلطان أيده الله وقوف سيادته على ساق الجد ليبعد من الحدود - قهرا أو بالإحسان – كبيري العرب سي سليمان ولد سيدي الشيخ والسيد قدور بن حمزة، اللذان - هم ورفقاؤهم -

منذ سنين يهددان الإستقرار بين الفرنسيين، وتترتب عن ذلك أمور لا تليق بالعلاقة المغربية الفرنسية.

وبما أن السلطان يجد مشقة كبيرة في توجيه المحلات (الجيوش) الكثيرة لتهدئة قبائل الحدود، فقد أظهر الفرنسيون صبرا كبيرا، ولكن لا يُرجى منهم دائمًا أن يديمون النظر والسكوت على الجسارة الكبيرة الصادرة - من غير خوف- على رعايا فرنسا من لدن قبائل العرب المستقرين بإيالة السلطان.

وسيكون حضور السيد سليمان (بن قدور) مناسبة لفصال هذه الامور المهمة. وقد قدم علينا هذا الرجل سريا وبإشعار السفير الفرنسي الذي له ثقة في جانبنا بسبب دخولنا في هذا الامر.

وقد بينا للسيد سليمان المذكور بأن سبب بحثنا عن ملاقاتنا معه هو ما لدولتنا من الغرض في دوام المحبة بين دولة السلطان والدولة الفرنسية فقط، التي كانت على وشك الإنهيار بسبب سيرته وسيرة السيد قدور بن حمزة على الحدود. وذكرت له أننا فرحين غاية الفرح حين رأيناه هنا بطنجة تحت ظل الشريف البركة سيدي الحاج عبد السلام، راجينا كف قبيلته وقبيلة السيد قدور بن حمزة ودخولهم لإيالة السلطان.

وحين حكى لنا السيد سليمان سيرته الماضية، ذكر لنا الثقة التي له في الرسالة (السلطانية) التي بلغها له الشريف (الوزاني) وبضمانة هذا الشريف أمن على نفسه وقدم إلى طنجة، ومستعد للاستقرار في المحل الذي يُعين له في الإيالة.

كما ذكر لنا أيضا، أن مراده من السلطان أيده الله، ان يتدخل لدى السلطات الفرنسية، لترحيل أولاده وأصحابه وأهلهم المستقرين في 311 خيمة في (عقلة السدرة) وفي غيرها من نواحي الجزائر، ويسمح لهم بالترحال إلى المغرب برا بمواشيهم مرورا بجهة الريف وبني يسناسن، ويُعطى لهم ما يكفيهم من الأراضي الصالحة (للرعي والفلاحة). ويعطى لأصحابه ما يوفر لهم العيش الكريم وأن يكونوا في حمى من ظلم وتعدي ولاة الإيالة.

كما أخبر بأن أسلافه (زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة) كانوا في خدمة المخزن مع سلاطين المغرب، وهو على أثرهم في خدمة السلطان مولاي الحسن ويضع ولده رهينة عند الشريف الوزاني، أو في الحضرة الشريفة، (عربونا) على حسن نيته. كما ذكر أيضا أن ولده يتكلم الفرنسية ويضعه رهن إشارة خدمة السلطان ودولته.

ولما سألته عن السيد قدور بن حمزة هل يمكن أن يُعطى له الأمان في الاستقرار مع أصحابه في هذه الايالة، إذا تعين له مكان إقامة من جانب السلطان فأجاب بأنه لا يمكن له أن يلتزم بشيء مكان المعني بالامر، ولكن إذا سمع بأن السلطان أيده الله أصدر الأمان والإحسان له ولأصحابه يمكن أن يفعل ما فعلناه نحن.

وذكر أيضا أنه في حالة ما إذا استمر(أي السيد قدور بن حمزة) في غيه، فهو موجود في خدمة الجانب الشريف (أي السلطان) ويستطيع مع أصحابه ومع من يكون تحت حكمه من الناس أن يلتزم بطرد قدور بن حمزة، وبذلك يستقر الهناء في المستقبل على الحدود وفي الصحراء وغيرها، ويضع أولاده رهينة تعبيرا عن نصحه في خدمة السلطان.

أرجو من الجانب الشريف التأمل كثيرا فيما أشار به السيد سليمان ولد سيدي الشيخ. فالظاهر لنا أنه لا يليق الآن استخدام السيد سليمان المذكور - على أي وجه كان - في حرب الحدود، إلى أن تمضي عدة سنين، وبعد ثبوت حسن سيرته والثقة به. وعلى كل حال فخدمته الآن على الحدود مصدر مشاحنة، لا ترتاح لها الدولة الفرنسية. كما نؤكد لك ما سمعناه من مصدر ثقة أن السيد سليمان مراده أن يطلب من السلطان ولاية على قبائل الحدود.

وقد سمعنا أن مراد السلطان أيده الله، كان ترحيل قبيلة من دكالة وإسكانها بأرض خصبة بين فاس ومكناس، وعِوَضَ ذلك ارتأى ترحيل السيد سليمان وأصحابه إلى المحل المذكور ويجعلهم مثل الجيش، وبما أن السيد سليمان كان زعيما حربيا وسبقت له الخدمة مع الفرنسيين، فيستطيع بواسطته تطويع القبائل المخالفة في الغرب والشرق، وبهذا الوجه تظهر فائدة هذا الرجل وأصحابه ونياتهم.

وقد أخبرنا السيد سليمان بتضرره من قلة الدراهيم، وطلب منا سلفا بقيمة مائتي ريال، فعليه، نشير على السلطان أيده الله، أن يأمر أمناء طنجة بإعانته بالمال والبهائم لسفره مع الشريف الوزاني للحضرة الشريفة، وسيدي الحاج عبد السلام صدرت له المصاريف الكثيرة، بسبب نزول السيد سليمان وأ صحابه عنده. ويتحقق لدينا أن السلطان لا يرضى أن ينفق الشريف (الوزاني) من ماله الخاص على الخدمة التي هي لجانب المخزن(أي واجبة على المخزن). وإعطاء الأمر للأمناء في هذا الإتجاه، يطمئن السفير الفرنسي والسيد سليمان على أن مراد الجانب الشريف هو فصل هذا الأمر على أحسن وجه "[440].

---

[440] خالد بن الصغير، المغرب في الأرشيف البريطاني، ص 296.

عندما كان سليمان بن قدور بطنجة، كانت له لقاءات متعددة مع عدة شخصيات سياسية، ورغم المراقبة المضروبة على تحركاته وسكناته، فقد استطاع مقابلة **(Theodor Weber)** سفيرألمانيا التي كانت تناصب فرنسا وبريطانيا العداء، ولما سمع سفير بريطانيا بهذه المقابلة ثارت ثائرته، وسارع إلى مراسلة الوزيرالأعظم المغربي مستفسرا، فأجابه الوزير برسالة يؤكد له فيها ان هذه الأخبار إشاعات ليست إلا، ثم تدارك الأمر بهذه الرسالة :

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

المحب الناصح الساعي في الخير بين الدولتين والصلاح بين الإيالتين منيسطر سلطانة كريت بريطن الفخيمة (سفير ملكة بريطانيا) وباشادرها (سفيرها) العاقل بهذه الايالة السعيدة الكبير المعتبر جان هي......

أما بعد مزيد السؤال عنك، ومحبة أن تكون بخير دائمًا، فإنك كنت كتبت لنا بما بلغك من أن المرابط السيد سليمان بن قدور تلاقى بدارنا مع باشادور البروسية (ألمانيا) فأجبناك بحقيقة الواقع من أنه لم يكن شيء من ما بلغك وهو كذلك، لأنا لا نحب ذلك ولا نرتكبه ولا نرضاه ولا نوافق على ما فيه تكدير الخواطر، واستبعدنا أن يكون تلاقى معه في محل آخر.

ثم بعد ذلك كتب لنا نائب مولانا الأرضى السيد محمد بركاش في شأنه، بمثل ما كتبت لنا به، فوجهنا حينئذ إلى المرابط (السيد سليمان) وسألناه، فاعترف ولم ينكر بأنه كان توجه من عنديته لمحل نزوله (أي دار سفير ألمانيا) وتلاقى معه هناك من غير علمنا، وزعم أنه إنما تلاقى في أمر كتاب مشتمل على اللغة الفرنسية كان أوصاه عليه ليتعلم ولده منه اللغة لا غير، فوعده بتوجيهه إليه من طنجة حين يصل إليها، ثم إنه وجده هنا.

وأعلمناك بحقيقة الواقع في النازلة لتكون على بصيرة.

وختم في 27جمادى الاولى عام 1294 \ 9 يونيو 1877م

موسى بن أحمد لطف الله به[441]

كان سليمان يراوح استقراره بين أهله بالسويهلة ناحية مراكش، وبين فاس حيث علاقاته بأعيان الدولة، وبين طنجة لزيارة شيخه بطنجة.

"وفي فبراير1880م هجم أولاد المبخوت ومن انضاف إليهم من حميان شافع التابعين للإحتلال الفرنسي القاطنين بغرب الجزائر على قبائل أولاد سيدي الشيخ الغرابة النازلين بالمغرب غربي خط الحدود، وربما كان ذلك بإيعاز من السلطات

---

[441] المرجع نفسه، ص426.

الفرنسية لتعمل السلطات المغربية من جهتها على كف القبائل المغربية عن مهاجمة مراكز الإحتلال الفرنسي بغرب الجزائر، وتخبرنا الرسالة التالية التي بعثها السلطان مولاي الحسن الأول إلى نائبه في الشؤون الخارجية بتفاصيل الأحداث".

راسل أولاد سيدي الشيخ الغرابة سليمان مستغيثين به بعد هذه الأحداث، ولم تَخْفَ هذه المراسلات عن عيون السفير الفرنسي بطنجة الذي كان يراقب سليمان ويحصي الإتصالات التي تجري بينه وبين أبناء عمومته بالشرق، ونبّه السفيرُ المخزنَ عليها في حينها، إلا أنه رغم حراسة المخزن المضروبة على سليمان فقد تحقق حدس السفير الفرنسي، إذ استطاع سليمان الإفلات من بين أصابع المخزن ومن تحت عيونه.

تقول رسالة وزير فرنسا المفوض بالمغرب إلى الوزيرالصدرالأعظم السيد محمد بن العربي الجامعي، التي يطلب فيها تسوية قضايا تهم دولته ورعاياها.

أسعد الله الوزير المحترم الأجل المعظم المحب الفقيه السيد العربي بن المختار،
أعانك الله وأمنك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته،
وبعد، وصلنا كتابك بتاريخ 5 ربيع الثاني، وذكرتم لنا فيه بأن الحضرة الشريفة سمعت بظالم نفسه قدور بن حمزة أنه إجتمع بنواحي الصحراء هو وأولاد سيدي الشيخ وذوو منيع وبنو كيل وأولاد جرير والعمور بنية الفساد وإثارة الفتنة بتلك النواحي، وبنفس ما سمع ذلك قام قياما وأصدر الأمر الشريف في الحين لتلك القبائل في ذلك.

إعلم أن هذا كله لا يصفي خاطر دولتنا... وقد تكلفت الحضرة الشريفة بأن تأتي بولد سليمان بن قدور من الحدادة ويسجن بفاس، إذ هو السبب في الفتنة كلها التي وقعت عندنا، وأبيه سيدي سليمان بن قدور لم تبق له كلمة في مخزن الغرب، وتكون عليه عسة شديدة ليلا(لئلا) يفر...

في 23مارس1880م[442]

يقول جواب السلطان مولاي الحسن عن رسالة وزير الخارجية السيد محمد بركاش المتعلقة بقلق فرنسا من تدهور الحالة بالحدود:

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش
وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته،

---

[442] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق ، تصدرها مديرية الوثائق الملكية ، الجزء السابع ص 120.
والظاهر من الرسالة أن الشيخ (بن سليمان بن قدور) لم يصحب أباه إلى فاس أو ربما صحبه ثم عاد إلى الجنوب الشرقي، كما يظهر أنه كان يشارك في المقاومة بدليل التشكي منه من طرف سلطات الإحتلال، إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى فاس حيث رافق أباه في فراره من فاس ورجوعه إلى الشرق.

وبعد، فقد وصل كتابك أخبرت فيه أنه لما قدم بابور وهران قدم لعندك باشدور الفرنسيس، وبيده مكاتيب وهو مغتاظ غاية ذاكرا أن سبعة من الخيل الذين كنا وجهناهم لنواحي وجدة مشتغلون هناك بالخوض وإغراء أولائك الناس على الخروج عن حكم مخزنهم ...
وأنه تكلم على السيد سليمان بن قدور، بأنه يكاتب أبناء عمه وغيرهم بتلك النواحي، ويتحيل للفرار والرجوع لذلك المحل، مع ما يحصل في رجوعه من ضرر.
فأجبته بأن ابن قدور هذا إنما هو تحت يدنا، وإحساننا جار عليه والسياسة في ذلك هي جلب أولائك المشوشين، وهم قدور بن حمزة وغيره، لكونهم أذا سمعوا بوقوع نكبة لمن ذكر لا يمكن ورود إحد ممن المقصود ورودهم، وأنه إستحسن ذلك وقال لكن بشرط بقائه تحت يدنا ولا يتوجه لتلك النواحي أصلا...
فأما ما أجبت به عن بقاء إبن قدور تحت اليد وإجراء الإحسان عليه لجلب من بقي من إخوانه وأبناء عمه هنالك فذلك هو المقصود من تأليفه والإحسان إليه..
في 14 جمادى الاولى 1297هـ الموافق السبت 24 أبريل 1880م[443]

في **12 /1881/6م** عندما كان السلطان مولاي الحسن في جولة خارج فاس، طلب سليمان من مسؤولي المخزن السماح له برحلة صيد، صحبة إبن عمه الشيخ بن بحوص، وإبنه الشيخ، ولما أذن لهم اتجهوا شرق فاس، تحت حراسة عناصر من المخزن، وفي مخاتل جبال تازة وشعابها، لا ندري بأية طريقة تخلص سليمان بن قدور ورفاقه من فرقة الحراسة، فنفذوا خطة الهروب وانطلقوا إلى الجنوب الشرقي، تاركين أهلهم وأزواجهم وأبناءهم بمراكش وفاس.
عدة أسباب كانت وراء فرار سليمان من فاس:
1- عدم وفاء المخزن بالتزاماته التي قطعها على نفسه لتعويض أولاد سيدي الشيخ عن ضياع كيانهم المادي والمعنوي، وقد وُعِدُوا بذلك مقابل تخليهم عن المقاومة كما ذكرت إميلي كوين (الشريفة الوزانية) وقد ظهرت ملامح الاستهانة بهم منذ البداية عندما اضطر سليمان للإقتراض من سفارة بريطانيا لتغطية مصاريفه وهو في ضيافة المخزن، وقد نبه السفير المذكورعلى هذا الخطأ المخزني في رسالته إلى الوزير الأعظم كما سبقت الإشارة إليه.
لقد توصل أتباع سليمان- بعد استقرارهم بمراكش وفاس - بتعويضاتهم في أول الأمر، ثم عاد المخزن فنفض يده منهم، وتنكر لهم، وتركهم عرضة للإهمال، وعاملهم بالمماطلة والتسويف، وقد كانوا أسياد المنطقة الجنوبية وأبطال المقاومة،

---

[443] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، ص288.

فأصبحوا في زاوية التهميش بلا قيمة ولا اعتبار، وأصبح يقال لهم مقالة الحطيئة للزبرقان[444]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

2 - عروض فرنسية: تؤكدها عدة مراسلات بين سفيري فرنسا بطنجة : دو فرنويي **De vernouillet** (في **1881/7/21**) وبعده أرديغا **Ordega** (في **1882/2/28م**) ووزير الخارجية الفرنسي[445] إذ تم اقتراح تكوين منطقة واسعة بالجنوب يكون الحكم الفعلي فيها لسليمان بن قدور، تحت النفوذ الفرنسي، وتحت مضلة روحية يُختار لها مولاي عبد السلام بن العربي شيخ الطريقة الوزانية، أو سيدي محمد العربي المدغري شيخ الطريقة الدرقاوية بتافلالت، وهو مخطط فرنسي للإستلاء على الجنوب المغربي (توات ڤورارة تديكلت والساورة ونواحيها..)

إلا أن السلطات السياسية لم تُطلع السلطات العسكرية على مخططها، وعندما استقر سليمان بناحية عڤلة السدرة (جنوب عين بني مطهر) - بعد هروبه من فاس - حُدد له موعد في "عين بن خليل" لتدارس المخطط المذكور، ولما اقترب من المكان علم بواسطة عيونه أن دو نيڤريي (**De Negrier**) يستعد لقتاله فقفل راجعا مستشعرا أنها خدعة كان يُستدرج إليها[446].

كما أن الإدارة الفرنسية لم تغفل التفكير في إحياء العداوة التقليدية بين الغرابة والشراڤة وقطع الطريق على قدور بن حمزة زعيم الشراڤة، ووأد المقاومة الناشئة لبوعمامة في مهدها قبل استفحالها، وذلك بدعم سليمان بن قدور، إذ لم يَجدوا في زعيم الغرابة علال بن الشيخ قدرة وجرأة سليمان على قلب الموازين، ومغامرة تفرض واقعا جديدا يرتاحون إليه ، وقد يكون تسهيل هروبه باتفاق السلطة الفرنسية والمخزن لخدمة أهدافهما، ولا نستطيع القطع بذلك لغياب الدليل.

3- مراسلات ذويه: لاحظ السفير الفرنسي بطنجة مراسلات كثيرة تجري بين سليمان وعناصر عمومته من أولاد سيدي الشيخ الغرابة الباقين بالشرق، ونبه السفير مسؤوليه على ذلك، ونصح المخزن بتشديد الحراسة عليه[447].

لقد أغارت قبيلة حميان على أولاد سيدي الحاج إبراهيم (فرع من الغرابة) وسلبتهم أموالهم[448] فراسلوا سليمان يستغيثون به، وشرحوا له ما آل اليه حال أولاد سيدي الشيخ الغرابة من هوان بعد ترحيله (أي سليمان) إلى داخل المغرب.

4 - مبادءه وطباعه : لقد وجد سليمان نفسه - فجأة - في دوامة الدسائس والمكائد والمناورات التي هي القوت اليومي لبطانة السلطان في كل القصور وفي كل

[444] إيليا حاوي، الحطيئة، في سيرته ونفسيته، وشعره، ص 50.

[445] أحمد مزيان، المجتمع الواحي المغربي، ص 492.

[446] Djilali Sari,l’insurection, p.139.

[447] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، ص 289.

[448] المرجع السابق، ص 17.

العصور، بها يُرفع أقوام ويُوضع آخرون، وبها تـُدبّر المؤامرات، وتـُدرك المراتب والترقيات، فأبت عليه بداوته أن يهبط إلى ذلك الدرك، كيف لا وقد شب وترعرع في الحرية والمروءة وعزة النفس، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتاقت نفسه إلى عالمها، فاهتبل الفرصة السانحة وعاد من حيث أتى.

إلا أن كبير الوزراء المغربي محمد بن العربي الجامعي يرى غير ذلك في رسالة يَرُدّ بها على استفسار سفير فرنسا بطنجة عن هروب سيدي سليمان :

" وقد زوجه سلطان المغرب ببنت من الأسر النبيلة التي تربت في بلاطه، ومنحه ولإخوانه أراض واسعة للزراعة... وكذلك ما يقرب من 10.000 بسيطة نصفها حبوب خلال سنوات المجاعة... كل هذا الجميل لا فائدة منه وسي سليمان بن قدور أداها بالعقوق ونكران الجميل، واغتنم غياب السلطان عن فاس للفرار إلى الصحراء[449].

* خلف سليمان بمراكش ثلاث زوجات (كلهن بنات أعمامه) :
- حليمة بنت بحوص بن الطيب
- الطايعة بنت الشيخ بن الطيب
- مبروكة بنت محمد بن الطيب
* أما ابنه الشيخ بن سليمان بن قدور فقد ترك:
- شريفة بنت بحوص بن الطيب.
* وترك الشيخ بن بحوص :
- فاطنة بنت زغمان (الزيانية)

كان أول ظهور لسليمان بن قدور ورفاقه بالمكان المسمى"المقام" (سيدي لحسن جنوب تاوريرت) حيث قضوا ليلتهم بضريح سيدي علي بن سامح، وأصبحوا قرب تيسكنيت(40 كلم غرب عين بني مطهر) حيث وجدوا مخيم بوبكر بن المعزوز زعيم أولاد سيدي محمد (- أولاد سيدي الشيخ الغرابة -) وهو أخ العربي بن المعزوز أحد قواد الشيخ بوعمامة المرموقين. وفي هذا المخيم خـُصص لسليمان حفل استقبال يليق بقدره، وأهديت له خيمة مجهزة، وتزوج عائشة بنت لعلى(آل بودواية) وهناك كوّن أول نواة للجيش الذي سيعود به إلى المقاومة من جديد. وما أن سمعت بظهوره من جديد عناصرُ جيشه التي ودّعَهَا بألم شديد، يوم استسلامه لمولاي عبد السلام - كما تصف ذلك الشريفة الوزانية - حتى توافدت عليه من كل حدب وصوب.

ثم ما لبث أن عاد إليه أغلب أعيان أولاد سيدي الشيخ المُهجّرين إلى مراكش، الذين اعتبروا هجرتهم تخليا عن القيام بواجبهم حيال أهاليهم وقبائلهم

---

[449] أحمد مزيان، المجتمع الواحي المغربي، ص 491.

وأرضهم التي أصبحت نهبا للإحتلال والسائرين في ركابه، ورأوا أنهم هُمّشوا في منطقة لا يعرفونها، يُنْظَرُ إليهم نظرة الغريب المريب، ولما عاد أغلب أعيانهم إلى الشرق، بقي بوبكر بن بحوص زعيما لأولاد سيدي الشيخ الغرابة بمراكش.

سبق الحديث عن ثورة بوعمامة ضد الإحتلال الفرنسي التي انطلقت بموقعة مولاق في 1881/05/19م. عند انسحاب بوعمامة بجيوشه إلى نواحي بوعرفة، نشب خلاف بينه وبين بعض الطرافي (أولاد عيد الكريم، أولاد معلّى، أولاد الطالب الشيخ) فانفصلوا عنه والتحقوا بسليمان بن قدور في عقْلة السدرة، حيث كان مستقرا، كما انفصلت بعض فرق أولاد زياد ودراڤة والتحقوا بقدور بن حمزة في تافلالت[450] وستعرف هذه السنوات (1881-1882-1883) تنقل القبائل وتذبذبها بين الولاء للزعامات الثلاث. إلا أن أغلبية القبائل كانت تميل إلى سليمان بن قدور كما تشير إلى ذلك كتابات وتقارير السلطات الفرنسية.[451]

سوف يضطرالزعماء الثلاثة في 1882 إلى التقارب وتوحيد الصفوف، لأن الإحتلال كان يستهدفهم كلهم بتفعيل تحالف بين القوات الفرنسية وبين زكْدو للقضاء على أولاد سيدي الشيخ مجتمعين.[452]

في **1881/11/17م** على الساعة التاسعة صباحا، شن سليمان بن قدور هجوما مفاجئا بجيش قوامه **800** فارس و**1000** راجل (مكون من بنيڤيل، ذوي منيع، المهاية، رزاينة، حميان الجنبة) على قبيلة حميان شافع الموالية للإحتلال(عكرمة، غياثرة، أولاد مسعود، أولاد أحمد، أولاد فارس، بني مطرف، أولاد منصورة) بـ "أمراڭ" في معركة تعرف لدى المؤرخين الفرنسيين بـ "عنق الجمل" فقتل منهم :19 شخصا وجرح تسعة، وعاد بالأسلاب التالية كما تسجلها التقاريرالفرنسية التي طالبت المغرب بتعويض المتضررين من المعركة:

2048 جملا بقيمة 100 فرنك للواحد	204800 ف
10845 شاة بقيمة 10 فرنك للشاة	108450 ف
39 جواد بقيمة 300 فرنك للجواد	1700 ف
251 حماربقيمة 20فرنك للحمار	5020 ف
9 بغال بقيمة 200 رنك للبغل	1800 ف
خيام وامتعة أخرى	97955 ف
	429745 ف

ومعلوم أن 100 فرنك سنة (1882م) تعادل - تقريبا- ما قيمته (سنة 2006) : 10.000 درهم مغربي (قياسا على ثمن الجمل الذي كان يساوي 100 فرنك ويقدرثمنه

[450] DPSENOA, p.274.
[451] Ibid, p.911.
[452]Ibid, p.913.

في 2006 ب 10.000 درهم مغربي). وعليه فكان على المغرب إذاك تعويض ما يقدر اليوم بـ : 42974500.00 درهما[453].

وتحتفظ لنا الذاكرة الشعبية بما كان يردده مُنشدُ الجيش في معركة عنق الجمل السالفة الذكر، والقوم نشاوى- بعد انتصارهم- في طريقهم إلى مخيماتهم بالمغرب:

ياك احنا اللي طحنا على الدواوير البُكرة
وياك احنا اللي نجـــــع شافع بردنـــــاه ...

وأحدثت هذه المعركة دويا كبيرا، وهزت الكيان الإحتلالي هزا عنيفا.

كان حلف زكّدو يضم قبيلة ذوي منيع، أولاد جرير، العمور ويتحالف معه في بعض الحالات بنوكّيل، وسيطر الحلف على الجنوب الشرقي لعدة عقود، كان تعداد مقاتليه يفوق 4000 فردا، وكانت تخشاه القبائل وتؤدي له الأتوات السنوية، وكان يطلق عليهم "أصحاب طبل النحاس" لتوفرهم - كما يقال- على طبل ضخم إطاره من نحاس قد وضع عليه جلد بعير، ينصب على مكان عال، ويضرب بمطرقات، فتسمع رنته من بعيد جدا، وسماع صوته دعوة لاجتماع القوم لأمر ما. و من بين النتائج التي حققها الجنرال ونفن في حملته إلى وادي كّير، اصطحابه لوفد من أعيان ذوي منيع إلى وهران، حيث وقع معهم معاهدة سلام في **1870\06\17** م، وعلى أساس هذه المعاهدة ستتوطد العلاقات بينهما لتتطور إلى مخطط للإشتراك في ضرب مقاومة أولاد سيدي الشيخ. بعدما فتح الإحتلال أسواق الجزائر لذو منيع في 1879 م كمبادرة على الرغبة في تمتين الروابط بينهما[454].

اقترح الجنرال چاند **Gand** حاكم أم عسكر (جنوب وهران) على رؤسائه التعاقد مع حلف زكّدو للقضاء على أولاد سيدي الشيخ، وذلك بدعم زكّدو بـ 1000 مقاتل مع إلزامهم - في المقابل - بتوفير وسائل النقل، وتقديم عدد من الأطفال والنساء، كرهائن برهانا على حسن النوايا، وقد تمت دراسة هذا التحالف أثناء زيارة وفد ذوي منيع للجزائر في بداية 1882م، غير أن هذه المبادرة فشلت[455] ورغم ذلك حاول زكّدو تحقيقها بمفردهم في شهر يونيو 1882م حيث شنـّوا هجوما على أولاد سيدي الطيب(زعماء الغرابة) في المكان المسمى زرزف (25 كلم شرق أرفود) في وقت كان سليمان بن قدورزعيم الغرابة وقدور بن حمزة زعيم الشراقة في ضريح مولاي علي الشريف بتافلالت بمناسبة ليلة القدر، ولم يشهد الدفاع عن مخيم آل سيدي الطيب إلا ثمانية عشر فارسا جلهم من الشبان، واستطاعوا بأعجوبة صد العدوان ودحر حلف زكّدو، الذي أرغم عدة فرق من أولاد سيدي الشيخ الغرابة على المشاركة في الهجمة التي حاول القضاء فيها على آل سيدي الطيب.

---

[453] Ibid, p.90/800.
[454] Ibid p.670.
[455] Djilali Sari, l’insurection, p.139.

في يوليوز 1882 إجتمع زعماء أولاد سيدي الشيخ الثلاثة (سليمان بن قدور، بوعمامة بن العربي، قدور بن حمزة) لتدارس الخطرالذي يتهددهم والمتمثل في التحالف بين القوات الفرنسية وزكًدو ضد أولاد سيدي الشيخ عامة، ولا شك أنهم استعرضوا هجومهم الأخير(يونيو1882م) على الغرابة، فقرروا الإتحاد وشَنّ هجوم كاسح على زكًدو - بوادي كًير- فكانت معركة يوليوز 1882م التي أوقعت بهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة، وكانت نهاية حلف ذوي منيع على يد أولاد سيدي الشيخ[456].

فرض سليمان على ذوي منيع - بعد الإنتصار عليهم - تعويضات باهضة وأرغمهم على الإنخراط في مقاومته للإحتلال الفرنسي فاستجابوا له مرغمين[457].

في بداية 1883م ورغم تعليمات السلطان لقبائل زكًدو، وقبائل الجنوب الشرقي كافة، بالإبتعاد عن سليمان المنعوت بالفتّان، فقد استطاع هذا الأخير استقطاب جل القبائل واستنهاضها معترفة بزعامته لها، إلا أن السلطات الفرنسية أسرعت من جديد إلى السلطان بواسطة أورديقا(**Ladislas ORDEGA**) سفيرها في طنجة تحذره بقوة من استفحال أمر سليمان بن قدور الذي عرفته عن كثب، وخبرته عن قرب، وتأكدت لديها خطورته ومدى قوة شخصيته[458]وقررالطرفان التنسيق لاغتياله والتخلص منه نهائيا .

في أبريل 1883 بدأ تطبيق المؤامرة المدبّرة ضد سليمان حين حاول الإكتيال من أسواق تافلالت[459] فوجد أنها منعت عنه بأمر السلطان، ثم اكتشف أن بني كًيل يتسللون منه لواذا، بعدما وعدهم الإحتلال الفرنسي بفتح أسواق الجزائر لهم، مقابل التخلي عن زعيم الغرابة، كما أن أبناء عمه تخلوا عنه وانسحبوا إلى وجدة حيث أغراهم عامل وجدة بالإمتيازات والجاه لفصلهم عنه واستصدر العامل أمرا سلطانيا يعفيهم من أداء الضرائب للتعمية عليهم[460] ثم عيّن لكل فرقة من فرق أولاد سيدي الشيخ الغرابة - الملتفين منذ القدم حول آل سيدي الطيب - قائدا لاستقطابهم وعزلهم عن سليمان، ودق إسفينا بينهم، وكان تعيينهم بدون خاتم (طابع) مما يؤكد أنها مناورة ليست إلا، والفرق المعنية بهذا التقسيم هي :

أولاد سيدي الحاج إبراهيم: 40 خيمة بقيادة الشيخ بن بوحفص(البرهمي)
أولاد سيدي امحمد عبد الله: 50 خيمة بقيادة الحاج محمد بن عامر.
أولاد سيدي الحاج أحمد: 70 خيمة بقيادة أمحمد بن الحاج معمر.
اولاد سيدي بنعيسى: 190 خيمة بقيادة بوحفص بن العربي[461].

---

[456] DPSENOA, p.676.
[457] Ibid, p.678.
[458] Ibid, p.679.
[459] Ibid, 920.
[460] Ibid, p.386.
[461] Ibid, p.383.

وبدأت الحلقة تضيق حول سليمان بن قدورالذي اضطر إلى الإستقرار- مع من تبقى من أتباعه - قرب آيت بوالشاون (آيت سغروشن) وكانوا يُكنـّون له عداء قديما[462] بسبب إغارته عليهم فيما قبل ، كما سبق لابن عمه معمر بن الشيخ أن قتل منهم عدة عناصر في إحدى معارك أنوال، فكانوا يضمرون الأخذ بالثأرمنه متى سنحت لهم الفرصة، وهذا بالضبط ما استغله عبد الملك السعيدي عامل وجدة الذي أمره السلطان بجعل سليمان نصب عينيه والإنتهاء من أمره، فوجد ضالته في آيت بوشاون، وفي عبد الرحمان الأيوبي أحد أعيان بني گيل فحقق بهم مبتغاه.

استدعى أعيانُ آيت بوشاون سليمان لمأدبة غداء، صباح يوم الأحد 19 غشت1883م، فاستجاب وقـَدِمَ في إثني عشر فارس من أتباعه، وعندما قـُدّمَ الطعام للضيوف أعطيت الإشارة لإطلاق النار عليهم فقتل سليمان وثلاثة من أصحابه غدرا وفر الباقون وهم كالتالي :

الشيخ بن العربي بن الأعرج (دراڤة الغرابة) أغتيل
محمد بن بوزيان (دراڤة الغرابة) أغتيل
بن الشريف بوحرطاني (دراڤة الشراڤة) أغتيل
الفارون من المذبحة:
بن نيفود(أولاد الحاج بن الشيخ)
منصور الأغواطي (الأغواط)
الشيخ بن سليمان (المعابدة)
قرون بن سليمان (الرزاينة)
علي بن المداني (أولاد معلى)
بن عامر بن الأزغم (أولاد زياد الغرابة)
بن الدين ولد علي بن الأعرج (دراڤة الغرابة)
عبد الرحمان بن امحمد بن بلحسن الأيوبي الگيلي .
الطيب بن الجيلاني بن عطا الله (عبيد الزاوية الغربية)[463]

وهاجم آيت بوشاون مخيم سليمان بن قدور فنهبوا ما فيه[464] وهرب ذووه إلى وجدة، ومن بينهم إبنه الشيخ الذي كان مكسور الفخذ، إذ أصيب قبل ذلك في معركة ضد الزوا أولاد سيدي محمد بن أحمد[465].

استقبل القائد الحاج بوبكر بن ميمون(زعيم المهاية) آل سليمان بن قدور وأكرم وفادتهم. واستقدم طبيبا لعلاج الشيخ (ابن سليمان) إلا انه لم يلبث أن توفي متأثرا بجراحه، ودفن داخل ضريح سيدي محمد بن زيان في القبر الموالي لباب الضريح (ملاصق لبلدية وجدة حاليا) .

---

[462] Ibid, p. 921.
[463] Ibid, p.921.
[464] Ibid, p.922.
[465] Ibid, p.919

العناصر التي شاركت في مؤامرة اغتيال سليمان بن قدور:

- 1- السلطات الفرنسية: كانت معركة عنق الجمل إيذانا بعودة سليمان إلى المقاومة بقوة، وكان حجم الخسائر التي أوقعها بها ناقوس خطر ينبهها إلى استدراك الأمر. كما أن إمكانية توحيد مقاومة الشراقة والغرابة وبوعمامة لم تكن بعيدة عن وضعها في الحسبان. ولهذا نجد آثار أيدي الإحتلال - في حبك مؤامرة اغتيال سليمان - بارزة لا تخفى على ذي بصيرة، وتؤكدها علاوة على ذلك الوثائق المذكورة سابقا.

- 2- السلطة المركزية المغربية: لا نشك أن هروب سليمان كان شديد الوقع على المخزن، ويظهر ذلك في رسالة السلطان لعامله على وجدة الآتي ذكرها، وفي وعده لأحد القتلة بألفي دولار إن هو أتاه برأس سليمان بن قدور كما ذكرت ذلك إميلي كين "الشريفة الوزانية " في سيرة حياتها.

- 3- عامل وجدة: أعطى السلطانُ مولاي الحسن أمرَهُ لعامل وجدة عبد الملك السعيدي - المعروف بدهائه[466]- باتخاذ كل ما هو ممكن للقضاء على سليمان. إذ يقول في رسالته إلى العامل المذكور :

" الطالب عبد الملك السعيدي

وصل كتابك معلما بما صارت إليه عاقبة الفتان سليمان بن قدور من وهمه وتبديد جمعه الفاسد، ولم يبق معه إلا النزر اليسير من إخوانه ومن الشراقة... وإنك بصدد الخروج لطرد المذكور من ناحية الظهرا...وصار بالبال، أما بصدد خروجك لطرد الفتان (أي سليمان بن قدور) فلتجعله نصب عينيك[467]."

ولكي يضعفه ويستفرد به، بدأ العامل بفصل أتباع سليمان عنه بالترهيب والترغيب فرقة فرقة وشخصا شخصا، ثم نسق مع آيت بوشاون وعبد الرحمن الأيوبي وأهل زاوية أنوال للوقيعة به.

- 4- آيت بوشاون : سبق لسليمان أن هاجم آيت بوشاون، وسبق لأبن عمه معمر بن الشيخ أن فتك بهم قتلا وسلبا، فكانوا يتحينون فرص الثأر لذويهم، وتجرأوا على تنفيذ إنتقامهم لمّا رأوا دعم المخزن المركزي لهم، ووقوف عامل وجدة إلى جانبهم، وتسابُق أهل الأغراض إلى مشاركتهم في دم سليمان.

- 5- أولاد سيدي محمد بن أحمد: ساهموا بإحضار الخيمة التي نفذت فيها المؤامرة، وذلك لأن سليمان مَرّ بهم - كما تقول الرواية الشفوية- ذات يوم وطلب منهم إطعام أتباعه فامتنعوا، واستضافه يهودي كان مقيما معهم، وبعد تناول الطعام انطلق سليمان بأتباعه إلى مواشيهم فسلبها، وجبنوا عن اللحاق به، ولحق به

---

[466] Ibid, p.679.

[467] أحمد مزيان، المجتمع الواحي المغربي، 492.

اليهودي الذي استعطفه، واستشفع لهم، فأرجع لهم أموالهم، فكانوا يتحينون فرصة الإنتقام للإهانة التي ألحقها بهم.

- 6- عبد الرحمان الأيوبي: أحد أعيان قبيلة بني كَيل (وهو من أولاد أيوب، فرقة أولاد رحو) الذي تقول عنه بعض الكتابات والروايات أنه اكتشف خيانة إحدى زوجاته[468] مع سليمان بن قدور، ونظرا للظروف التي لم تسعفه لرد الإعتبار في الحال، فقد كان يتحيّن الفرصة المواتية للنيل منه، إنتقاما للمس بشرفه[469] كما أنه كان طالب جاه، ولا شك أن عامل وجدة استغل رغباته العديدة ليَعدَهُ ببلوغها بعد نجاح المؤامرة، وسعى عبد الرحمان من بين من سعوا في حبك المؤامرة مع آيت بوشاون . وقد عُيّنَ لاحقا - إعترافا بخدماته - قائدا لأولاد أيوب ولأغلبية بني كَيل في 1892م.[470]

بعد سنة من هذا الحدث، وبإيعاز من أولاد سيدي الشيخ الغرابة (علال بن الشيخ وذويه) تحركت قبيلة المهاية، وبعضُ بني كَيل، وبنو مطهر، بزعامة القائد بوبكر بن ميمون لتثأر لاغتيال سليمان بن قدور، من آيت بوالشاون الذين لم يكونوا في واقع الأمر إلا أداة في يد غيرهم، وهكذا حددوا مضارب خيامهم وقوّتهم بواسطة المسمى الظليم (من أولاد بلقاسم - بني كَيل- وكان مستقرا بأولاد سعيد المهاية) فقد تنكر في زي أحمق هائم على وجهه، فطاف بأرضهم وعرف المداخل والمخارج ونقط الماء، ورجع ليقود جيش المهاية إلى آيت بوشاون. فأغارت قبيلة المهاية عليهم في أبريل 1884م بنواحي أنوال وأنزلوا بهم عقابا مثاليا، حيث قتلوا منهم ثلاثين رجلا وسلبوهم كل أموالهم وممتلكاتهم[471].

رثى عدة شعراء سليمان بن قدور، ومن بين القصائد التي لا تزال تـُرَدّدُ مغناة إلى يومنا الحاضر قصيدة بن سرحان التي يقول فيها (ملحون):

رَيْضُوا رَيْضُوا نْسالكم يا فرســـان	يا أهل اللوم ارّبي عَـــاوْدُوا علـــي
كان انتما مغربين بالامـــــــــان	نسالكم ياناس الربي علــــى زواي
في قلبي يا ملاح شعلت نيـــــران	من فراق اللي راهم بعّدوا علـــــي
ما نرقدش الليل حاشوا لمحـــــان	راه ربي عالم يا خاوتي علــــــــي
الابطال الطايقين رهج العديـــــان	حبهم والغيوان اتكندروا علــــــي
راني نبكي على شليل القومـــــان	وين غيب سُمّان مطوع الثنيــــــا
انهار الهول صيد ينطح لفتـــــان	في الرقوبية تحسب جابتوا لبيـــــا
دباب الداهشين يوم المـــــــيدان	صاحبه ما ينهانش فارس الــــمزيه
عنده طيفيل يوكدوا في الزنــــزان	قدها في علال اللي شوا الــــدنيا

[468]DPSENOA, p.921.
[469] Ibid, p.921.
[470] Gaquière, Berguent, Ras El-Ain, p.181.
[471] DPSENOA, p.919.

الطيب ما يخاف ولا يليــــــــان   شاع ولد الحاج العربي اهل المــزيـا
ما ربوش الجايح فلان فـــــــلان   جدهم من الرسول أدا الهاشميـــــه
انطق ليهم غايتي هدر باللي كــــان   صاحبي نوجب له بعد ما عدويــــا
ارماو سروج على ظهور الربعــان   والعبيد تبع ركبوا علي مطايــــا
بسروج القربصون تحسب ومّـــان   في ركاب الفضة تضرب الـــثريــا
أهل زويجات يقادوا بالنيشـــــان   في قبار الشوفة كوابيس بندقيــــه
قصة تنعاد في نهار سليمـــــــان   بالغدر جابوه قوم المـــــخادعيــه
اداوهم للخيام غير بالامـــــــان   قسموهم كل بريني مشا لوطيــــه
جابو لتاي في صواني يزيــــان   هاكذا قال الحاضر يامــــــلاح لي
خرجوا برا يعمروا في الديـــوان   قال نقتلوهم وما كـــــانش الــديه
ردو بالراي قال ذا الشي ما كـــان   غير صيفطوا ياناس للـــــرعــيه
ذا الراجل كان شافكم يا الاخـــوان   ما ينحدش واحدايدو هنـــــــأي
شوف الزهدة ما دير والامـــــان   كيف خوه ضنين يدير ذي القصــيه
وقلع سيدي حدايدو جا نعســـــان   كي الطير مكنبل قتلوه في خــــفـي
صاقوا بمحالهم هدّو بعنـــــــان   واعدين الترسة صاقوا بكل حيـــه
صابوها خالية دّاو اللي كــــــان   غير ولدو مجروح وما لقى حميـــه
يبكي ويقول ماحضرش سمـــــان   يا عذابي ولا ضنيت مات بـــويـــا
والزاويات كل كنز خرج بـــــان   المقابح هذيك لهيه ذي هنـــــأيـا
يبكوا هاذوك الحرايم فرســــان   كل سنية طالية بالحمــوم هــــــي
بعد السنة على ظهور القــــعدان   اليزار مغلق من كل نـــــوع طـيـه
ناقوس ينين تحت ريش الظلمــــان   بالرصن يتقود جمل المــــرابطيــه
وأهل الرفدة جمال شلخو نيـــبـان   قائمين الصحرا بالديــن والعنايـــه
وتحير العين في أمات الحيــــران   غير هذي ترفد و الباقية عـفـيـــه
قضاو الصيد من بلاد الصحـــوان   كل يوم الوحش مدوي مـــع الثنايــا
سلاقه ذايقين لحــــــــم الغزلان   مولعين بصيني والخـــس والقطايـــه
ياك الموت فرض غاضت لغـــبان   تغيـض الموت الا اللي تجي خفيـــه
قائد الابطال سيفط على القـومـــان   قال نخلـــف فيهم أنـــا اللي علـــي
عنده طيفيل عارفين الفــــــــتان   الحـاج بوبكر واخوتو اهل العنايـــه
خدام الشيخ بوعمامة سلطـــــان   شايعين جوادة يرضي على المهايـــه
طــــلبوا طلبة وعانهم الرحمــــان   سيبوا ذاك النجـــع اللي خـــلى زوايا

كان الرجل – حسب ما وصفه به معاصروه – داهية، مقداما، سخيا إلى حد التبذير، قوي الإرادة، سريع التأثير في محيطه، عنيدا يصعب تجاوزه، قـُلّبًا لا يرعوي، مغامرا لا ينثني، كما كان سريع الإنفعال، تتغير أحواله - رأسا على عقب

- إذا أحس بأدنى إهانة، أو لم يحظ بالعناية اللائقة به، ولذلك اختلفت وتعددت مواقفه وولاءاته .

قاوم الإحتلال ثم سالمهم وخدم مشروعهم بكل اندفاع، ثم اكتشف زيفهم، فانقلب عليهم و حاربهم، ثم سالم المخزن وعرض خدماته عليه، ولمّا لم تلق عروضه قبولا انقلب عليه كذلك، وعاد إلى المقاومة من جديد، ثم اغتيل بعد أن أصبح عبئا على السلطتين معا الفرنسية والمغربية .

كان يروم جاها كبيرا ويطلب نفوذا واسعا وهذا مايفسر تذبذبه بين الإدارتين، إلا أنهما رفضتا تلبية رغباته لِمَا عرفتا من طموحه الذي لا يحد، وجرأته التي لا تـُقـَدر العواقب .

وكان جدير به لو ثبت على مبدإ الجهاد من أول وهلة إلى آخر أيامه، أن لا يختلف إثنان على تسجيل إسمه في الخالدين.

ترك من الأولاد سبعة توفي ستة منهم صغارا، أما ولده البكر الشيخ بن سليمان فقد ازداد سنة 1863م، وقد كان مثقفا ثقافة فرنسية وعربية، حيث درس بثانوية الجزائر العاصمة (**Lycée d'alger**) أدخله أبوه إليها عندما كان حاكما للبيّض وحميان، ثم رافق المُهَجّرين إلى مراكش نيابة عن أبيه، وقد عرض سليمان خدمات إبنه على السلطان مولاي الحسن، إلا أنه لم تـُسند إليه أية وظيفة، ثم تشكت منه السلطات الفرنسية للسلطان على إثر بعض أعمال المقاومة في المغرب الشرقي ويظهر من خلال رسالة السفير الفرنسي أن الشيخ بن سليمان عاد إلى المنطقة الشرقية وكان بطلها، ثم يبدو من سياق الأحداث أنه عاد إلى فاس بأمر من أبيه وبقي بجانبه إلى حين فراره من فاس إلى الجنوب الشرقي. شارك أباه في الأحداث التي تلت وصولهما إلى المنطقة، وجرح في معركة ضد أولاد سيدي محمد بن أحمد حيث كسر فخذه، وبعد إغتيال أبيه حُمل إلى وجدة بأمرالقائد أبوبكر المهياوي، الذي سهرعلى علاجه إلا أنه توفي متأثرا بجراحه سنة 1883م ودفن بضريح سيدي محمد بن زيان الموجود داخل بناية بلدية وجدة وقبره معروف بمدخل الضريح. ولم يخلف ذرية[472].

[472] Ibid, p. 922.

مواقـــف سليمان بن قدور وأسباب إختلافـــها

السنة	الموقف	سبب تغيير الموقف
1867-1860	**مقاوما إلى جانب عمه الشيخ بن الطيب.**	**إهانة صادرة من ابن عمه معمر.**
1868-1867	**مقاوما مع زعيم الشراقة.**	**اتهامه بمغامرة غرامية.**
1873-1868	**إستسلامه لفرنسا وتعينه آغا لقبيلة حميان.**	**محاولة فرنسية للحد من سلطاته.**
1876-1873	**مقاوما للإحتلال لحسابه الخاص.**	**تدخل شيخه مولاي عبد السلام الوزاني لاستسلامه للمخزن.**
1881-1876	**إستسلامه للسلطان واستقراره بمراكش وفاس.**	**تهميشه وعدم وفاء المخزن بالتزاماته تجاهه.**
1883-1881	**زعامته للغرابة ومقاومته للإحتلال**	**تم اغتياله في 1883 بسبب موقفه من الإحتلال والمخزن .**

-8- بحوص بن الطيب و أولاده

إزداد سنة 1826م شارك في ثورة أخيه الشيخ بن الطيب سنة 1849م، ثم التحق بابن أخيه سليمان بن قدور عندما عُين آغا بالبيّض سنة 1869م. ألقي عليه القبض، وسُجن بسطيف سنة 1875م ثم رُحّل - فيمن رُحّلوا - إلى طنجة سنة 1876م بطلب من إبن أخيه سليمان بن قدور زعيم الغرابة، ونُقل بحرا مع عائلته إلى آسفي، ومنها إلى مراكش حيث تقرر إبعادهم، عاد إلى الجزائر سنة 1886م طالبا الإذن - من السلطات الفرنسية - لزيارة أخيه سليمان بن الطيب، وقد حضر فعلا وفاة هذا الأخير في 17 اكتوبر 1887م[473].

خلف عدة أولاد تُشكل ذرياتهم عشيرة مهمة يستقر شطرها بالسويهلة بمراكش وشطرها الثاني بسايس (بين فاس ومكناس) وشطرها الأخير بعين بني مطهر والعيون والمشرية بالجزائر.

من أبنائه:

- **بوبكر بن بحوص:**

المجاهد الذي لم يغب عن أية معركة خاضها أولاد سيدي الشيخ الغرابة ضد الإحتلال الفرنسي وأتباعه، إزداد حوالي 1850م، صحب سليمان عندما كان آغا بالبيّض

---

[473] Ibid, Planche gynéalogique des ghraba.

منذ 1869م، وكان خليفته في هذا المنصب، إختلقت له السلطات الفرنسية أسبابا اقتيد على إثرها إلى سجن كالفي بكورسيكا (La corse) حيث بقي سجينا من 1873م إلى 1876م، وعندما توسط مولاي عبد السلام الوزاني من أجل استسلام سليمان بن قدورللسلطان مولاي الحسن، كان من بين شروط سليمان بن قدور إطلاق أفراد عائلته من سجن كالفي ومن بينهم بوبكر(المترجم له) فأطلق سراح السجناء، وبعد وصولهم إلى طنجة رُحّلوا فيمن رُحّل إلى مراكش، بقي بها، إلى أن عينه المولى عبد العزيز قائدا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين تم ترحيلهم من الشرق بأمر من المولى الحسن الأول سنة 1876م باتفاق مع السلطات الفرنسي.

يُحكى انه كان مارا بمقبرة بمراكش، وإذا بقبر قد جرفه السيل وظهرت أكفان صاحب القبر وهي لاتزال تحتفظ بجدتها رغم قدم المقبرة، فتعجب بوبكر وقبل مواصلة سيره رمّم القبر وأصلح حالته، وفي تلك الليلة، أقبل عليه في المنام صاحب القبر وقال له هل عجبت من حالي، ومن جدة كفني؟ أنا شهيد وأنت كذلك شهيد **!**.

توفي بالسويهلة وبها دفن وقبره معروف بها.

●**الحاج العربي بن بحوص بن الطيب**

سبق الحديث عنه عندما تعرضنا للزوايا الفرعية، كان من الرجال المشهود لهم بالولاية، وبعد وفاة أخيه أبي بكر بن بحوص عينه السلطان مولاي عبد العزيز قائدا لأولاد سيدي الشيخ الغرابة بالسويهلة منذ 1907م، لم يخلف ذرية.

●**الشيخ بن بحوص بن الطيب**:

إزداد حوالي 1862م وأهله في حالة حرب مع الإحتلال الفرنسي، رُحـّل إلى مراكش مع قبيلته المُهجّرة سنة 1876م، وفي1881م اختاره - زعيم الغرابة - سليمان بن قدور لصحبته عندما فر من فاس والتحق بالجنوب الشرقي. شارك في المعارك التي خاضها الغرابة ضد الإحتلال وأعوانه بين 1881 إلى 1883 م.

في1885م ألقي القبض على أولاد سيدي الطيب (زعماء الغرابة) من طرف المخزن واقتيدوا إلى سجن مكناس، إلا أن الشيخ بن بحوص استطاع – صحبة ثلاثة من ذويه(علال بن الشيخ، الساسي المعبدي، بالقراري الرزيني)- النجاة بالإحتماء بضريح مولاي إدريس بفاس، وبعد عدة شهور أقاموها في حمى هذا الضريح المحترم، فروا خلسة إلى زاوية وزان حيث بقوا في حماية شيخها إلى أن تمتعوا بالعفو الملكي وعادوا في 1887م إلى المنطقة الشرقية.

عندما ضايقت الجيوش الفرنسية الشيخ بوعمامة بالجنوب الشرقي، إنسحب إلى الشمال بنواحي عين بني مطهر، والتحقت به عدة قبائل رغبة في الجهاد. وزيادة على تزعمه مقاومة الإحتلال الفرنسي، فقد أنشأ بوعمامة فرعا ثالثا للزاوية الشيخية واستقطب الراغبين في الإنتماء إلى هذه الطريقة الصوفية.

" ذهب الشيخ بن بحوص للأخذ عن الشيخ بوعمامة، فلما تعرف عليه هذا الأخير أكرم مقامه، وبعث إلى أبيه بحوص بن الطيب، ليستبقيه لديه، وهكذا استقر في جوار

بوعمامة الذي أعطاه فرسا وخيمة وخادما وكان معززا مكرما لديه. شارك الشيخ بن بحوص في معارك بوعمامة بشجاعة نادرة شهد له بها كل من عرفوه[474].

" ولما ألقي القبض على الطيب بن أبي عمامة من طرف المخزن كان الشيخ بن بحوص في رحلة صيد فلما رجع، بعثت له ربيعة (أم الطيب بن بوعمامة) بسبحتها تطلب منه أن يسعى في معرفة مصير إبنها، فذهب في طلبه حتى أدخل عليه في السجن، فألحق به، واقتيدوا جميعا من وجدة إلى سجن فاس .

كان النعيمي بن الحاج العربي - زعيم الغرابة بسايس- يزورهم وينفق عليهم مدة إقامتهم بسجن فاس إلى أن نقلوا إلى طنجة ومنها إلى الجزائر العاصمة فالأغواط .

" وعندما سمع علال بن الشيخ (زعيم الغرابة) إلى ما آل إليه حال إبن عمه الشيخ بن بحوص بعث ثمانية أشخاص مجهزين لترحيل عائلته، وألحقهم بمخيمه، ولما أطلق سراح الشيخ بن بحوص، بقي في معسكر بوعمامة إلى أن أطلق سراح إبنه الطيب من منفاه فالتحق إذاك الشيخ بن بحوص بعشيرته بنواحي عين بني مطهر، توفي أواسط العقد الثالث من القرن العشرين".[475]

- **أحمد بن بحوص بن الطيب:**

بعد وفاة أخيه الحاج العربي السالف الذكر اختاره ذووه لخلافته، فكان قائدا لقبيلته بالسويهلة طيلة فترة الحماية بالمغرب.

- **علي بن بحوص بن الطيب**

كان لا يزال طفلا في سنة 1876م عند ما هُجّرت عائلته إلى السويهلة، كما تشير إلى ذلك اللائحة التي قُدمت إلى الجنرال أوسمانLe general Osmont حاكم وهران.

من ذريته :

ابو بكر بن علي، كان فقيها تقيا ورعا، أدى دورا مهما في تعليم وتربية جيل ما قبل استقلال المغرب بزاوية أولاد سيدي الطيب بسايس، ثم التحق بالمدارس العصرية حيث عمل معلما بها .

أخذ عن سيدي محمد بالحبيب، شيخ الطريقة الدرقاوية بمكناس.

توفي بمكناس سنة 1988م، ودفن بالمهاية حيث قبره معروف.

- 9- سليمان بن الطييب

لم يكن له أي دور يُذكر. عاش في كنف أولاد زياد الشراقة لم يُخلف ذرية. ولد حوالي 1820م وتوفي في 17 أكتوبر 1887م.

---

[474] رواية شفوية، تلقيتها في2004م عن نونة بنت الشيخ بن بحوص، وأبوها المعني بالأمر، وهي سيدة تتمتع بذاكرة قوية وكانت تبلغ من العمر حوالي التسعين سنة إبان سماعي منها.

[475] رواية عن السيدة نفسها.

- 10- محمد بن الطيب وأولاده

مَثّـلَ أخاه الشيخ بن الطيب، حين ترأس وفد الغرابة مع جلول بن حمزة (رئيس وفد الشراڤة) عندما التقيا الجنرال رونو للتفاوض معه حول وضعية أولاد سيدي الشيخ، وانتهى اللقاء بتعيين محمد بن الطيب قائدا للغرابة وجلول بن حمزة قائدا للشراڤة، إلا أن نفوذ حمزة زعيم الشراڤة لم يدع لقائد الغرابة الجديد مجالا لمزاحمته، فاضطر محمد بن الطيب إلى اللجوء إلى المغرب بجوار أخيه الشيخ بن الطيب[476] وبقي هناك إلى اندلاع ثورة 1864م حيث حاول استرجاع ما فقده بربط الإتصال بالسلطات الفرنسية التي عرض عليها خدماته، مستعينا بصهره الحاج بوتخيل أحد زعماء دراڤة (أهم فرقة من فرق الطرافي) إلا أن الشراڤة كانوا لهم بالمرصاد فأفسدوا عليهما ولاء قبائل حميان والطرافي، وعزلوهما حتى اضطرا للرجوع إلى المغرب، وتخليا نهائيا عن أهدافهما[477].

ولد حوالي 1805م وتوفي بفرندة سنة 1870م ونقل جثمانه إلى الأبيض، حيث دفن بقبة سيدي الشيخ .

خلف من الأبناء:

*** الشيخ بن محمد بن الطيب:**

إزداد حوالي 1846م. كان من جملة المحتجزين بفرندة بعد معركة المنقوب سنة 1871م حيث بقي إلى سنة 1877م، بعد ذلك أذنت له السلطات الفرنسية بالإستقرار بالشلالة، إلا أنه في 1878/5/23م فرّ ومعه **16** عائلة من أولاد سيدي الشيخ الغرابة (الذين كانوا محتجزين بفرندة) والتحق بابن عمه علال بن الشيخ زعيم الغرابة إذاك.

ألقي القبض على المترجم له في 1885م مع أعيان الغرابة الذين اقتيدوا إلى حبس قارة بمكناس، حيث قضوا تسع سنوات، وسجن معه ولده البشير، وأعفي ولداه الآخران لصغر سنهما، وهما الطيب المزداد سنة1873م والحسن المزداد سنة1879م. وقد قضيا مدة سجن أبيهما في حضن علال بن الشيخ في حمى شيخ الزاوية الوزانية بالمزارية ثم في الجنوب الشرقي[478].

*** عبد القادربن محمد بن الطيب :**

إزداد سنة 1861م نجا من السجن عندما اقتيد ذووه إلى حبس قارة بمكناس، وعاش النفي الإضطراري في حمى الزاوية الوزانية، إلى أن صدر العفوعنهم، فرجع إلى المنطقة الشرقية، ثم التحق بقبيلة الطرافي حيث قضى بقية حياته، ولا تزال له ذرية هناك[479].

---

[476] DPSENOA, p. 794.
[477] Ibid, p. 794/867/868.
[478] Ibid, Pansard, Planche gyénalogique des ghraba.
[479] Ibid,meme planche.

-11-عــلال بن الشيخ بن الطيب

أصغر أبناء الشيخ بن الطيب، إزداد سنة 1862 أبوه الشيخ بن الطيب وأمه مبروكة بنت بن زيان (آل بودواية البحاحصة) كفله شقيقه معمر بعد وفاة والدهما سنة 1870.

شهد علال - وهو في الثانية عشر من عمره - مع أخيه معمر وإبن عمه سليمان بن قدورمعركة المالحة (النفيش) 1874/6/13م ضد الإحتلال وأتباعه، وهي المعركة التي إستشهد فيها أخوه معمر وجرح إبن عمه سليمان، وأصبح علال بعد وفاة أخيه زعيم الغرابة تحت وصاية سليمان بن قدور[480].

خاض علال معارك المقاومة مع إبن عمه سليمان بن قدور الزعيم الفعلي للغرابة ما بين 1874 و 1876م.

عندما قـَدِمَ مولاي عبد السلام بن العربي شيخ الطريقة الوزانية بمشروع - فرنسي / مغربي - لترحيل أولاد سيدي الشيخ الغرابة من الشرق إلى فاس ثم إلى مراكش بهدف وقف مقاومتهم للإحتلال، لم يحضر هذا الإجتماع جميع الغرابة، فقد غاب علال بن الشيخ مع مجموعة - كثيرة أو قليلة - عن هذا اللقاء، ولا ندري إن كان هذا بتنسيق بين المجموعتين، حتى لا تـُجَرّ القبيلة بقضها وقضيضها إلى مغامرة مجهولة النتائج، أو ربما كانت المجموعة الغائبة لم توافق على كثير أو قليل من المشروع المقترح.

رحل بعض أولاد سيدي الشيخ الغرابة - ممن اختاروا إتـّباع سليمان بن قدور- إلى مراكش، واختار البعض الآخر البقاء في الجنوب الشرقي بزعامة علال بن الشيخ[481].

في فبراير 1880م هاجم "حميان شافع" التابعين للإحتلال والمتعاونين معه، قبائلَ أولاد سيدي الشيخ الغرابة (أي أولاد سيدي عبد الحكم، أولاد سيدي امحمد ، وأولاد سيدي الحاج إبراهيم) وكانت هذه الإغارة موضوع رسالة السلطان مولاي الحسن التي جاء فيها:

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش.

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فقد وصلنا كتابك جوابا عما كان أخبر به بوبكر المهياوي من أن أولاد المبخوت من الايالة الشرقية ومَن إنضاف إليهم من حميان شافع، هجموا على السيد علال بن الطيب وإخوانه

---

[480] Ibid, p.895.

[481] Ibid, p. 909 et Michaux-Bellaire, Archives Marocaines, p.356.

أولاد السيد عبد الحاكم وأولاد السيد محمد، ونهبوا لهم ما يزيد على عشرة آلاف من الغنم وثلاثين جملا وإثنتي عشرة خيمة وبهائم لأربعة إخوانه ومال مطلوق فنهب أيضا من جملة ذلك.

أخبرتَ أنك تكلمت مع باشادور الفرنصيص بذلك طبق ما أمرناك به، فأجابك بأن دولتهم تتشكى من إذاية أولاد سيدي الشيخ وخوضهم وتشويشهم، وحيث صرنا نتكلم عليهم يكتب لدولته بذلك والحق يعطى، وأنه كتب لدولته بما ذكر، فالمقصود بذلك هو إعلامهم بما يصدر من إيالتهم، وأيضا فلكون النهب لم يقصر على أولاد سيدي الشيخ، بل شمل المهايا وغيرهم، وقد عارضنا بذلك دعاويهم عليهم ليعلموا أنه لا يخفى علينا ما يصدر من إيالتهم لايالتنا، وبأن إيالتهم ليست جالسة عند الحد، وأنهم لا يتركون من جهدهم إلا ما لم يقدروا عليه، إلا ربما تكون هذه المعارضة سببا لهم في تسهيل فصل قضاياهم لأجل مقابلة دعوى بأخرى، وليس المراد ما فهموه من الدفع عن أولاد سيدي الشيخ والذب عنهم والتكلم لهم على حقهم، لأنهم رأس الخطايا وهذه البلايا وأصل هذا الداء والحرج، والسلام.

في فاتح ربيع الثاني عام 1297هـ الموافق 13\03\1880م[482]

بعد فرار سليمان بن قدور من فاس وظهوره بالجنوب الشرقي، في 1881م عادت إليه زعامة الغرابة، وعاد علال إلى المركز الثاني بعده، كما خطف سليمان الأضواء من قدور بن حمزة- زعيم الشراقة- وبوعمامة بن العربي،" إذ انفصلت عدة قبائل عنهما والتحقت به، لِمَا عرفوا عنه من سخاء وشهامة ـ حسب الكتابات الفرنسية ـ "[483].

انطلق سليمان بن قدور في التخطيط للإنتقام من قبيلة حميان شافع لإغارتها على الغرابة، فكانت معركة "عنق الجمل" وتسمى كذلك بمعركة أمراق التي شارك فيها أولاد سيدي الشيخ الغرابة، بني گيل، ذوي منيع، المهاية، رزاينة حميان الجنبة.

كان حلف زگدو (ذوي منيع، أولاد جرير، العمور، وبني گيل) يسيطر على الجنوب الشرقي لعدة عقود، وضرب على جل قبائل المنطقة ذعيرة تسمى"النايبة " يؤدونها له سنويا. وفي 1870م قاد الجنرال وينفن حملة وادي گير للقضاء عليهم ونجح نسبيا، دون أن يستطيع إستئصالهم نهائيا، إلا أنه أفلح في استدراجهم إلى التعرف على الإحتلال لاستغلال هذا التقارب لاحقا. وهذا ما تحقق ـ فعلاـ سنة 1882م عندما وصل أعيان ذوي منيع إلى وهران[484] حينما اقتنعوا بالتحالف مع السلطة الفرنسية على توجيه ضربة قاصمة لأولاد سيدي الشيخ، وبناء على ذلك

[482] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، ص17.

[483] DPSENOA, p.911.

[484] Ibid, p. 670.

التزم الإحتلال بالعدة والعتاد والتزم زكْدو بالرجال ووسائل النقل، على أن يُقدم زكْدو رهائن كبرهان على حسن النوايا.

لم ينفذ هذا المشروع المشترك، إلا أن ذوي منيع حاولوا تحقيقه بمفردهم، ليبرهنوا على قوتهم، واستغنائهم عن دعم الإحتلال، وهكذا إغتنم الحلف غياب زعماء الغرابة والشراقة بالريصاني، لإحياء ليلة القدر، بضريح مولاي علي الشريف، وقرروا مهاجمة مخيم الغرابة في يونيو 1882 بالموضع المسمى "زرزف" الكائن شرق أرفود (25كلم)، وتعجل علال الرجوع من الريصاني إلى أهله بزرزف، وصادف في اليوم الموالي هجوم زكْدو بجيش قوامه 4800 ما بين فارس وراجل على مخيم الغرابة، الذي تصدى للدفاع عنه ثمانية عشر فارسا[485] إنهزم زكْدو ورجعوا بعدما عاثوا فسادا في المخيم، إلا أن أسباب هزيمتهم لم تعد إلى شجاعة المدافعين فقط، ولكن - كذلك - لأن أغلب عناصر جيش زكْدو كان يتركب من القبائل التي أرْغِمَتْ على المشاركة في الإغارة، فكانت هذه القبائل تتمنى له النكسة وتشيع من داخله روح الهزيمة[486].

بعد هذه المعركة، إستطاع سليمان بن قدور أن يقنع بوعمامة بن العربي، وقدور بن حمزة زعيم الشراقة، بتوحيد الصف ضد حلف زكْدو الذي كان يستهدفهم جميعا، وهكذا اتحد الزعماء الثلاثة، وخططوا للمعركة الفاصلة ضد الحلف المذكور، وأغار أولاد سيدي الشيخ مجتمعين على قصور ذوي منيع، وألحقوا بهم هزيمة نكراء لم تقم بعدها للحلف قائمة، وتفرق على إثرها شذر مذر.

إن هزيمة حلف زكْدو، واتحاد أولاد سيدي الشيخ، وظهورهم كقوة في المنطقة حادث لا يمكن ان تستسيغه السلطتان الفرنسية والمغربية، ولا أستبعد أن يكون دَويُ الإنتصار على حلف زكْدو عجل بتنفيذ المؤامرة التي ذهب ضحيتها سليمان بن قدور زعيم الغرابة.

بعد اغتيال سليمان في صيف سنة 1883م عادت زعامة الغرابة إلى علال بن الشيخ، الذي حاول جمع شتات القبيلة التي تبعثرت أشلاؤها بعد حادث الإغتيال، ثم بفعل تدخل عامل وجدة، الذي فرقها- بالترغيب والترهيب- أحزابا وشيعا. وكان المخزن مع ذلك، يرى أن إغتيال سليمان بن قدور، لم يكن الضربة القاضية التي اقتلعت النبتة من جذورها، إذ كان يعتقد - وتعتقد سلطات الإحتلال معه - أن

---

[485] كان عدد الذين دافعوا عن مخيم أولاد سيدي الطيب ضد هجمة ذوي منيع ثمانية عشر فارسا لم تذكر لنا منهم الرواية الشفوية إلا الآتية أسماؤهم : الطيب بالحاج العربي،علال بن الشيخ، الشيخ بن بحوص (3 أولاد سيدي الطيب)، محمد بن علال، لعلى بن المقلش (2 أولاد بودواية)، الحاج بالكوراري، قرون الرزيني (2 رزاينة) لعرج بن عاشور (أولاد معلى) الاقرع المعبدي (المعابدة) سعد العزيزي (أولاد عزيز).

[486] بعض عشائر أولاد سيدي عبد الحكم، وارزاينة، وأقليات أخرى، كانت تحتمي بقبيلة ذوي منيع - طلبا للحياد والسلامة - فاستغل ذوي منيع وجودهم في حماهم فأرغموهم على الإشتراك في الهجوم على أولاد سيدي الطيب (زعماء الغرابة) في جيش جرار قصد القضاء عليهم نهائيا، بالمكان المعروف بزرزف شرق أرفود، إلا أنه رغم اختلال ميزان القوة لصالح ذوي منبع وأتباعهم، فقد انهزموا، وكانت بداية نهاية حلف زكدو.

استقرار المنطقة لا يتأتى مع وجود أثر لزعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة (أولاد سيدي الطيب).

حَبَكَ عامل وجدة عبدالملك السعيدي مؤامرة أخرى استطاع تنفيذها بكيفية مفادها أن السلطان مولاي الحسن يأمر جميع أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة بالمثول أمامه، للنظر في تشكياتهم وتعويضهم عما ضاع منهم بفعل المقاومة. وفي رسالة السلطان لقائده بوترفاس إشارة لهذا، تقول الرسالة:

" القائد عبد القادر بوترفاس ،

وصل كتابك مخبرا بأن من سميت من إخوان الفتان سليمان بن قدور، لما عاينوا مااستحال إليه أمر الأعراب الذين كانوا معه، فروا عنه إلى قبيلة بني قيل، ثم ورد بعضهم على خديمنا الأرضى عبد المالك السعيدي طالبين منه الدخول لتراب إيالته، بقصد النزول، وإنكم بصدد النهوض لملاقاتهم بالمحل الذي سميت، وصرنا من ذلك على بال، فأما دخول أولائك لأنجاد فلا خير في بقاءهم بين ظهرانكم بالحدادة وَلْتُوَجِّهوهم لناحية الغرب، وتنـزلوهم إما مع الأعراب الشراقة وغيرهم قرب فاس، وإما مع إخوانهم بالحوز، ولا يرون إلا خيرا بحول الله تعالى والسلام في 9 قعدة الحرام عام 1300 هـ"[487]

كانت مضارب خيام أولاد سيدي الطيب بالمكان المعروف بـ"ذراع عيسى" بين عين بني مطهر وجرادة، حيث صَبّحَتهم فرقة من المخزن و بعض قُوَاده منهم حمادة قائد بني بوزقو، وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

سيدي الشيخ كن بيّ حُمّادة ترزقوا بلية أداهم للمغاربية مردوفين على بغال

فانطلقوا بهم نحو فاس، وكان عدد أعيان الغرابة يفوق الأربعين نفرا، ولما وصلوا إلى وادي آمليل ناحية تازة، وجدوا حامية من الجيش في انتظارهم، فاحدقت بهم، ووضعت أيديهم وأعناقهم في السلاسل، واقتيدوا إلى سجن قارة[488] بمكناس، حيث سيقضون تسع سنوات (من 1885م إلى 1894م) في ظروف أقل ما فيها الجوع والمرض والهوان. ومباشرة بعد انتشار نبأ اعتقالهم، قَدِمَ أهاليهم من المغرب الشرقي في مجموعة قدروها بمائة وثمانين خيمة (أسرة) رجالا ونساء وأطفالا وما تبقي من شيوخ وخدم، وعند وصولهم إلى مكناس، أنزلهم المخزن بخيامهم قرب

---

[487] رسالة السلطان إلى القايد بوترفاس.

[488] حبس" قارة": ترجع تسميته إلى المهندس البرتغالي"قارة" الذي وعده السلطان(مولاي اسماعيل) باطلاق سراحه إذا ما قام ببناء هذا السرداب ليستوعب عددا كبيرا من الأسرى، وهو سرداب هائل يقوم على أساطين محكمة البناء، وأقواس ضخمة تتخلل أوائلها ثقوب سقفية للإضاءة، ولا يُعرف مدخله الأصلي، والباب الحالي مجرد مدخل وضع في القرن العشرين، و يقال أنه من جملة السجون التي كانت معدة لكل المجرمين والمخالفين للقانون.(مصطفى بنفايدة، مكناس جولة في التاريخ والمعالم)

ضريح سيدي الهادي بن عيسى، فكانوا يتعهدون السجناء بما يستطيعون كلما سُمح لهم بذلك.

عندما توفي السلطان مولاي الحسن وبويع مولاي عبد العزيز سنة 1894 م أطلق سراحهم، بعد تدخل بعض الشرفاء من أقارب السلطان، وبعض أعيان الزاوية الوزانية .

ولمعرفة المرارة التي تجرعها هؤلاء الأبرياء الذين كان ذنبهم أنهم قاوموا الإحتلال، ونافحوا عن أرض المغرب المغتصبة، وكانوا يمثلون حصنها الشرقي، لا بأس أن نعرض لحالة السجون المغربية في تلك الفترة، ففي الرسالة التالية يصف السلطان ما بلغه من أخبار عن معاملة المساجين، قاصدا تأنيب المسؤولين عنها :

وصيفنا الأرضى الحاج أحمد أمالك

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فقد بلغنا أن مساجين "مصباح" بلغ من الإضرار بهم أن صار الحاج علي السجان يبيع لأحدهم الشبر من الأرض بنحو خمسين ريالا على أن يجلس به مشتريه، ثم إذا جلس فيه هنيهة يباع لغيره بمثل ذلك، وبعد ما بلغنا ذلك بحثنا فيه فوجدناه كما بلغنا وزيادة، إن الفريضة تقع عليهم من الجمعة إلى الجمعة (أي أسبوعيا) ويقبض منهم عن كل ما يدخلونه من القوت وغيره كالبياض[489] ويُغللون بالسلاسل وسط السجن إلى أن يؤدوا الذعيرة، إلى غير ذلك مما يقع بهم من المكر، وهذا أمر عظيم ...

5ربيع الثاني 1297هـ[490]

في 1894م أُخرج - من سجن قارة بمكناس- أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، إلا أنه لم يبق منهم على قيد الحياة إلا سبعة أشخاص، خرج أحدهم (النعيمي) مختلا عقليا، وقضى الآخرون نحبهم في غياهب السجن.

---

[489] ما يزال متداولا بين البدو إلى الآن أن البياض يعني الحليب واللبن (بعد عزل الزبدة عنه)، ومعلوم أن السجين يكون في أمس الحاجة إلى الحليب ومشتقاته، أكثر مما يحتاج إلى الفحم كما أوله عبد الوهاب بن منصور (الوثائق الجزءالسابع ص 69)

[490] عبد الوهاب بن منصور، الوثائق، ص 69/68/7.



Prison de Calvi (Corse) France

سجن كالفي بكورسيكا الفرنسية، حيث سُجن بعض أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، بعد أن لفقت لهم السلطات الفرنسية تهما مختلفة، فقضوا أكثر من أربع سنوات. كل ذلك بسبب مقاومتهم للاحتلال الفرنسي.



حبس قارة بمكناس ، حيث سُجن زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة مدة تسع سنوات. ونظرا لظروف السجن فقد قضى أغلبيتهم، ولم ينج إلا أقل من سبعة أفراد بعفو من الملك مولاي عبد العزيز سنة 1894.

الأحداث التي تعرض لها أولاد سيدي الشيخ الغرابة منذ إعلان المقاومة سنة 1845م إلى سجنهم الجماعي بمكناس (1885 - 1894م).

الحدث	الأشخـــــــاص	التاريخ
الإستشهاد	1- مول الفرعة بن الشيخ بن الطيب 2- الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب 3- سليمان بن الشيخ بن الطيب 4 – معمر بن الشيخ بن الطيب	1870/3/30 1871/8/3 1871/8/3 1874/6/14
الإغتيال	1- سليمان بن قدور(قتل غدرا بآيت بوشاون وقتل غدرا معه 3 أفراد من رفاقه 12) 2- الطيب بن الحاج العربي (قتل تحت التعذيب بسجن فاس في قضية الشيخ الكتاني الشهيد .)	1883/08/ 19 1909/04/04
السلب والنهب والتخريب الفرنسي	قرى أولاد سيدي الشيخ الغرابة وقصورهم. من طرف الجيش الفرنسي.	1849
الحصار	ضياع مواشي الغرابة بعد الحصار الذي ضرب عليهم من طرف السلطات الفرنسية والمخزن .	غشت 1850
الهجرة الأوى	من الشلالة الظهرانية إلى ما بين وجدة وفجيج بعد التعرض لتخريب القصور والدور والممتلكات من ضيعات ومخازن.	1849
التهجير الجماعي القسري	- تهجير جماعي قسري من عين بني مطهر إلى مراكش لقبيلة الغرابة (227 فرد) بزعامة سليمان بن قدور.	1876/9/11
السجن الفردي بالمغرب	- سجن الشيخ بن الطيب بفاس - سجن الحاج العربي وولديه بسجن وجدة . - سجن سليمان بن الشيخ وابني أخيه بفاس	1849 بضعة اشهر 1867-1864/9 1870-1864/10
السجن الفردي بسجن كالفي (كورسيكا) فرنسا	- سجن المعراج بن قدور بكالفي بكورسيكا (فرنسا).. - سجن بوبكر بن بحوص بكالفي كورسيكا (فرنسا) - قدور بن زيان - الطاهر بن الشيخ .	1876-1872 -1876-1872
الاحتجاز بالجزائر	- احتجاز عائلات من أولاد سيدي الشيخ الغرابة وتقسيمهم على المدن التالية : فرندة وسطيف وعنابة. - احتجاز سليمان بن قدور وعائلته بملاتة ناحية وهران	1873-1871 1873-1871
السجن الجماعي بمكناس	القي القبض على أزيد من أربعين رجلا (من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة) وسجنوا 9 سنوات بحبس قارة بمكناس، منهم من قضى نحبه داخل السجن ومنهم من خرج بعاهة بدنية، ومنهم من خرج مختلا عقليا.	من 1885 إلى 1894
المنفى الإضطراري	- اضطرعلال بن الشيخ ومجموعة من أهله واتباعه(من بينهم اطفال) إلى المنفى بعد سجن ذويه بمكناس، فبقي سنتين، في حمى شيخ الطريقة الوزانية بالمزارية إلى أن استفاد من العفو السلطاني.	من:1885 إلى:1887

الضغوط الفرنسية التي مورست على المخزن المغربي، والإجراءات المخزنية المترتبة عن ذلك لوقف مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة ما بين: 1849-1885.

التاريخ	الهدف	أنواع الإجراءات المخزنية
1849	**وقف ثورة الشيخ بن الطيب.....**	**سجن الشيخ بن الطيب بفاس لعدة شهور، ثم إطلاق سراحه بشرط وقف المقاومة 1849.**
1864	**وقف ثورة الشيخ بن الطيب......**	**عزل الشيخ بن الطيب من منصبه– كخليفة للسلطان- وحصاره وأمر القبائل بمقاطعته 1864.**
1867	**الضغط على الشيخ بن الطيب لوقف مقاومته**	**سجن أبنائه وحفدته واتباعه بوجدة وفاس1864.**
1876	**وقف مقاومة الغرابة بزعامة سليمان بن قدور**	**ترحيل جماعي للغرابة إلى مراكش بعد توسط شيخ الزاوية الوزانية باتفاق السلطان مولاي الحسن والحاكم العام الفرنسي بالجزائر1876**
1883	**وقف مقاومة سليمان بن قدورزعيم الغرابة.**	**اغتياله مع بعض أتباعه، في مؤامرة شارك فيها المخزن المغربي وسلطة الاحتلال الفرنسي 1883.**
1885	**القضاء النهائي على مقاومة أولاد سيدي الشيخ الغرابة.**	**السجن الجماعي لجميع عناصر المقاومة من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، في سجن قارة بمكناس لمدة تسع سنوات(1885-1894) وكانت الضربة القاضية التي أنهت مقاومتهم في الجنوب الشرقي المغربي**

لا بأس أن نعود إلى يوم إلقاء القبض على أعيان الغرابة بـ "ذراع عيسى"، فقد كان علال بن الشيخ - قبل ذاك بأيام - يعالج صنع ذخيرته من البارود، فانفجرت بين يديه، وسببت له حروقا في وجهه، فكان- يوم حشرهم للذهاب بهم إلى فاس -

معصوصب الرأس والوجه، مما جعل المخزن - بوادي أمليل- يتجاوز عن وضعه في السلاسل كبقية إخوانه.

لما اقتربوا من ضواحي فاس، كان علال - أثناء الطريق - قد إستمال إليه بعض عناصر المخزن بإرشاءهم، فنصحوه باستغفال الحراس، والهروب إلى فاس ومن ثمّ الى ضريح المولى إدريس الأزهر، فإذا وصله واحتمى به، فلن يصله أذى ما دام فيه، إلى أن يأتي الله بالفرج.

هكذا فرّ علال صحبة إبن عمه الشيخ بن بحوص، والساسي بن أحمد المعبدي، والحاج بن القراري الرزيني، وبوصولهم الى ضريح المولى إدريس نجا الأربعة من مصير مأساوي حاق برفاقهم السجناء .

ضرب الحرس المخزني طوقا محكما على ضريح المولى إدريس، وبقي شهورا يتحيّن إلقاء القبض عليهم، ولما فَتَرَ حِرْصُ الحرس، بعث شيخ الطريقة الوزانية أحد أفراد عائلته وهو مولاي العزيز إلى المعتصمين بالضريح الإدريسي فأخرجهم سرا إلى الزاوية الوزانية، ولما استقر بهم المقام عنده بعثهم إلى مزرعته المسماة بـ "المزارية"، البعيدة عن وزان ب 70 كلم على الطريق الذاهبة إلى فاس، وهناك اجتمعت على علال عائلته وأتباعه شيوخا ونساء وأطفالا بعدما تشتت شملهم بين الشرق والغرب على إثر المحنة التي تعرضوا لها.

كان علال بالمزارية حين كان أعيان قبيلته بالسجن، وكانت إذاك الزاوية الوزانية في أوج إشعاعها، وكان زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة ينتمون الى هذه الزاوية منذ عصر شيخها سيدي العربي بن أحمد.

قضى علال بن الشيخ ما يقرب من السنتين (من 1885 إلى 1887م)، في حماية شيخ الطريقة الوزانية[491] وكانت هذه الفترة كافية للتأمل وإعادة النظر، ولابد أن علال ورفاقه كانوا يجتمعون بطوائف عديدة، ويحتكون بشخصيات من كل المستويات، ويتعرفون على عناصر من شرائح إجتماعية مختلفة كانت تأم الزاوية الوزانية، منهم العلماء والأعيان وشيوخ الزوايا، وزعماء القبائل وموظفو المخزن - إذ كانت الزاوية كخلية نحل لا يهدأ منها وإليها الذهاب والإياب - فتعرفوا من خلالهم، على الوضع الوطني، وعلاقة المغرب بالدول العظمى التي كانت تتصارع فيما بينها للإستفراد به وابتلاعه، وعرفوا عن كثب - وهم أقرب ما يكونون من مصادر القرار- أن الإعصار قادم لا محالة، ومن يتابع سياسة الحمايات التي بسطتها السفارات الأروبية على الرعايا المغاربة بدوا وحضرا، وكيف أنها أصبحت دُوَلاً داخل دولة واحدة، يتأكد له أن الحماية أصبحت واقعا قبل حدوثها بالمعاهدة والتوقيع في 30 مارس 1912 م، وقد أصبح النفوذ الفرنسي يسيطرعلى القرارالمخزني من خلال تغلغل الحاشية الفاسدة المتفرنسة فيه، وبحكم استحواذ أتباع السلطة الفرنسية وعملائها ومَحميها على دواليب الدولة المغربية في أعلى

[491] DPSENOA, Pansard, planche gynéalogique des Gheraba.

مستوياتها، ومن خلال الضغوط العسكرية في الشمال والشرق، والعهود والمواثق المجحفة التي وقّع عليها المسؤولن المغاربة رغبا أو رهبا.

وهكذا- بتدخل من شيخ الزاوية الوزانية - إستفاد علال بن الشيخ وعدة عناصر من عائلته ورفاقه، القابعون بالمزارية من العفو السلطاني سنة 1887م، وتخلت السلطة المخزنية عن ملاحقتهم، ولا شك أن علال التزم - بالمقابل - باحترام الرؤية الرسمية للأمور، والسيرعلى هدي التعليمات السلطانية وعدم "إثارة المشاكل" التي ما فتئ أسلافه يُتـّهَمُون بالقيام بها في الحدود الشرقية، وهكذا رجع علال بغير ماذهب به، وسيظهر جليا هذا التغيير في تصرفاته وعلاقاته اللاحقة.

إنطلق علال بن الشيخ في خريف 1887م عائدا إلى المغرب الشرقي، وعند وصوله إلى مشارف وجدة، استقبلته قبيلة المهاية بالمكان المسمى النعيمة بين وجدة والعيون، ووفـّرَت له خيمة مؤثثة وإبلا لتنقلاته والضروري من حاجياته، وبدأ علال في لملمة أشلاء قبيلة الغرابة التي توزعتها النكبات بين مراكش وسايس والظهراء، والتجأ من نجا من عناصرها إلى القبائل المجاورة خوف بطش المخزن في الغرب، وخوف انتقام الإحتلال الفرنسي في الشرق.

عمل علال بن الشيخ بعزيمة قوية، وصبر لا يكلّ على العودة بقبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى سالف عهدها، واستطاع أن يخرجها كطائر الفينق من رماد الإستئصال والتشريد، إلى الإنبعاث وإثبات الوجود. وتمكن من أن يمسح عنها آثار السجون والقتل والإغتيال والتهجير القسري وضياع الأنفس والممتلكات.

تقاطرت على علال بن الشيخ عناصرقبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة التي كانت قد تفرقتها أيدي سبأ، وأقبلت عليه عشائرها من كل حدب وصوب .

ففي 15 مارس 1895م فرت إحدى فرق المعابدة من البيّض (الجزائر) والتحقت به[492] كما قدِمَت عليه عناصر ممن أطلق سراحهم من سجن مكناس، وعاد إليه البعض ممن رُحـّلوا إلى مراكش سنة 1876م[493] فبلغ سنة 1893م تعداد قبيلة الغرابة بزعامة علال بن الشيخ 550 خيمة(أسرة)، تستطيع أن تجند800 فارس و370 راجل، وهي موزعة كالتالي حسب الإحصاء الفرنسي :

---

[492] " سبق لـ 14 خيمة (أسرة) من المعابدة أن هاجرت من الأبيض سيدي الشيخ ، والتحقت في أبريل 1884م بعلال بن الشيخ الذي كان يحرضها سرا على الهجرة إلى المغرب، وفي 15\3\1895 هربت فجأة 6 عائلات من المعابدة من منتجعهم بمُلك سليمان ويمموا نحو المغرب فلحقت بهم فرقة من الجيش الفرنسي بوادي الناموس، فاندلعت المواجهة بين الفريقين، قتل على إثرها 3 من المعابدة، ونجا الباقون بعدما نهب منهم 14جملا و142 شاة و70 عنزا. في 1893 وصل عدد المعابدة المحسوبين على قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة تحت زعامة علال بن الشيخ أربعين أسرة ". DPSENOA; p. 383

[493] Muchaux-Bellaire, Archives Marocaines, p.356.

أولاد سيدي الشيخ الغرابة في: 23 \9\1893[494]
بزعامة علال بن الشيخ بن الطيب
الذي استطاع لم شملهم، بعد أنواع الملاحقات التي بددت جمعهم، جراء إصرارهم على مقاومة الإحتلال الفرنسي.

الفخذة\العشيرة	الدوار	الأعيان
أولاد سيدي عبد الحكم	**-أولاد سيدي الطيب 30 (أسرة)** **-أولاد عزيز 30 (أسرة)** **-المراسلة 20 (أسرة)** **- المعابدة 15 (أسرة)**	**- علال بن الشيخ**
أولادسيدي بن عيسى	**-أولاد سيدي الحاج العربي 40(أسرة)** **-أ. سيدي سليمان بن عبد القادر 70** **-أولاد سيدي محمد 80**	**- المهدي بن الزوبير** **- بحوص بن العربي** **- الهواري بن محمد**
أولاد سيدي الحاج ابراهيم	**أولاد سيدي الحاج ابراهيم 40**	**الشيخ بن بحوص البرهمي**
أولاد سيدي الحاج أحمد	**أولاد سيدي الحاج أحمد 70**	**امحمد بن الحاج معمر**
أولاد سيدي امحمد عبد الله	**أولاد سيدي امحمد عبد الله 50**	**الحاج محمد بن عامر**

وبعد سنة 1893م إلتحقت بهم عدة عشائر كالشرفاء العلويين الوافدين من تيوت، وإلتحقت بهم عشائر من العمور، والرزاينة، وحميان، والطرافي، وأولاد زياد، وكل من كانوا قد دخلوا في جوار بني گيل، والمهاية، فرارا من ملاحقات المخزن وقوات الإحتلال لهم، ومن بقايا هؤلاء تتكون حاليا قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم بإقليم جرادة (أنظر جدول العناصر المكونة لقبيلة أولاد سيدي عبد الحكم).

يُعدّ علال بن الشيخ بن الطيب بذلك هو مؤسس قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة من جديد، وباعثها - إبتداء من سنة 1887م - ومُرَمِّمُ كيانها، وجامعُ شملها بعد شتاته، ومنظم ُعقدها بعد انفراطه، وهو الذي جعل - منها مع الأيام - قبيلة لها مكانتها الإجتماعية والسياسية، وثقلها الفاعل في المنطقة الشرقية واستطاعت أن تلعب دورها المميز في الأحداث اللاحقة.

في سنة **1894** م توفي السلطان مولاي الحسن وبويع مولاي عبد العزيز فأطلق سراح ما تبقى من أولاد سيدي الشيخ الغرابة، واعترافا منه بالظلم الذي لحق بأولاد سيدي الشيخ الغرابة، فقد عوضهم عن محنتهم، بأن أقطعهم أحسن الأراضي وأخصبها بسايس بين فاس ومكناس، حيث لا تزال ذريتهم موجودة إلى الآن، ورد لهم الإعتبار اللائق بهم .

[494] DPSENOA, p. 380.

أما في الشرق، فقد احتلت قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة بزعامة علال بن الشيخ المكانة المرموقة بين القبائل، واستردت هيبتها، وأصبحت منذ 1899 مُخاطَباً مُميزاً، وقد بلغت من المنعة والصولة أن لجأت إليها السلطات المخزنية لتكفيها تأديب قبيلة السجع - وهذه المهمة كانت لا توكل في عرف المخزن إلا لذوي القوة وطول اليد - ونورد رسالة بخط يد مولاي عبد السلام الأمراني[495] تـُبَلـّغ علال بن الشيخ أوامرالسلطان بالإجهاز- صحبة بني كَيل - على قبيلة السجع:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبتنا وحبيبنا وخلاصة وُدّنا ومن محبة أسلافه مع أسلافنا لا تجهل ولا تنكر، قدس الله أرواحهم في دار السلام، المرابط البركة الأجل السيد علال بن الطيب آل سيدي الشيخ نفع الله به، سلام عليك ورحمة الله بوجود سيدنا أيده الله .

وبعد، فيأمرك سيدنا أيده الله أن تقف على ساق الجد كما يعد الظن بك، في ضرب الفسّاد السجع ونهبهم وتشريدهم وتشتيت شملهم شذر مذر، جزاء لفعلهم ورديء سيرتهم، فقد رأيتَ وعاينتَ ما صدر منهم من شن الغارات، وسفك الدماء والهجوم على المسلمين، وأثاروا فتنة بهذا الوطن لا تنطفي نارها إلا بسعادة مولانا المنصور بالله وسطوته، ولا زالوا على غيهم وضلالهم والكتب الشريف سَيَرِد عليك بذلك في أثره إن شاء الله، وإنما عجّلنا لك بهذا لمّا سمعنا ما وقع بينهم وبين بني قيل، فأردنا أن تنتهز هذه الفرصة، وتغتنم هذه الموجبة، وإن قمت ووقفت كما هو الظن بك، فتكون لك بذلك مزية وحظوة ومكانة عند مولانا المنصور بالله لم تتقدم لأحد، وها هو الكتب الشريف لعامل بني كيل وخاصتهم وعامتهم وأشياخهم وأعيانهم مأمورون بذلك، واطلع عل ما فيه، مع مكاتب أخر جوابا على مكاتبهم التي وجهوا للحضرة الشريفة، متشكين بهوارة وما لحقهم من ضررهم ونهبهم بالطرقات، والتعرض لهم وإذايتهم، وقد كتب سيدنا أيده الله لعمال هوارة بما فيه الكفاية، وما يحملهم عن الكف عما هم عليه، والجلوس عند الظن، والكتب الشريف تحت يدي وقد وجهت خلف عمالهم، وإذا حضروا لدينا يقرأ عليهم ويزجرون، وينكفون عن ذلك بحول الله وقد شافهَتَنا محبّ الجميع خديم سيدنا القائد

[495] يعد الشريف عبد السلام الأمراني من رجال المخزن البارزين في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، كان السلاطين يكلفونه بقيادة الحرْكات، وترأس البعثات. (عكاشة برحاب، من أسواق الحدود المغربية – الجزائرية ص 77(الهامش).
"ينتمي هذا الشريف إلى بيت مخزني عريق، ترأس منذ سنة 1902 حملة القضاء على حركة بوحمارة، ثم تولى قيادة محلة مخزنية في 1907 للقبض على أحمد الريسوني .(معلمة المغرب الجزء 2 ص 691).

الميلود بن بوبكار المهياوي بكلام في شأنك وبطلب ترومه من مولانا المنصور بالله فعلى الرأس والعين أنا الكفيل به إن شاء الله، لكن بشرط أن تقضي لنا هذا الغرض في الشجع بحول الله وقوته، وكل ما ترومه وتطلب من مولانا المنصور بالله يقضى على أحسن حال مع الزيادة عليه وأحب أن نسمع عنك في أثره ما يصدق القول، ويسلي الخاطر.

وكل من عثرت عليه منهم، وأمكنتك فيه فرصة فاقبض عليه ووجهه لعامل وجدة في كبله ولابد، وكن عند الظن بك، أعان الله جميعنا على الطاعة والخدمة الشريفة وعلى المحبة والسلام.

في 11 شوال عام 1317هـ[496].

عبد السلام الأمراني لطف الله به.

تعكس تعابيرُ هذه الرسالة الود الأصيل الذي أصبح يطبع علاقة علال بن الشيخ بالبلاط السلطاني، وكيف استطاع بحكمة وحنكة تـَجـَاَوُز آثار المحن الجسيمة التي تعرض لها زعماء الغرابة، طيلة أربعة عقود، على يد السلطات المخزنية. كما أن عزمه وحزمه اللذان استطاع بهما إعادة بناء قبيلته، جعلاه محل احترام، وفي الرسالة التالية، سنرى أنه بات جديرا بثقة السلطان مولاي عبد العزيز الذي أشعره بأنه يعتمد عليه في ضبط الأمن بالمنطقة، ويأذن له في" شد الوطأة على الفـُسّاد **مطلقا**، والضرب على أيديهم **جميعا**"، ثم تلت هذه الرسالةَ رسالةُ السلطان مولاي عبد العزيز مؤكدة نفس الأقوال:

المرابط الأرضى السيد علال بن الطيب البوشيخي سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد، فقد بلغ علمنا الشريف ما أنت عليه من صدق المحبة في جانبنا العالي بالله، والنصيحة في طاعة الله ومرضاته، والبغض فيمن حاد عن الإستقامة وخرج عن الجادة، كفـُسّاد الشجع الذين ملأت مساويهم الفضا، وجاوزت الحد ولم يبق لها حصر بعد، وسرّنا ما ألهمك الله له من شد عضد خدامنا بني كيل على ضربهم واستئصالهم وشد الوطأة عليهم، فإنهم أجدر بكل عقاب، وأحق بجميع النقم و العذاب، لأنهم طبُعوا على الفساد، ولم يحمدوا رب العباد على ما خولهم من نعمه، وأولاهم من كرمه، وتجردوا للخوض في القبائل والضرب على الصالحين منهم، والهجوم عليهم في أماكنهم، ونهب أمتعتهم ظلما وتعديا، غير مراقبين الله في خليقته، ولا ملتفتين إلى ما يصيبهم به من عقابه ومؤاخذته، وما ذاك إلا من إنطماس بصائرهم، وخبث

---

[496] رسالة في ملك المؤلف.

سرائرهم، حتى أفضى بهم الجهل إلى استحلال ما حرم الله، وإباحة ما نهى الله عنه وتوعد عليه، وأعد لفاعله عذابا أليما .

وعليه فلتدم على ما أنت عليه من هذه الأحوال التي ترضي الله ورسوله، وزد من عملك في النصيحة والوقوف، وشد الوطأة على الفساد مطلقا، والضرب على أيديهم جميعا، خصوصا هؤلاء الشجع الذين غضب الله عليهم بقبيح أفعالهم لا محالة، فلتضيق بهم الفسيح وأعن خدامنا بني كيل على الانتقام منهم وإيصال كل بلية إليهم، فإن التجرد للإنتقام منهم عبادة، ما داموا على البغي والضلال، وإن هداهم الله إلى التوبة فتلك البغية، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، والله يسددك، والسلام.

في 26 قعدة الحرام 1317 هـ[497].

ثم حَظِيَ علال في هذه الأثناء بظهير توقير واحترام من السلطان، وإيصاء العامل به وبإخوانه خيرا، كما كانت له مراسلات مع مولاي عرفة عم السلطان، ومولاي عبد السلام الأمراني، وتبادل هدايا، تنم عن المكانة المرموقة التي تبوأها.

إلا أن العلاقة بين علال والعباس ولد أبّا محمد الشركي عامل إقليم وجدة لم تكن على ما يرام، ويصف العامل المذكور بعض أسبابها قائلا في رسالته إلى السلطان :

" جعل اللف عليهم (أي تحالف علال بن الشيخ على أعراب أنجاد) وتحزب بالقائد الهبيل بولنوار اليزناسني، وقوّاد الشجع وقوّاد هوارة، والمحياوي (بني محيو)، وقائد العيون، والجيلالي الشرادي، وجاءوا بحركتهم (أي جيوشهم) وهو في وسطهم، ونزلوا على آل آنجاد وذعرّوهم ثم جاءوا بالتهديد علينا إلى باب البلد ليخرجونا منها، فحضرت سطوة سيدنا أيده الله معنا ورجعوا مذمومين مدحورين ...[498]

كما أن العامل بعث عدة تقارير إلى السلطان، يتهم فيها علال بإذكاء الفتنة وبث الفساد، غير أن فشل العامل العباس ولد أبا محمد الشرقي في النيل من مكانة علال اقترن بفشله في تسيير أمور العمالة، مما جعله عرضة للقدح، " ونفرت قبائل عمالة وجدة من سلوكه، وتظلمت منه إلى السطان، وراج اتهامه في قضية أخلاقية"[499].

كانت سلطات الإحتلال ماضية في استدراج المغرب لعقد الإتفاقات المجحفة بحقه لشد وثاقه بها، وتبرير الإحتلال لاحقا، وهكذا وقـّع المغرب مع السلطات الفرنسية اتفاقية بالجزائر في 20\04\1902م تنص من بين ما تنص عليه، إنشاء أسواق مشتركة بين الفرنسيين والمغاربة على التراب المغربي، وتُقتسم الضرائب مناصفة، كما

---

[497] رسالة في ملك المؤلف.

[498] رسالة في ملك المؤلف.

[499] عكاشة برحاب، من أسواق الحدود المغربية- الجزائرية، ص 91(الهوامش).

أقرت الإتفاقية "حرية التردد على هذه الأسواق لفائدة التجار الجزائرين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، مما يحتم على المخزن حمايتهم، وهي مسؤولية لم يستطع المخزن الوفاء بها نظرا لبعد هذه الأسواق عن مراكز السلطة، وقد كان ذلك مبررا لإحتلالها - في وقت لاحق - بدعوى حمايتها وحفظ النظام بها، وكل ذلك لفرض الحماية شيئا فشيئا إنطلاقا من شرق البلاد".[500]

وفي هذه الأثناء كان الجلالي الزرهوني (الذي سيُدعى الروقي بوحمارة في ما بعد) يتأهب لإعلان ثورته التي اندلعت فعلا في أواخر 1902م، فاستولى على تازة في دجنبر من نفس السنة، ثم استولى على وجدة في 27\2\1903م .

على إثر تعيين مولاي عرفة بن محمد (عم السلطان مولاي عبد العزيز) لمواجهة أحداث بوحمارة بالمنطقة الشرقية، راسله علال بن الشيخ بعد وصوله إلى وجدة في (29 ذي القعدة 1320) 27 \2\1903 ، وكان جواب الأمير كالتالي :

محبنا الأعز المرابط الأجل السيد علال بن الشيخ بن الطيب، وفقك الله.

سلام عليك ورحمة الله، بوجود سيدنا نصره الله، وبعد، وصل كتابك سائلا عن أحوالنا ومجددا عهد المحبة القديمة النبوية، فنحن على ذلك بحول الله، إذ لا شك عندنا في محبتك، واتباع طريقة أسلافك فيها، كما نحن كذلك، تقبل الله، ولابد أقدم علينا لتجديد المحبة، سددك الله، وعلى المحبة والسلام .

8 محرم الحرام 1321 هـ صحبة حامله[501].

بعد فشل وانصراف مولاي عرفة عن مهمته بوجدة، عين السلطان حاجبه أحمد الركينة مفوضا عنه في الشؤون العسكرية والسياسية، يساعده عامل فاس عبد الرحمان بن عبد الصادق، لمواجهة بوحمارة الذي اكتسحت ثورته الشرق والشمال والتي فشل المخزن فشلا ذريعا في مواجهتها، نظرا لترامي مسؤولين غير مؤهلين على قيادة جيوش المخزن، وللخيانة التي عرفتها طبقاتهم إبتداء من وزير الحرب إلى أدنى قائد، "فبالإضافة إلى رواتب الأعداد (المنفوخة - أي المبالغ فيها-) من الجنود، والمصاريف الخيالية، والنفقات السرية، كان المال إذا وصل إلى رؤساء المحلات، وضباط الوحدات يستبدون بمعظمه لأنفسهم، ولا يصرفون إلا أقله على الجنود، أو المصالح العمومية، فجاع الجند بذلك وعري، وفنيت الدواب، وفترت الهمم، وتطلع المقاتلون للعودة إلى ديارهم وأهليهم، حتى ولو تطورت الحالة ضد السلطان الشرعي ولفائدة الثائر(أي بوحمارة).

ولقد حدث خلال هذه المدة أن وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي بعدما سرق معظم المالية المعدة للحرب، وعرّض الجنود النظاميين ومتطوعة القبائل

---

[500] المرجع السابق، ص 25/24.
[501] رسالة في ملك المؤلف.

لليأس والتلف صار يُعرب عن رغبته في حج الحرمين بالحجاز! ثم فرّ من فاس يوم عيد الفطر 21\5\1903م. ولما وصل إلى مصر طلب الحماية من الدولة البريطانية فمُنحت له.[502] "

توصل علال برسالة السلطان مولاي عبد العزيز وهي عبارة عن منشور[503] يحثه فيه ويحث أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة على القيام على ساق الجد لمحاربة بوحمارة، كما بعث - السلطانُ - عن طريق علال نسخة من نفس المنشور[504] إلى قبيلة حميان الجنبة، الذين هم مغاربة بموجب معاهدة لالة مغنية 1845م ، ولكنهم أصبحوا جزائرين بقوة الإحتلال.

في 26\4\1903م عين السلطان مولاي عبد العزيز علال بن الشيخ قائدا لقبائل: أولاد سيدي الشيخ، وأولاد سيدي علي بوشنافة، وأولاد سيدي محمد بن أحمد[505] وبناء على المقارنة بين تاريخ تعيين الركينة مفوضا بالشرق، وتاريخ ظهير تعيين علال بن الشيخ نعرف أن خطة العمل اقتضت تعينات عديدة شملت زعماء القبائل المؤثرة والمتحالفة مع المخزن، وقد سلمها الركينة لأصحابها - بمغنية – التي وصلها في 22\5\1903م، حيث كان عامل وجدة أحمد بن كروم الجبوري ومساعديه قد استقروا، بعدما طلبوا من السلطات الفرنسية السماح لهم باللجوء إلى الجزائر، هروبا من أتباع بوحمارة المسيطرين على وجدة.

بدأ أحمد الركينة - في مستقره بمغنية- ترتيب أموره لتحرير وجدة التي احتلها بوحمارة في 25\6\1903 م وأقام بها صلاة الجمعة في موكب ملوكي رسمي.

يقول الظهير الملكي الذي عُين بموجبه علال بن الشيخ:

خدامنا الأرضين أولاد(سيدي) الشيخ، وأولاد سيدي علي، وأولاد سيدي محمد بن أحمد. وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد ولينا عليكم أخاكم خديمنا القائد علال الشيخي، وأسندنا إليه النظر في أموركم، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أمركم من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام في 23محرم عام1321 هـ[506]

وقد شارك علال بن الشيخ - بهذه الصفة - في أغلب المعارك التي شهدتها وجدة ونواحيها، كما تؤكده المراسلات المتتالية بينه وبين أحمد الركينة وإبن عبد الصادق التي كانت إما إخبارية عن مجريات الأمور، أو لإستدعاء - علال - لحضور إجتماع تـُرَاجع فيه المخططات وتـُناقش المستجدات، كما أن دوره كان

---

[502] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ص 347.
[503] رسالة السلطان مولاي عبد العزيز(في ملك المؤلف).
[504] (في ملك المؤلف).
[505](في ملك المؤلف).
[506](في ملك المؤلف).

بارزا في استعادة بعض القبائل إلى جانب المخزن، وإحباط محاولات بوحمارة التوسعية مما جعل السلطان يضفي عليه ظهائر التوقير والإحترام.

بعد الضغوط التي مورست على بوعمامة من طرف الجنرال ليوتي منذ تعيين هذا الأخيرقائدا للدائرة العسكرية بالعين الصفراء في أكتوبر 1903م، ومن طرف السلطان مولاي عبد العزيز من خلال رسائله إلى سكان فجيج وإيش والقبائل المغربية الحدودية للنداء في الأسواق بمقاطعة بوعمامة والإبتعاد عنه،هذه الضغوط مجتمعة ألجأت بوعمامة إلى نواحي عين بني مطهر، وقد سبقت له وهو بفجيج مراسلات مع الجيلالي الزرهوني (بوحمارة) بوساطة عبد المالك بن الأمير عبد القادر. وفي ظروف اختلطت فيها كل الخيوط، ولم تبق قبيلة من قبائل الشرق إلا تقاسمتها الإنشقاقات وتوزعتها التحالفات وعمّتها الفوضى في هذا الجو الموبوء ساند بوعمامة - المطارَد من كل جانب - حركة بوحمارة.

في خضم هذه الأحداث المتلاحقة، ومن أجل محاصرة بوعمامة، ومساعدة المخزن على إخماد ثورة بوحمارة[507] زارت بعثة عسكرية إستطلاعية بقيادة القبطان دوجانشي(le capitaine Du Jonchay)عين بني مطهر في 28\2\1904م، ووجدت ترحيبا من أعيان قبيلة بني مطهر لإبرام عقد تستقر بموجبه برأس العين حامية مختلطة من عناصرجزائرية ومغربية تحت مسؤولية ضابط فرنسي لشؤون الأهالي وقّع العقد علال بن الشيخ بصفته ممثلا للسلطات المغربية، ووقع– نيابة عن بني مطهر – خمسة من أعيانهم هم :

- أحمر اللحية محمد ولد المجدوب بن عدو .
- الشيخ إبراهيم ولد بن إبراهيم .
- محمد بن عاشور نيابة عن جلول ولد بن موسى.
- محمد ولد الماحي بن طلحة.
- الحبيب ولد أحمد بن موسى.

- كما وقع إثنان من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة، هما سي لعلى بن المقلش وسي الزاوي ولد محمد .

- ووقع كذلك آغا الحاج الحبيب بن المبخوت آغا المشرية (احميان الجنبة).

وفي آخر العقد جاءت التوصية التالية :

"إن أعيان بني مطهرالحاضرين لهذا الوفاق والالتزام، صرحوا بمرغوبهم في المكث تحت حكم الدولة الشريفة، غير أنهم يريدون أن الدولة الفرنساوية يكون نظرها عليهم لتمتين العافية، ولتسهيل تعمير بلادهم وطلبوا من الحكام الفرنساويين الحاضرين الوفاق يبلغوا هذا المطلب إلى الدولة الفرنساوية، وطلبوا من سي علال بن الشيخ يتوسط لهم بإزاء الحضرة الشريفة، لتساعدهم فيما يرومونه من ترك

[507] Marcel Rullier et Dr Ladjimi, Berguent, p.24.

نظر أمورهم إلى الدولة الفرنساوية المحاذية لهم مع مكثهم تحت حكم وطاعة السلطان[508]."
إلا أن أحداثا حدودية طارئة بين بني كًيل وحميان، دفعت ببني مطهر إلى الإنضمام إلى حلف بوعمامة والإحتماء به.[509]
ثم" في 15\6\1904م عادت البعثة العسكرية الإستطلاعية تحت قيادة الرائد هانريس (Le commandant Henris)، ولما وصلت بين المنقوب والوادي الشارف (جنوب عين بني مطهرعلى بعد حوالي 20 كلم) سمع بها بنو مطهر فاستقبلها زعيمهم أحمر اللحية، على رأس أربعين فارسا من أعيانهم، وأعربوا عن ارتياحهم وترحيبهم بها وطالبوا باستقرار حامية عسكرية من الجيش الفرنسي تقيم بين ظهرانهم لحمايتهم من انتقام جيش بوعمامة، والتزموا بتحمل أعباء ومصاريف هذه الحامية".[510]
وبناء على العقد المذكور، زحفت القوات الفرنسية إلى ضفاف الوادي الشارف على بعد سبعة كيلومترات جنوب \غرب عين بني مطهر، في مكان كان يسمى تابركًانت[511] وفي 18\6\1904م سلم أعيان بني مطهر، قصبة الحاج بوبكر المهياوي إلى الرائد هانريس حيث أصبحت مقر الشرطة العسكرية، هذه القصبة التي أمر السلطان مولاي الحسن الأول ببنائها سنة 1892م، ولكن لاعتبارات مادية لم يتم تشييدها إلا سنة 1899م لتكون مقرا رسميا للمخزن المغربي .
" في آخر شهر يونيو 1904م قدمَ الجنرال ليوتي لتفقد قواته بعين بني مطهر، فاستقبله أعيانها، وبإلحاح زائد طالبوا الجنرال ليوتي بالإبقاء على قواته بقربهم لحمايتهم من الإعتداءات التي عانو منها، وحتى يتمكنوا من مزاولة أعمالهم الفلاحية والتجارية في أمن وأمان[512]".
كانت سياسة ليوتي إعتماد الظهور بمظهرحامل السلام، وبذلك إستطاع إختراق حاجز العداء لدى القبائل التي واجهها، وبذلك نفذ مهمته بأقل الخسائر، وهذا ما أكده في تعليماته للرائد بييرون قائلا:

---

[508] Gaquière, Berguent Ras El Ain, p.153.
[509] Ibid, p.154.
[510] Ibid, p. 154.
[511] بركًنت اسم أمازيغي، وليس إسما لمُعمر أو جندي فرنسي كما هو شائع في الأوساط العامة بالمنطقة، ومعناه في اللغة الأمازيغية السوداء للمؤنث، وأبركان أي الأسود للمذكر. وقد حرفت فأصبحت تنطق كذلك بركًم، وهو كذلك اسم أمازيغي زناتي ويعني أيضا القصر (وجدة والعمالة للعقيد فوانو . ترجمة ذ. محمد الغرايب ص 303) .
أما إطلاق هذا الإسم على القرية فإن الجنرال ليوتي عند مقدمه من العين الصفراء في زيارة تفقدية لقواته وجدها قد تمركزت في مكان يطلق عليه السكان المحليون تبركًنت أو بركًم، جنوب رأس العين على ضفاف الوادي الشارف فكانت مناورته أن أستبدل الإسم الأصلي بالإسم الفرعي للمكان، قصد تمرير أهدافه في خلافه مع وزارة الخارجية الفرنسية إذاك. وبناء على قول – مزعوم غير موثق - بأن بركًنت اسم لضابط فرنسي قتل في المنطقة، فقد أعادت السلطات المغربية لبركًنت اسمها القديم " عين بني مطهر" سنة 1968.
[512] Gaquière, Berguent, p.155.

" يجب من البداية أن يشعر هؤلاء الناس أننا نحمل إليهم السلام، وأن من مصلحة المسالمين منهم أن يحتموا بنا[513]".

"واستبشر أعيان قبيلة بني مطهر خيرا بهذا الإحتلال، لأنهم كانوا إلى عهد قريب خاضعين لقائد الأحلاف، بوزيان الشاوي، ثم لقواد المهاية، الحاج بوبكر ولد ميمون حتى 1885م وبنيه الحاج السهلي حتى 1893م والحاج الميلود حتى 1904م"[514].

وبعد استقرارهم "عيّن الفرنسيون أولَ قائد من بني مطهر وهو حمو ولد ابراهيم من الفقراء (فرقة من بني مطهر) ثم جاء بعده أحمراللحية ولد المجدوب من (فرقة أولاد قدور) ثم ولدا هذا الأخير الرحماني فالسهلي"[515].

منذئذ أصبح بنو مطهر يكوّنون قبيلة مستقلة بكل مميزاتها عن قبيلة المهايا، رغم محاولات الحاج الميلود، قائد المهايا، الذي عاد من فاس في بداية مارس 1906م بظهيرملكي عُيّنَ بموجبه قائدا للمهايا وبني مطهر، إلا أن بني مطهر رفضوا الإنصياع له[516].

أتـُهم - علال بن الشيخ - زعيم الغرابة - في بعض الكتابات المغربية الحديثة بتسهيل دخول الإحتلال الفرنسي إلى عين بني مطهر[517] وبخدمة مصالح السلطات الفرنسية بناء على علاقته بالجنرال ليوتي، وقد سبق لنا ذكر مراحل دخول القوات الفرنسية إلى عين بني مطهر، وكيف كانت برضى الأهالي وبترحيب منهم، وبموافقة السلطات المغربية العليا التي كان - القائد علال - يمثلها في المنطقة منذ بداية 1903م، ثم إن حضوره الإتفاق بينهما كان بصفته الرسمية، أي ممثلا للدولة المغربية، كما تؤكده الإتفاقية السابقة الذكر، وكما ورد مكتوبا بوضوح في السطر الثالث من نصها، ولايمكن أن يـَقدم على هذه المبادرة الخطيرة من تلقاء نفسه، دون استشارة وموافقة المفوّض والحاجب الملكي أحمد الركينة، والعامل الملحق عبد الرحمان بن عبد الصادق، اللذان كان - حسب ما بينه وبينهما من مراسلات - دائم الاتصال بهما، وأخـذ ُ رأيهما حول هذا الأمر من باب أولى.

وقد سبق للمفوض الملكي أن طلب من السلطان - عندما إشتد عليه الأمر في مواجهة بوحمارة - أن يأذن له في السماح للقوات الفرنسية بالدخول إلى وجدة لمساعدته في الدفاع عنها، غير أنه لم يوفق لإعتبارات داخلية وخارجية، مما يؤكد أن هذا التصور لم يكن مرفوضا لدى المخزن ولا غريبا عنه[518].

كما" أكد الجنرال ليوتي لمسؤوليه أن حضورالقوات الفرنسية بعين بني مطهر كان بتنسيق تام مع أحمد الركينة (المفوض الملكي)، الذي استنجد به، بعد أن

---

[513]Marcel Rullier et Ladjimi, Berguent, p.1.

[514] مولاي عبد الحميد الاسماعيلي، تاريخ وجدة، ص 236.

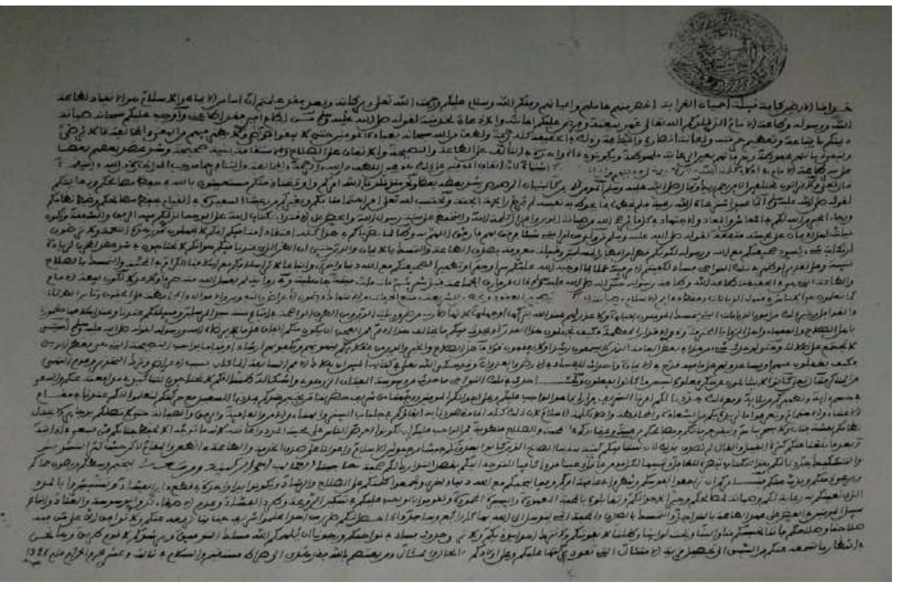
[515] المرجع السابق، ص 236(الهامش).

[516] Gaquière, Berguent, p.156.

[517] عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، ص 352.

[518] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ص 340.

التحمت قوات بوعمامة مع أنصار الروكي، وهددت مدينة وجدة من جهة الجنوب".[519]



عندما وصل بوحمارة إلى نواحي وجدة، راسل السلطانُ مولاي عبد العزيز القبائلَ الحدودية
لحثها على الانظمام إلى المخزن لمواجهة بوحمارة وأتباعه، وهذه رسالة السلطان
موجهة بواسطة علال بن الشيخ إلى قبيلة حميان الغرابة المغربية كما صنفتها معاهدة لالة مغنية،
مؤرخة في 13محرم 1321هـ الموافق/1903/4/11م.

خدامنا الأرضين كافة قبيلة احميان الغرابة أخص منهم عاملهم وأعيانهم، وفقكم الله وسلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد علمتم أن أساس الإيمان والإسلام هو الانقياد لطاعة الله ورسوله، وطاعة الإمام الذي قلدكم الله تعالى عهد بيعته، وفرض عليكم إعانته، والإذعان لخدمته، لقوله صلى الله عليه وسلم **من أطاع أميري فقد أطاعني،** وأوجب عليكم سبحانه صيانة دينكم باتباعه وتعظيم حرمته، وإعانة أنصاره وأتباعه، وذلك في الحقيقة كله رحمة ولطف من الله سبحانه بعباده المؤمنين، حتى لا يبقوا فوضى، ولا يظهر فيهم من البغي والمخالفة ما لا يرضى، وتبقى ديانتهم محفوظة، وحرماتهم بعين الرعاية ملحوظة، ويكونون ذاتا واحدة في التألف على الطاعة والنصيحة، والإتفاق على الصلاح والإستقامة بنية صحيحة، وشد عضد بعضهم بعضا على سر طاعة الإمام في إعلاء كلمة الله حتى لا يدخل في دينهم وإيمانهم خلل ولا اشتباه لأن اتفاق المؤمنين على ذلك هو عين اللطف من الله والرحمة، والمخالفة والتنافر هما موجب المؤاخذة من الله والنقمة، قال تعالى **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك،** وقال صلى الله عليه وسلم **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا،** ونحن منذ قلدنا الله أمركم، وأودعنا ذمتكم، مستعينون بالله في حفظ مصالحكم، ورعايتكم، لقوله صلى الله عليه وسلم **أيما عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بما يحوط به نفسه لم يرح رائحة الجنة،** ونحتسب لله تعالى أمر اهتمامنا بكم وبغيركم من رعيتنا السعيدة في القيام بحفظ مصالحكم وضبط نظامكم، ورجاء الخير من الله لكم، في المعاش والمعاد، والاجتهاد في كل ما يرضي الله من صيانة الدين، وإعزاز كلمة الله، والتحفظ على سنة رسول الله، والحض على الاقتداء بكتاب الله على الوجه الذي لكم فيه الرفق والشفقة، وتكون نيات أهل الإيمان على محبته متفقة، لقوله صلى الله عليه وسلم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق اللهم به، وطالما بصرناكم في هذا كله اعتقادا منا فيكم أنكم لا تجهلون قدر

[519] عكاشة برحاب، من أسواق الحدود المغربية-الجزائرية، ص 32/27.

هذه النعمة، ولا ترضون ارتكاب شيء يسود صحيفتكم مع الله ورسوله، لكونكم قطرا من أقطار المسلمين، وقبيلة معروفة بصدق الطاعة والتمسك بالإيمان والدين، حتى أن الظن الذي عندنا فيكم هو أنكم لا تحتاجون في شد عضد المخزن لزيادة تنبيه، وعلى تقدير لو ظهر في تلك النواحي فساد لكفيتم الأمر فيه، عملا بما أوجبه الله عليكم سرا وجهرا، وتطهيرا لصحيفتكم مع الله دنيا وأخرى، واتباعا لأثر أسلافكم مع أسلافنا الكرام، في المحبة والتمسك بالصلاح والطاعة التي هي في الحقيقة طاعة الله وطاعة رسوله، حتى أنه صلى الله عليه وسلم قال **من فارق الجماعة قيد شبر ثم مات مات ميتة جاهلية**، وفي رواية **لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**، لكون بيعة الإمام كما تعلمون هي الأساس في قبول الديانات، وحفظ دعائم الإسلام وصيانة الأنكحة، وتصحيح العقود، وتحصين الشريعة، ومنع الحرمات من الانتهاك، وصون الأعراض والنفوس والأموال، والمحافظة على الحقوق، وتأمين الطرقات والقوافل وغير ذلك من أمور الديانات التي يتمسك المؤمنون بحبلها، ولا عذر لهم عند الله بتركها أو جهلها، لأنها صارت من ضروريات الدين، ومن الطرق الواضحة في اتباع سنة سيد المرسلين، وقبيلتكم عندنا وعند أسلافنا معمورة بأهل الصلاح والفقهاء وأهل الزوايا المحترمة، وذوي الأقدار المعظمة، فكيف تجهلون هذا القدر، ويحدث فيكم ما يخالف هذا الأمر، فمن العجب أن يكون منكم اتفاق على ما يرضاه الله ورسوله لقوله صلى الله عليه وسلم أمتي لا تجتمع على ضلالة، وحتى لو حدث شيء من هذا في بعض العامة الذين لا يسمعون رشدا، ولا يفهمون قولا، فأهل الصلاح والخير والدين من عقلائكم ينهونهم ويكفونهم إرشادا وقياما بواجب النصيحة التي هي معظم الدين، فكيف يغفلون عنهم أو يساعدونهم على ما فيه قدح في الإيمان، وإحداث للفساد في الأرض والعدوان، وقد حكى الله تعالى في كتابه المبين أن هلاك الأمم السالفة إنما كان بسبب الإعراض وترك التحذير وعدم النهي عن المناكر، فقال تعالى **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون**، ولما حدث في تلك النواحي ما حدث من وسوسة الفتان الزرهوني وأشكاله، ظننا أنكم لا تحتاجون للتأكيد في مدافعته عنكم والسعي في حسم دائه، وتطهيركم من بلائه، ومع ذلك جددنا لكم أمرنا الشريف مرارا بما هو الواجب عليكم وعلى إخوانكم المؤمنين، ووجهنا من شريف حضرتنا من يخيم عندكم بمددنا السعيد مع حركتكم لتعلموا أنكم عندنا في مقام الإعتناء والإهتمام، وتعرفوا ما نريده بكم من السعادة والمحافظة وإعلاء كلمة الإسلام، لأن ذلك كله إنما مقصودنا به إبقاؤكم في جلباب الستر والهناء والأمن والعافية، والرفق والصيانة، حتى لا تصلكم يد جائر ولا يختل نظامكم بفتنة فتان ولا بسحر ساحر، وتبقى حرماتكم ومصالحكم مرعية، وعقائدكم على المحبة والصلاح منطوية، فمن الواجب عليكم أن تكونوا أحرص الناس على محبة المدد وإعانته، لأنه ما توجه إلا لحفظ جنابكم ممن يسعى في إذايته، وبعدما بلغنا عنكم كثرة القيل والقال لم نصدق بذلك لأن نيتنا فيكم كنية سلفنا الصالح الذين كانوا يعدونكم جيشا من جيوش الإسلام، وأعوانا على صدق الخدمة والطاعة في الضعن والمقام، لكن حيث كثر التشويش والتشكيك جددنا لكم هذا الكتاب تبصرة للغافل، وتنبيها لكل مؤمن عاقل، وعينا مددا كافيا للتوجه إليكم بقصد التدارك لكم صحبة حاجبنا الطالب أحمد الركينة ومن معه ليخيم وسطكم ويصون حماكم، ويرعى ذمتكم ويذب عنكم، فنأمركم أن تراجعوا نفوسكم وتنظروا في عاقبة أمركم، وفي ما ينجيكم مع الله دنيا وأخرى وتجمعوا كلمتكم على الصلاح والرشاد و تكونوا يدا واحدة في قطع دابر الفساد وتستبشروا بالمدد الذي نعينكم به رعاية لكم وصيانة لمصالحكم وجبرا لأحوالكم وتقابلوه بالمحبة المعهودة والسيرة المحمودة وتقوموا بالواجب عليكم في تسكين الروعة وطرد الفساد وعدم الإصغاء لذوي الوسوسة والعناد واتباع سبيل المؤمنين في العض على عهد الطاعة بالنواجذ والتمسك بالصدق والمحبة التي يتوسل إلى الله بها كل راكع وساجد وإذا حصل لكم ضرر من أحد اعلموا شريف جنابنا نرفعه عنكم ولا نوافق إلا على من فيه صلاحنا وصلاحكم فإنا نحسبكم منا وإلينا وتحت لوائنا و ظلنا لا نفوتكم و لا نترك أحدا يؤذيكم ولا نرضى حدوث فساد في نواحيكم ورجونا أن يلهمكم الله مسلك التوفيق ويرشدكم لأقوم طريق وها نحن في انتظار ما نسمعه عنكم من السبق إلى تحصيل مزية الامتثال التي تعود بركتها عليكم و على أولادكم في الحال و المآل ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم والسلام. في ثالث وعشر محرم الحرام عام 1321.

في إطارمسؤوليته الرسمية، التي تلزمه إتباع سياسة المخزن، يجب أن نضع موقف علال بن الشيخ إزاء الأحداث التي اكتنفت المنطقة الشرقية، والتي كان طرفا فاعلا فيها.

وعليه فمواقف وخدمات علال بن الشيخ منذ مجيئه من منفاه بوزان سنة 1887م إلى حين وفاته سنة 1922م كانت تطبيقا وتجسيدا لوجهة النظرالمخزنية الرسمية.

وإذا كان المرشال ليوتي - بصفته ممثلا للدولة الفرنسية - يُعدّ أول من خطط لبناء برگنت (عين بني مطهر)، فإن علال بن الشيخ بصفته ممثلا للدولة المغربية

ببركَنت - إذاك - يعد مؤسسا لعين بني مطهر التي كان المسؤول الرسمي والممثل للسلطان بها من 1903 إلى 1922م.

بعد إستقرارها بعين بني مطهر، وبعد إحتلال وجدة في 29\3\1907م بدأت السلطات الفرنسية في تنظيم القبائل التي أعلنت استسلامها وخضوعها لها. كان علال بن الشيخ لا يفتأ يطالب بتوسيع دائرة نفوذه ليشمل قبائل بني كَيل، وذلك على غرار ما يحضى به غريمه الدين بن حمزة زعيم الشراقة، من سعة النفوذ بالجنوب الجزائري، إلا أن الوالي العام بالجزائر رأى غير ذلك، فأصدر قرارا في 14\10\1907م تم بموجبه إنشاء قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم، وعُين علال قائدا لها[520].


عبد الحفيظ بن الحسن 1908 1912 م


السلطان مولاي عبد العزيز

أطلقت سلطات الاحتلال الفرنسي على أولاد سيدي الشيخ الغرابة إسم أولاد سيدي عبد الحكم[521] كما أطلقت على أولاد سيدي الشيخ الشراقة إسم أولاد سيدي الحاج بحوص، وذلك لطمس التراث الجهادي الذي كان يوحي به إسم **: أولاد سيدي الشيخ**، وإزالة الرمزية التي كانوا يتمتعون بها، كما كانت سلطات الإحتلال تريد إفراغ هذا الإسم من الشحنة التاريخية التي ضل يحملها لأكثر من ستة عقود من 1845م إلى 1903م ولقطع الذاكرة الشعبية عن ماضيها ورصيدها التاريخي.

---

[520] Gaquiere, Berguent, p. 201.
[521] Ibid, p. 201.

في 21\03\1908م صدر قرار من الحاكم العام الفرنسي يقضي بترقية علال إلى منصب آغا بركَنت، وتعيين ولده البكر محمد الطيب قائدا لأولاد سيدي عبد الحكم.[522]

يصف حاكمُ بركَنت - في 1908م - علال بن الشيخ قائلا:

" يتمتع (سيدي علال) بنفوذ روحي، ولكنه غير مكترث بالسعي في توسعته وتقويته ومنذ التحاقه بالعمل من أجل قضيتنا، لم يُظهر في عمله إلا الإهتمام بمصالحه الشخصية، ولم يَبدُ منه أي إخلاص يكون نتيجة التعاطف معنا أو الميل إلينا. فهو مكتف بنخوته إلى حد الغرور، يَعدُ كثيرا ولا يبال بإنجاز ما يَعد، ورغم ذلك فهو وسيط مُفيد، وأحيانا شخص لا غنى لنا عنه عندما يتعلق الأمر بعلاقاتنا مع قبائل الغرب.

إن الإستعانة به لا تكون دائما فعّالة، ولا بالكيفية المرجوة منه والمستطاعة لديه، ولكن إستفزازه واستثارة عداوته أمر- لا محالة - مزعج ومحرج "[523].

لا يحتاج هذا الوصف إلى تعليق ما عدا التأكيد على أنه يصور إحباط سيدي علال وكراهيته للإحتلال، والعمل مرغما في نهجه، وإعطاء الأسبقية لمصالح قومه حفاظا على كيان قبيلته، ووفاء بالتزاماته للمخزن.

" ورغم ذلك فإن علال كان يتطلع إلى مزيد من النفوذ، فعندما رُقي الجنرال ليوتي إلى رتبة مارشال فرنسا سنة 1921م، إغتنم علال فرصة تقديم التهاني له ليذكـّره بطلب توسيع نفوذه على قبائل بني كَيل، إلا أن هذا الطلب لم يحض بالقبول".[524]

ومعلوم أن المرشال ليوتي شغل منصب مقيم عــام للمغرب بين **1912 - 1925** .

---

[522] Ibid, p.201.
[523] Ibid, p.202.
[524] Ibid , p. 28.



جونار الوالي العام
استقدم المرشال ليوتي من
مدغشقر لمحاربة بوعمامة.
تولى بنفسه عملية الهجوم على
فجيج في 1903/6/8 م.



المرشال ليوتي
حارب بوعمامة وخطط
لاحتلال المغرب وفرض الحماية عليه.
وكان أول مقيم عام فرنسي بالمغرب .

علاقات علال بن الشيخ بأعيان وزعماء قبائل المنطقة الشرقية :

زار القائد علال بن الشيخ فجيج سنة 1915، ومعه أعيان قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم، ونزلوا بخيامهم شرق آجدل حيث قبة سيدي الشيخ، وتوجهت قافلتهم الى الصحراء لإستيراد التمر من توات (چرارة)، وبقي علال وأعيان القبيلة في انتظارها مدة شهر، قضوه في ضيافة أهل قصور فجيج، الذين كانت تربطهم بهم أقدم وأوثق الصلات. كما استضافه باريال (**Le Commandant Pariel**) حاكمُ فجيج في داره بالباشوية الحالية وأكرم وفادته[525].

وقد سُجل في دفتر النفقات لقصر الحمام الفوقاني، أنهم استضافوا سيدي علال البوشيخي في 15 دجنبر 1915 وكانت أكبر نفقة صرفت على هذه الضيافة فقد بلغت 6440 فرنكا[526] (يحتمل أن الوفد الزائر كان يضم كل أعيان أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا يرافقون علال بن الشيخ في هذه الرحلة).

في 1920 زار علال في وفد من أعيان أولاد سيدي عبد الحكم الأبيض سيدي الشيخ، فاستقبله أعيان أولاد سيدي الشيخ الشراقة بزعامة شيخ الزاوية الشيخية

---

525 رواية شفوية عن الحاج بحوص بن علال بن الشيخ بن الطيب.

526 العربي الهلالي ومحمد بنعلي بوزيان، فجيج تحت الحماية الفرنسية ، ص 330.

الشرقية باشا آغا عبد القادر بن الدين بن حمزة، ويبدو أنه كانت للباش آغا هذا دار خضراء فقد تغنت الشاعرة نمول بعلال بن الشيخ قائلة (عامية):

الدار الخضراء تربح أخيري كل عام ينزلها طير[527]

وكانت له علاقات وطيدة مع زعماء قبيلة حميان بكل أطيافها، وقبيلة الطرافي بجميع عشائرها، وتربطه بأعيان بني كَيل وأولاد جرير والعمور روابط متينة، كما تدل على ذلك المراسلات التي كانت تجري بينه وبينهم.

أما قبيلة المهاية التي كانت الروابط الروحية التقليدية تشد بينها وبين أولاد سيدي الشيخ، فقد كان علال يلجأ إليها كلما حزبه أمر فيجد فيها العون والحليف، فهي التي هبت عندما دعاها علال للثأر من آيت بوشاون لإغتيالهم زعيم الغرابة سلمان بن قدور سنة 1883، كما أن نفس القبيلة احتضنته عندما أطلق سراحه من منفاه سنة 1897 ، وكانت هذه القبيلة منطلقه لتكوين قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة من جديد.

عرفت قبيلة المهاية نفوذا واسعا في المنطقة، وكان لها وزنها المميز بين قبائل المغرب الشرقي، وقد توالى على زعامتها القائد بوبكر بن ميمون، وبعده أبناؤه وحفدته، القائد السهلي، والقائد الميلود، والقائد البكاي، ثم أصبحت زعامة المهاية في أسرة "الـحْضَارَة"، فكان القائد زحزوح، فالقائد عبد القادر، وآخرهم القائد معطى الله الذي انتهت ولايته بعد استقلال المغرب في1957م.

كما وطد علال بن الشيخ علاقته مع زعماء بني يزناسن، والسجع، وهوارة، الذين كانوا حلفا له في الأحداث التي عرفتها المنطقة الشرقية قبل ثورة بوحمارة و أثناءها وبعدها.

كما كانت له المكانة المرموقة لدي قبائل الجنوب رحلا وسكان قصور وواحات جنوبية .أما القبائل التي كانت له بهم صلة مباشرة فهم بنو كَيل، أولاد سيدي علي، وبنو مطهر:

● قبيلة بني كَيل

يَرُدّ بعض المؤرخين قبيلة بني كَيل إلى بقايا بني حْسَن المستقرة بنواحي وادي سبو، ويردهم البعض الآخر إلى بقايا بني زيان، لتسمية إحدى فرقهم ببني غمراسن، وهم مؤسسو الدولة الزيانية بتلمسان[528].

كان بنو كَيل منذ بداية القرن التاسع عشر طرفا في حلف زڤدو الذي يتزعمه ذوي منيع، ومنذ إنطلاق مقاومة أولاد سيدي الشيخ التي أعلنها المجاهد الشيخ بن

---

[527] رواية شفوية عن الطايعة بنت علال بن الشيخ، كانت ذات ذاكرة قوية، وشاعرة سجلت بشعرها عدة أحداث، توفيت سنة 2003 بجرادة.

[528] DPSENOA, p. 355.

الطيب في 1845م، لم يتخلف بنو ڤيل عن المشاركة فيها عشائرا وأفرادا، كما سجلوا حضورهم الفاعل في مقاومة الشراقة وثورة أبي عمامة .

كانوا يمثلون القاعدة الخلفية للمقاومة، وقد لجأ إليهم الشيخ بن الطيب بعد انتفاضة 1849م، وزعيم الشراقة قدور بن حمزة، وسليمان بن قدور، والشيخ بوعمامة، كما لجأت إليهم قبيلة العمور بعد ملاحقة قوات الإحتلال لها منذ 1864م.

ساومهم الإحتلال الفرنسي بالسماح لهم بارتياد الأسواق الجزائرية مقابل التخلي عن دعم مقاومة أولاد سيدي الشيخ، وخصوصا بعد معركة عنق الجمل (1881) ولكنه فشل، ولما عيُن الجنرال ليوتي (1903م) حاكما للعين الصفراء، ربط الإتصال ببني ڤيل بواسطة مولاي بن الميلود باشا آغا العين الصفراء، ولعب قائدهم عبد الرحمان بن امحمد بن بلحسن الأيوبي الدور الحاسم، في فرض الهدنة بين بني ڤيل واحميان، وتحسين العلاقة بالسلطات الفرنسية.[529]

في سنة 1892م عين السلطان مولاي الحسن عبد الرحمان الأيوبي قائدا لأولاد أيوب إلا أن شخصيته القوية تعدت ذلك إلى الهيمنة على أغلب عشائر بني ڤيل.

توفي القائد عبد الرحمان بالجرف الأخضر في 3 ماي 1905م، بعد رجوعه من العين الصفراء حيث كان يعالج في مستشفاها العسكري، من مرض ألم به[530].

كانت لقبيلة بني ڤيل مكانتها المرموقة بين قبائل الجنوب الشرقي المغربي، اكتسبتها بكثرة عدد أفرادها، وشساعة منتجعاتها، فلم تكن تفوقها عددا وأرضا، إلا قبيلة ذوي منيع في الجنوب وبني يسناسن في الشمال.

تتكون القبيلة من فرقتين كبيرتين، بنيڤومن، وبني غمراسن .

بنوڤومن: هم أولاد إبراهيم، أولاد فارس، وأولاد أحمد بن عبد الله.

بنو غمراسن: هم أولاد أيوب، وأولاد حاجي.

وتندرج تحت الفرقتين ومكوناتهما عدة عشائر[531].

كان لكل عشيرة من عشائر بني ڤيل شيخها، وقد برز في القبيلة الواحدة عدة زعماء، عُرف عنهم تشبثهم بمكارم الأخلاق، ومحامد الصفات، وكانوا مضرب الأمثال، كأحمد بن علي بن بوجمعة، وبوعلام بن حيدة (أولاد فارس) وحمان بن بومدين (أولاد بلقاسم)... وعمرو بن حدادة (أولاد أحمد) وغيرهم.

بعد استتباب الأمر للحماية الفرنسية، عينت لكل عشيرة قائدا خاصا بها، تكريسا لسياسة "فرق تسد" حتى أن بعض القواد لم تكن تحت سلطته إلا عشرون أسرة (خيمة)[532].

عرفت الطرق الصوفية انتشارا واسعا بين عشائر القبيلة، كالزيانية، والكرزازية والقادرية، والوزانية والدرقاوية.[533]

---

[529] Gaquière, Berguent, p.180.
[530] Ibid ; p. 183.
[531] DPSENOA, p. 368.
[532] Ibid, p. 368.

كانت لعلال بن الشيخ علاقة وطيدة مع كافة قبائل بني گيل ، ولكن كانت له أمتنها مع أولاد إبراهيم الذين ساكنهم أبوه الشيخ بن الطيب وشاركوه جهاده، وقبيلة أولاد أحمد بن عبد الله بفروعها، وأولاد فارس، خصوصا مع بوعلام بن حيدة ومبارك بن حتيت، وقبيلة أولاد شعيب وخاصة مع دحمان بالدبالي الذي سمى أولاده بأسماء أولاد سيدي الطيب تعبيرا عن المحبة الربانية التي كانت تجمع بينهم، فكان منهم القائد بلفقشيش[534]، وبحوص، ومحمد الطيب، وبنعبد الله، ولا تزال تلك العلاقة سارية المفعول بين ذرياتهم.

● أولاد سيدي علي بوشنافة

ينتمون بنسبهم إلى المولى إدريس من فرع عبد الله بن محمد بن إدريس، كما يصنفهم العشماوي في كتابه[535]، إلا أن من بينهم عدة عشائر تنتسب إليهم بالولاء فقط، يقول العشماوي عن جدهم سيدي علي بوشنافة:" ولماذا سمي بأبي شنافة؟ لأنه أشار عليه سيدي عبد القادر بن محمد - رضي الله عنه - في زمانه الذي هو من ذرية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وسمَّاه في بطن أمه علي بوشنافة، وطبعه النبي صلى الله عليه وسلم في شنافته(شفته) بخاتم النبوة ومكتوب في تلك الخاتم الشريفة: لاإله إلا الله علي بوشنافة ولي الله"[536].

عُرف أولاد سيدي علي بالصلاح، وقد برز من بينهم عدة صلحاء، منهم الشيخ محمد بن معروف العامري، الذي تتلمذ لمولاي العربي الدرقاوي، وكان مقدمه بأم عسكر بالجزائر، حيث عمل على نشر الطريقة الدرقاوية بها وبنواحيها، من آثاره العلمية كتابه " تاج الياقوت وسر الناسوت " في شرح ياقوتة السماحي.

وبمقبرة أهل بريدع بتاندرارة (إقليم فجيج) عدة أضرحة هي لصالحي هذه القبيلة.

في فترة الحكم التركي للجزائر، كان أولاد سيدي علي يرتادون أسواق التل الجزائري، مقابل ضريبة كانت تسمى "حق الثنية" أي واجب المرور، وبعد احتلال الجزائر من طرف الإستعمار الفرنسي، ولتسهيل التعامل مع أولاد سيدي علي، عين الإحتلال قائدا لهم – لم يَرد ذكر إسمه – ثم انقطعت الصلة بينهما بعد أحداث المقاومة التي عصفت بالمنطقة منذ 1860م[537].

---

533 Ibid, p. 356.

534 القائد بلفقشيش الدبالي، سماه أبوه باسم بلفقشيش بن المعمر بن الشيخ بن الطيب، كان قائدا لقبيلة أولاد شعيب (من قبائل بني گيل) وكان من البارزين. وبعد الاستقلال ظهرت الزعامة في ابنه لخضر الدبالي، الذي شغل قائدا ببوعرفة ثم تندرارة وترقى في عدة مناصب بإقليم فجيج، واشتهر بالإستقامة والخلق الفاضل والكرم الزائد، توفي في حادث سير مؤلم بالجنوب المغربي وكان إذاك يشغل رئيسا لدائرة الحسيمة.

535 أحمد بن محمد العشماوي: السلسلة الوافية، والياقوتة الصافية، في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب.

536 محمد بنعلي بوزيان، تاج الياقوت، ص 22.

537 Ibid, p. 374.

في 1893م كانوا مع قبيلة بني ڤيل دون أن يندمجوا فيها، وكانوا ينزلون حول جبل تاندرارة حيث أضرحة أجدادهم، ويتنقلون بين الركام وتسكنيت والمريجة[538].

في 1914م كانت الصراعات على الزعامة تتقاسم قبيلة أولاد سيدي علي بوشنافة وحاول المراقب العسكري لبركّنت إرغامهم على توحيد القبيلة، والقبول بالحاج سعيد بن عمرو البوراسي قائدا لهم جميعا، وهو ما كانت ترفضه فرقة العوامر بكل إصرار وتحكي الرواية الشفوية ما يلي :

" إجتمع أولاد سيدي علي بالمكان المسمى "سيدي عامر" بطلب من حاكم بركّنت، وبعد انتهاء الحفل الذي أقاموه على شرفه، قال لهم إني أنصب الحاج سعيد قائدا عليكم، وأحمد بن بلخير خليفة له، فرفض العوامر هذا التنصيب، وأغلظ له أحمد بن الكبير العامري في القول، فأمر الحاكم بسجن زعماء العوامر وهم :

أحمد بن بلخير- محمد بن الكبير- أحمد بن الكبير- عبد الله بن بومدين (الشلافة)- محمد بن العرابي(الخرانقة)- الدين بن خريس(الحميمات).

إلا أنهم قبل نقلهم إلى سجن بركّنت، أمروا فرقتهم، بهجرة جماعية إلى نواحي تالسينت، وهي إذاك منطقة لم يصلها بعد النفوذ الفرنسي، وكانت لا تزال تناصب الاحتلال العداء.

ولم يلبث السجناء -هم كذلك- أن وجدوا غفلة من حارس السجن ففروا ليلا ملتحقين بأهلهم في الأطلس الجنوبي .

بعد استقرارهم بآيت بوشاون، كتب العوامر الراسلة التالية إلى حاكم بركّنت:

بتاريخ 16صفر عام 1333هـ الموافق سنة 1914م

الحمد لله وحده

إلى سعادة المعظم الأرفع، المحترم الأنفع، السيد الفسيان جنطروا حاكم رباط بركنات ونواحيها، السلام عليك بأتمه غاية وبعده، ياسيدي الفسيان، إعلامنا إليك هذه مدة سنة كاملة مضت، وأمرتمونا أن نقبلوا الحاج اسعيد البراصي، واشتكينا لكم مرة بعد مرة، بكبيرنا وصغيرنا، وقلنا لكم أنتم السادات الحكام تفعلون الحق، إفعلوا ما تريدون فينا سوى أمر الحاج اسعيد خبيث الأفعال والأقوال لا نقبلوه، وجميع حكامنا الكبار سيدي الجنرال، وسيدي الكورونيل، وسيدي النائب، وكذا، وأنت يا سيدي الفسيان اشتكينا لكم، واشتكينا ولم تقبلوا لنا كلام، وغيبتم لنا الحق، وأردتم بجميعكم تحبون رجلا واحدا وهو الحاج اسعيد خير لكم من عرش كذا، وأما حنا يا سيدي الفسيان لم نرحلوا، ولم نهجروا منكم ولا من حكمكم، ولا من خدمتكم، بل فررنا من أمر الحاج اسعيد، ونحن كنا نمتثل لأمركم ونخدموا خدمتكم الواجبة على الأعراش،

[538] Cour, Berguent ras El Ain, p. 48.

وجميع ما يحبون لكم الأعراش كنا نحن نحب للدولة أفضل من ذلك، وأما أنتم أيها السادات الحكام تهنينا في أيام الله وأيامكم ورحنا في الأمان بأموالنا وأولادنا فالله يخلف عليكم أنتم دولة حليمة كريمة والسلام.

بأمر كافة جماعة أولاد سيدي عامر[539]

لم تجد سلطة الإحتلال بدّا من اللجوء إلى علال بن الشيخ طالبة تدخله، لعودة العوامر ورجوعهم من تمردهم، فاشترط القائد علال على الحاكم أن تلبى رغبتهم لضمان عودتهم، فاستجاب الحاكم لذلك، ولا يستبعد أن يكون هذا التمرد بتنسيق مع علال بن الشيخ لإرغام الإحتلال على القبول بالأمر الواقع.

وردّ عليهم القبطان موربيو**(le capitaine Morbieu)** بالرسالة التالية:

من القبطان موربيو رئيس دائرة وجدة إلى جماعة أولاد سيدي عامر، السلام عليكم وبعد، توصلت برسالتكم في 15 ربيع الأول، كما اجتمعت بمبعوثيكم: أحمد بن بلخير، والفقيه محمد بالكبير، وتحدثنا بحضور سيدي علال، وقد شرحوا لي رغباتكم ومطالبكم، إنني أتسامح ولا ألومكم عن هجرتكم ولكن بشرط رجوعكم في أقرب الآجال، ولن تكونوا تحت نفوذ الحاج سعيد، فقد عينت أحمد بن بلخير قائدا لكم، وسوف يقودكم بنصائح سيدي علال وتحت ضمانته (لأن أحمد بن بلخيركان إذاك لا يزال شابا).

وقد أعطيت الأمر لأحمد بن بلخير بإحصائكم حسب ما جرت به العادة. كما أسمح للمسمى محمد بن البشير وإخوانه بالإنضمام إليكم .

وكل ما قيل واتفق عليه (في هذا المجلس) فهو بأمر وبإذن حاكم وجدة الذي جئت لتمثيله.

كتب في 12\2\1915م والسلام

من محرر التقرير أمبروسيني(Ambrosini)

كاتب السيد العقيد حاكم وجدة [540]

لم يتم توحيد أولاد سيدي علي بوشنافة في قبيلة واحدة إلا في غشت 1922م عندما صدر الظهير السلطاني بتعيين السي بوجمعة بن سليمان قائدا وخليفته أحمد بن بلخير، وقد أصبح هذا الأخير فيما بعد قائدا لكافة أولاد سيدي علي بوشنافة إلى أن أقيل سنة1957م.

[539] رسالة أولاد سيد علي بوشنافة (في ملك المؤلف).

[540] Marcel Rullier et Dr Ladjimi, Berguent, p.63.

● بنو مطهر

شارك بنومطهرالشراقة - الكائنين بنواحي سبدو- في جهاد الأميرعبد القادر، كما شارك بنومطهر الغرابة - أهل عين بني مطهر- في مقاومة أولاد سيدي الشيخ منذ انطلاقها سنة 1845م بزعامة الشيخ بن الطيب.
وبذلك " تقوّت حرمة سكان عين بني مطهر في منتصف القرن التاسع عشر، عقب ثورة أولاد سيدي الشيخ ضد الإحتلال بغرب الجزائر، حيث لجأ إلى رأس العين بعض أفراد أولاد سيدي الشيخ الغرابة، وهي المجموعة التي كانت من نصيب المغرب طبقا لإتفاقية مغنية، وكانوا من المرابطين الذين نالوا حظوة بين قبائل الصحراء وبذلك زادت حظوة بني مطهر لدى القبائل المحيطة بهم، وقد اشتهر أولاد سيدي الشيخ بقيادة المقاومة ضد الفرنسيين في الجنوب الغربي مدة تزيد عن نصف قرن[541]".

كان بنو مطهر حلفا لهوارة بزعامة القائد الشاوي، قبل أن تعود الغلبة بالمنطقة لقبيلة المهايا، وتقوى شوكة قوادها، فيصبح بنومطهر فرقة من فرق المهاية في ضعنهم وإقامتهم، ووجود بعض عشائر بني مطهر، في جزء من قبيلة المهاية التي استوطنت سهل سايس بين فاس ومكناس، خير دليل على ذلك[542].

" في سنة 1904م عندما احتل الفرنسيون عين بني مطهر، وأسسوا بها مركزا عسكريا، وأنشاوا نواة قرية أطلقوا عليها إسم بركَنت التي غدت منذ 18\6\1904م تابعة لدائرة المشرية وهي مركز قبيلة احميان، ثم ألحقت منذ 1909م بإدارة العريشة، لتصبح في 11\4\1911م مركزا مستقلا، ولم تعد إلى وضعها الطبيعي إلا في يناير 1912م حيث تم إلحاقها نهائيا بالدائرة العسكرية لوجدة."[543]

في سنة 1895م كان بنو مطهر ينقسمون إلى أربعة فرق :

أولاد الحيمر (أولاد داود، أولاد قدور، الفقرا)

أولاد حمادي (عواشير، أولاد الغازي، الجرابعة)

أولاد بنعيسى (أولاد بنعبو، أولاد علي، أولاد بن النصر، أولاد امحمد، أولاد بن عبد الرحمان، القُضية)

علال بن الشيخ وعلاقاته الصوفية

ترعرع علال بن الشيخ في بيئة صوفية، فقد كان آباؤه وأجداده شيوخا للطريقة الشيخة الغربية، توارثوها خلفا عن سلف، ولم يكونوا يكتفون بما ورثوه، ولا ركنوا لما بلغوه، بل كانت هممهم عالية، فلم يستنكفوا عن الإنتماء إلى عدة طرق، كانت

---

[541] عكاشة برحاب، من أسواق الحدود، ص 8.

[542] حليمة بن كرعي، قبائل جيش عرب سايس، ص 18.

[543] M.Rullier,et Dr Ladjimi, Berguent, p.57.

أقل أو أكثرشهرة من الطريقة الشيخية، فتتلمذوا على أيدي أقطابها، طلبا للتربية والسلوك. وأسوة بأبيه فقد أخذ علال بن الشيخ في بداية أمره عن الشيخ مولاي عبد السلام بن العربي شيخ الطريقة الوزانية، وبعد وفاته صحب إبنه وخليفته مولاي العربي الذي تصدر للمشيخة من 1892 إلى1906 م .
كما أخذ في وقت لم نستطع تحديده - عن الشيخ سيدي محمد العربي المدغري شيخ الطريقة الدرقاوية بعد إجتماعه به بزاويته بمدغرة قرب الراشدية.
ولما نفى الإحتلالُ الفرنسي شيخَ الطريقة الرحمانية (المعروفة بزاوية الهامل بمسعد - الجزائر-) الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر النايلي إلى عين بني مطهرسنة 1916م، التقى به - علال بن الشيخ - في ضيافة السّيديْن: محمد بن الطيب الفيلالي وأحمد بن الحبيب، وكانا من أعيان عين بني مطهر، كريميْن نبيليْن، ينزل بداريْهما العلماء والأشراف وشيوخ الطرق الصوفية (كالكرزازية والوازانية والقندوسية والدرقاوية والشيخية) .
لما تعرّف علال بن الشيخ على شيخ زاوية مسعد، وعرف حالة الضيق التي يتعرض لها في منفاه تحت المراقبة الفرنسية، عرض عليه أن يكون في جواره وقدّم الضّمانات اللازمة للسلطات الفرنسية في شأنه، وذهب به إلى "الخرشفية" وهو المكان الذي كانت تخيم به قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم (70 كلم جنوب شرق عين بني مطهر).
أكرم علال بن الشيخ وفادة النايلي وهيأ له أسباب الراحة والإستقرار، فبنى له خيمتين، خيمة خاصة به، وخيمة مجهزة بالضروريات لإقامة حاشيته واستقبال ضيوفه، ووضع تحت تصرفه خادمين، وكان يتوافد على شيخ الرحمانية أتباعه من مسعد- بالجزائر- فلا يجدون في شيخ الزاوية الشيخية الغربية إلا البرور والترحيب إلى أن رُفع عنه النفي سنة 1918م ، فعاد إلى بلده بعد أن بالغ علال بن الشيخ في إكرامه، وأهداه أجود خيوله.
وقد تنبأ عبد الرحمان بن الطاهر النايلي بهذا اللقاء بسنوات قبل نفيه، وكان يردد قصيدة في هذا الشأن يقول في مطلعها:

بن سيدي الشيخ بشروا ذاك الكبير   واثرنتي نغشيك يازين الهمــــــة

كما أن علال بن الشيخ رأى في منامه، قبل مجيء الشيخ النايلي، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم عليه في عربة ملوكية، فقام مبتهجا، ونحر عددا كبيرا من الغنم، وتصدق بإطعام الطعام، فرحا وشكرا لله بهذه الرؤيا المباركة التي كان يرى أن تأويلها هو لقاؤه بالعارف بالله سيدي عبد الرحمان النايلي[544].

[544] رواية شفوية عن ولده الحاج بحوص بن علال المتوفى سنة 1996م عن عمر يناهز 92 سنة.



الشيخ سيدي عبد الرحمان شيخ زاوية مسعد نفته السلطات الفرنسية إلى بركَنت (عين بني مطهر) وعاش مدة إقامته في ضيافة علال بن الشيخ زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة.

من هو الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر النائلي ؟

"هو الشيخ سيدي عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن قويدر النائلي من عرش النعايم، وأمه صالحي سلمى بنت الصالح من نفس العرش**.**
ولد سنة 1874م بالمنطقة المسماة ضاية زخروفة حوالي 50كم شرق مدينة مسعد، عاش وترعرع في كنف أبيه سي يوسف وعمه سي الطاهر فهو من العائلة الطاهرية صاحبة الزاوية المشهورة في ولاية الجلفة، والكثير من الناس ينسبونه إلى عمه بقولهم " سي عبد الرحمن بن سيدي الطاهر" والحق غير ذلك فالشيخ سي الطاهر لم يخلف ولكن هو الأكبر في إخوته وهو من أسس الزاوية الطاهرية، ونظرا لقدره ومكانته نسبت ذرية أخويه إليه وهو ما يعرف بالعائلة الطاهرية التي تحمل إسمه إلى اليوم وهي عائلة كبيرة وعريقة**.**

تربى في البيت الكبير مع أعمامه وكانت الزاوية آنذاك تحفظ القرآن الكريم وتدرس الفقه واللغة، والزاوية الطاهرية تأسست سنة 1832م أيضا لهذا الغرض، وكان من المشائخ الذين درّسوا بها عندما كان الشيخ سي عبد الرحمن طفلا نجد الشيخ سي محمد بن الشيهب من عرش أولاد طعبة والشيخ سي الطاهر من تقرت، وقد حفظ القرآن الكريم ودرس عنهما الفقه، وفي سنة 1891م توفي عمه سي

الطاهر مؤسس الزاوية ليخلفه أخوه الشيخ سي يوسف، وانتقل الشيخ سي عبد الرحمن إلى الزاوية المختارية بأولاد جلال أين تابع دراسته واستزاد من طلب العلم والتفقه في الدين واللغة العربية، ثم انتقل إلى زاوية الهامل ببوسعادة أين أخذ دروس التزكية الروحية وعلم التصوف عن شيخه سي محاد بن بلقاسم ليعود بعد ذلك إلى الديار، وإن لم يكن لعائلته آنذاك منزل تستقر به وإنما كانت الزاوية تنتقل في رحلتي الشتاء والصيف بين الصحراء والتل، وفي أواخر القرن التاسع عشر أي حوالي سنة 1899م توفي أبوه الشيخ سي أحمد وبقي مع عمه سي يوسف وكان معينه في تسيير شؤون الزاوية وكان يحبه ويحترمه كثيرا. تزوج الشيخ سي عبد الرحمن أكثر من زوجة وأنجبن له ذرية وله عائلة كبيرة الجذور اليوم، ولعل أشهر أبنائه الشيخ المسعود والشيخ سي عمر والشيخ سي عثمان والشيخ سي بوبكر والشيخ سي محمد رحمهم الله جميعا .ومما اشتهر به الشيخ سي عبد الرحمن هو رفضه المطلق للمستعمر في الجزائر، وفي غيرها من البلدان الإسلامية و كان له باع وكفاح طويل إمتد طول حياته واختتمها بالشهادة في سبيل الله لأجل هذا الهدف، حيث قام في مطلع القرن العشرين بمراسلة الملك الشيخ السنوسي في ليبيا يدعوه إلى الجهاد والنهوض من أجل توحيد القوى لطرد المستعمر من بلاد المغرب العربي وأرسل الرسالة مع سي المبروك بن هبال من عرش أولاد لخضر الذي سلم الرسالة شخصيا للشيخ السنوسي، وقام بالرد عليه بأن الوقت لم يحن بعد، ثم راسل الشيخ سي عبد الرحمن أيضا الشيخ المجاهد والمقاوم عبد الكريم الخطابي بالمغرب يدعوه لما دعا إليه الشيخ السنوسي.

وفي سنة1914م وغداة اندلاع الحرب العالمية الأولى قامت فرنسا بالتجنيد الإجباري للجزائريين وذلك لإشراكهم في الحرب كما قامت بفرض ضرائب مجحفة عليهم، فكان الشيخ سي عبد الرحمن من الأوائل الذين عارضوا هذه السياسة ودعا إلى محاربة فرنسا وطردها، وهذا الموقف من فرنسا سجن بسببه في الجلفة ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في نفس المكان وعفي عنه لكنه بقي في سياسته المناهضة لفرنسا فسجن ببسكرة ثم الجزائر وأطلق سراحه ولما استمر على موقفه نفي إلى المغرب سنة 1916م وبالضبط في مدينة فاس[545] وكانت له هناك قصص ومآثر ومما يقوله في إحدى قصائده التي نظمها هناك:

قدر الله أن أعيش غريبــــا في بلاد أساق كرهـــا إليها

وبفكري تخدرت لي المعاني ضُربت آيات الحجاب عليها

---

[545] لم يُنفَ إلى فاس كما يظن الكاتب، وإنما نُفي إلى عين بني مطهر بالمغرب الشرقي وبقي بها إلى أن رجع إلى بلاده سنة 1918، وكانت عين بني مطهر وتندرارة المكانيْن المفضليْن لدى الإستعمارالفرنسي لنفي الوطنيين وذلك لصعوبة طقسيهما، وقد نُفي القائد المنصوري الإزناسني البركاني إلى عين بني مطهر، وكانت سكناه حيث تتقاطع زنقة محطة القطار مع زنقة البريد، كما نفي المجاهد بلقاسم النكادي البلقاسمي الزروالي المدعو "بلارج" إلى تاندرارة ولم يُرفع عنه النفي إلا بعد استقلال المغرب.

ثم عاد سنة 1918م إلى الجزائر لكنه لم يجد عمه سي يوسف الذي توفي سنة 1917م ليتولى هو شؤون الزاوية وكان له قبل ذلك فرع زاوية في "المكيمن" قرب مدينة مسعد، وله أيضا في الصحراء مساكن مثل بريش والقويسي والقاعو وغيرها، ثم سجن في الأغواط وأطلق سراحه، ولما كثر استفزازه للفرنسيين في تلك المنطقة لما كانت لديه فرقة مسلحة تجوب الصحراء حيث اشتبك سنة 1923م مع قافلة فرنسية بمنطقة "طزيوة" نواحي مدينة تقرت حيث قتل أحد الجنود الفرنسيين فتعرض للمطاردة وصار مطلوبا لدى فرنسا وهدمت منازله الموجودة في الصحراء انتقاما منه، وألقي عليه القبض في تقرت مرة أخرى لكن أطلق سراحه حيث كفله أحد أعيان المنطقة، وللمرة الأخيرة ألقي عليه القبض سنة 1930م وحكم عليه بالإعدام يوم 14 يوليو1931م ليقدم كقربان بمناسبة العيد الوطني الفرنسي.

كان سيدي عبد الرحمان شيخا زاهدا تقيا ورعا ورجلا شجاعا شهما وسخيا كريما وهذا ما جعله معروفا بالمنطقة وله أنصار وإخوان من كل القبائل فقد كسب القلوب بما يملكه من أخلاق ولعل الشهرة التي يحظى بها إلى غاية اليوم لهي خير دليل على ذلك، وفي الجانب الآخر فقد كان أديبا وشاعرا وله قصائد عدة سواء في الشعر الفصيح أو الشعر الشعبي (الملحون) قصائده موجودة إلى اليوم وضاع منها الكثير، وفي شعره تكلم عن جميع نواحي الحياة، فتارة يصف الناس وتارة يصف الطبيعة والبلدان وتارة يتكلم عن الدهر وتقلباته، وتارة يقول قصائد في الزهد والحث على الذكر وغيرها من المجالات.

ومن قصائده في الملحون :

سارت للمختار من كل الأمصـــــــار رجعت بالأســــرار والنور البادي
وصارو إخوان من بُعد البلــــــدان بصحبة تزيــــان صاروا كالجسْدِ
لكل العلوم حازوا ذو النجــــــــوم من فضل القيـــوم حازوا ذا السعد
صاروا كالجبال في علم الأحـــوال ما لهم مثـــــــــــال زينين العـهد
ساروا بالأمان ساداتي الإخـــوان زينين الديوان صــــــادقين العهد
وانعكست الأمور من بعد الصـــدور صـــــارت في قبور لهواها تبدي
كانت بالصيام مع طول القيـــــام وذكر الــــــدوام من غير الورد
نعني ذا الطريـــق فافهم يا صديق قولي بالتحقيــــــق هكذا وجدي
كانت كالأمطار تهطل بالأنـــــوار وتنبت الأســــــرار نورها يهدي
صارت بالكلام والكاغط يـــــرام وتنبت ظـــلام ثمرات الحسد"[546]

[546] طاهيري عبد العزيز بن بلخير، الزاوية الطاهرية في: 2010/04/12
الموقع الرسمي لبلدية مسعد www.messaad.mam9.com

وزيادة على الطريقة الرحمانية، والوزانية التي كان ينتمي إليها، والدرقاوية التي أخذ عن شيخها مولاي العربي المدغري، فقد كانت لعلال بن الشيخ علاقات وطيدة بالزيانية، والقادرية التي كانت وشائج القربى تجمعه من أمه بشيخها مولاي الجيلالي بن عبد القادر الذي أسس زاويته بالبيّض، وكـان شيوخ الطريقة الكرزازية يجدون لديه حفاوة الإستقبـال والإكرام أثناء زيارتهم لأتبـاعهم بعين بني مطهر ونواحيها، ولا أدل على ذلك من أن المكان الذي اجتمع فيه بالشيخ أحمد بن الكبير الملقب بسيدي بوعجاجة شيخ الطريقة الكرزازية[547] قد اتخذه الأهالي مزارا وكان لا يزال قائما بجانب السكة الحديدية بمدخل حي الزياني بعين بني مطهر، وقد شيدت وزارة الأوقاف في هذا المكان مسجدا رائعا يحمل إسم "سيدي علال بن الشيخ بن الطيب البوشيخي" وقد افتتحت فيه الصلاة بصلاة أول جمعة من شهر رمضان وقد صادف اليوم الثاني من رمضان 1430هـ الموافق لـ 13 غشت 2010م.

مر بالزاوية الشيخية الغربية في هذه الفترة عدة فقهاء وعلماء، كانوا كتبة لزعيم الغرابة، ومعلمي القرآن، ومفتين للقبيلة عندما يعن أمرٌ يستدعى الفتوى ورأي الدين، منهم سيدي محمد بن حبيب الله التندغي الشنقيطي، وبعده تلميذه سيدي محمد بن الكبير البكري :

-1- الشيخ محمد بن حبيب الله ولد ميابا التندغي الشنقيطي :

كان من أفضل العلماء في الزهد والتقوى ومكارم الأخلاق،ولد سنة 1865 وتوفي ودفن بالمشرية سنة 1922، أخذ عنه السلفي الشهير الدكتور تقي الدين الهلالي وغيره.

قدم إلى المشرية صحبة أخيه محمد لخضر ولد ميابا، فتصدرا للتعليم ونشر العلم في الحاضرة كما في البادية، وافترقا، أما سيدي محمد فبقي في المنطقة، ولا ندري في أية فترة كان بالزاوية الغربية عند شيخها علال البوشيخي، أما محمد لخضر فاتجه إلى الشرق حيث ذاع صيته[548].

وهو غير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي الذي صحب السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الحج، وهناك جاور بالمدينة المنورة وكان محدثا حافظا ولد سنة1295 هـ وتوفي بمصرسنة 1362 هـ ودفن بمقبرة الإمام الشافعي.

-2- الفقيه محمد بن الكبير البكري : من ذرية سيدي البكري التمنطيطي بوادي الساورة، كان كاتبا لعلال البوشيخي منذ 1905 م حسب الرسائل المكتوبة بخط يده، وبقي عدة سنوات على ذلك، وتوطدت العلاقة بينه وبين أولاد سيدي الطيب، وقد أخذ عن الشيخ محمد بن حبيب الله السابق الذكر، وكان محمد بن عبد القادر الهلالي

[547] DPSENOA, p.740.

[548] عبد الرحمان البداوي، شموع المشرية، كتاب رقمي من إهداء الكاتب.

(الدكتور تقي الدين الهلالي) زميلا له عند الشيخ المذكور الذي لاحظ غيرة محمد بن عبد الكبير من الهلالي لشدة حفظه وحدة ذكائه، فقال له ذات يوم: " لعلك تغار من الهلالي؟ سيبلغ الشيء الكثير من العلم، ولكن لن يكون منه طائل، وله أخت، أنصحك أن تتزوج بها فسيكون لك منها عالم إن شاء الله" وتزوج البكري من أخت الهلالي، ورزقه الله منها بالأستاذ الجليل محمد عبد الكبير البكري الذي درس الفرنسية بالجزائر العاصمة، ودرس علوم العربية بجامعة القيروان بتونس، وكان من علماء الجزائر المعدودين، سجنته قوات الإحتلال الفرنسي بعد إعلان الثورة الجزائرية، ثم أطلق سراحه وانتخب نائبا بالبرلمان الفرنسي عن منطقة الساورة، دون أن يقطع صلته بالمقاومة، وبعد إستقلال الجزائر إضطرته الظروف والمتغيرات إلى اللجوء إلى المغرب الذي لم يجهل قدره فعُين موظفا ساميا بوزارة الأوقاف، وواصل مسيرته العلمية بالاشتراك في إنشاء **مجلة الإرشاد** التي لعبت دورا ثقافيا في غرب العالم الإسلامي وشرقه، وكان خطيبا مفوها قدَّم عدة برامج بالإذاعة الوطنية المغربية، وشارك في عدة مهرجانات وندوات علمية ويكفيه فخرا أنه أحد إثنين حققا كتاب" **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** " لمؤلفه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وهو في 22 جزء.

وهو علاوة على مكانته العلمية والسياسية، وبراعة خطه بالعربية والفرنسية شاعر مجيد، كتب لي بخط يده قصيدته في رثاء سيد قطب، العالم الأديب وأحد أبرز زعماء التيارالإسلامي، الذي أعدم في عهد الرئيس المصري جمال عبد الناصر في 29غشت 1966م، وكان الشاعر يوم كتابة هذه القصيدة بعين بني مطهر في ضيافة الحاج عبد الكريم إبن الطيب، كما أكد لي ذلك مشافهة.

يقول فيها:

أقطب الأرض إنك ما أفلـــــتا	ولا تحت التراب قـــد اختفيتـــا
لأنك كل قلـب قد سكنـــتـــــا	وحبك صـــار دينا مذ بزغـــتا
على عـرش القلوب قد استويتا	وبالأنـــــوار عالمنا أضأتــــــا
وقــــد نقموا لأنك ما خضعتـا	لغير الحـق يوما أو ضللتــــا
وكان بودهم أن لـــو ركنتـــا	وعن ديــــن الحقيقة قد عدلــتا
ولكن الأمانة قد حفــظتــــــا	وبالنفس الشـــريفة قـــد فديتـا
فلا والله سيدُ ما عـُـدمتــــــا	بل الأخرى وما فيها اشــتريتـا
عن الدنيا وزخرفــــها ارتفعتا	وبالعظماء والرسل التحـــقتـا
و فاضت روحك العلـيا فطِرتا	إلى العليا وذلك مــــــا أردتا
إلى الرحمان ربك قد صعدتـــا	وفي الجنات سيدُ قــــد أقمتـــا
فنم يا قطب فــــي أمن وأنتـا	قرير العين بالرضــوان فزتـا
وجازاك الإله فقــــــد أبنتـا	معالم في الطريق وكـــم أفدتـا

بتفسيـــر الكتاب قد اعتنيتـــا   فأظهرت الحقيقة واهتـــــديتا
وعند المحنة الكبرى ثبـــــتا   وبالحبل المتين قــد اعتصمتـــا
وبالـــــرسل الكرام قد اقتديتا   لذلك مـــا ضعفتا ولا وهنتـــا
هنيئا يـــوم وعدك إذ وعدتـــا   هنيئا يوم صـــــدقك إذ صدقتا
على الدنيا الســـلام وقد رحلتا   إلى دار الســـــلام وما رجعتا
وإني قائل يـــــوم ارتحلتا   أقطب الأرض إنــــك ما أفلتا



الأستاذ محمد عبد الكبير البكري.

الزاوية الشيخية الغربية

بعد وفاة علال البوشيخي سنة 1922م أصبح ابنه البكر محمد الطيب شيخا للزاوية الشيخية الغربية إلى حين وفاته سنة 1961م، وكان له حضور فاعل في البت في الخلافات التي عرفها تسيير الزاوية الأم بالأبيض سيدي الشيخ، كما كانت مواقفه حاسمة في الإعتراض على التغيير الذي كان أبو بكر حمزة يريد إدخاله على النظام التقليدي للزاوية الشيخية. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك بتفصيل.
كان محمد الطيب بطبعه بحَّاثا عن أهل الله للإستزادة من فضلهم، كما تشير إلى ذلك مراسلاته معهم. أخذ في بداية أمره عن مولاي الطيب بن العربي شيخ الطريقة الوزانية الذي عينه مقدما لنفس الطريقة.
أدى فريضة الحج سنة 1951م وتوفي سنة 1961م ودفن بعين بني مطهر، مستخلفا أخاه الحاج أبي حفص بن علال شيخا للطريقة الشيخة الغربية .

أزواج علال البوشيخي

تزوج علال بن الشيخ من نساء كثيرات منهن :
- ذهيبة بنت قدور بن الطيب (إبنة عمه) كانت زوجة لأخيه معمر، ولها منه ولد إسمه (عبد القادر)، ولما استشهد زوجها الأول (معمر) في معركة النفيش، تزوجها علال لكفالة إبن أخيه، وخلفت له إبنه البكر محمد الطيب.
- مبروكة بنت بن يخو من قبيلة حميان، فرقة أولاد امبارك، خلفت له محمد بن عبد الله.
- الياقوت بنت الحاج بالقراري، من قبيلة الرزاينة فرقة أولاد خلف الله، خلفت له من الأولاد بحوص ومن البنات بنت النعيمي.
- فاطنة بنت بن علي من قبيلة بني ڤيل، فرقة أولاد عبيد، خلفت له محمد بن عبد السلام ومن البنات خديجة، مبروكة .
- رقية بنت بوعلام بن الصحراوي: من قبيلة الطرافي، فرقة الرزنة، خلفت له سليمان ومن البنات الشايعة.
- الزهرة بنت محمد بن داوود (الكولونيل بن داود من أوائل العرب الذين بلغوا مرتبة سامية في الجيش الفرنسي، من خريجي الكلية العسكرية الشهيرة سان سير (**Saint cyr**). وقد بنى لها - علال البوشيخي- دارا بعين بني مطهر- نزولا عند رغبة أبيها - فاستقرت بها إلى حين طلاقها منه وعادت إلى بيت أبيها بوهران .
عندما كانت سلطات الإحتلال تستدرج الدين بن حمزة (زعيم الشراڤة) للقبول بالإستسلام لنفوذها، عملت على تهيئة ظروف زواجه من "خديجة" إبنة الكولونيل محمد بن داوود بوهران، وبعد مرور فترة – ولإستحكام التنافس المعروف بين

الفريقين - تزوج علال زعيم الغرابة أختها الزهرة، ليصبحا صهرين لأحد الضباط الأوائل، ذي الأصول الجزائرية في الجيش الفرنسي.

خلفت له إبنا وحيدا: الشيخ بن علال الذي ترعرع و درس بوهران،أكمل تدريبه بالمدرسة العسكرية بمكناس حيث تخرج برتبة ضابط، وانخرط في الجيش الفرنسي، شارك في الحرب العالمية الثانية ونال عن شجاعته عدة أوسمة، وبعد استقلال المغرب كان ضابطا ساميـــا للقوات المساعدة حتى وافــته المنية في الزلزال الذي ضرب أكادير في 29\2\1960م .

وفاة علال البوشيخي

في سنة 1922م ذهب علال بن الشيخ[549] إلى فاس لزيارة أقاربه آل سيدي الطيب (وهم ذرية إخوته الحاج العربي وسليمان، وأبناء عمه بحوص بن الطيب) الذين استقروا بسهل سايس بين فاس ومكناس، بعد خروجهم من السجن الذي دخلوه على خلفية مقاومة الإحتلال الفرنسي على الحدود الشرقية، وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن الأول، وبعد قضاء تسع سنوات سجنا أفرج عنهم السلطان المولى عبد العزيز بعد توليته الملك، وعوضهم عن نكبتهم تعويضات مادية ومعنوية.

إستقبل الشيخ بن النعيمي (الذي كان قائدا لقبائل سايس) عمّـهُ علال البوشيخي إستقبالا رائعا، بعد وصوله في حافلة نقل كانت تربط بين فاس ومكناس، وبقي في ضيافة ذويه إلى أن أصيب بمرض في جهازه التنفسي، فاستقدم له الشيخ بن النعيمي طبيبا فرنسيا من مكناس لعلاجه، ولم يطل به المرض فتوفي في 1922 [550] بعد أن كتب وصيته[551] ودفن بقبة سيدي الشيخ، وهي القبة التي كانت ولا تزال قبيلة المهاية - الموجودة بين فاس ومكناس - تقيم حولها موسما سنويا، إحياء لذكرى الشيخ عبد القادر السماحي .

---

[549] صحبه في سفره :
- ابنه أبي حفص بن علال، وكان عمره إذاك ستة عشر عاما.
- الزاوي بن محمد بن بوعلام آل بودواية، كان من زعماء الجهاد في ثورة الشيخ بوعمامة، وبعد ما وضعت الحرب أوزارها رافق علال بن الشيخ إلى حين وفاته، ثم التحق بالأبيض سيدي الشيخ حيث توفي.
- عبد الرحمان بن الشيخ من أعيان المعابدة أولاد أحمد (الأغواط)، وكان من أخلص رفاقه وأشجعهم، صحبه لعدة عقود، وقد وافته المنية قبله بأيام قليلة، ودفن بمقبرة الحي، ولا تزال ذريته بعين بني مطهر ووجدة.

[550] M. Rullier et Ladjimi, Berguent, p.29.

[551] وصية علال بن الشيخ في ملك المؤلف.



علال بن الشيخ بن الطيب
(1862-1922م)
زعيم الغرابة وشيخ الزاوية الشيخية الغربية
(1883-1922)



ضريح علال بن الشيخ بن الطيب
بقبيلة المهاية، بسايس، على الطريق بين فاس ومكناس
وكان ولا يزال يقام على الضريح موسم سنوي
يطلق عليه موسم سيدي الشيخ والمقصود به الشيخ عبد القادر
بن محمد السماحي .

أبناء علال البوشيخي

محمد الطيب بن علال: إزداد سنة 1879م، من إمه ذهيبة بنت قدور.

عندما أُدخل السجن زعماءُ الغرابة سنة 1885م، واستطاع علال البوشيخي الإفلات والإحتماء بشيخ الزاوية الوزانية، بقيت أسرهم مقسمة بين الشرق والغرب بلا عائل ولا حامي، فبعث علال بن الشيخ في طلبهم، وجيء بهم إلى وزان في حالة يرثى لها إذ أغلبهم أطفال ونساء، وأسكنهم مولاي العربي بن عبد السلام (شيخ الطريقة الوزانية) بالمزارية وهي ضيعة تابعة لنفس الزاوية، حيث شملهم بعطفه وكرمه إلى أن صدر العفو الملكي عن علال البوشيخي سنة **1887**م، وسُمح له بالعودة بأهله إلى الشرق، كان محمد الطيب ضمن الأطفال الذين عايشوا هذه المحنة.

في بداية القرن العشرين كان محمد الطيب قد شب عن الطوق، وأصبح سندا لأبيه، إذ حضر نيابة عنه سنة **1901**م إبرام معاهدة مع قواد بني يزناسن وقواد السجع، للتحالف على صد إعتداءات أهل أنجاد[552] كما تواصل حضوره البارز في أحداث بوحمارة وما تلتها من تداعيات، كما تشير إلى ذلك مراسلات المفوض الملكي ومساعده بن عبد الصادق.

عين قائدا[553] لأولاد سيدي عبد الحكم في 21\03\1908 وبقي في منصبه إلى أن اصطدم بالحاكم الفرنسي لبركًنت، حول إجراءات إدارية تهم أولاد سيدي عبد الحكم فهمَّ بإطلاق النارعليه لولا تدخل عناصرالمخزن الذين حالوا دون ذلك، فعزُل سيدي محمد الطيب عن منصبه حوالي سنة 1918م، ونفُي إلى فجيج حيث قضى بها ستة أشهر مكنته من حفظ القرآن الكريم، والأخذ بنصيب غير قليل من العلوم، وقد خلف مكتبة مهمة تنم عن تمكنه من معرفة فقهية صوفية وافية.

خلفه أخوه محمد بن عبد الله المزداد سنة 1889م ، في قيادة أولاد سيدي عبد الحكم. وكان من أتباع الطريقة الرحمانية، فقد أخذ عن شيخها عبد الرحمان بن الطاهر النائلي الذي نفاه الإستعمارالفرنسي من بلده "مسعد" بالجزائر إلى عين بني مطهر في بداية القرن العشرين. توفي محمد بن عبد الله سنة 1942 م ودفن بمقبرة سيدي إبراهيم بعين بين مطهر.

تولى قيادة أولاد سيدي عبد الحكم بعده أخوه الأصغر أبو حفص[554] بن علال في 9 أبريل 1942م، وأعفي من منصبه في 10 يناير 1957م .

صحب الحاج ابوحفص زعماء وأعيان أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة، أخذ الطريقة الشيخية عن سيدي التاج بن المنور صاحب زاوية مجنطة بالغرب الجزائري، كما كان له عدة شيوخ منهم: العالم الجليل سيدي بنسعيد المهداوي إمام المسجد الكبير بوجدة، والقاضي أبو شعيب الشاوي البوزيدي، قاضي بركًنت (1956)، كما أخذ عن سيدي أحمد بن الشيخ دفين جرادة، وعن الحاج الفاضل بن الحاج عبد الرحمان ميري مقدم طريقة الشيخ ماء العينين بوجدة، وعن الشيخ علي محمد الدمناتي، وعن محمد إبراهيم بن الإمام الجكني، والعلامة الاستاذ محمد بن

---

[552] رسالة \معاهدة التحالف بين علال البوشيخي وقواد بني سناسن والسجع ، في ملك المؤلف.

[553] Gaquiere, Berguent, p. 202.

[554] تعرض الشاعر الجزائري **أحمد بسَّادَاتْ** لذكر المرحوم الحــاج بحوص بن علال في قصيدته الطويلة والجميلة التي سجل فيها ذكرياته ببركًنت (عين بني مطهر) التي ازداد بها وترعرع فيها وغادرها مع عائلته بعد استقلال الجزائر، يقول عن المعني بالأمر(والقصيدة بالفرنسية بعنوان Paroles sur la colline):

Caïd Si Bahous , au regard terrible d'un émir
Seigneur vénère, se faisant obéir et se faisant servir,
Ecouté et respecté des siens, redouté par ses ennemi
Intransigeant, ne tolérant ni, adversité, ni compromis.

عبد الكبير البكري (رئيس تحرير مجلة الإرشاد الذي تقلب في عدة مناصب سامية بالجزائر والمغرب).
وختم الحاج بحوص ترحاله الصوفي بالنزول بباب شيخ عصره العارف بالله سيدي حمزة القادري بودشيش شيخ الطريقة القادرية البودشيشية، الذي تلقاه بالقبول والرضى.

إحتفظ بذاكرة قوية إلى آخر أيام حياته، وامتاز بالدقة وصدق الحديث، وأغلب الروايات الشفوية أخذتها عنه، كما ترك كمّا هائلا من المراسلات التي كان يتلقاها من أعيان أولاد سيدي الشيخ شرقا وغربا، ومن أعيان القبائل بالمغرب والجزائر، ازداد سنة 1904م توفي رحمه الله مساء الجمعة 23 فبراير 1996م ودفن بعين بني مطهر.

بعد استقلال المغرب، عادت زعامة أولاد سيدي الشيخ الغرابة إلى الحاج عبد الكريم ابن الطيب[555]، المزداد سنة 1928 م، بقبيلة أولاد سيدي عبد الحكم، إقليم جرادة وهو حفيد علال البوشيخي من إبنه البكر محمد الطيب. .

---

[555] في القصيدة المذكورة في الهامش أعلاه تعرض الشاعر الجزائري أحمد بسَّادَاتْ لذكر الحاج عبد الكريم بن الطيب، يقول عنه بالفرنسية في قصيدته الطويلة التي صور فيها ذكرياته ببركَنت /عين بني مطهر :

Si Abdelkrim Ben Mohamed Ben Allal Ben cheikh Bentayeb,
Membre influent et guide des Ouled Sidi Abdelhakem,
Descendant des Ouled Sid Cheikh, renommés dans le Maghreb,
Fut député et plusieurs fois élu maire de berguem.

Homme politique avère, soucieux des libertés,
Cheminant, avec prudence, d'abrupts sentiers,
Il œuvra avec cœur et témérité dans le silence,
Faisant preuve de discrétion et d'intelligence.

Il devint marocain par la force des choses,
Vivant, âme et cœur, dans le passe,
Défonçant murailles et portes closes
Offrant le sacrifice de réaliser un vœu jamais effacé.

(Djazairi) dés les premières lueurs de l'aurore
D'une vie accampagnee de chants pieux,
Le sang de ses aïeux, dans ses veines, coulant encore,
Lorsque, résigne, il s'inclina devant la sentence de Dieu.

Homme sans épée, cependant homme d'action ;
D'une supériorité morale, petir de qualités,
Ignorant la rancœur, plutôt plein de compassion,
Homme combatif, homme vertueux, homme de piété,
Homme téméraire, homme indulgent, homme simple,
Il mourut de la mort des enfants du peuple.

حفظ القرآن الكريم بزاوية جده أبي حفص الحاج، وتكوّن معرفيا وسياسيا بعِصَامِية منقطعة النظير، شارك في الحركة الوطنية المنضوية تحت حزب الاستقلال، نُفي عن عين بني مطهر، ثم ألقي عليه القبض وسُجن مع السجناء السياسين الوطنيين بعين علي مومن (سطات) بعد أحداث 16 غشت 1953 بوجدة.

بعد استقلال المغرب، تقلد عدة مناصب حيث كان رئيسا لفرع حزب الاستقلال سنة 1956م، ثم رئيسا للجماعة القروية ببركْنت سابقا، ونائبا برلمانيا عن النجود العليا في أول انتخابات برلمانية يشهدها المغرب سنة 1963م .

في 1970م عين قائدا بعمالة وجدة، ثم قائدا لملحقة بوعرفة سنة 1971، إلى أن فصل عن مهمته سنة 1974 م على اثر خلاف مع محمد بوفوس عامل إقليم فجيج (المُحْدَث نفس السنة) ثم عاد إلى المعارضة، وبعد سنتين قاد أحداث 1976م التي وقعت إحتجاجا على تدخل السلطة في انتخابات جماعة عين بني مطهر، ومحاولتها فرض عناصرها بالقوة، والتي ذهب ضحيتها ثلاثة قتلى وعشرات الجرحى. تطوع العديد من مشاهير المحامين المغاربة للدفاع عن المحاكَمين في الأحداث المذكورة، وكان المتهمون أزيد من المائة، وعلى رأسهم الحاج عبد الكريم الذي استطاع ـ بعد ذلك ـ بشجاعته النادرة أن يُرغم السلطة على الإعتراف بأخطائها وتعويض القتلى والجرحى.

وفي 1992م أنتخِب نائبا برلمانيا عن إقليم جرادة

كان أول من أسس جمعية ثقافية لجمع تراث سيدي الشيخ.

كما كان وراء الإصلاحات التي أدخلت على ضريح وزاوية سيدي الشيخ بآجدل بفجيج، فقام بإصلاح المسجد الملحق بالضريح في 1972م، ثم قام بإضافة قاعة للضيوف سنة 1998م، ساهم في بناءها أولاد سيدي الشيخ من مختلف النواحي، كما سعى في ربط الزاوية بالشبكة الكهربائية والماء .

وكان أول من نشر مؤلفات سيدي الشيخ وسهر على طبعها على نفقته :

- الياقوتة المترجمة من تحقيقات الأب ميلاد عيسى.

ثم الكتب الآتية من تحقيق الأستاذ عبد الله طواهرية :

- الياقوتة (الشيخ عبد القادر السماحي)
- الحضرة (الشيخ عبد القادر السماحي)
- تقوية إيمان المحبين (للشيخ السكوني)
- مفاتح الخيرات (الشيخ أبي حفص الحاج بن عبد الحكم)

كما أسس موسما سنويا بزاوية وضريح سيدي الشيخ بفجيج، واختار له يوم عشرين غشت (وهو عيد وطني، عيد ثورة الملك والشعب) وحضره بنفسه طيلة عشرين سنة. وكان يستدعي له أعيان فجيج، وأولاد سيدي الشيخ، والقبائل المجاورة.

أخذ الطريقة القادرية عن سيدي محمد بويا حفيد الشيخ ماء العينين بزاويته بالرباط سنة **1974**م، ثم أخذ أخيرا عن شيخ الطريقة القادرية البودشيشية، العارف بالله سيدي حمزة بن العباس حفظه الله .

توفي رحمه الله في 7 مارس 2002م ودفن بمدفن عائلته بعين بني مطهر.

كان محبا لآل البيت، محترما لجنابهم، وبقدر ما كان متواضعا ومُعظما للعلماء والصلحاء والمساكين كان حربا ضروسا على الجبابرة والظلمة والطغاة، لا تلين له عريكة، ولا يعرف أنصاف الحلول. إشتهر بذلك على الصعيد الوطني، وخصوصا بالجهة الشرقية التي لا تزال ذاكرتها تحتفظ له بمواقفه الشريفة و مبادراته الشجاعة وآرائه السديدة.



الشيخ بن علال بن الشيخ بن الطيب، باللباس البني مع تشرشل الزعيم البريطاني، اثناء استقباله بأكادير بالجنوب المغربي، ويقف عامل إقليم أكادير بين تشرشل والشيخ بن علال الذي كان إذاك قائدا للحامية العسكرية بالجنوب.
عن موقع(www.communautejuiveagadir.com)

المهام و المناصب التي تقلدها أولاد سيدي الطيب زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة في خدمة الدولة العلوية الشريفة

الاسم	المنصب	التاريخ
الشيخ بن الطيب	خليفة السلطان على المناطق الشرقية الجنوبية	يناير 1849م
العربي بن الشيخ بن الطيب	خليفة عامل وجدة على فجيج و القبائل التابعة لها.	1867/10/10م
معمر بن الشيخ بن الطيب	إختاره السلطان مولاي الحسن لقيادة الغرابة بعد إستشهاد أخيه الحاج العربي ولكنه استشهد قبل تنصيبيه(رسائل مولاي الحسن)	دجنبر1871م
سليمان بن قدور بن الطيب	إختارته قبائل الشرق فاقترحته على السلطان مولاي الحسن لتولية منصب عامل عمالة وجدة ولكن إعترض عليه سفير فرنسا بطنجة، ورشحه السلطان مولاي الحسن لقيادة الجيش المغربي ثم اعترضت عليه السفارة الفرنسية و الإنجليزية.	فبراير1876م
الطيب بن العربي بن الحاج العربي بن الشيخ بن الطيب	أحد قواد الجيش الذي حارب بوحمارة.	1903م
علال بن الشيخ بن الطيب	قائد أولاد سيدي الشيخ، أولاد سيدي علي، أولاد سيدي محمد بن أحمد، ثم آغا بركنت.	1903م 21\03\1908م
أبوبكر بن بحوص	قائد أولاد سيدي الشيخ بالسويهلة بمراكش.	1881م
الحاج العربي بن بحوص	قائد أولاد سيدي الشيخ بالسويهلة بعد وفاة أخيه بوبكر	1907م
أحمد بن بحوص بن الطيب	قائد أولاد سيدي الشيخ بالسويهلة بعد وفاة أخيه العربي	1930م
الشيخ بن النعيمي بن العربي بن الشيخ بن الطيب	قائد أولاد سيدي الشيخ وعرب سايس بناحية مكناس.	1914م
أحمد بن عبد الكريم بن النعيمي	قائد أولاد سيدي الشيخ، وعرب سايس بناحية مكناس بعد وفاة عمه الشيخ بن النعيمي، و نائب برلماني	1950م 1963م
محمد الطيب بن علال	قائد أولاد سيدي عبد الحكم ببركنت(1908-1918)	21\03\1908
بن عبد الله بن علال	قائد أولاد سيدي عبد الحكم ببركنت.	1918م
بحوص بن علال	قائد أولاد سيدي عبد الحكم ببركنت.	9 / 4 / 1942م
عبد الكريم بن الطيب	قائد بوجدة ثم بوعرفة، ونائب برلماني لدورتين .	1971/1963م
الشبلي الشبلي بن بوبكر بن علي بن بحوص بن الطيب	عضو الغرفة الفلاحية (1992-1997) نائب رئيس جهة مكناس تافلالت.	منذ 2003
أحمد بن الطيب بن بحوص	مدير ديوان العامل وقائد بتاوريرت.	2009-1997
أبوحفص بن عبد الكريم بن الطيب	رئيس بلدية عين بني مطهر	منذ 2009
عبد الرحمان بن عبد الكريم بن الطيب	رئيس جماعة أولاد سيدي عبد الحكم	منذ 2003

النظام الإداري الذي كان يُسَيّر قبائل بركَنت (عين بني مطهر) في فاتح دجمبر 1922م [289]

القبيلة	القائد.الخليفة	تاريخ التعيين	العشيرة	الشيخ
بني مطهر 299 خيمة	القائد محمد بن المجدوب الخليفة محمد بن جبور	22.41917 27.8,1922	أولاد قدور الشرفاء أولاد حمادي أولاد بنعيسى	العيد بالمختار أحمد بن سعيد عبد النبي بن أحمد
أولاد بختي 173 خيمة	....	....	الزاوية البخاتة فواقة البخاتة تحاتة	المهدي بن بومدين علي بن محمد
أولاد سيد علي بوشنافة 509 خيمة	القائد بوجمعة بن سليمان الخليفة أحمد بن بلخير	غشت 1922 غشت 1922	أولاد غزيل أولاد بوراس العوامر التوامة	أحمد بن ح اليماني الحاج سعيد أحمد بن بلخير محمد بن معمر
أولاد سيدي عبد الحكم 170 خيمة	القائد............. الخليفة محمد بن عبد الله بن علال	1922	أ.س.بحوص أولاد عزيز حميان	ع القادر بن بحوص علي بن الشيخ عبد القادر بن سليمان

الملاحظ أن قبيلة أولاد بختي كانت محسوبة على دائرة بركنت، وكانت قبيلة أولاد سيدي علي بوشنافة هي أكبر قبائل بركَنت من حيث السكان.
وكانت إذاك قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم تنقسم إلى ثلاث فرق تحت قيادة محمد بن عبد الله بن علال :
- البحاحصة، السعيدات، المعابدة، المراسلة (شيخهم عبد القادر بن بحوص السعيدي).
- أولاد عزيز (شيخهم علي بن الشيخ بن غضيفة).
- حميان، الرزاينة، الرزنة، (شيخهم عبد القادر بن سليمان بن الحاج المقني).
أما فرق القوادر، المعازيز(أولاد سيدي امحمد)،أولاد الحاج إبراهيم، والعمور، فقد انفصلواعن أولاد سيدي عبد الحكم، في بداية **1903**م، والتحقوا بجيش الشيخ بوعمامة عند مروره بعين بني مطهر متجها إلى وجدة إبان ثورة بوحمارة، ثم عادوا إلى قبيلة أولاد سيدي عبد الحكم بعد **1922**.

[289] Berguent ,par Marcel Rullier et Dr Ladjimi page 62.

العناصر الحالية المكونة لقبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة
(أولاد سيدي عبد الحـــكم)

الدوار	الفرع	الإستقرار الحالي	رقم
أولاد بحوص الحاج	-أولاد بن الطيب (البحاحصة) -أولاد بودواية -عبيد الزاوية	-ع مطهر/ وجدة/فاس/ مكناس/ مراكش/الجزائر -جرادة / وجدة/الناضور/الجزائر -ع مطهر/ وجدة / مراكش /الجزائر	1
أولاد الحاج ابراهيم	-أولاد الشيخ بن ابراهيم - أولاد العربي - أولاد حمو	- عين بني مطهر/ وجدة/ جرادة / قلعة السراغنة \ الجزائر.	2
المعابدة	-أولاد أحمد -الغرابة (أولاد بالغربي) - أولاد مومن -أولاد الوالي -أولاد البغدادي(أولاد بوحمار) -السنانغة -أولاد عبد العالي -المساترة -المصابيح -الدلاهمة - النواجم	- عين بني مطهر/ وجدة/ مكناس/ تويست/ مراكش/ الجزائر.	3
أولاد عزيز	-ألغضيفات : (الغضيفات - أولاد الشيخ) -أولاد خليفة	- عين بني مطهر/ وجدة/ الجزائر	4
القوادر	-أولاد الشيخ بن حكوم -النواورة	- عين بني مطهر/ جرادة/ وجدة / بركان/ العيون/ مكناس/	5
السعيدات	-أولاد بحوص بن قدور -أولاد البشير -الزياينة - الجرابعة	- عين بني مطهر/ وجدة / جرادة/ مراكش / الجزائر	6
اولاد عبد الكريم (الكرارمة)	- المجادبة	-عين بني مطهر /جرادة/ الرباط/ الجزائر	7
الزغم	- الزغم	- عين بني مطهر	8
أولاد امحمد (سيدي امحمد)	- المعازيز	- جرادة/ عين بني مطهر/العيون / مكناس/ الجزائر	9
الرزاينة	- الثردان - أولاد خلف الله - الجلاقطة - (اولاد العشعاشي- أولاد بوداود)	- عين بني مطهر / وجدة / مراكش / الجزائر	10
حميان	- أولاد سرور - المقان - السندان - المغاولية - أولاد مبارك (أولاد بوخلخال - أولاد الراجع)	-عين بني مطهر/ وجدة/ الجزائر	11
العمور	- الشوارب	- عين بني مطهر/العيون/ بوعرفة/ فجيج/ الجزائر	12
الرزنة (طرافي)	- الرزنة	- عين بني مطهر/ جرادة/ الجزائر	13
المراسلة	- المراسلة	-عين بني مطهر/ الجزائر	14
أولاد جرير	- أولاد جرير	- عين بني مطهر/ بوعرفة/ فجيج /الجزائر	15
العطاطشة (أولاد زياد)	- أولاد المعزوز	-عين بني مطهر/ الجزائر	16
القرارشة (موالي للمجادبة)	- القرارشة	- عين بني مطهر/ الجزائر	17
المطاهرة	- أولاد بوجمعة بن مالك	- عين بني مطهر/ بوعرفة (التحقوا بعد فترة الحماية)	18
لعنانات(أولاد الناصر)	- لعنانات	- عين بني مطهر(التحقوا حوالي 1930م)	19
المجادبة	- المجادبة (أولاد سيدي أحمد المجدوب)	- جرادة \ عين بني مطهر \ الجزائر (الشلالة)	20
المهاية	- أولاد بوجمعة (أولاد سعيد)	- عين بني مطهر / تولي (التحقوا في فترة الحماية)	21
أولاد سيدي علي	- أولاد بنحدو (أولاد غزيل)	- عين بني مطهر – أولاد غزيل (التحقوا في بداية الحماية)	22
التريعات	- التريعات	- عين بني مطهر \ الجزائر	23
المعاليم	- المعاليم	- عين بني مطهر \جرادة \ مراكش	24



محمد الطيب بن علال
1879- 1961
قائد أولاد سيدي عبد الحكم
1908\03\21 - 1918



محمد بنعبدالله بن علال
1889م - 1942
قائد أولاد سيدي عبد الحكم
1918- 1942



بحوص بن علال
(1904- 1996)
قائد أولاد سيدي عبد الحكم
(1942-1957)



الشيخ بن علال
1908-1960/2/29
رائد بالجيش الملكي
توفي في زلزال آكدير



عبد الكريم ابن الطيب (1928 - 7 /3/ 2002
نائب برلماني في 1963 وفي 1992

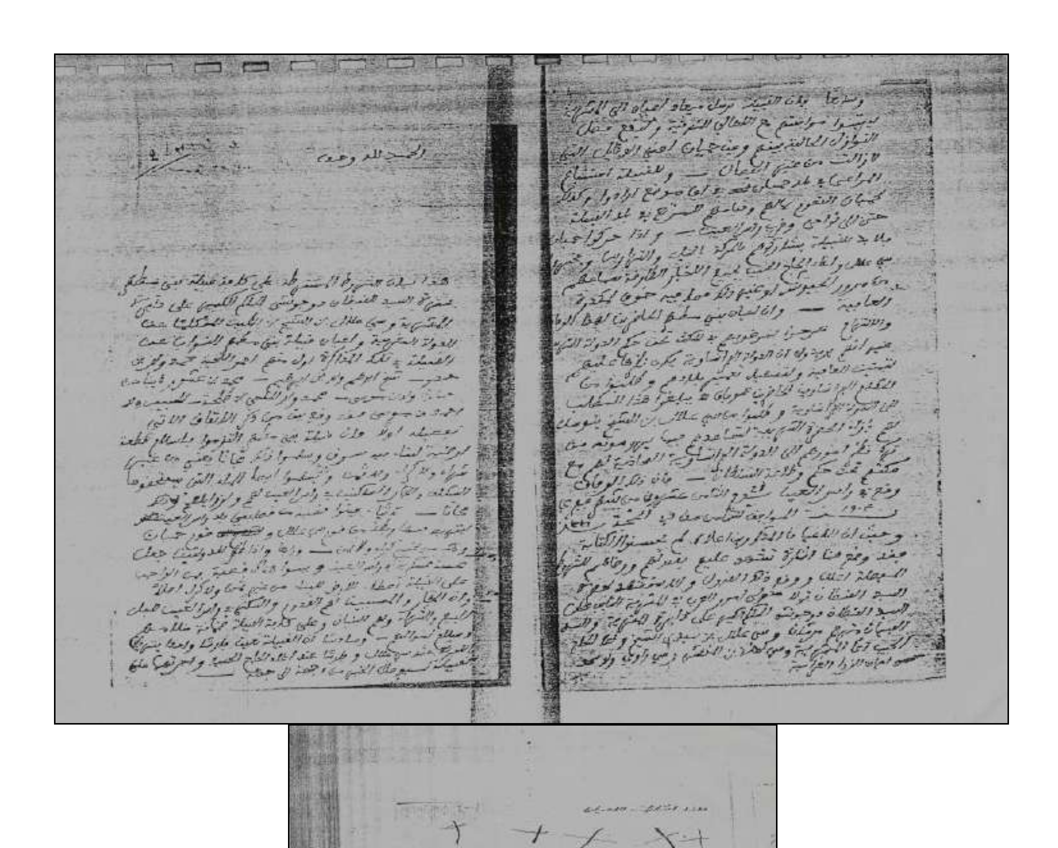


صورة تذكارية عائلية أخذت في مارس 1973 ببوعرفة حيث كان الحاج عبد الكريم قائدا بها.
من اليمين إلى الشمال : محمد بن الطيب(مؤلف الكتاب)، علال الصديقي،
عبد الكريم بن الطيب، بحوص بن علال،
أحمد بالحسني، الجيلالي بالعربي .



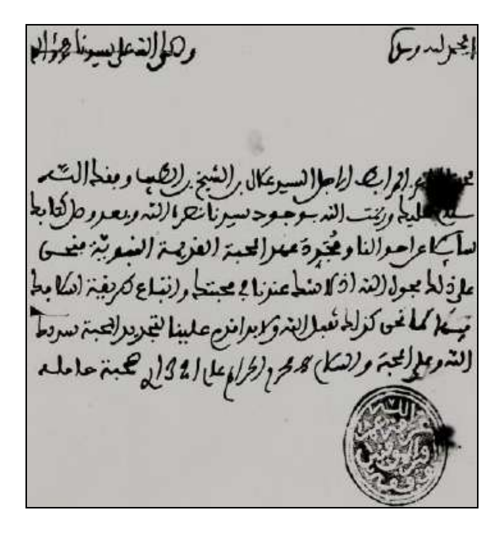
صورة تذكارية أخدت في نفس الزمان والمكان مع الصورة أعلاه
الواقفون في الخلف من اليمين : عبد القادر بن حكوم، محمد بن الطيب، عبد الكريم بن الطيب، الجلالي بالعربي
الجالسون من اليمين: علال الصديقي، بحوص بن علال، أحمد بلحسني

(الصغار) من اليمين: رافع بن عبد الكريم، بوحفص بن عبد الكريم



صورة طبق الأصل، للإتفاقية التي تمت بين أعيان بني مطهر، والقبطان دوجانشي حاكم دائرة المشرية (الجزائر) في 28\2\1904م، حول شروط إقامة تجريدة عسكرية فرنسية بعين بني مطهر، بهدف حماية السكان من أتباع بوحمارة. وقع على المعاهدة، القبطان دوجانشي (حاكم المشرية) وسيدي علال بن الشيخ بصفته ممثلا للدولة المغربية (كما تصفه المعاهدة) ووقع أعيان بني مطهر (وهم خمسة) بصفتهم أهل الأرض، كما وقع ثلاثة أشخاص حضروا المعاهدة، وهم سي لعلى بن المقلش، وسي الزاوي بن بوعلام (من أعيان أولاد سيدي الشيخ الغرابة) والآغا الحبيب بن المبخوت زعيم قبيلة أحميان بالمشرية.

(عن كتاب تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد للدكتور إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي).



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

جواب عن رسالة بعثها علال البوشيخي إلى مولاي عرفة عم السلطان عندما عيُن منسقا للحملة التي أعلنتها الدولة ضد ثورة بوحمارة ، وقدم إلى وجدة من أجل ذلك .

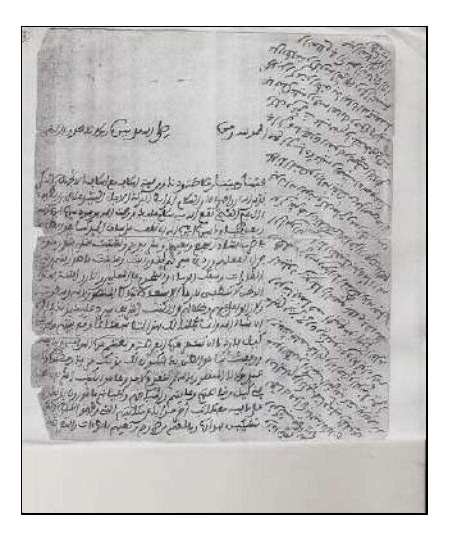


الحمد لله وحده وصلاته والسلام على رسول الله
تقييد ما سمعت لسيدي علال بن الشيخ
الطاهر من سيدي سليمان بن ابي سماحة
وسيدي عبد القادر بن محمد والشيخ عبد القادر
الجيلاني نفعنا الله بهم في أمير فقالوا
قد منا الى ولدنا علال في هذه البلد المباركة
نسقوه او نرووه وفي الخير نطلوه ومن
الغلا بك نفتوه ابى من كان ما خطوه
والكاذب عليه لعنة الله الا هكذا
سمعت منهم بلا زيد ولا نقصان من
ما ذكره السلطان محمد بن عبد الرحمن الصواب

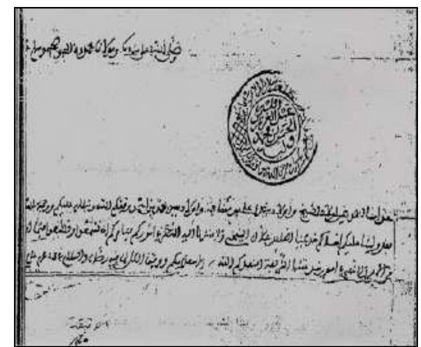
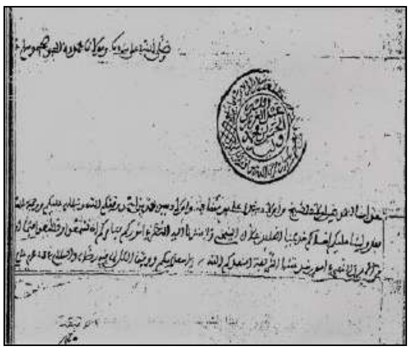
رسالة من الشيخ محمد بن عبد الرحمان القيم على على ضريح سيدي سليمان بن بوسماحة بفجيج (وهو أول شيوخ أبي عمامة بن العربي) بعثها إلى علال بن الشيخ يبشره برؤية رآها له



رسالة من المفوض الملكي في التصدي لثورة بوحمارة إلى علال البوشيخي تثمن وقوفه إلى جانب المخزن، وتهننه على انتصاراته على شيعة بوحمارة، وتدعوه إلى القدوم إلى مقر المفوض للمزيد من التنسيق.

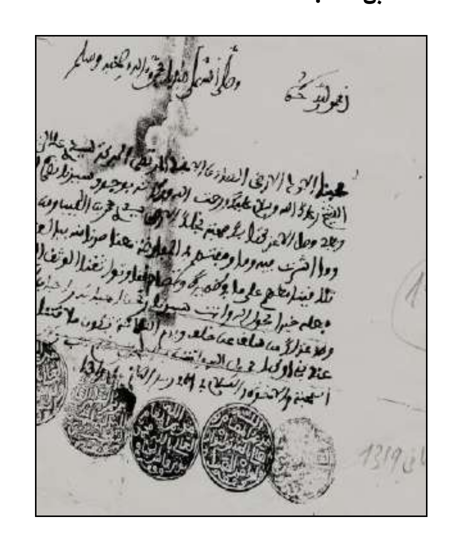


رسالة مولاي عبد السلام الأمراني إلى علال بن الشيخ تعبر عن متانة الروابط لتي كانت تربط آل سيدي الشيخ بآل البيت، في إشارة إلى تجاوز تلك الخلافات الظرفية

ظهير من السلطان مولاي عبد العزيز يتولى بموجبه علال البوشيخي قيادة أولاد سيدي الشيخ و أولاد سيدي علي بوشنافة وأولاد سيدي محمد بن بن أحمد.

رسالة السلطان مولاي عبد العزيز إلى علال البوشيخي يخبره فيها بأنه أنعم عليه بظهير شريف يتضمن الرضى عنه وعن أنجاله.



معاهدة التحالف بين علال بن الشيخ وقواد بني يزناسن والسجع، وقد شهد توقيع المعاهدة إبنه البكر محمد الطيب نيابة عنه .



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

TERRITOIRES DU SUD

TERRITOIRE D'AÏN-SEFRA

Affaires Indigènes

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Monsieur

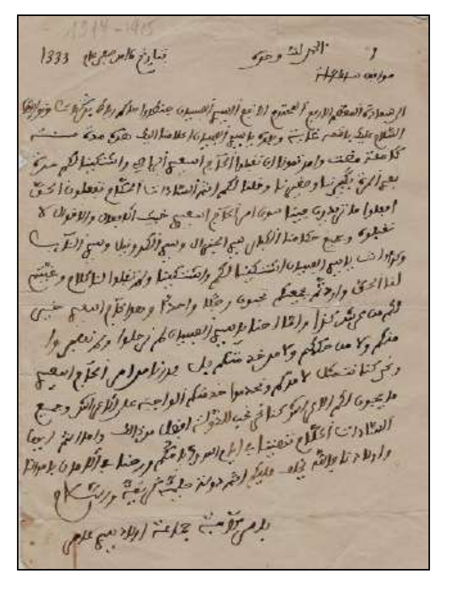
رسالة من حاكم العين الصفراء إلى علال البوشيخي يأذن له بالقدوم إلى أم چرار (الجزائر)، لتفقد أملاك أبيه الشيخ بن الطيب التي كانت ضمن الأراضي التي اقتطعها الأحتلال الفرنسي والحقها بالجزائر.



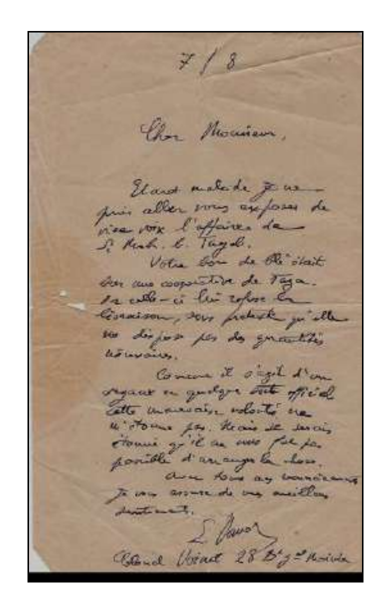
**ظهير للملك مولاي الحسن الثاني
يعين بموجبه عبد الكريم بن الطيب
قائدا لملحقة بوعرفة**



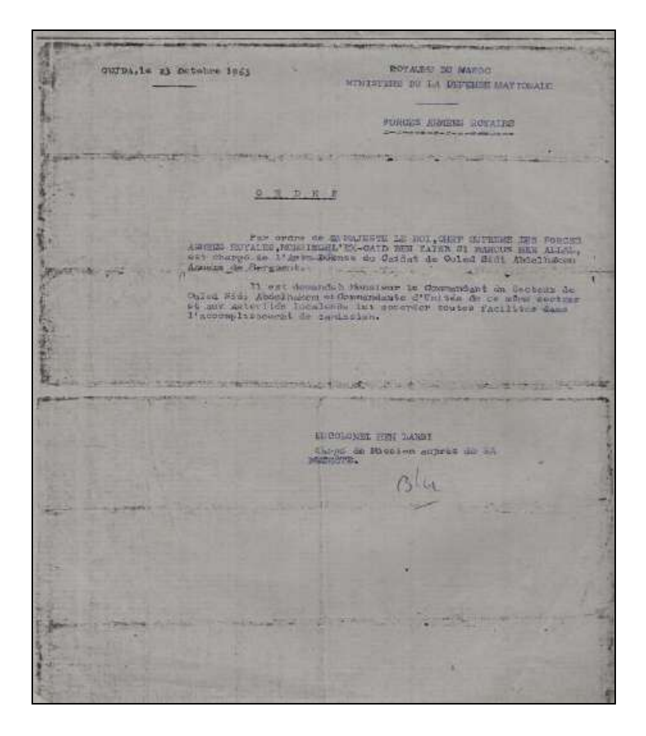
**ظهير يعين السلطان محمد الخامس بموجبه
بوحفص بن علال قائدا لأولاد سيدي عبد الحكم.**



**رسالة أولاد سيدي علي بوشنافة إلى حاكم بركَنت
حول أسباب هجرة عشيرة العوامر إلى الأطلس الجنوبي.**



**رسالة بخط العقيد فوانو(صاحب كتاب وجدة العمالة)
إلى محمد الطيب بن علال، في شأن
حصة أولاد سيدي عبد الحكم من الحبوب.**



OUJDA, le 23 Octobre 1963

ROYAUME DU MAROC
MINISTERE DE LA DEFENSE NATIONALE

FORCES ARMEES ROYALES

LTCOLONEL BEN LAMBI
Chargé de Mission auprès de SA MAJESTE.

<u>O R D R E</u>

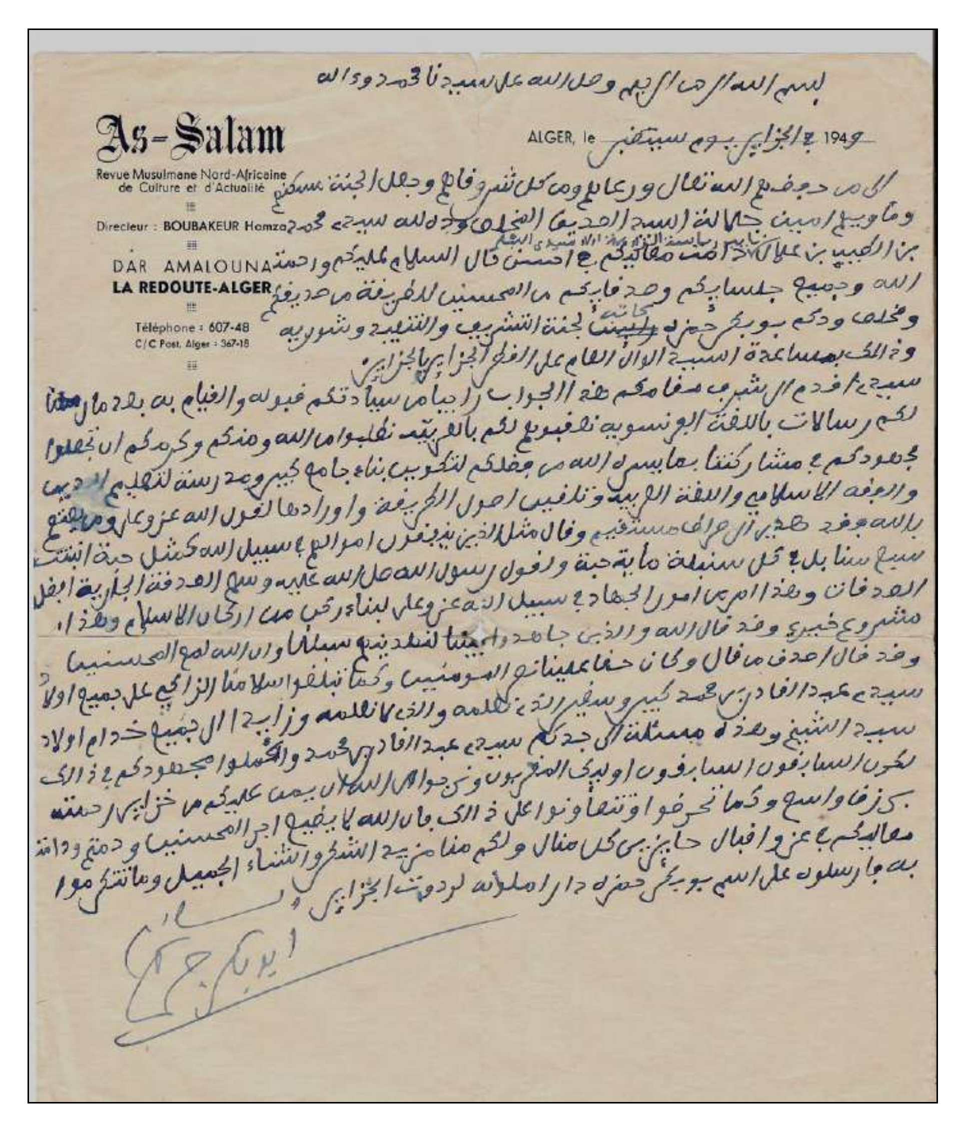
Par Ordre de sa MAJESTE LE ROI,CHEF SUPREME DES FORCES ARMEES ROYALES ,MONSIEUR L'EX-CAID BEN TAEB SI BAHOUS BEN ALLEL

Est chargé de l'auto-defence du Caidat de Ouleds sidi Abdelhakem, annexe de Berguent.

Il est demandé a Monsieur le Commandant du secteur de Ouleds Sidi Abdelhakem,et commandants d'unités de ce même secteur et aux Autorités locales de lui accorder toutes facilités dans l'accomplissement de sa mission.

(رسالة من جلالة الحسن الثاني إلى القائد السابق لأولاد سيدي عبد الحكم إبن الطيب بوحفص بن علال في 1963/10/23)

أثناء حرب الرمال التي اندلعت بين المغرب والجزائر حول مشاكل حدودية في 1963 نقل الكولونيل بالعربي – المكلف بمهمة لدى جلالة الملك – رسالة من جلالة الملك الحسن الثاني، القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية، إلى القائد السابق لأولاد سيدي عبد الحكم إبن الطيب بحوص بن علال، يأمره فيها بالتكلف بالدفاع المدني الذاتي،
ويتوصل بناء على ذلك ب150 قطعة سلاح وما يوازي ذلك من الذخيرة والعتاد.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

As-Salam

Revue Musulmane Nord-Africaine de Culture et d'Actualité

Directeur : BOUBAKEUR Hamza

DAR AMALOUNA

LA REDOUTE-ALGER

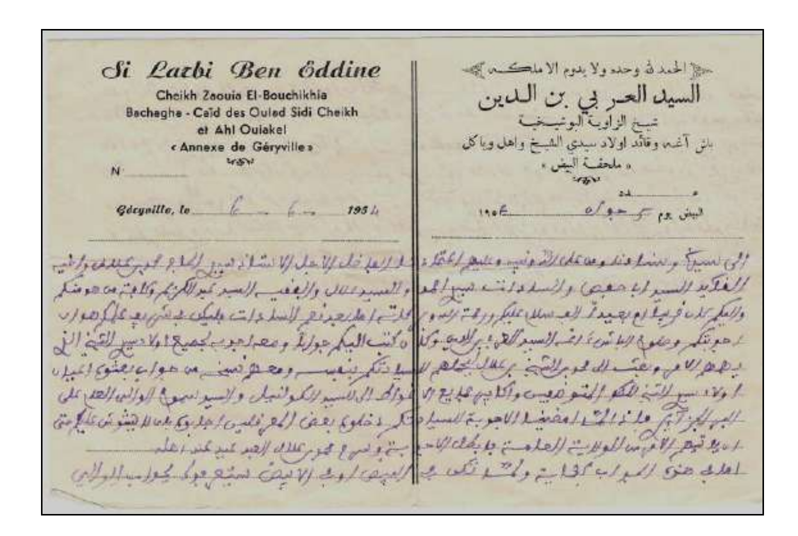
Téléphone : 607-48

C/C Post. Alger : 367-18

ALGER, le الجزائر يوم 1949

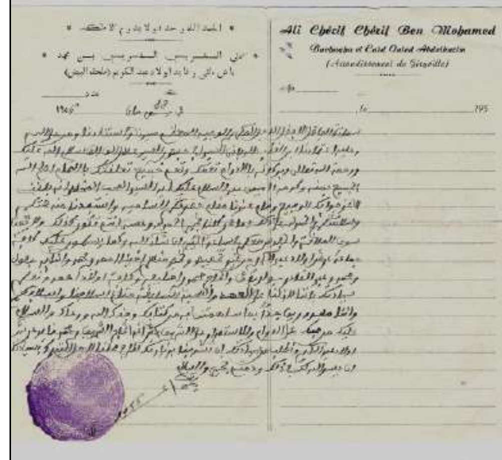
أبو بكر حمزة

رسالة من أبوبكر حمزة ـ بصفته رئيس لجنة التشريف والتنفيد التي تكونت من أجل إصلاح الزاوية الشيخية ـ إلى محمد الطيب شيخ الزاوية الشيخية الغربية، حول الاكتتاب لبناء جامع كبير ومدرسة لتعليم الدي واللغة العربية وتلقين أصول الطريقة وأورادها كما جاء في الرسالة أعلاه.

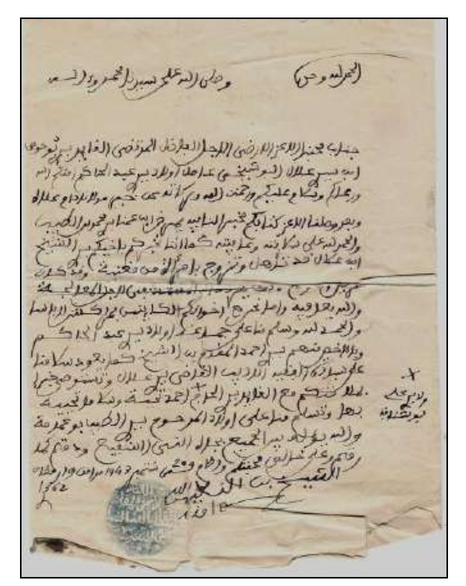

Si Larbi Ben Eddine
Cheikh Zaouia El-Bouchikhia
Bachagha - Caïd des Ouled Sidi Cheikh
et Ahl Ouiakel
« Annexe de Géryville »
N°
Géryville, le 6 – 6 – 1954

الحمد لله وحده ولا يدوم الا ملكه
السيد العربي بن الدين
شيخ الزاوية البوشيخية
باش آغه وقائد أولاد سيدي الشيخ واهل وياكل
« ملحقة البيض »
عدد
البيض يوم 5 جوان 1954

رسالة العربي بن الدين شيخ الزاوية الشيخية الشرقية
إلى محمد الطيب حول المشاكل التي أثارها
أبوبكر حمزة بتكوينه لجمعية كانت ترمي حسب أصحابها
إلى إصلاحات جذرية في الزاوية الشيخية


Ali Chérif Chérif Ben Mohamed

رسالة من الشريف قائد قبيلة أولاد عبدالكريم إلى أبي حفص بن علال قائد أولاد سيد عبد الحكم، تأكيدا للمحبة التي كانت تجمع بين القبيلتين إبان جهاد الشيخ بن الطيب.



رسالة الشيخ بن النعيمي إلى بحوص بن علال، والشيخ بن النعيمي هو حفيد الشيخ بن الطيب، وقد عينه السلطان مولاي يوسف قائدا لعرب سايس في1914

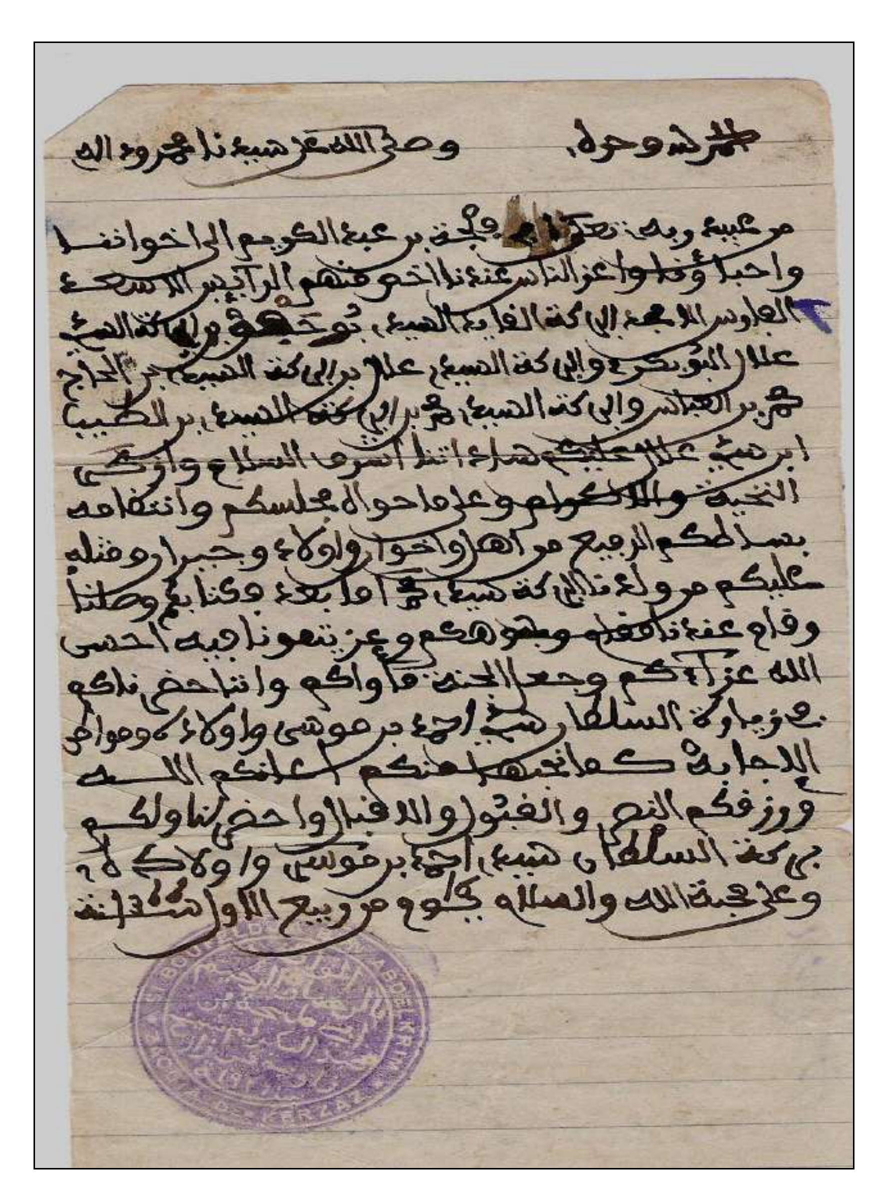


الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

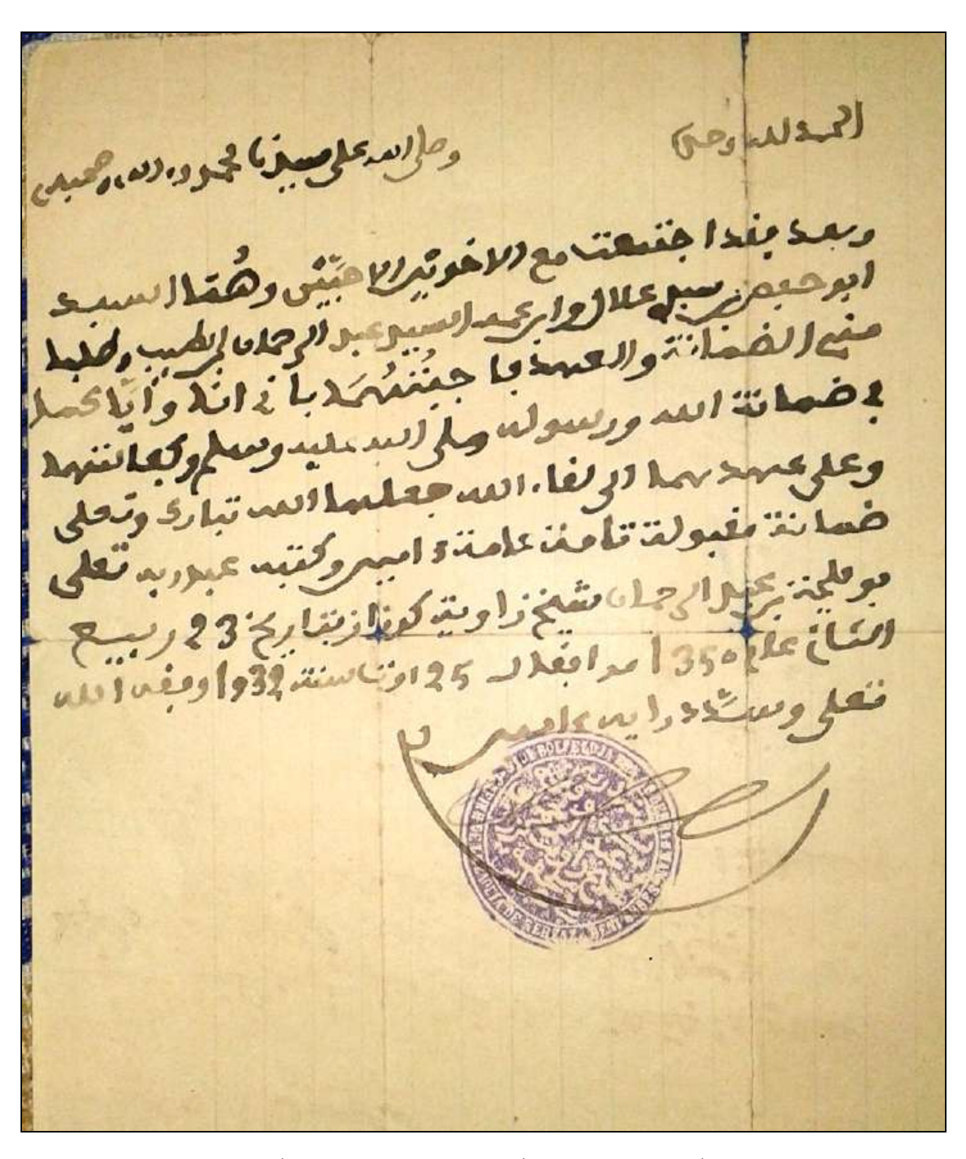
من عبد ربه تعالى الطيب بن العربي بن عبد السلام
الحسني الوزاني إلى محبنا الأجل الخير الأفضل
سيدي محمد الطيب وإخوانه الشرفاء أولاد سيدي
الشيخ آل سيدي أبي بكر الصديق رعاكم الله وسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وطالب صلاح
الأولاد غيبة منكم ولكم بخير وعافية تقبل الله
نطلبه سبحانه أن يأخذ بيدكم ويصلح بمنه
حالكم وأحوالكم وذريتكم [illegible]
وآخرتكم ويجعل الأعداء الأشقياء [illegible]
بجاه من له الشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وعلى المحبة والسلام في 26 جمادى
عام 1348

1929

رسالة من شيخ الزاوية الوزانية مولاي الطيب بن العربي بن عبد السلام
إلى محمد الطيب شيخ الزاوية الشيخية ومقدم الطريقة الوزانية
فقد كان شيخا – بالوراثة - للطريقة الشيخية، ولم يثنه ذلك عن طلب السلوك والتربية
عند أهلها، وقد اشتهر الوزانيون بوراثة سر التربية لعدة أجيال.



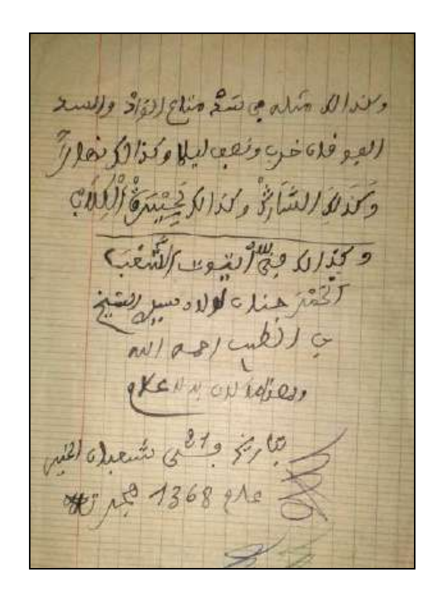
رسالة من الشيخ بوفلجة بن عبد الكريم
شيخ زاوية سيدي أحمد بن موسى الكرزازي
إلى آل علال البوشيخي شيخ الزاوية الشيخية
تؤكد مدى المحبة التي كانت تجمع بين الزاويتيْن..



الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد فقد اجتمعت مع الاخوين الاحبين
ابو حفص بن سيدي علال وابن عمه السيد عبد الرحمان بن الطيب وطلبا
مني الضمانة والعهد فاجبتهما بان انا واياكم
بضمانة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكفى بالله شهيدا
وعلى عهدهما الى لقاء الله جعلها الله تبارك وتعالى
ضمانة مقبولة تامة عامة آمين وكتبه عبد ربه تعالى
بوفلجة بن عبد الرحمان شيخ زاوية كرزاز بتاريخ 23 ربيع
الثاني عام 1350 امر افقه 25 اوت سنة 1932 وفقه الله
تعالى وسدده آمين آمين

رسالة الشيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرحمان شيخ زاوية كرزاز
إلى أبي حفص بن علال بن الشيخ بن الطيب بعد زيارته للزاوية الشيخية الغربية
في غشت 1932.



جرد للأراضي السقوية (الجنانات) التي كانت في ملك الشيخ بن الطيب
بأم قرار وتيوت، بعد معاينتها من طرف حفيده أبي حفص بن علال بن الشيخ بن الطيب
بتاريخ 21 شعبان 1368 الموافق 17 يونيو1949.



الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

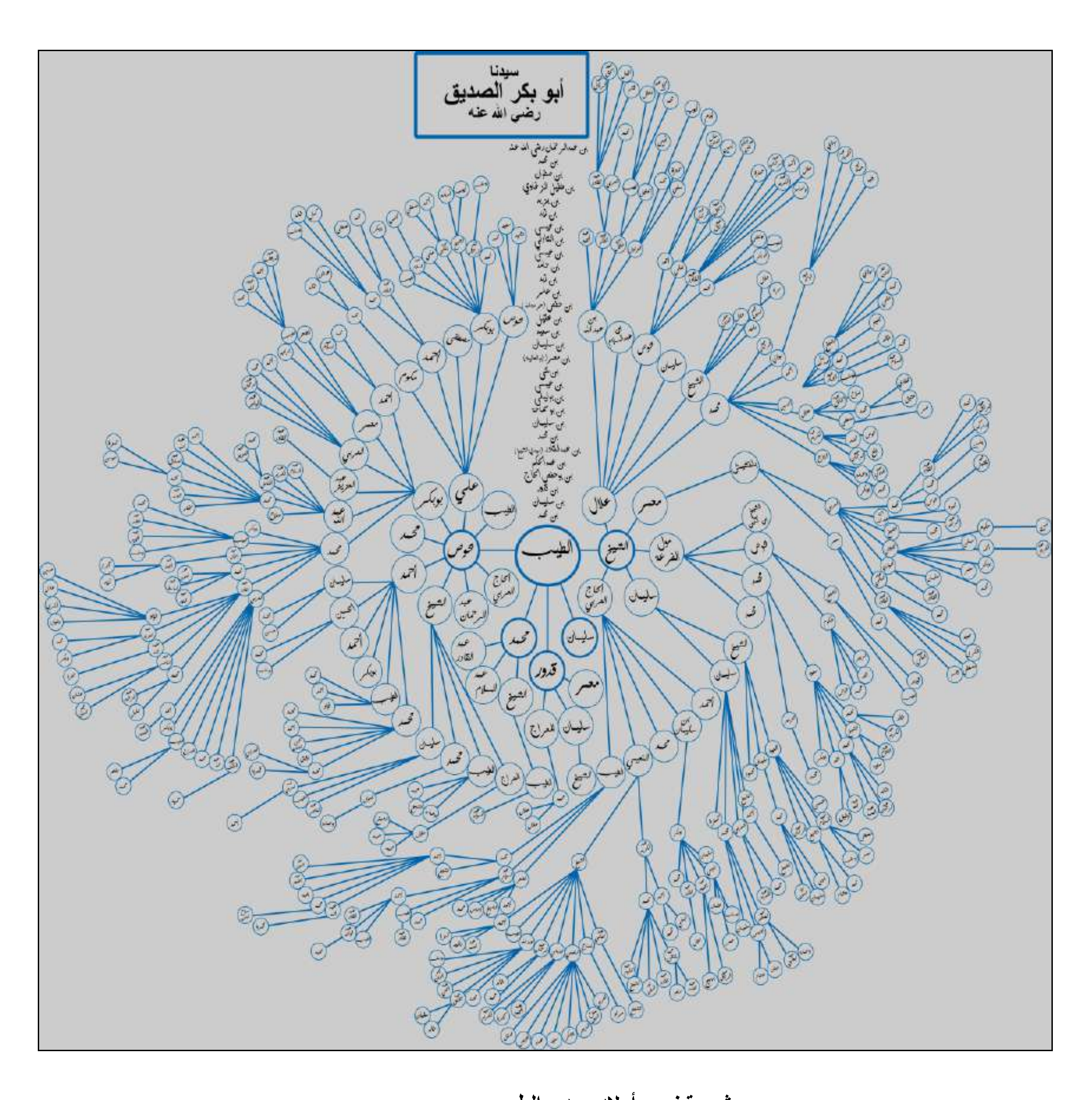
VU:

POUR PROMULGATION ET MISE EN EXECUTION

L'AMBASSADEUR DE FRANCE, COMMISSAIRE RESIDENT
GENERAL DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE AU
MAROC;

RABAT, le

ظهير السلطان مولاي يوسف يعين لخضر بن الطيب بن بوعمامة
قائدا لقبيلتيْ الشجع وبني وكيل في 30 غشت 1944.
إضافة إلى كونه كان قائدا لقبيلة أولاد سيدي الشيخ بعيون سيدي ملوك منذ 1924.



شجرة نسب أولاد سيدي الطيب
وضعها محمد بن الطيب البوشيخـي
في 18\8\2001
وسهرعلى طبعها وإخراجها الشبلي الشبلي
بن أبي بكر بن علي بن أبي حفص بن الطيب.
وتوجد في حجم كبير.

المراجـــــــع والمصادر

• **القرآن الكريم**، رواية ورش/ حفص.
• **إبراهيم العبيدي المالكي**، عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق، الطبعة الثانية 1955 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
• **أبي حفص الحاج بن عبد الحكم السماحي**، مفاتح الخيرات، مطبعة الجسور وجدة 2009.
• **أحمد بن أبي بكر السكوني**، تقوية إيمان المحبين، مطبعة الجسور بدون تاريخ.
• **أحمد بن الأمين الشنقيطي**، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة السادسة 2008.
• **أحمد بن عبد الله ابن أبي محلي الفلالي**:
- إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت مخطوط مسجل تحت عدد 100 بالخزانة الحسنية بالرباط ،
- منجنيق الصخور، لهدم بناء شيخ الغرور، ورأس الفجور، مسجل في مجموع بالخزانة العامة الرباط تحت عدد ق 338.
• **أحمد بن مبارك اللمطي**، الإبريز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة 2002.
• **أحمد العماري**، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من 1850 إلى 1902، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1988.
• **أحمد العياشي سكيرج**:
- كشف الحجاب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ.
- رفع النقاب بعد كشف الحجاب، مكتبة الأمنية الرباط 1975.
• **أحمد الغزالي**
- تفاعل الشرف والولاية، مطبعة أبي فاس 2003.
- مساهمة في البحث عن زوايا بني زناسن، القادرية البودشيشية نموذجا، مطبعة البلابل فاس 1998.
• **أحمد عرب الشرنوبي**، تائية السلوك إلى ملك الملوك، شرح وتحقيق عبد المجيد الشرنوبي، دار الكتب العلمية بيروت 2002.
• **أحمد قسطاس**، نبراس المريد في طريق التوحيد، مطبعة فضالة المحمدية 1989.
• **أحمد لسان الحق**، الحقيقة القلبية، مطبعة النجاح الجديدة 1999م الدار البيضاء.

• **أحمد مزيان،** فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي مطبعة فجر السعادة 1988.
• **إدريس الفضيلي،** الدرر البهية والجواهر النبوية المطبعة الحجرية ،1314هـ
• **البخاري،** صحيح البخاري، دار ومطابع الشعب القاهرة مصر بدون تاريخ.
• **الثابت بنسليمان عبد الباري،** شرح تائية البوزيدي للشيخ أحمد بن عجيبة تحقيق مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1998.
• **الحسن اليوسي،**المحاضرات،مطبعة دار المغرب للتأليف والنشر الرباط 1977.
• **العربي الهلالي،** فجيج تاريخ وثائق ومعالم، المطابع المغربية والدولية طنجة 1981.
• **العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي** ، فجيج، تحت الحماية الفرنسية (1912-1927) مطبعة الجسور وجدة 2011.
• **العربي الهلالي ومحمد بوزيان بنعلي،** فجيج نصوص من التراث الفكري، مطبعة الجسور وجدة 2003.
• **إيليا حاوي،** الحطيئة في سيرته ونفسيته وشعره، دار الثقافة بيروت 1970.
• **بوجمعة بن مصطفى أزروال:**
- أخبار الشريف الولي الصالح أبي القاسم أزروال المعلاوي وأبنائه، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1993.
- شذرات من الشرف المنيف، مطبعة النجاح الجديدة 1998م الدار البيضاء،
• **بولنوار العربي،** معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية، جامعة الحسن الثاني كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، شعبة القانون العام، الدار البيضاء. بدون تاريخ.
• بيير بيرتيه، وادي المخازن، ترجمة أحمد بن عبود وأحمد عمالك، نشر تانسيفت الدار البيضاء، 1991.
• **حكيم الفضيل الادريسي،** التربية النبوية، حكم تصرف النبي صلى الله عليه وسلم وورارثه بالتزكية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 2005.
• **حليمة بن كرعي،** قبائل جيش عرب سايس ما بين الرواية الشفوية والمصادر الموثقة ما بين 1832م و 1912م ، 1999.
• **خالد بن الصغير،** المغرب في الأرشيف البريطاني، دار النشر ولادة ،الدار البيضاء 1990.
• **شوقي أبوخليل،** وادي المخازن، معركة الملوك الثلاثة، القصر الكبير، دار الفكر بدمشق الطبعة الرابعة 1994م إعادة 2001م.
• **عباس الجراري،** القصيدة، مطبعة الأمنية، الرباط 1970.
• **عبد الحق المريني:**
- الشاي في الادب المغربي، سلسلة شراع الكتاب رقم57 15 يونيو1999 .

- محطات في تاريخ المغرب المعاصر(1894-1956) من منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2012.
• **عبد الحليم محمود،** المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، مطبعة دارالكتب الحديثة مصر 1968.
• **عبد الحميد زوزو،** ثورة بوعمامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
• **عبد الخالق بن محمد العروسي،** المُرْقِي، من إصدارات الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2017.
• **عبد الرحمان بن زيدان،** إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مطابع إديال الدار البيضاء الطبعة الثانية 1990م .
• **عبد الرحيم حزل،** الشريفة الوزانية قصة حياتي بالانجليزية لندن 1911م في حلقات نشرته جريدة العلم ابتداء من 4 يوليوز 2000م العدد 18310.
• **عبد القادر الكوهيني،** خلاصة شرح ابن عجيبة على متن الأجرومية في التصوف مطبعة النجاح طرابلس ليبيا بدون تاريخ.
• **عبد الله حمادي الإدريسي:**
- السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه، الإمام أحمد ابن أبي محلي، مهدي وادي الساورة، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، المسيلة الجزائر، 2013.
- صحراء بلاد بشار المجاهدة، وايت دريم للنشر والإنتاج، الجزائر، 2016.
• **عبد الله طواهريه:**
- الياقوتة في التصوف، مطبعة الأطلال، وجدة 1992.
- تذكرة الخلان في مناقب العلامة سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي، المطبعة العربية غرداية 2002.
- سلوة الأحزان، مخطوط (شخصي).
• **عبد المجيد القدوري،** إبن أبي محلي الفقيه الثائر،مطابع منشورات عكاظ الرباط 1991.
• **عبد الوهاب بن أحمد الشعراني،** الطبقات الكبرى، مطبعة دار العلم للجميع القاهرة مصر 1954.
• **عبد الوهاب بن منصور:**
- أعلام المغرب العربي المطبعة الملكية 1979م الرباط.
- الوثائق الملكية، المطبعة الملكية الرباط 1978 .
• **عبد القادرعيسى،** حقائق عن التصوف الشيخ
: www .shazly .com /books/7aqaeq.pdf
• **عكاشة برحاب:**

- من أسواق الحدود المغربية الجزائرية عين بني مطهر، مطبعة الرباط نت المغرب يوليوز 2004.
- من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط 2003.
• **فوانو لويس،** وجدة العمالة، (ترجمة وتعليق محمد الغرايب) مطبعة شمس، وجدة، الجزء الأول 2003، الجزء الثاني 2007 الجزء الثالث 2009.
• **مجموعة مؤلفين،** معلمة المغرب من إنجاز الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر1989.
• **محمد الفاسي،** معلمة الملحون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1987.
• **محمد العربي الدرقاوي(الشيخ)،** مجموعة رسائل في التصوف وآدابه، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء بدون تاريخ .
• **محمد باقر الكتاني،** ترجمة الشيخ الكتاني الشهيد، مطبعة الفجر 1962.
• محمد بن أبي بكر، البدر الضاوي والقطب الرباني الدلائي، مطبعة النجاح الدار البيضاء 2001.
• **محمد بكوشة،** ديوان سعيد المنداسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
• **محمد بن سليمان الصائم التلمساني،** كعبة الطائفين، رسالة لنيل شهادة الدكتورة في الأدب الشعبي، تقديم وتحقيق قيداري قويد، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان، السنة 2013/2012.
• **محمد بوزيان بنعلي:**
- بيوتات العلم والادب بفجيج، مطبعة الجسور وجدة 2002.
- فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي، مطبعة الجسور وجدة 2000.
- فجيج في عهد السعديين، مطبعة الجسوروجدة 2005م
• **مصطفى الشابي،** النخبة المخزنية، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس الرباط 1995.
• **مصطفى ماء العينين،** نعت البديات وتوصيف النهايات، مطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون بالفحامين بمصر سنة 1347 هـ .
• ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري،مطبعة دار اليقظة العربية بيروت بدون تاريخ.
• **مولاي عبد الحميد الإسماعيلي،** تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الامجاد، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1989.
• **مولاي منير القادري بوتشيش،** الحضور الصوفي في زمن العولمة، مطبعة فضالة المحمدية المغرب 2004.

• **ميلاد عيسى (الأب)**، الياقوتة قصيدة في التصوف، المطبعة المركزية، وجدة 1986.
• **نورالدين أبولحية**، جمعية علماء المسلمين والطرق الصوفية، وتاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
• **همفر**، (مذكرات) جاسوس بريطاني، بدون تاريخ و بدون مكان الطبع.

المجلات:

• **العربي** (الكويتية)عدد 558 لشهر مايو2005م .
• **العربي** (الكويتية) عدد 583 لشهر يونيو 2007 م.
• **الإشارة** ،شهرية تعنى بالشأن الصوفي تصدر بالرباط شهرغشت 2001.
• **الدارة**، مجلة شهرية تصدرها الدارة السعودية.

المخطوطات:

• ظهائر سلطانية، رسائل رسمية، وثائق إدارية، رسائل شخصية، صور.
• تسجيلات صوتية.

Bibliographie

• **Abdelkader BEZZAZI et Joëlle RETHORE**, Chants de femmes de l'orient Marocain,publication de la faculté des lettres n° 55 seri 18, 2002.
• **Ahmed Bessadat**,Paroles sur la colline, poême,(document personnel).
• **Boualem Bessaeh** :
-Bouamama ,de Thomassin à Lyautey, Limag, Parcours Maghrebins , Mars 1987 N°6 page 57-62
-L'étendart interdit, Editeur Sindibad 2003,imprimé impression façonnage du centre 13200 Arles.
• **Noël (capitaine)**, Documents historiques sur les tribus de l'annexe d'el-aricha , Bulletin trimestriel de la socite de géographie et d'archeologie d'Oran tome 38 année 1918.
• **Cheikh si Hamza Boubakeur**,Un soufi Sidi Cheikh, ,édition Maisonneuve et Larose 1990 Paris.
• **Pansard (Colonnel)**, Arbre gyénéalogique (O.S.cheikh), annexe de DPSENOA (cité ci-dessus)
• **Cour A.** Berguent (Ex Ras el ain 1908).Alger 1908.
• **Dictionnaire usuel** , librairies Quillet-Flammarion, Paris 1963.
• **Emily Keen**, Histoire de ma vie, épouse Charif d'Ouazzan, Traduction Sidi Mohamed Yamlahi et Mohammed-saad

Zemmouri,impression ;imprimerie ALTOPRESS,publication Gremnord, mai 2001.
• **Felix Jacquot**, Expédition du général Cavaignac Dans le sahara algerien En avril et mai 1847, Paris,Gide et Baudry, libraire-éditeur,1949.
• **Gagne Jacques**, Nation et Nationalisme au Maroc, Dar Nachr Al Maarifa, Rabat 1988 .
• **Gaquière**, Berguent Ras El-Ain, Bulletin trimestriel de la société de géographie et d'archéologie d'Oran juin 1913•
• **H-M-P de la Martiniére, N. de Lacroix**, Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain , (DPSENOA) réunis et rédigés par ordre de Mr Jules CAMBON, Gouverneur General de l'Algérie; par :
- H-M-P de la Martiniére : Directeur du cabinet au service des affaires indigènes du gouvernement général de l'Algérie.
- N. de Lacroix capitaine d'infanterie ; hors cadre ,chef des affaires indigènes,bureau arabe, détaché au service des affaires indigènes du gouvernement général de l'Algérie.(imprimé par la maison de L.Danel de Lille 28/2 /1896).
• **Khalifa BENAMARA**, Saga des Boubekria, d'après la traduction de Dardour Samir (site Ain Sefra).
• **Lyautey hubert**, Lettres Sud Oranaises; Librairie Armand colin,Paris 1937 .
• **MAAZOUZI Mohamed**, Un demi- siècle pour l'intégrité territoriale, imprimerie El Maarif Al Jadida ,Rabat 2004.
• **Marcel Rullier et Ladjimi**, Berguent, imprimerie Hentz, Oran 1928.
• **Michaux Bellaire**, Archives Marocains, Editeur Ernest Leroux ,France 1913.
• **Michel Lihoreau**, L'éxpédition Wimpffen, Harmattan 1996.Centre d'études sur l'histoire du Sahara, Paris 75003.
• **Milad Aissa**, Al Yakouta poême mystique de Sidi Cheikh (1533-1616),Alger E.N.A.L. 1986.
• **O.Depont et X.Coppolani**, Les confreries religieuses Musulmanes, Alger 1879.
• **Pierre Larousse**, Grand dictionnaire universel du XIX siecle, p.802 1886-1887,Paris.
• **Ross E.Dun**, Resistance in the Desert 1881-1912 , printed in Great Britain by Redwood burn Ltd,Trowbridge and Esher, 1977.
• **SARI Djilali**, L'insurrection de 1881-1882, Société nationale d'édition et de diffusion Alger, 1981.

• **Touati Houari**, Entre Dieu et les hommes,lettrés,saints et sorciers au Maghreb (17 eme siecle)., Editions de l'école des hautes études en sciences sociales Paris 1994.
• **Trumelet** :
- Les français dans le désert. Editeur Garnier, Paris, 1863 .
- Histoire de l'insurrection des Ouled-sidi-ech-cheikh, (sud algerien) de 1864 a 1880, Adolphe Jourdan, librairie-éditeur, Alger 1884.
- L'algérie legendaire, éditeur A. Jourdan,Paris, 1892.
• **Voinot Louis**, Oujda Amala, édité par les enfants de l'Oriental, publication Saint Germain-en-Laye ,Imprimé arts graphique de la brie, 1988 .
Journal :
•**Le matin du sahara et du maghreb**,(journal du lundi 14 aout 2000).

فهـــــــرس

الفصل الأول
الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي

الفصل الثاني
أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة

الفصل الثالث
أولاد سيدي الشيخ الغرابة (أولاد سيدي الطيب)

